

مجلة الباحث

البحث من أجل التغيير



مجلة تعنى بنشر البحوث العلمية

العدد الخامس

أبريل 2015 م
مؤسسة الإبداع العلمي

مجلة الباحث : مجلة تعنى بنشر البحوث العلمية المحكمة

العدد الخامس : أبريل 2015م

<http://www.elbahithmagazine.com>

info@elbahithmagazine.com

www.agip.com مسجلة في دول العالم بمؤسسة طلال أبوغزالة للملكية الفكرية

TN/T/2015/00406

www.alarabiah.org - بيروت - عضو المجلس الدولي للغة العربية -

عنوان المجلة في أندونيسيا:

Jl. Masjid Cidodol RT 005/012 Grogol Selatan –Kebayoran West of
DKI Jakarta - Jakarta

Daud Lintang 6281435365

عنوان طباعة المجلة في تونس :

مطبعة الخدمات السريعة، 32 نهج الرفق، بالقرب من STB بنك، جارة قابس، سلام راجح GSM
98279849. البريد الإلكتروني: impr64@yahoo.fr

المكتب الإعلامي للمجلة:

Youcan – B4 – Im – Zouhour , rue AL – Maarifa 6000 Gabes Tunisie

site web : www.youcan.tn E-mail : contact@youcan.tn

حسام الدين مصطفى بن عبد الملك 25163280 .

حقوق الطبع والنشر والاقتباس محفوظة

All rights reserved Copyright © 2015مجلة الباحث

البحث من أجل التغيير

مجلة الباحث

مجلة تعنى بنشر البحوث العلمية المحكمة

العدد الخامس

أبريل 2015م

مؤسسة طلال أبوغزالة للملكية الفكرية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَجَلَّةُ الْبَاحِثِ
الْعَدَدُ الْخَامِسُ

الطبعة الأولى
حزيران 1436هـ

الرؤية والرسالة والأهداف

شعار المجلة: البحث من أجل التغيير.

رؤية المجلة: مجلة علمية عالمية، تعنى بنشر البحوث العلمية المتنوعة، في مجالاتها المتعددة، لخدمة وتطوير الإنسانية.

رسالة المجلة: إيصال العلوم بالنسب، والنبادل المعرفي في ضوء المعايير البحثية العالمية، لخدمة الباحثين والطلبة في سائر أنحاء العالم، بما يتخدم المجتمع ويحافظ على القيم.

أهداف المجلة:

- فتح نافذة علمية تسعى لنشر البحوث العلمية وتحكيمها .
- الإسهام في خدمة البحث العلمي الرصين .
- تنمية القدرات في الدراسات والبحوث العلمية لدى المتخصصين وفق منهجية متميزة .
- تشجيع البحوث العلمية التي تتناول قضايا العصر والمستجدات العلمية ذات الرؤى الحديثة .

اهنئامات المجلتة :

- البحوث العلمفة الر صفة المسشدة إلى مناهج البحث العلمف .
- آقفق التراث الالف فسهفم فف إغناء المكنبة المعاصرة .
- نآوث العلوم العصرفة المر تبطة بالثقففة الالفثة الالف اللفم الإنسان وترفقف
بف؛ لشفها والعرفف بالفهوء العلمفة الالفة .
- من إجمعاء الكنب والرسائل الالفمفة وعرضها .

ضوابط النشر فف المجلتة

تصدر مجلة الباحث وفق الضوابط الآفة :

- مبادئ الالف الإسلامف الالف.
 - قوائف الإصدار والنشر .
 - رؤفة ورسالة وأهءاف المجلتة .
 - أن ففماشف البحوث وأهءاف المجلتة وضوابطها.
 - أن فكون لغة البحث لغة سلمفة وفصففة .
 - تزوفه هفئة الفرفر بنسخة من البحث على نظام اسفمارة النشر فف الموقع، ففبب أن فكون البحث مكفوبا بواسطة الالفسوب وذللك وفقاً لضوابط الفرفر الآفة:
- أ- إرسال نص البحث بوساطة برنامج (Word)
- ب- متن النص فف اللغة العربفة Traditional Arabic عافف (آجم 16).
- آ- متن النص فف اللغة الإنفلزفة Times New Roman عافف (آجم 12).
- ء- متن الهامش فف اللغة العربفة Traditional Arabic عافف (آجم 14).
- ه- متن الهامش فف اللغة الإنفلزفة Times New Roman عافف (آجم 8).

- و- العناوين الرئيسية في اللغة العربية Traditional Arabic أسود (حجم 18).
- ز- العناوين الرئيسية في اللغة الإنجليزية Times New Roman أسود (حجم 14)
- ح- العناوين الفرعية في اللغة العربية Traditional Arabic أسود (حجم 16).
- ط- العناوين الفرعية في اللغة الإنجليزية Times New Roman. عادي (حجم 10)
- أن تكون معلومات البحث موثقة توثيقاً علمياً رصيناً.
- أن يكون البحث متصفاً بالموضوعية والحيادية والأمانة، متسماً بالعمق والأصالة خالياً من الأخطاء اللغوية والمطبعية.
- أن يتضمن البحث قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدها الباحث مع ذكر المعلومات الضرورية لها.
- ترتيب المصادر حسب الحروف الأبجدية.
- الالتزام بالمنهج العلمي والموضوعي وقواعد النشر واتباع الأصول العلمية والقواعد المرعية في البحث العلمي.
- البحوث لا ترد لأصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
- أن لا يكون البحث قد نُشِرَ، أو قُدِّمَ للنشر إلى أية جهة كانت.
- تخضع البحوث المقدمة إلى المجلة للتحكيم من قبل أعضاء لجنة تحكيم تعيينها المجلة.
- يلتزم الباحث بعدم إرسال بحثه لأية جهة أخرى للنشر حتى يصله رد المجلة.
- الإجراءات التي يجب على الباحث أن يتبعها لنشر بحثه في المجلة:
- أن يقوم الباحث بإرسال نسخة إلكترونية إلى عنوان المجلة بصيغة ملف (Word) من بحثه وفق ضوابط النشر في المجلة.
- أن يقوم الباحث بإرسال رسوم النشر والتحكيم المتفق عليها مع إدارة المجلة.
- يلتزم الباحث بإجراء التعديلات المقترحة من المحكمين على بحثه وفق التقارير المرسله إليه، وموافاة المجلة بنسخة معدلة في مدة لا تتجاوز عشرين يوماً.

الهيئة الاستشارية للمجلة

رئيس التحرير : د. قاسم حسن القفة، جامعة الزاوية، ليبيا .

مدير التحرير : الأستاذ : داود لنتانج اليمين، جامعة جاكارتا الحكومية.

سكرتيرة التحرير : الأستاذة : زهرة بنت عبد الله بوكري ، تونس.

أعضاء الهيئة الاستشارية :

- الأستاذ الدكتور أندي هاديانتو، جامعة الشافعية الإسلامية، اندونيسيا.

- الأستاذ الدكتور عبد القادر سلامي، جامعة تلمسان، الجزائر.

- الأستاذ الدكتور محمد بن عبد الله بن صويلح المالكي، جامعة أم القرى، المملكة السعودية.

- الأستاذ الدكتور سعيد شواهنة، جامعة النجاح، فلسطين.

- الأستاذ الدكتور صالح محمد حسن أرديني، جامعة الموصل، العراق.

- الأستاذ الدكتور هيثم سرحان ، جامعة قطر، قطر.

- الأستاذ الدكتور عبد العليم محمد إسماعيل، جامعة كردفان، السودان.

- الأستاذ الدكتور عز الدين الناجح، كلية الآداب منوبة، قسم العربية، تونس.

- الأستاذ الدكتور أحمد الباوي، جامعة مولاي إسماعيل بمكناس، المغرب.

- الأستاذ الدكتور إبراهيم محمد منصور، جامعة دمياط، جمهورية مصر العربية.

- الأستاذ الدكتور الصديق آدم بركات، جامعة أفريقيا العالمية، السودان.

- الأستاذ الدكتور عبد الله أحمد عبد الله البسيوني، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا.

- الأستاذ الدكتور عبد الخالق فضل رحمة الله علي، جامعة السودان المفتوحة.

- الأستاذ الدكتور كنزاي محمد فوزي، جامعة 20 أوت 1955، سكيكدة، الجزائر.

- الأستاذ الدكتور سردار رشيد، جامعة السلمانية، كردستان العراق.

كلمة العدد

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا وحبينا
المصطفى محمد ، وعلى آله الأطهار ، وأصحابه الكرام أجمعين ، وعلى التابعين ، وتابع التابعين ،
ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

لم تكن الباحث أول من دخل ميدان النشر الثقافي في الإلكتروني ، ولكنها دخلته ولديها
رسالة وتصور لكيفية إيصالها . الرسالة هي خدمة ال بحث العلمي والمساعدة في
الارتقاء به على أساس غير مرجح . ولقد دخلت هذا الميدان متسلح ة بتجربة إعلامية
وأكاديمية ، وتجربة متنوعة في حياة البحث العلمي جزء منها في الشرق وآخر في الغرب .
إن الصمود في ميدان نشر البحوث العلمية ليس سهلا ، فالمواقع والمجلات الثقافية كثيرة ،
والمبادرات الجيدة لا يكتب لها النجاح بالضرورة ، فهناك ما ينجح بالمال ، أو بشبكة
العلاقات ، أو برعاية رسمية . يضاف إلى ذلك ، أن لكل كاتب /ة تصورا لأهمية وجوده ما
يرسل للنشر ، لذا لم تخل الأعداد الأربع الماضية من اختلاف في الرأي على نشر موضوع .

تعد مجلة الباحث فضاء علميا نزيها لنشر الدراسات الجادة التي تخدم الإنسان ، المنضبطة
بأصول المنهجية العلمية في جانبها الفني الصرف (تقنيات البحث) من جهة والمتعلق بمناهج
العلوم من جهة أخرى ، ولهذا ترحب بكل دراسة جادة تتسم بما سبقت الإشارة إليه ،
وتتناغم مع حاجاتنا المعرفية والمنهجية والفكرية والحضارية المعاصرة ، ذلك أنها تروم

تحقيق وثبة علمية ومنهجية، وسيلة لتحقيق وثبة حضارية نوعية، تبني "العمل الإيجابي" فلسفة وخطة، ومن مقتضيات هذا المسلك، العمل على بعث ثقافة المشاركة في التفكير والتدبير بالتركيز على الفضائل المثبوتة في مسالك تفكيرنا وخطط تديرنا، وتجاوز التوقف المضيبي عند نقد المخالف للنقد، ليس إلا.

المجلة بخطها العام في إطار مقاصدها المبيّنة وطبيعتها المشار إليها، تشجع كل الدراسات العلمية النوعية التي تروم تحقيق أهدافها، فتفتح المجال للدراسات التأصيلية بصفة عامة، فضلا عن الدراسات القائمة على مسالك الفحص والتمحيص العلميين، ولهذا لا تضيق المجلة بالنقد العلمي الهادئ والهادف، هروبا من العشبية وصرف الطاقات وتضييع الأوقات فيما لا طائل منه.

اشتمل العدد الخامس على دراسات متنوعة من أمصار مختلفة، فمن مباحث الإيمان في إطار رؤية واقعية وحضارية، إلى مفاهيم المشاريع النهضوية، وختمت دراسات العدد بمقارنة بين حكمة القرآن وفلسفة الإنسان.

اخترنا أن يشمل العدد الخامس ملفات ودراسات متنوعة، ساعدتنا على اكتشاف عناصر مهمة من مجمل المنهجية المثبوتة في رسائل النور، والعدد، فرصة لقراءة البحث العلمي من خلال باحثين من مختلف الأصقاع، ومن تخصصات مختلفة، تبين عن نزوايا النظر إلى المنهجية عندهم، كما تحيلنا إلى جوانب أخرى من الدراسات المنهجية عند العلماء عامة، على الخصوص.

تحاول المجلة إثراء لقضاياها وتمتينا للصلة بالباحثين المجادين والمفكرين من الطرائف العلمي العالي، إجراء حوار علمي جاد بأبعاد حضارية وفكرية مرصينة مع شخصيات علمية وفكرية مرموقة.

تؤثر العلوم الإنسانية بشكل عام في صناعة الفرد وهندسة فكره، وحيث أن التنمية الشاملة لا تقتصر على نتائج الثورة التكنولوجية فحسب فإن المفكرين لهم دورهم في هذا المجال، ولذلك جاء العدد الخامس من مجلة الباحث يحمل مجموعة من الدراسات حررها ثلثة من الباحثين من مربوع العالم الإسلامي يؤمنون بالأخذ والعطاء، والقبول والرفض، والإثبات والنفي، بهما معا يكون الفكر وبدونهما لا يكون، فلا الإثبات المطلق، ولا الرفض الكامل يعد فكرا.

من هذا المنطلق تهدف مجلة الباحث دائماً إلى صنع حركة علمية، ولون من ألوان الحوار الخصب المشر البناء بين المشتغلين في حقل العلوم الإنسانية في كامل أرجاء الوطن العربي على الخصوص والعالم الإسلامي على العموم، أملا في بعث الفكر بن العربي والإسلامي من جديد وإعانتها على النهوض من سباتها العميق الذي أراد به البعض أن يكون أبدياً.

ولذلك فإن هيئة مجلة الباحث تفتح الأبواب لكل الأقلام، من باحثين ومفكرين وباللغات الأربع، العربية، والإنجليزية، والفرنسية، والبهاسا ملايو، للمساهمة في إثراء الساحة الفكرية والعلمية بعصارة أبحاثهم، لتحقيق النهضة المنشودة.

وأخيراً، أتمنى أن تحقق هذه المجلة أهدافها ومبتغاها، وأن تكون مرافداً حقيقياً لتطوير البحث العلمي، وأن تكون مرافداً غزيرة ومياها عذبة تروي المتعطشين .

أملنا كبير أن يكون العدد في مستوى التطلعات، فإن كان ذلك فذاك ما نبغي، وإن كان غير ذلك، فننتظر منكم ما يرفع التحدي، ويجعلنا في مستوى تطلعاتكم، وذلك بمساهماتكم المعرفية والمنهجية والدعاء بالتوفيق .

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المحتويات

الصفحة	الباحث	الموضوع
1	علي جمعة عبد الله أبوعميد جامعة طرابلس - كلية الآداب	أحكام العمليات الجراحية في الشريعة الإسلامية
19	الدكتورة : حميدة أحمد ارزيق جامعة الزاوية - ليبيا	الكفاءة في الزواج.
34	عبد السلام السالم عبد السلام الأسمر الحضيري . كلية الدراسات الإسلامية - سبها	التربية الإسلامية دورها - منهجها - بناؤها - أساسها - دعائمها
47	المبروك رحومه الذويب جامعة الزاوية ليبيا	من أسرار ثراء اللغة العربية
59	أ.د سيد علي إسماعيل كلية الآداب - جامعة حلوان	الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي رائد الترجمة المسرحية مصرياً وعربياً
81	الدكتور: فتحي رمضان القراضي كلية الآداب - صبراتة جامعة الزاوية - ليبيا	الصورة الشعرية عنصراً بانياً في الشعر الليبي الحديث والمعاصر
98	الدكتورة: ربيعة أبوالقاسم علي الواعر جامعة الزاوية - ليبيا	الغلموية والشعر والشبق في الشعر الأندلسي
118	الدكتور: محمد رضا خضري أستاذ الأدب العربي العباسي جامعة الشهيد بهشتي . طهران	سيكولوجية البخل عند الجاحظ

المحتويات

الصفحة	الباحث	الموضوع
134	الدكتورة : ربيعة أمحمد أحمد الجهمي جامعة الزاوية - ليبيا	الشعر والتوظيف الديني عند ابن الرومي
169	د.علي خليفة سعيد كلية التربية تيجي جامعة الجبل الغربي - ليبيا	خصائص وصفات معلم اللغة العربية بمرحلة التعليم الأساسي ودوره في معالجة تدني مستوى التحصيل الدراسي
184	د. عبد الحكيم أمحمد عمر جامعة الزاوية - ليبيا	دراسة واقع طرق وأساليب التدريس في مرحلة التعليم الأساسي
202	للباحث: أحمد عبد الحميد محمد نور الدين أستاذ التربية و علم النفس كلية التربية / جنزور جامعة طرابلس - ليبيا	دور الإعلام في نشر مفاهيم الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي
228	للباحث : عبد السلام عبد اللطيف مفتاح جامعة الزاوية - ليبيا	الصراع العثماني الصفوي وأثره في توقف الفتوحات العثمانية في أوروبا
243	للباحث : الطاهر الواعر علي كلية الآداب جامعة الزاوية - ليبيا	الآثار الناتجة عن العولمة في بعدها الاجتماعي على المنطقة العربية

المحتويات

الصفحة	الباحث	الموضوع
253	د. عبدالفتاح المبروك محمد كريدغ جامعة الزاوية - ليبيا	تحليل عناصر المناخ ودورها في تحديد مناطق الراحة والاستجمام السياحي في ليبيا
281	أ. إبراهيم اسحيم العكرمي عضو هيئة التدريس بقسم الجغرافيا كلية الآداب جامعة الزاوية	التوزيع الجغرافي للسكان وأثره على النمو الاقتصادي دراسة ميدانية تشمل البلديات من الزاوية حتى العجيلات
317	الدكتور : حامد مولود علي الرك قسم المحاسبة كلية الاقتصاد - صرمان جامعة الزاوية - ليبيا	مدى التزام الخبير المالي بالمحاكم الليبية بأخلاقيات مهنة المحاسبة
335	الباحث الأستاذ: عبد الله عبد السلام محمد عيسى كلية التربية، العجيلات جامعة الزاوية	التعليم الإلكتروني : المفهوم والأهمية
359	الباحث الأستاذ: محمد الهادي السائح جامعة الزاوية - ليبيا قسم التاريخ	دور بعض أهم المركز الثقافية التي حدثت بعد التواصل بين الشمال الأفريقي وبين السودان الغربي في الفترة ما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر الميلاديين .(تنبكت ،جني ،جاو ،أغاديس)
1	S. F. Ramadan & M. Darus	The Fekete-Szegő problem for k - uniformly starlike Functions defined by the Hadamard product

أحكام العمليات الجراحية في الشريعة الإسلامية

للباحث: علي جمعة عبد الله أبو عميد

جامعة طرابلس - كلية الآداب

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

(أما بعد)

من حكمة الله تعالى أن جعل نصوص الشريعة وقواعدها ومقاصدها فيها من الشمولية والمرونة ما يستوعب المستجدات، والنوازل، والقضايا الحادثة إلى قيام الساعة، ودور العلماء والمجتهدين النظر في النوازل بما مكنهم الله من قدرات وإمكانات، وتوظيف ما يستجد من تقنيات وعلوم، وبذل الجهد في فهم واقعها وتصورها، وإدراكها على الوجه الصحيح حتى يظهر حكم الله في كل نازلة.

وبالتالي فإن الفقه الإسلامي جاء لينظم الحياة وفق الرؤية الشرعية، وهو علم حي يدخل في مفاصل الحياة اليومية لإيجاد الحلول الشرعية لها، ومن أهم مجالات الحياة اليومية في هذا العصر الطب وما توصل إليه من علم، فهو مجال في غاية الأهمية لحياة الناس في عصرنا؛ لأنه يتعلق بصحة الإنسان، وبذلك فهو يتعلق بحفظ النفس التي تعدّ أحد المقاصد الضرورية للشريعة.

ولهذا جاء الدين الإسلامي لعلاج المشكلات بالعلاج الأمثل أيّاً كان شأنها، وهذا دليل على الإعجاز في هذا الدين، وآية من آيات عمومته وخلوده، وصلاحيته لكل زمان ومكان، فهو لم يدع جانباً من جوانب الحياة الإنسانية إلا كان له فيه موقف، ولم يدع مرحلة من مراحل الحياة إلا ووضع فيها المنهج الأمثل.

ومما وضعه الدين الإسلامي تحديد القيود، والإجراءات العلاجية، والعمليات الجراحية، وحدود الطبيب فيما يمكنه القيام به وما لا يمكنه، والمسئولية المترتبة على ذلك العمل سواء توافر الإذن به أم لم يتوافر. والإذن في اللغة مصدر أذِنَ يَأْذِنُ، والأصل في استعماله العلم والإعلام، ويكون الإذن بمعنى إباحة الشيء، وإجازته، والرخصة فيه، يقال أذن له في الشيء إذناً، أي أباحه له، واستأذنه: طلب منه الإذن¹.

¹ لسان العرب، لابن منظور، دار صابر - بيروت، ط 1، (10/13)، والقاموس المحيط، للفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط 8، 2005م، مادة (أذن).

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾² تناول الفقهاء مفهوم الإذن ومدلوله في باب يسمونه: باب المأذون³ أي المأذون المحجور إذا أُذِنَ له بالتصرف، ويتناولونه بمعنى إباحة تصرف شخص ما في أمر ما بعد أن كان ممنوعاً منه، فلا تقتصر مسأله على باب الحجر، ويعرف بأنه: إباحة التصرف، أو الإعلام بإجازة الشيء والرخصة فيه⁴.

والعمليات جمع عملية، والعملية كلمة محدثة تُطلق على جملة أعمال تُحدث أثراً خاصاً. يقال: عملية جراحية، أو مالية⁵، والمقصود بالعمليات الجراحية جملة الأعمال التي يقوم بها الطبيب، لأجل حفظ الصحة التي تشمل سائر التطبيقات من إجراء الكشف، والتحاليل، ووصف الدواء، وتحديد أنواع الجراحات، ويكون الإذن بإجراء العمليات الجراحية بأنه: موافقة الشخص وقبوله بأن يجري له، أو لمن هو ولي عليه كافة الأعمال التي يراد بها حفظ الصحة، وإزالة المادة الفاسدة، وكل ذلك يدخل في مشروعية التداوي في الفقه الإسلامي، والنبي صلى الله عليه وسلم رغب في التداوي، ودعا إليه بما ورد عن أسامة بن شريك⁶ قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم، وجاءت الأعراب فقالوا: يا رسول الله أنتداوي؟ فقال صلى الله عليه وسلم: "نعم يا عباد الله تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء غير داء واحد" قالوا: ما هو؟ قال: الهرم⁷.

وبالنظر إلى أقوال فقهاء الإسلام في شأن طلب التداوي، فمنهم من يرى المنع من التداوي، وأنكر التداوي مطلقاً، وهم غلاة الصوفية⁸، واستدلوا بأدلة من الكتاب والسنة، فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلٍ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ

² سورة التوبة: من الآية 45.

³ المعونة على مذهب المدينة، القاضي عبد الوهاب البغدادي، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، ط 1، 1423هـ - 2003 (1188/2). معنى المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، لشمس الدين محمد الشربيني، دار المعرفة - بيروت، ط 1، 1417هـ - 1997م.

⁴ معجم لغة الفقهاء، حمد رواس قلعه جي، وحامد صادق قتيبي، ط 2، دار النفائس - بيروت لبنان 1988م، ص 52. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار (12/1) تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

⁵ المعجم الوسيط (2/628). (عمل).

⁶ هو: أسامة بن شريك الثعلبي من بني ثعلبة، روى حديثه الإمام أحمد، وابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم. انظر: تهذيب الكمال (2/351)، تحقيق: بشار عواد معروف، طبعة مؤسسة الرسالة - بيروت، ط 1، 1980م.

⁷ مسند الإمام أحمد (1/443)، مؤسسة الرسالة - بيروت ط 2، 1999م.

⁸ شرح صحيح مسلم، زكريا يحيى بن شرف الدين النووي (9/33) دار إحياء التراث - بيروت، ط 2، 1392هـ.

يَسِيرٌ⁹. ووجه الاستدلال أن الله تعالى قد علم أيام الصحة والمرض، ولو حرص الخلق على دفع الضرر ما قدروا¹⁰، لذا ما دام كل شيء بقضاء الله وقدره فلا حاجة إلى التداوي.

ومن السنة ما أخرجه أحمد في مسنده عن ابن مسعود من حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الرقى والتمائم.. شرك"¹¹.

ووجه الاستدلال إن الرقى والتمائم مما يتداوى به، وفي ذلك إشراك لها مع الله في التوكل فلا تجوز، ومنهم لا يرى المنع بالتداوي إن كان الشفاء بالدواء، وإليه ذهب بعض الحنفية، واستدلوا: بأن الأصل في التداوي الجواز وكل ما ورد من أحاديث في كراهة التداوي، هي محمولة على من كان يرى الشفاء في الدواء ويعتقد أنه لو لم يعالج لما سلم، ومثل هذا لا يجوز التداوي به.

وبالتالي فإن حكم الإذن الطبي: هو إذن المريض بإجراء العمل الجراحي عليه، فإذا كان الإجراء مباحاً، فإن الإذن به مباح، وإن كان الإجراء محرماً، فالإذن به محرم، ولذلك اختلف العلماء في حكم التداوي على أقوال أشهرها: إن التداوي مباح وهو قول جمهور أهل العلم¹² من المالكية، والحنفية، والشافعية، والحنابلة، وإن اختلفوا هل الأولى فعله، أو تركه.

وأما أصحاب الرأي الثاني فإنهم يرونه واجباً، وهو قول لبعض من الحنابلة، وحدده بعض أهل العلم في تحقق الشفاء¹³. استدل أصحاب الرأي الأول على إباحة التداوي بأدلة من النصوص الشرعية الدالة على التداوي منها، قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾¹⁴. واستدلوا

⁹ سورة الحديد: الآية 22.

¹⁰ الجامع لأحكام القرآن، عبد الله القرطبي (194/17)، تحقيق عبد الله عبد المحسن، مؤسسة الرسالة بيروت، ط 1، 1427هـ.

¹¹ مسند الإمام أحمد (381/1). أخرجه ابن ماجة في كتاب الطب، باب تعليق التمائم، حديث رقم (3530)، ذكره الحافظ في التاج، وسكت عنه (196/10)، صححه السيوطي في الجامع الصغير، فيض القدير للمناوي (342/2).

¹² مجموع الفتاوى، لابن تيمية (269/24)، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزائر، دار الوفاء، ط 2، 1426هـ، والعناية في شرح الهداية (500/8)، إكمال الدين البابري، دار الكتب العلمية - بيروت 2007م، و شرح رسالة أبي زيد القيرواني الأزهرى، المكتبة الثقافية - بيروت، ص 534.

¹³ الآداب الشرعية، لابن مفلح (361/2)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط 3، 1999م، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علي حسن المرادوي (10/6)، مطبعة السنة المحمدية، ط 1 - 1956م.

¹⁴ سورة النحل: من الآية 69.

بما ورد عن عائشة (رضي الله عنها) أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: " الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء " ¹⁵.

واستدلوا بعدم الوجوب بأدلة منها: ما ورد عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن امرأة سوداء أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: " إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي. قال: " إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك. فقالت: أصبر. فقالت: إني أتكشف فادع الله لي ألا أتكشف فدعا لها" ¹⁶ ، فلو كان دفع المرض واجباً لم يكن للتخيير موضع ¹⁷.

واستدلوا أيضاً بما ورد عن أسامة بن زيد (رضي الله عنهما) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا سمعتم بالطاعون في أرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها" ¹⁸.

واستدل أصحاب الرأي الثاني بأدلة منها: إن ترك التدوي وإلقاء النفس إلى التهلكة منهي عنه، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ ¹⁹. واستدلوا بالحديث الوارد عن أسامة بن زيد (رضي الله عنهما) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إذا سمعتم بالطاعون في أرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها " ²⁰.

ففي الحديث دليل على ضرورة الأخذ بالأسباب الموجبة للنجاة من الهلاك؛ لأن النصوص الشرعية دلت على أن الشفاء يحصل بغير التدوي المعتاد، قال تعالى: ﴿ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ²¹. لذا ليس الدواء وحده يرفع المرض، وعليه لا يكون تركه إلقاء بالنفس للتهلكة، والحديث لم يشمل كل الأمراض، وإنما خص الطاعون، كما أنه يأمر باجتناب الأسباب التي تفضي إلى المرض، والحديث عمّن وقع فيه، بل وآخر الحديث ينهى عن الفرار من الطاعون، ولو صح الاستدلال بالحديث لأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالخروج، ولم يأمرهم بالبقاء فيها.

ومما سبق تبين رجحان القول الأول؛ لأن فعل النبي صلى الله عليه وسلم للتدوي دليل على أصل الإباحة، والنبي صلى الله عليه وسلم خير المرأة التي كانت تُصرع، وهذا دليل على عدم الوجوب.

¹⁵ صحيح البخاري (40/4) حديث رقم (5725)، بيت الأفكار الدولية - الرياض، 1419 هـ - 1998 م.

¹⁶ صحيح البخاري، كتاب المرضى (119/10) حديث رقم 5652.

¹⁷ فتح الباري، لابن رجب (120/10)، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة، ط 1، 1996 م.

¹⁸ صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون (189/10)، حديث رقم 5728.

¹⁹ سورة البقرة: من الآية 195.

²⁰ سبق تخريجه.

²¹ سورة الإسراء: من الآية 82.

وفي هذه المسألة أفتى مجمع الفقه الإسلامي، بأن التداوي يختلف حكمه باختلاف الأحوال والأشخاص، فيكون واجباً على الشخص إذا كان تركه يفضي إلى هلاكه، أو أحد أعضائه، أو كان المرض ينتقل ضرره إلى غيره. ويكون مندوباً إذا كان تركه يؤدي إلى وهن البدن، ولا يترتب عليه ما سبق في الحالة الأولى. ويكون مباحاً إذا لم يندرج في الحالتين السابقتين، ويكون مكروهاً إذا كان بفعل يخشى منه حدوث مضاعفات أشد من العلة المراد إزالتها²².

وهذا التقسيم يعارضه حديث المرأة التي كانت تصرع، ووعدها النبي صلى الله عليه وسلم الجنة على صبرها، وهذا دليل على تفضيل الصبر على المرض، وذلك يعارضه ما رواه سعيد الخدري (رضي الله عنه) أن أبي بن كعب قال: "يا رسول الله ما جزاء الحمى قال: تجري الحسنات على صاحبها فقال: اللهم إني أسألك حمى لا تمنعني خروجاً في سبيلك، فلم يمس أبي قط إلا وبه الحمى"²³.

وفي ذلك قال الذهبي: ملازمة الحمى له حُرِّفت، ومن ثم قال زر بن حبیش كان أبي فيه شراسة²⁴ فأبي لم يترك التداوي، بل استجلب المرض لنفسه بدعائه، وكان مرضه سبب حدته وشراسته، وأقره النبي صلى الله عليه وسلم على فعله.

وبناءً على ذلك فإن ترك الكي لاشك أنه أولى لقول النبي صلى الله عليه وسلم في السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب: "هم الذين لا يكتون، ولا يسترقون، ولا يتطبرون، وعلى رءمهم يتوكلون"²⁵، وقول: "من اكتوى، أو استرقى فقد برئ من التوكل"²⁶. والكي قد يكون طريقاً لعلاج مرض مهلك²⁷ كمن أصيب بقطع في عرق من عروقه، وقد رُمى سعد بن معاذ في أكحلته فحسمه النبي صلى الله عليه وسلم بيده، ورمي أبي يوم الأحزاب على أكحلته فكواه رسول الله صلى الله عليه وسلم²⁸.

²² قرار مجمع الفقهي الإسلامي رقم 7/5/69، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، العدد السابع (731/3).

²³ مسند الإمام أحمد (23/3)، صحيح ابن حبان، محمد بن حبان، تحقيق: أحمد شاكر، دار المعارف مصر، 692.

²⁴ سير أعلام النبلاء، مجموعة محققين بإشراف: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة (392/1).

²⁵ صحيح البخاري، كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى، حديث رقم (5705).

²⁶ مسند الإمام أحمد (249/4)، والسنن الكبرى للبيهقي (341/9)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط3، 1424هـ - 2003م.

²⁷ ذكر محمد علي البار أن الكي ما يزال مستخدماً في الطب الحديث بطرق مختلفة عن الكي التقليدي، وذكر أن من استخدمها إيقاف النزيف. تعليقه على كتاب الطب النبوي لعبد الملك بن حبيب، ص 147.

²⁸ صحيح مسلم، كتاب الدم، حديث رقم 2208.

وبالتالي نخلص إلى أن أصل الإذن بالتداوي مباح، ولكن قد يشوب التداوي ما يخرج عن كونه مباحاً، كتناول دواءً محرماً، أو عمليات تغيير الجنس، أو قطع الأطراف لغير غرض مشروع، فيكون الإذن بهذا الإجراء محرماً.

وبذلك يكون الإذن الطبيّ يجرى عند ضرورة إجراء العمليات الجراحية قبل وقوعها، وإلا لم يكن إذناً، وإنما صار إجازة وإمضاء؛ لأن الإذن والإجازة كلاهما يدلان على الموافقة، إلا أن الإذن يكون قبل الفعل²⁹، والإجازة تكون بعد وقوعه، وفي بعض الحالات تكون الحاجة داعية إلى تقدم الإذن عن إجراء العمل الجراحي؛ لأنه لا يحقُّ لأي إنسان أن يتصرف في جسم إنسان آخر دون إذنه؛ ولأنه قد يحصل أثناء العملية الجراحية تلف لنفس، أو عضو، أو منفعة، ولذلك يؤكد الأطباء على ضرورة الإذن، الذي قد يكون كتابياً، أو شفويّاً بحسب ضرورة الإجراء المتخذ؛ لأن الإذن الكتابي يسري في حالات الخطورة، أو خشية حدوث آثار جانبية للمريض، وأمّا في الحالات الاعتيادية يكفي فيه بالإذن الشفوي.

وللإذن أنواع متعدّدة، فهو من حيث دلالته يتنوع إلى صريح، وغير صريح، ولاعتبار موضوعه من مطلق ومقيّد، ويتنوع باعتبار طريق التعبير عنه إلى إذن لفظي، أو بالإشارة، كما يتنوع باعتبار كتابته إلى كتابي وشفوي.

وإذا كان المقصود من الإذن وجود الرضى والموافقة من المريض على الإجراء الطبيّ أو الجراحي، فكل ما يدل على الرضى والموافقة، كافٍ في حصول الإذن³⁰ والنطق باللسان ليس طريقاً حتمياً لظهور الإرادة بصورة جازمة في النظر الفقهي؛ لأن النطق هو الأصل في البيان، وقد تقوم مقامه كل وسيلة أخرى تعبر عن الإرادة الجازمة تعبيراً كافياً مفيداً³¹.

وفي ذلك قال ابن تيمية: "أن الإذن العرفي في الإباحة، أو التملك، أو التصرف بطريق الوكالة، كالإذن اللفظي، فكل واحد من الوكالة، والإباحة ينعقد بما يدل عليها من قول أو فعل، والعلم برضى المستحق، يقوم مقام إظهاره للرضى"³².

وبالتالي لا مانع من الاعتداد بالأنواع المذكورة، ما دامت دالة على الإذن دلالة واضحة، والدليل على الاعتداد بالإشارة كطريق من طرق التعبير عن الإذن الطبيّ ما ورد عن عائشة (رضي الله عنها)

²⁹ حاشية ابن عابدين، محمد أمين بن عمر عابدين (167/3)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار عالم الكتب، طبعة خاصة 2003م.

³⁰ المدخل الفقهي العام، مصطفى أحمد الزرقاء (326/1) دار القلم - دمشق، ط 1، 1417هـ - 1998م.

³¹ المصدر السابق: المدخل الفقهي العام (326/1).

³² مجموع الفتاوى، لابن تيمية (20/29).

قالت: "لددنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأشار أن لا تلدوني". فقلنا: كراهية المريض للدواء. فلما أفاق قال: "ألم أهلكم أن لا تلدوني لا يبقى منكم أحدٌ إلا لُدَّ" ³³.

فالنبي صلى الله عليه وسلم فعل التداوي في نفسه، والأمر به لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه، ويفهم من ذلك أن الإشارة المفهومة كصريح العبارة في هذه المسألة، وأما السكوت فالأصل أنه لا يعتد به إذناً؛ لأن القاعدة في ذلك تقول: لا ينسب لساكت قول ³⁴، فلو سكت المالك حين يرى غيره يبيع ملكه لم يكن هذا السكوت إذناً بالبيع، وهذا محل اتفاق.

ومما تقدم يتبين أن التدخل الجراحي يحتاج قبل البدء فيه إلى إذن المريض، شريطة أن يكون أهلاً للإذن؛ لأن المريض متى كان قادراً على التعبير عن إرادته، فالإذن في إجراء العملية الطبية هو حق له، ولا يحق لأحد أن يأذن نيابة عنه، أو يعترض على إذنه ما لم يكن هناك مبرر شرعي؛ لأن التداوي غير واجب كما هو في قول الجمهور.

وكذلك حديث عائشة (رضي الله عنها) حين قالت: "لددنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه، فجعل يشير إلينا أن لا تلدوني. فقلنا كراهية المريض للدواء. فلما أفاق قال: ألم أهلكم أن تلدوني؟ لا يبقى أحدٌ في البيت إلا لُدَّ" ³⁵ والنبي صلى الله عليه وسلم عاقب من داواه بعد نهي عن ذلك، والعقوبة لا تكون إلا بسبب تعدد، وهذا دليل على ضرورة إذن المريض عند إجراء العلاج، أو التدخل الجراحي.

وهذا يتضح أن حق الإذن في إجراء العمليات الجراحية، هو أمر خاص بالمريض إذا كان أهلاً لذلك، ومن ثم فلا اعتبار لإذن أي شخص لم يعتد الشرع بإذنه؛ لأنه لا يستند على أصل شرعي، فالحق مختص بالمريض وحده ³⁶. وأما منع الطبيب من إجراء العمل الجراحي دون إذن لا يمنع الحجر على المريض الذي يخشى انتشار مرضه.

ومن رحمة الله تعالى على عباده أن جعلت الشريعة الولاية على غير من في حال عجزهم عن النظر في مصالحهم، ولم يأذن الله بإعطائهم أموالهم حتى يؤنس منهم الرشد قال تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ ³⁷.

³³ صحيح البخاري، باب اللدود (175/10)، واللدود بفتح اللام: الداء الذي يصيب أحد جانبي فم المريض.
³⁴ الأشباه والنظائر، زين الدين ابن نجيم، دار الفكر - دمشق، ط 4، 1426هـ - 2005م، ص 178، و الأشباه والنظائر للسيوطي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة - الرياض، ط 2، 1997م، ص 266.

³⁵ سبق تخريج الحديث.

³⁶ أحكام الجراحة الطبية ص 252.

³⁷ سورة النساء: من الآية 6.

ولإباحة إجراء العمليات الجراحية اشترط الفقهاء إذن ولي المريض متى كان غير أهلاً لذلك، وفي ذلك قال الشافعي: " ولو جاء رجلٌ بصبي ليس بابنه، ولا مملوكه، وليس له بولي إلى ختان، أو طبيب فقال: اختن هذا أو بَطِّ (يشق) هذا الجرح له، أو اقطع هذا الطرف له من قرحة به فتلف، كان على عاقلة الطبيب والختان ديتة، وعليه رقبة" ³⁸، " وإن ختن صبياً بغير إذن وليه، أو قطع سلعةً من إنسان بغير إذنه، أو من صبي بغير إذن وليه، فسرت جنائته ضمن؛ لأنه قطع غير مأذون فيه، وإن فعل ذلك الحاكم، أو من له ولاية عليه، أو فعله من أذن له لم يضمن؛ لأنه مأذون فيه شرعاً" ³⁹. لذا لا وجود لخلاف في هذه المسألة بين الفقهاء خاصة عندما يتصرف الولي بما فيه الغبطة والمصلحة لموليه ⁴⁰.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ⁴¹، والمحنون في معنى الصغير، قال صلى الله عليه وسلم قال: " ما من عبدٍ يسترعيه الله رعيةً، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة" ⁴²، والتصرف على الرعية منوط بالمصلحة، ونفاذ تصرف الولي معلق على المنفعة في تصرفه، فإن تضمن منفعة ما وجب تنفيذه، وإلا رد؛ لأن الولي ناظر، وتصرفه حينئذ متردد بين الضرر والعبث، وكلاهما ليس من النظر في شيء ⁴³.

ومتى امتنع الولي عن الإذن بإجراء العمل الجراحي لموليه على خلاف مقتضى الحظ والغبطة؛ لأن امتناعه ساقط لا عبرة به ⁴⁴، ومثال ذلك في حالة الحاجة الماسة لنقل الدم إلى مصاب في حادثة أو غيرها، ووليّه يرفض إعطائه الدم.

وكذلك متى أذن الولي بإجراء العمل الجراحي لموليه على خلاف مقتضى الحظ والغبطة، أو بما تحقق الضرر فيه، فإنه لا يُعتد بإذنه كإذن الولي باستئطاع عضوٍ من أعضاء موليه، أو التبرع به، فإن إذنه لا قيمة له؛ لأنّ الولي يقوم على رعاية مصالح موليه، ونقل العضو منه لا ينطوي على أدنى مصلحة له، فيخرج عن حدود الولاية، وفي حالات الإسعاف يسقط إذن الولي الذي قد تتعرض فيه حياة موليه للخطر ⁴⁵؛ لأنه من شروط الإذن عند التدخل الجراحي أن يصدر عمن له الحق، أو أن يكون صادراً عن المريض، أو وليّه؛ لأن صدوره لا بدّ أن يكون عمن له الحق، ولا يُعتدّ إلا بإذن المريض، أو وليّه، و لا

³⁸ كتاب الأم، للشافعي (65/6) تحقيق: رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء - المنصورة، ط1، 2001م.

³⁹ المغني، لابن قدامة (117/8) تحقيق: عبد الله عبد المحسن، وعبد الفتاح محمد، عالم الكتب الرياض.

⁴⁰ بدائع الصنائع، علاء الدين أبو بكر الكساني (350/4)، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط2، 1986م.

⁴¹ سورة الإسراء: من الآية 34.

⁴² صحيح البخاري، باب من استرعى رعية فلم ينصح (136/13)، حديث رقم 7151.

⁴³ شرح المحلة سليم رستم باز، دار إحياء التراث - بيروت، ط3، 1986م.

⁴⁴ قرار مجمع الفقه الإسلامي رقم 7/5/69 في 1412/11/12هـ.

⁴⁵ قرار مجمع الفقه الإسلامي رقم 7/5/69 في 1412/11/12هـ.

يُعتدّ بإذن الوليّ حال أهليّة المريض⁴⁶، وتتحقق أهلية الآذن بالصلاحيّة له، يقال هو أهلٌ لكذا، أي مستحقٌّ له، ولتحقيق الأهلية البلوغ، والعقل، وهما شرطا التكليف.

ففاقد العقل معدوم الأهلية؛ لأنه لا يُقدّر مصلحته، ولا يمكنه أن يكون على بينة من أمره حين يأذن بإجراء العمل الجراحي لعدم وجود القصد عنده، قال صلى الله عليه وسلم: "رُفِعَ القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن الجنون حتى يفيق"⁴⁷. لذا نصّ العلماء على أنّ الجنون يسلب الولايات، واعتبار الأقوال⁴⁸، والجنون إذا كان لإفاقته وقت معلوم، وজনونه وقت معلوم، فما قاله في حال إفاقته معتدّ به، وما قاله في حال جنونه لم يعتدّ به⁴⁹؛ لأنه حال إفاقته، ليس مجنوناً بدليل الحديث.

وكذلك بلوغ الصبي الذي لا قصد له، وهذا يشمل الصبي المميّز وغير المميّز؛ لأن المميّز مع كونه يفهم لكن فهمه لم يكتمل؛ لأنه "قد تُسقط الشريعة التكليف عمّن لم تكمل فيه أداة العلم، والقدرة تخفيفاً عنه وضبطاً لمناط التكليف، وإن كان تكليفه ممكناً. رفع القلم عن الصبي حتى يحتلم، وإن كان له فهم وتمييز لكن ذاك لم يتم فهمه؛ لأنّ العقل يظهر في الناس شيئاً فشيئاً وهم يختلفون فيه، فلما كانت الحكمة خفية ومنتشرة، قيّدت بالبلوغ"⁵⁰.

وبذلك فإنه لا يُعتدّ بإذن من لم يكن بالغاً عاقلاً، وإن كان بالغاً عاقلاً لم يضمّنه؛ لأنه أسقط حقه بالإذن فيه، وإن كان صغيراً ضمّنه؛ لأنه لا يُعتدّ بإذنه شرعاً؛ لأنه من شروط الإذن أن يكون المأذون به مشروعاً، فإن كان محرماً، فإنه لا يُعتدّ بهذا الإذن، والشريعة أباحت للطبيب أن يباشر جسم المريض ومعالجته لأجل جلب المصالح، ودفعا للمفاسد المتوقّعة حصولها، وأما إن كان تحقيق المصالح مفضياً إلى مفاسد، فإنّ سبب إباحة إجراء التدخل الجراحي تنتفي. إذ ليس للمريض الحق في إعطاء الإذن لأحد أن يباشر عليه عملاً حرّمه الله؛ لأن جسد الإنسان هو ملك لله تعالى. قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾⁵¹. قال ابن حزم: "فحرام على كل من أمر

⁴⁶ الأهلية ونظرية الحق في الشريعة الإسلامية، عبد الله بن عبد العزيز، دار طيبة - الرياض، ط 1، 1956م.

⁴⁷ مسند أحمد (6/117/164)، حديث رقم 24694، 25105، وفيه عن الصبي حتى يعقل، والمستدرك للحاكم (59/2)، قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

⁴⁸ عوارض الأهلية عند الأصوليين، حسين خلف الجبوري، جامعة أم القرى بمكة، ط 1، 1408 هـ، ص 169.

⁴⁹ جمل الأحكام، أحمد محمد الناطفي، تحقيق: حمد الله سيد جان، مكتبة نزار - السعودية، ط 1، ص 252.

⁵⁰ مجموع الفتاوى، لابن تيمية (345/10).

⁵¹ سورة المائدة: من الآية 120.

بمعصية أن يَأْتَمِرَ بِهَا، فإن فعل فهو فاسق عاصٍ لله تعالى، وليس له بذلك عذر، وكذلك الأمر في نفسه بما لم ييح الله تعالى له، فهو عاصٍ لله تعالى فاسق⁵².

ولذلك قرّر الفقهاء أنّ الإذن بالإجراء الطيّب، أو الجراحي لا يعتدّ به متى كان غير مشروع؛ لأنه لا يجوز شرعاً الإقدام على قطع عضوٍ لم يأمر الله ورسوله بقطعه، ولا أوجب قطعه كما لو أذن له في قطع أذنه، أو أصبعه، فإنه لا يجوز، ولا يسقط الإثم عنه بالإذن⁵³؛ لأنه من شروط الإذن الطيّب أن يكون محدّداً، كأن يقول المريض للطبيب: أذنت لك بعلاج كذا، وإن لم يكن الإذن محدّداً، وإن كان مطلقاً بأن قال المريض للطبيب: أذنت لك بفعل ما شئت لعلاجي.

وفي مثل هذه الحالات ذهب بعض الباحثين المعاصرين إلى أنه إذن مُعتدّ به شرعاً؛ لأنّه لا فرق في الإذن على وجه الإطلاق، أو التقييد ما دام المأذون به جائز شرعاً، وقيد ذلك بعضهم بالعرف، ويفهم من ذلك تخريج هذه المسألة على الوكالة العامّة، فإنّ المريض عندما أذن للطبيب فكأنّه وكله في علاجه⁵⁴، واختلف الفقهاء في الوكالة العامّة على قولين: أولهما أن الوكالة العامّة صحيحة، وهذا ما قال به الحنفية، والمالكية⁵⁵، وثانيهما أنّ الوكالة العامّة غير صحيحة، وهذا ما قال به الشافعية، وهو المذهب عند الحنابلة⁵⁶.

استدل أصحاب القول الأول وهم من صحّح الوكالة العامّة بعدّة أدلّة منها: أنّ لفظ الوكالة العامّة، لفظ عام فصحّ فيما يتناوله كما لو قال: بع مالي كلّهُ⁵⁷ واستدل أصحاب القول الثاني بأنّ الوكالة العامّة غير صحيحة؛ لأن في هذه الوكالة غرراً؛ ولأنّه تدخل فيه هبة ماله، وطلاق نساءه فيعظم الضرر⁵⁸؛ ولأن الموكل اختار الوكيل اختياراً مطلقاً، وأنابه مناب نفسه، فهو كما لو عدّد أنواع التصرفات، وفي هذه

⁵² المحلّي بالآثار، لابن حزم الأندلسي (471/10)، تحقيق: أحمد شاكر، مطبعة النهضة - مصر، 1344هـ.

⁵³ تحفة المودود بأحكام المولود، لابن قيم الجوزية، ص 136.

⁵⁴ مغني المحتاج عن الإذن قال: " هو توكيل من جهة الإذن " (218/2). قال في الروض المربع: " والوكالة عقد جائز لأحدهما من جهة الموكل إذن"، ص 394.

⁵⁵ بداية المصنّف ونهاية المقتصد، أبو الوليد محمد بن رشد القرطبي (226/2 - 227)، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط 1982م.

⁵⁶ المهذب في فقه الإمام الشافعي، لابي إسحق الشيرازي (350/1)، ضبطه زكريا عميرات، دار الكتيب العلمية بيروت لبنان، ط 1، 1995م، و روضة الطالبين وعمدة المفتين، شرف الدين النووي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط 3، 1991م (22/4)، شرح منتهى الإرادات، منصور البهوتي (303/2) تحقيق: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، ط 1، 2000م.

⁵⁷ المغني، لابن قدامة (205/7).

⁵⁸ المغني، لابن قدامة (205/7)، والمهذب (350/1)، و مغني المحتاج (221/2).

الحالة يرجح القول الأول؛ لأن فيه تصحيح الوكالة العامة مصلحة كبيرة، كما لو أراد الموكل السفر لمدة قد تطول، ولما في مثل هذه الوكالة حفظاً على ما يخشى فواته أو تأخيرها، وأنّ الموكل لم يوكل هذا إلا لكمال ثقته به.

وبالتالي فإن كل ما تم تناوله يمكن تطبيقه على الإذن الطبي؛ لأن المريض لم يكن ليأذن للطبيب بالإذن العام إلا لكمال ثقته في إتقانه ونصحه له، وعليه فلا مانع من الاعتداد بالإذن المطلق؛ لأنه من شروط الإذن شرط يرجع إلى دلالة الإذن الذي ينقسم من حيث دلالاته إلى إذن صريح كأن يقول المريض للطبيب: أذنت لك بالكشف، أو إجراء عملية جراحية، والإذن غير الصريح كأن يظن الطبيب أن المريض يعاني من التهاب الزائدة الدودية، فيأذن له المريض باستئصالها، فإذا شرع في الجراحة وجد أن ما يعاني منه المريض وجود ورم مثلاً، وأمّا الزائدة فهي سليمة، فهل للطبيب حق استئصاله أخذاً بأنّ المريض أذن له باستئصالها على أنّها سبب المرض، وإذا ظهر سبب المرض غيرها؛ ولأن المريض قد أذن له باستئصالها وهذا ما يبدو واضحاً؛ لأن الغالب في المرضى عدم معرفتهم بتفاصيل الأمراض واختلاف أعراضها، وإنما هم مطمئنون إلى تشخيص الطبيب وما يقرره.

كما أن المريض لم يأذن للطبيب بإجراء العلاج، أو التدخل الجراحي إلا لأجل طلب السلامة، وحفظ نفسه من الهلاك، فإذنه بالعمل المعين ينبئ بحصول السلامة والحفظ⁵⁹، وهذا فإنّ الطبيب بين أمرين، إما أن يجري ما ظهر له اعتماداً على ذلك الإذن، أو يترك مريضه حتى يفارق من تحديده ثم يستأذنه، ولا شك أن الأول أولى؛ لأنه أدفع للمشقة عن الطبيب والمريض. لذا اعتدّ الفقهاء بمثل هذا الإذن وعملوا به، وقد أجاب ابن تيمية لما سُئل عن راعٍ خشى موت شيء مما يرعاه فذبحه، فقال: " لا يلزم الراعي شيء إذا لم يكن منه تفریطٌ ولا عدوان، فإنهم قد أحسنوا فيما فعلوا، فإن ذبحها خير من تركها حتى تموت⁶⁰. قال ابن القيم: " لو استأجر غلاماً فوقعت الأكلة في طرفه، فتيقن أنه إذا لم يقطعه سرى إلى نفسه فمات، جاز له قطعها ولا ضمان"⁶¹.

فإجازة الإقدام على هذا الإلتلاف، ورفع الضمان عن فاعله، يُعدّ دلالة لما في هذا العمل من مصلحة يظهر منها إذن صاحب الحق فيه، وعن عروة بن الجعد البارقى: " أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطاه ديناراً ليشتري به أضحية أو شاة، فاشتري به شاتين فباع إحداهما بدينار، فأناه بشاة ودينار"⁶²

⁵⁹ التداوي والمسئولية الطبية، ص 206.

⁶⁰ مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ابن تيمية (253/30-254).

⁶¹ إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية (2/413)، تحقيق: مشهور بن حسن، دار ابن الجوزي السعودية، ط1، 1423 هـ.

⁶² صحيح البخاري، كتاب المناقب (6/731) حديث رقم 3642.

فقد باع وأقبض، وقبض بدون إذن لفظي، وبالتالي فإنَّ المقصود من تحريم التصرف في ملك غيره، لعله ما فيه من الإضرار، وهذا التصرف ليس فيه إضرار بغيره.

وعلى الرغم من كل ما تم تناوله فإنَّ هذا الجواز لا بد من تقييده بما يحفظ حق المريض، ولو قيد ذلك بإشهاد طبيبٍ، أو أكثر من الأطباء المتخصصين، وأخذ موافقتهم أثناء العملية، وهو أولى وأبعد عن التهمة.

وهذا تكون صلاحية الإذن حتى الانتهاء من إجراء العملية الجراحية، أو الطبية إذا أذن المريض للطبيب بعلاجه، فإنه لا يخلو إما أن يرجع في إذنه، أو يمتنع عن الإجراء الجراحي، أو يستمر في الإذن، وإن بقيت الموافقة منه على الإجراء الجراحي حتى همايته، فلا ضير في عمل الطبيب، وأما عند الرجوع في الإذن والامتناع عن الإجراء، فإنه لا يسوغ إجباره وإكراهه بدعوى الإذن السابق.

والحالات التي يتعذر فيها وجود الإذن الطبي عند عدم وجود من له حق الإذن، وكان الشخص قادراً على التعبير عن إرادته، أهلاً للإذن بإجراء العمل الطبي، فإن الإذن بالعمل الطبي حق له، لا يجوز لأحد أن يفتات عليه، وإلا انتقل الحق إلى وليه، ولكن قد لا يكون للمريض ولي مع كونه غير أهل للإذن بالإجراء الجراحي، ولبيان الحكم في هذه الحالة أن يكون المريض مهدداً بالموت، أو معرضاً لتلف عضوٍ من أعضائه، إذا لم يتم إسعافه وعلاجه، وحالته لا تسمح بالتأخير، وأن لا تكون حالته خطيرة، وتسمح بالتأخير، وأن يكون في مكان فيه حاكم شرعي، يمكنه القيام بالولاية عليه، أو يقيم نائباً عنه يتولى هذا المريض.

وفي مثل هذه الحالات لا بد من عرض الأمر على الحاكم، ليأذن بإجراء التدخل الجراحي؛ لأنه ولي من لا ولي له، أو يقيم ولياً على المريض نائباً عنه، وهذا من اختصاصه، وإن كان بإمكانه ليس فيه حاكم شرعي، يكون واجباً على من علم حاله من المسلمين القيام على هذا المريض بما يجب؛ لأنه من التعاون على البر، قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾⁶³، ولأنه تخليص آدمي له حرمة، فكان فرضاً كبدل الطعام للمضطر.

وأما في حالة غياب من له حق الإذن يكون التعامل مع ذلك كما لو كان له ولي لكنه غائب، أي إذا لم يكن المريض في حالة خطيرة، وحالته تسمح بالتأخير إلى حين قدوم وليه ففي هذه الحالة لا بد من انتظار الولي؛ لأنه أمكن تحقيق الواجب بدون ضرر فلزم المصير إليه، والتصرف في حق غيره بغير ضرورة لا يجوز بغير إذنه⁶⁴. وأما إذا كان المريض مهدداً بالموت، أو الهلاك وإذا لم يتم علاجه وإسعافه

⁶³ سورة المائدة: من الآية 2.

⁶⁴ منار السبيل في شرح الدليل، إبراهيم محمد ضويان (442/1)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت، ط 1- 2005م.

كالحوادث الطارئة كالتهاب الزائدة، أو الوصول إلى درجة الخوف، وفي هذه الحالة يجب على الطبيب مباشرة عمله دون استئذان لإنقاذ المريض، والدليل على ذلك ما ورد عن ابن عباس (رضي الله عنه) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا ضرر ولا ضرار"⁶⁵.

ففي الحديث صهي عن الضرر، وترك علاج من يخشى عليه التلف الذي يؤدي إلى هلاكه، وهذا من الضرر المنهي عنه⁶⁶؛ لأن القاعدة الفقهية تنص صراحة على أن الضرورات تبيح المحظورات، والخوف على النفس، ضرورة تبيح للطبيب ترك الاستئذان، كما إن الطبيب ومن في حكمه بين خيارين، إما أن يقدم على التدخل الجراحي دون أخذ الإذن إنقاذاً للمريض، وإما أن ينتظر مجيء الولي وحصول الإذن، والخيار الثاني يتعذر الأخذ به لغلبة الظن بهلاكه في حالة التأخر؛ لأنه لم يبق إلا الخيار الأول وهو المتفق مع أصول الشريعة التي جاءت لحفظ الأنفس⁶⁷.

وفي هذه المسألة قال ابن تيمية: إنه من قدر على إنحاء شخص بإطعام أو سقي، وإن لم يفعل فمات ضمنه. وعن التصرفات دون إذن أن تدعو الحاجة إلى التصرف في مال غيره، ويتعذر استئذانه إما للجهل بعينه، أو لغيبته، ومشقة انتظاره، وهذا التصرف مباح جائز. وأما في حالة امتناع من له حق الإذن من الإذن، فإن المريض متى امتنع عن الإذن لعلاجه في غير الضرورة فذلك من حقه، ولا يجبر على التداوي؛ لأن الفقهاء الذين لم يوجبوا التداوي، لم يفرقوا بين حالة الضرورة وغيرها في الإذن بالإجراء الجراحي، فالحكم عندهم واحد.

"ويسن للمريض التداوي... فإن قيل هلاً وجب كأكل الميتة للمضطر، وإساعة اللقمة بالخمير، أوجب بأننا لا نقطع بإفادته بخلافهما"⁶⁸، والمتأمل يرى كيف لم يوجب التداوي لعدم القطع بإفادته مع اضطراره كما يظهر من المثال، وعليه فإن المريض لا يأثم لو امتنع عن التداوي حتى مات، ولا يكون قاتلاً لنفسه، وترك التداوي غير محرم؛ لأن التداوي ليس مقطوعاً بنفعه، ولا هو السبب الوحيد للشفاء.

⁶⁵ مسند الإمام أحمد (313/1)، حديث رقم 2865، و نصب الراية في تخريج أحاديث الراية، محمد عبد الله الزيلعي (384/4)، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة الريان جدة.

⁶⁶ جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ماهر ياسين، دار ابن كثير - بيروت، ط 1، 2008م، ص 302.

⁶⁷ مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد بن طاهر بن عاشور، تحقيق: محمد الميساوي، دار النفائس، الأردن، ط 2، 2001، ص 79.

⁶⁸ مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، لشمس الدين الشربيني (357/1).

قال ابن عابدين: " فإن ترك الأكل والشرب حتى هلك فقد عصي؛ لأن فيه إلقاء النفس إلى التهلكة، وأنه منهى عنه في محكم التنزيل، بخلاف من امتنع عن التداوي حتى مات إذ لا يتيقن بأنه يشفيه" ⁶⁹.
 وهذا فرق بين ترك الطعام والشراب المفضي إلى الموت، وترك التداوي المفضي إليه، ولكن الطعام والشراب، مقطوع بنفعهما في مستقر العادة، بخلاف التداوي، وهذا في حالة الامتناع عن علاج نفسه، وأما الولي فإنه لا يجوز له أن يمتنع عن معالجة موليه، إذ الولاية تتضمن فعل الأصلح، وعدم العلاج ضرر محض فلا يكون من حق الولي.

الخاتمة

إن الدين الإسلامي جاء لينظم الحياة الإنسانية من خلال إيجاد الحلول الشرعية لكل النوازل؛ لأنه من ضمن مقاصد الشريعة الإسلامية، تحديد القيود والإجراءات العلاجية، والعمليات الجراحية، وإيضاح حق المريض في إمكانية القبول التدخل الجراحي عليه، وحدود الطبيب في ما يمكنه القيام به، وما لا يمكنه والمسئولية المترتبة على ذلك إذا توافر الإذن به أو لم يتوافر.

لذلك يمكن القول بأن حكم الإذن الطبي هو إذن المريض للطبيب للقيام بالعمل الجراحي أو الطبي عليه، وإذا كان الإجراء مباحاً فإن الإذن به مباح، وإن كان محرماً فإن الإذن به محرّم، ولذلك اختلف العلماء حول حكم التداوي، فمنهم من يرى بأن التداوي مباح، وهذا رأي الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، وإن اختلفوا هل الأولى فعله، أو تركه. إلا أن بعضاً من الحنابلة يراه واجباً، واستدل أصحاب هذا الرأي على إباحة التداوي بقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهِمَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ ⁷⁰.

ومن السنة استدلوا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم قال: " الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء" ⁷¹، واستدل أصحاب هذا الرأي بعدم الوجوب بحديث ابن عباس عن المرأة التي أتت النبي صلى الله عليه وسلم، وقالت: " إني أُصرع، وإني أتكشف فادع الله لي. قال: " إن شئت صبرت و لك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك. فقالت: أصبر. فقالت: إني أتكشف فادع الله لي أن لا أتكشف فدعا لها" ⁷² فلو كان دفع المرض واجباً لم يكن للتخيير موضع.

⁶⁹ حاشية ابن عابدين، محمد أمين بن عابدين (296/5)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار عالم الكتب، طبعة خاصة، 1423هـ - 2003م.

⁷⁰ سورة النحل: من الآية 69.

⁷¹ سبق تخريجه.

⁷² سبق تخريجه.

واستدل أصحاب الرأي الثاني بما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾⁷³؛ لأن ترك التداوي يؤدي إلى التهلكة وهو منهي عنه، واستدلوا بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن الطاعون، وهذا دليل على ضرورة الأخذ بالأسباب الموجبة للنجاة والتداوي.

وبالتالي يتبين رجحان القول الأول؛ لأن فعل النبي صلى الله عليه وسلم للتداوي دليل على الإباحة، والنبي صلى الله عليه وسلم خير المرأة التي كانت تُصرع، وهذا دليل على عدم الوجوب. وكذلك أفتى مجمع الفقه الإسلامي بوجوب التداوي إذا كان تركه يؤدي إلى الهلاك، وجعله مندوباً إذا كان تركه يؤدي إلى ضعف البدن، ومباحاً إذا لم يندرج في الحالتين السابقتين، ومكروهاً إذا كان بفعل يخشى منه حدوث مضاعفات أشد من العلة المراد إزالتها.

ولهذا تكمن أهمية الإذن خاصة عند ضرورة إجراء العمليات الجراحية قبل وقوعها؛ لأن الإذن والإجازة كلاهما يدل على الموافقة، إلا أن الإذن يكون قبل الفعل، والإجازة تكون بعده، والحاجة داعية إلى تقدم الإذن على إجراء التدخل الجراحي، ولذلك يرى الفقهاء بأنه لا يجوز لأحد التصرف في ملك الآخرين دون الإذن، ولهذا يؤكد الأطباء على ضرورة الإذن كتابياً، أو شفويّاً خوفاً من التبعات ولا اعتبار لإذن لم يعتدّ الشرع به؛ لأنه متى انعدمت الأهلية، فإن الإذن لا يعتدّ به، وبذلك ذهب بعض الباحثين المعاصرين إلى أنه إذن مُعتدّ به شرعاً؛ لأنه لا فرق في الإذن على وجه الإطلاق، أو التقييد، ومنهم من قيد ذلك بالعرف.

وبالتالي فإن كل ما تم تناوله يمكن تطبيقه على الإذن الطبي؛ لأن المريض لم يكن ليأذن للطبيب بالإذن العام إلا لكامل ثقته به، وعليه فلا مانع من الاعتداد بالإذن المطلق. وفي حالة عدم وجود من له حق الإذن، وكان الشخص قادراً على التعبير عن إرادته، وأهلاً للإذن بإجراء العمل الجراحي، فإن الإذن حق له لا يجوز لأحد أن يتعدى عليه، وإلا انتقل الحق إلى وليه، إلا أنه قد لا يكون للمريض ولي مع كونه غير أهل للإذن عند ضرورة الإجراء الجراحي، فإن الحكم في هذه الحالة أن يكون المريض مهتداً بالمت، أو بتلف عضو من أعضائه إذا لم يتم علاجه، وحالته لا تسمح بالتأخير، أو لا يكون المريض في حالة خطرة، وتسمح حالته بالتأخير.

وفي مثل هذه الحالات لا بد من الرجوع إلى الحاكم الشرعي الذي يمكنه القيام بالولاية نيابة عن المريض، أو أن يقيم نائباً عنه يتولى أمر المريض، وفي مثل هذه الحالات لا بد من الرفع إلى الحاكم ليأذن بإجراء العمل الطبي؛ لأنه ولي من لا ولي له، أو أن يقيم ولياً على المريض نائباً عنه، وإن كان يمكن ليس فيه حاكم شرعي، يكون واجباً على من علم حاله من المسلمين القيام على هذا المريض بما يجب.

⁷³ سورة البقرة: من الآية 195.

المصادر والمراجع

- 1- الأحكام الشرعية للأعمال الطبية، أحمد شرف الدين، تصدير محمد سيد طنطاوي - حسان تحتوت، الطبعة الثانية 1407هـ - 1994م.
- 2- الآداب الشرعية، لابن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عمر القيام، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثالثة 1419هـ - 1999م.
- 3- الأشباه والنظائر، لزين الدين بن نجيم، دار الفكر - دمشق، الطبعة الرابعة 1426هـ - 2005م.
- 4- الأشباه والنظائر للسيوطي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة - الرياض، الطبعة الثانية 1418هـ - 1997م.
- 5- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: مشهور بن حسن آل سليمان، دار ابن الجوزي - السعودية، الطبعة الأولى 1423هـ.
- 6- الأم للشافعي، تحقيق: رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفا - المنصورة، الطبعة الأولى 1422هـ - 2001م.
- 7- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علي بن حسن المرادوي، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، الطبعة الأولى 1416هـ - 1956م.
- 8- بدائع الصنائع، علاء الدين أبو بكر الكساني، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الثانية 1406هـ - 1986م.
- 9- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، أبو الوليد محمد بن رشد القرطبي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة السادسة 1402هـ - 1982م.
- 10- التاج والإكليل، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد الخطاب، تحقيق: زكريا عميرات، دار عالم الكتب 1423هـ 2003م.
- 11- التعريفات للجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى 1405هـ.
- 12- تكملة فتح القدير (نتائج الأفكار في كشف الكنوز والأسرار) لقاضي زاده، مع فتح القدير لابن الهمام الحنفي وشمشه شرح العناية على الهداية للبارقي وحاشية سعدي الحلبي على العناية، المطبعة الكبرى الأميرية - ببلاق مصر المحمية، الطبعة الأولى 1315هـ.
- 13- تهذيب الكمال، تحقيق: بشار عواد معروف، طبعة مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى 1980م.
- 14- الثمر الداني في تقريب المعاني، شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني للآبي الأزهرى، المكتبة الثقافية - بيروت.
- 15- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1427هـ - 2008م.
- 16- جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: ماهر ياسين الفحل، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة الأولى 1429- 2008م.
- 17- جمل الأحكام، أحمد بن محمد الناطقي، تحقيق: حمد الله سيد جان، مكتبة نزار مصطفى الباز - السعودية، الطبعة الأولى.

- 18- حاشية ابن عابدين، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، دار عالم الكتب، طبعة خاصة 1423هـ - 2003م.
- 19- روضة الطالبين وعمدة المفتين، لشرف الدين النووي، إشراف زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق، الطبعة الثالثة 1416هـ - 1991م.
- 20- السنن الكبرى للبيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة 1424هـ - 2003م.
- 21- سير أعلام النبلاء، مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة.
- 22- شرح صحيح مسلم، لأبي زكريا يحيى بن شرف الدين النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية 1392هـ.
- 23- شرح القواعد الفقهية، أحمد محمد الزرقا، دار القلم - دمشق، الطبعة الثانية 1409هـ - 1989م.
- 24- شرح المجمل لسليم رستم باز، دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة الثالثة 1986م.
- 25- شرح منتهى الإرادات، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1421هـ - 2000م.
- 26- صحيح البخاري، بيت الأفكار الدولية - الرياض، 1419هـ - 1998م.
- 27- صحيح ابن حبان، محمد بن حبان، تحقيق: أحمد شاكر، دار المعارف - مصر.
- 28- صحيح مسلم، بيت الأفكار الدولية - الرياض 1419هـ - 1998م.
- 29- العناية في شرح الهداية، لأكمل الدين البابري، دار الكتب العلمية - بيروت 2007م.
- 30- عوارض الأهلية عند الأصوليين، حسين خلف الجبوري، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة الأولى 1408هـ.
- 31- فتح الباري لابن رجب، تحقيق: مجموعة من المحققين، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة، الطبعة الأولى 1417هـ - 1996م.
- 32- فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت، لعبد العلي محمد الأنصاري، تحقيق: عبد الله محمود عمر، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1423هـ - 2002م.
- 33- القاموس الفقهي سعدي أبو حبيب، دار الفكر، دمشق - سورية، الطبعة الثانية 1408هـ - 1988م.
- 34- القاموس المحيط للفيروز آبادي، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الثامنة 1426هـ - 2005م.
- 35- لسان العرب لابن منظور، دار صابر - بيروت، الطبعة الأولى.
- 36- مجموع الفتاوى لابن تيمية، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزائر، دار الوفاء، الطبعة الثالثة 1426هـ - 2005م.
- 37- المحلى بالآثار، لابن حزم الأندلسي، تحقيق: أحمد شاكر، مطبعة النهضة - مصر - 1344هـ.
- 38- نظرية الحق في الشريعة الإسلامية، عبد الله بن عبد العزيز العجلان، دار طيبة - الرياض، الطبعة الأولى 1375هـ - 1956م.

- 39- المدخل الفقهي العام، مصطفى أحمد الزرقاء، دار القلم - دمشق، الطبعة الأولى 1417هـ - 1998.
- 40- مسند الإمام أحمد، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية 1999م.
- 41- معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعه جي، وحامد صادق قنبي، دار النفاس - بيروت لبنان، الطبعة الثانية 1408هـ - 1988م.
- 42- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.
- 43- المعونة على مذهب المدينة، القاضي عبد الوهاب البغدادي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة - الرياض، الطبعة الأولى 1423هـ - 2003م.
- 44- المغني، لابن قدامة، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، عبد الفتاح محمد الحلو، دار عالم الكتب الرياض.
- 45- مغنى المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، لشمس الدين محمد الشربيني، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى 1417هـ - 1997م.
- 46- مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد بن الطاهر بن عاشور، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس - الأردن، الطبعة الثانية 1421هـ - 2001م.
- 47- منار السبيل في شرح الدليل، إبراهيم بن محمد بن ضويان، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الخامسة 1402هـ - 1982م.
- 48- المهذب في فقه الإمام الشافعي، لأبي إسحاق للشيرازي، ضبطه زكريا عميرات، دار الكتيب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1416هـ - 1995م.
- 49- نصب الراية في تخريج أحاديث الراية، لأبي محمد عبد الله الزيلعي، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية - مؤسسة الريان - المكتبة المكية - جدة.

الكفاءة في الزواج.

الدكتورة : حميدة أحمد ارزيق

جامعة الزاوية - ليبيا

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وآله وصحبه أجمعين وبعد :

من المعلوم من الدين بالضرورة أن الشريعة الإسلامية جاءت لتحقيق المصالح ودرء المفسد ، ومن هذا المنطلق اهتمت الشريعة الإسلامية بالأسرة اهتماماً كبيراً فجعلت لها أحكاماً خاصة بها (أو بما يسمى بأحكام الأسرة) تضمن استقرارها وسعادتها ، وصور الله سبحانه وتعالى العلاقة بين الرجل والمرأة أحسن تصوير في قوله تعالى : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾⁽¹⁾.

فهذه الآية الكريمة شبهت كلا من الزوجين باللباس لأن كلا منهما يستر الآخر ويحميه ؛ فحاجة كل منهما إلى صاحبه كحاجته إلى الملبس . فإن يكون الملبس لستر معائب الجسم ولحفظه من الأذى وللتجميل والزينة . فكل من الزوجين لصاحبه كذلك : يحفظ عليه شرفه ، ويصون عرضه ، ويوفر له راحته . وبذلك يحدد القرآن الكريم في مجمل آياته أن الهدف الأسمى من عقد الزواج هو السكنى .

والسكنى بمعنى الاستقرار والاطمئنان في الحياة . وهي لا تتم إلا إذا توافرت عناصر الانسجام والائتلاف بين الزوجين بتشريع ضمانات تحمي هذا الاستقرار وتساعد على استمراره والمحافظة عليه . ولكي نتجنب الكثير من المشكلات التي تعترض التجانس والتوافق بين طبيعتي الزوجين ووظيفة كل منهما في مستقبل العلاقة الزوجية والحياة المشتركة بينهما شرعت الكفاءة في الزواج⁽²⁾. هذا وقد قسمت بحثي إلى مقدمة و ستة مطالب وخاتمة وهي على النحو التالي :

المطلب : الأول : التعريف بالكفاءة :

(1) - سورة البقرة ، الآية : 187.

(2) - ينظر : الفقه المقارن للأحوال الشخصية بين المذاهب الأربعة السنية والمذهب الجعفري والقانون ، بدران أبو العينين بدران ، دار النهضة العربية ، ج1- ط 1967م ، ص 160- 162. - و ينظر أضواء على نظام الأسرة في الإسلام ، سعاد إبراهيم صالح ، دار الضياء ، ط 3- 1989م ، ص 60.

أولاً : الكفاءة في اللغة :

كفى الشيء يكفي كفاءة فهو كاف : إذا حصل به الاستغناء عن غيره . واكتفيت بالشيء : استغنيت به أو قنعت به ، وكل ما ساوى شيئاً حتى صار مثله فهو مكافئ له . والمكافأة بين الناس في هذا : والمسلمون (تتكافأ دماءهم) أي تتساوى في الدين والقصاص ، ومنه الكفء بالهمزة على فاعيل والكفوء على فاعول والكفاء : مثل قفل كلها بمعنى المماثل⁽¹⁾ .

ثانياً : الكفاءة في اصطلاح الفقهاء :

الكفاءة في الاصطلاح هي : أن يساوي الزوج زوجته أو يقارها في أمور مخصوصة بحيث لا تكون الزوجة ولا أولياؤها عرضة للتعبير بهذه المصاهرة حسب العرف . أو هي المساواة في أمور اجتماعية تساعد على التقارب والاستقرار بين الزوجين ويعتبر الإخلال بها مفسداً للحياة الزوجية⁽²⁾ .

المطلب الثاني : اختلاف الفقهاء في اشتراط الكفاءة :

اختلف الفقهاء في اشتراط الكفاءة في الزواج فذهب بعضهم إلى أن الكفاءة ليست شرطاً أصلاً ن فيصح الزواج ويكون لازماً سواء كان الزوج كفئاً أو لم يكن كفئاً لها وذهب إلى ذلك جمهور الفقهاء من المالكية ، والشافعية ، ورواية للحنابلة ، وقول لعمر وابن مسعود ، وعمر بن عبد العزيز وعبيد بن عمر وحماد بن أبي سلمة وابن سيرين . واستدلوا في ذلك بالعديد من الأدلة من الكتاب والسنة والمعقول⁽³⁾ .

أولاً : الكتاب :

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾⁽⁴⁾ . فالله سبحانه قد جعل مقياس المفاضلة وميزان التكريم بين الناس بالتقوى ، وعلى ذلك فالمسلمون جميعاً أكفاء للمسلمات⁽⁵⁾ .

(1) - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، للعالم أحمد بن علي المقرئ ، دار الحديث القاهرة ، باب الكاف مع الفاء ط 1-2000م ، ص 318-319 . ، ص 198 .

(2) - ينظر : مجمع الأثر في شرح ملتقى الأبحر ، فصل (الكفاءة في الزواج) ، عبد الرحمن بن محمد بن سليمان ، دار إحياء التراث العربي ، ج 1 ، دت ط . ، ص 339 ، وينظر فتح القدير ، للكمال بن الهمام ، دار الفكر ، دت ط ، ج 3 ، ص 291 . وينظر : الأحكام الشرعية للأحوال الشخصية ، زكي الدين شعبان ، منشورات جامعة قاريونس بنغازي ، ط 5 - 1989م ، ص 238 .

(3) - - ينظر أحكام الزواج في الشريعة الإسلامية ، صابر عبد العزيز ، جامعة الأزهر ، ط 1997م ، ص 112 . وينظر : أحكام الزواج والطلاق في الفقه الإسلامي دراسة فقهية مقارنة ، الهادي محمد سريط ، منشورات جامعة الزاوية ، ط 1-2008م ، ص 146-147 . ، وينظر رحمة الأمة في اختلاف الأئمة ، أبي عبدالله بن عبدالرحمن الدمشقي العثماني الشافعي ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط 1995م ، ص 215 .

(4) - سورة الحجرات ، الآية : 13 .

(5) - ينظر : أضواء على نظام الأسرة في الإسلام ، سعاد إبراهيم صالح ، ص 64 .

ثانيا : الأدلة من السنة :

1- إن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : ﴿ لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ، ولا لأبيض على أسود ، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى ، الناس من آدم ، وآدم من تراب ﴾⁽¹⁾ .
وفي الحقيقة أن الأحاديث والآثار الدالة على عدم اعتبار الكفاءة كثيرة⁽²⁾ ولكن الباحثة تكتفي بذكر بعضها من أجل الإيجاز غير المخل.

ثالثا: استدلالهم بالمعقول :

استدل أصحاب هذا المذهب بالمعقول عن طريق قياسهم الكفاءة على الجنائيات فقالوا : إن الكفاءة لو كانت معتبرة في الشرع لكانت الجنائيات أولى باعتبارها ، لأنه يلزم فيها - الجنائيات - الاحتياط أكثر مما يلزم في غيرها ؛ ولكنها لا تعتبر فيها ، ولذلك يقتل الشريف بالوضيع والعالم بالجاهل ، فلا تكون معتبرة في الزواج بالطريقة الأولى⁽³⁾ .

واستدل أصحاب هذا الرأي بالمعقول فكانت حجتهم بأن الزواج يراد لمصالح عديدة ، ولا تنتظم هذه المصالح إلا إذا كان هناك تقارب بين الزوجين يمكن من توثيق الصلات وربط عرى المودة بينهما ، ولا يتم ذلك إذا كانت الهوية بينهما عميقة في الأخلاق والصفات التي يمتدح الناس بها أو يعيرون ، ولأن الزوج بحكم الشرع وحكم العرف والعادة له السلطان الأقوى في شئون الزوجة فإذا لم يكن مساويا لزوجته أو أعلى منها في المنزلة استنكفت أن يكون له هذا السلطان وهذه القوامة ، ولم يكن منها محل تقدير ولا اعتبار، وكذلك الأولياء يأنفون من مصاهرة من لا يناسبهم في دينهم وجاههم ونسبهم ويعيرون بذلك فإذا لم تشترط الكفاءة احتلت روابط المصاهرة أو ضعفت ، ولم تثمر الزوجية ثمراتها المقصودة منها⁽⁴⁾ .

المطلب الثالث: أدلة القائلين باعتبار الكفاءة :

قبل الحديث عن أدلة القائلين باعتبار الكفاءة لابد من الإشارة إلى أن من ذهب إلى هذا الرأي هم جمهور الفقهاء ومنهم أئمة الحنفية ورواية للحنابلة بأن الكفاءة شرط في صحة النكاح استدلل المعترضون لها بأدلة من الكتاب والسنة ، والمعقول :

(1) - زاد المعاد ، ابن القيم الجوزية ، (فصل في حكمه صلى الله عليه وسلم) مؤسسة بيروت - مكتبة المنار الإسلامية الكويت ، ج 5 ، ط 27 - 1994م ، ص 144 .

(2) - ينظر : أحكام الأحوال الشخصية ، زكي الدين شعبان ، - ط 5 - 1989م ، ص 238 .

(3) - ينظر : أضواء على نظام الأسرة في الإسلام ، سعاد إبراهيم صالح ، ص 65 .

(4) - الأحكام الشرعية للأحوال الشخصية ، زكي الدين شعبان ، ص 239 .

أولاً : الكتاب :

- قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾⁽¹⁾ .
 قوله جل شأنه : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾⁽²⁾ .
 وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾⁽³⁾ .

والآيات الدالة على ذلك كثيرة نكتفي بما ذكرناه للدالة الواضحة . وهي تدل على أن الناس ليس على درجة واحدة في العلم والرزق والدرجة ، بل أن التفاوت بينهم في حظوظ الدنيا ومراتبها أمر لا بد منه حتى يستقر الكون وتنتظم حركة اما روي عن عائشة - رضی الله عنها - أنه جاءت فتاة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله إن أبي يزوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته " فجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الأمر إليها . فقالت : " قد اخترت ما صنع أبي ، ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس إلى الآباء من ذلك الأمر شيء " ⁽⁴⁾ .

2- مارواه جابر أن النبي -صلى الله عليه - قال : " لا يزوج النساء إلا الأولياء ، ولا يزوجن إلا أكفاء " ⁽⁵⁾ .

3- وعن عائشة قالت : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم - : " تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء ، وانكحوا إليهن " ⁽⁶⁾ .

(1) - سورة الزمر ، الآية : 9 .

(2) - سورة المجادلة ، الآية : 11 .

(3) - سورة النحل ، الآية : 71 .

(4) - سنن النسائي ، دار القلم بيروت لبنان ، ج 5 ، كتاب النكاح ، فصل البكر يزوجها أبوها وهي كارهة ، ص 68 - 87 . وأخرجه البيهقي في سننه في كتاب النكاح ، رقم الحديث 3556 ، ج 4 ، ص 335 ، وقال حديث مرسل .

(5) - رواه الدارقطني إلا أن ابن عبد البر قال : هذا ضعيف لا أصل له ولا يحتج بمثله . ينظر : المغني على الشرح الكبير ، شمس الدين المقدسي ، دار الفكر ، ج 7 ، ط 1992 م ، 372 .

(6) - المحروحين ، أبو حاتم محمد بن حبان البستي ، دار الوعي حلب ، تحق : محمود إبراهيم زايد ، ج 1 ، د ت ط ، ص 225 هذا إسناد فيه الحارث بن عمران المدني قال فيه أبو حاتم ليس بالقوي والحديث الذي رواه لا أصل له يعني هذا الحديث ، وقال ابن عدي : والضعف على رواياته بين ، وقال الدارقطني ، متروك انتهى ، رواه الدارقطني في سننه من حديث عائشة أيضاً... الخ ينظر : مصباح الزجاجاة في زوائد ابن ماجه ، الحافظ شهاب الدين أحمد بن أبي بكر الكتاني ، دراسة كمال يوسف الحوت ، دار الجنان ، ج 1 ، رقم الحديث 673 ، ص 329 .
 ج 1 ، رقم الحديث 703 ، ص 343 .

والأحاديث في هذا المجال كثيرة ، ولكن نكتفي بما ذكرناه للدالة الواضحة ، والإيجاز غير المخجل ، وهذه الأحاديث والآثار متضادة على اعتبار الكفاءة في النكاح سواء أكانت في الدين أم الحسب أم الخلق . لأن النكاح يعقد للعمر ويشتمل على أغراض ومقاصد كالإنجاب والصحة والألفة وتأسيس القربات ولا ينتظم ذلك عادة إلا بين الأكفاء . و عقد البخاري باباً سماه الأكفاء في الدين : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾⁽¹⁾ . والمراد من سياق هذه الآية أن النسب والصهر مما يتعلق به حكم الكفاءة⁽²⁾ .

والقول الراجح من خلال وجهة نظر الباحثة وفقاً لما أستدل به الفقهاء هو الرأي القائل : بأن الكفاءة شرطاً في صحة الزواج ، . إلا أنني أرى أن الكفاءة لا بد أن تعتبر في الدين ، وهذا الرأي قال به المالكية . لأن الدين لو كان موجوداً بينهما لم يحدث تنافر ولا استنكاف من طرف للطرف الآخر لأن الدين سيحول بين كل هذه العوائق التي يمكن حدوثها . ولا أرى مانع من اعتبار الكفاءة في الأمور التي ذكرها بعض الفقهاء إذا لم تتعارض مع الدين والعرف .

ولكن لكي يكون التلازم تاماً بين الزوجين يجب ملاحظة الكفاءة في المهنة أو الحال الاجتماعية أو المالية إذا اشتراطتها الزوجة ، فإن ملاحظة ذلك يكون من قبيل تنفيذ العقد على أساس من الرضا الكامل بين الزوجين⁽³⁾ . وأما ما استدل به أصحاب القول الأول فلا حجة لهم فيه ، أما الحديث فلأن معناه أن الناس متساوون في الحقوق والواجبات والمسئوليات

إلى النظام العام ، وأنهم لا يتفاضلون إلا بالتقوى ومراعاة هذه الحقوق والواجبات أما فيما عدا هذه الأمور فلا شك أن الناس يتفاوتون فيها ، ولا يوجد عاقل يسوي بين العلماء وذوي الثقافات والآداب العالية وبين غيرهم من الجهال وأهل السوء وأصحاب الحرف الدنيئة ، وأما قياسهم الزواج على مسائل الجنایات والقصاص فيها فهو قياس مع الفارق ذلك أن القصاص إنما شرع لمصلحة الحياة وحفظها فلو اعتبرت الكفاءة فيه لأدى ذلك إلى ضياع هذه المصلحة ، واختل نظام الحياة ، فإن صاحب الجاه أو النسب يقتل من لا يكافئه في ذلك ، ثم يخلص من القصاص لانعدام التكافؤ بينه وبين المحني عليه ، أما الزواج فإنه شرع لتحقيق المصالح بين الزوجين من دوام العشرة مع المودة والألفة بينهما ، وهذه المصالح لا تتحقق إلا باشتراط الكفاءة في الزواج كما بينا .

(1) - سورة الفرقان ، الآية : 54 .

(2) - ينظر : مجموع فتاوى الشيخ ابن باز ، الإسلام سؤال وجواب ، (146 \ ج 5) .

(3) - ينظر : أحكام الزواج في الشريعة الإسلامية ، صابر عبد العزيز محمد عمران ، ، ط 1997م ، ص 113 .

ولا يقال : إن القول باشتراط الكفاءة ينافي الديمقراطية والمساواة بين الناس التي يدعو إليها الإسلام ، لأن المساواة التي تعد مبدأ من أهم المبادئ الإسلامية إنما هي المساواة في الحقوق والواجبات والمسئوليات لا في الاعترافات الشخصية التي تقوم على أعراف الناس وعاداتهم ، والقرآن الكريم تنص بعض آياته على أن الله فضل بغض الناس على بعض في التكريم ، : ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾

﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

، ولا يزل الناس مختلفين في مكاناتهم الاجتماعية ومراكزهم الأدبية ، وهو مقتضى الفطرة الإلهية التي فطر الناس عليها ولا يمكن لشريعة من الشرائع أن تتجاهل الفطرة الطبيعية وأعراف الناس وعاداتهم التي لا تضر بالنظام الاجتماعي ، والتي لا تخالف مبادئ الدين⁽¹⁾.

المطلب الرابع :

أ- لمن تكون الكفاءة :

الكفاءة تكون حقاً للنساء قبل الرجال . لأن المرأة هي التي تستنكف لا الرجل . لأنها هي المستفرشة . فأما الزوج فهو المستفرش فلا تلحقه الأنفة من قبلها .

ولا أدل على ذلك من أن النبي -صلى الله عليه وسلم- تزوج من أحياء العرب وتزوج صفيية بنت حي وتسرى بالإمام . وقال من كانت عنده جارية فعلمها وأحسن تعليمها وأحسن إليها ثم اعتقها وتزوجها فله أجران .

ولأن الولد يشرف بشرف أبيه لا بأمه فلم يعتبر ذلك في الأم . بينما ذهب أبو يوسف ومحمد إلى أن الكفاءة تكون من جانب المرأة لا من جانب الرجل . والباحثة ترى : أن الرأي الأول هو الأصح لراجحته⁽²⁾.

ب- وقت اعتبار الكفاءة :

تعد الكفاءة عند العقد فقط . فمتى كانت متحققة عنده لم يكن لأحد أن يعترض على الزواج بسببها ، ذلك لأن أمور الناس لا تستمر على حالة واحدة من الفقر والغنى والتقلب في المناصب والحرف تبعاً لتقلب الأحوال، فلو اعتبرت الكفاءة في البقاء كما اعتبرت في الابتداء لانقطعت روابط

(1) - ينظر : الأحكام الشرعية للأحوال الشخصية ، زكي الدين شعبان ، ص 239 - 240 .

(2) - ينظر : أحكام الزواج في الشريعة الإسلامية ، د صابر عبد العزيز محمد ، جامعة الأزهر ، ط- 1997 م .

يجب وصلها ، وضاع أولاد تجب رعايتهم . وماتت عواطف الوفاء في الشدة والرخاء ، وذلك من أسمى ما يعتز به الإنسان⁽¹⁾.

ج- صاحب الحق في الكفاءة :

الذين اعتدوا بالكفاءة في الدين فقط قالوا : إنما حق الله تعالى . وكذلك الكفاءة المشروطة في تزوج فاقد الأهلية ، لأن النكاح يفسد بعدمها ، وليس لأحد أن يتنازل عنها إلا ما استثناه أبوحنيفة . وكفاءة الزوجة للزوج عند تزويج الوكيل إياه حق للزوج وحده ، أما كفاءة الزوج للزوجة إذا زوجت البالغة العاقلة نفسها أو زوجها وليها : فهي حق لها وللأقرب من أوليائها ، فإذا استتوا في الدرجة فهي حق لهم جميعاً . وإذا تنازلت عن حقها بقي حقهم ، وإذا تنازل واحد منهم قبل العقد ، أو بعده (على ظاهر الرواية) سقط حقهم جميعاً ، وبقي حقها ، والفرق بين تنازلها وتنازل واحد منهم أنها متهمه في تنازلها ، لسرعة تأثرها بغير نواحي الشرف وحماية الأسرة من العار ، أما تنازل بعضهم فالأكثر ألا يكون إلا بعد اقتناعه بأن ما في الزوج من المزايا يفوق المعاني المعتبرة في الكفاءة .

ويرى أبو يوسف والشافعي أن حق المتساوين في الدرجة من الأولياء لا يسقط برضا الزوجة ، لأن الحقوق المشتركة لا تسقط برضا بعض المستحقين⁽²⁾.

المطلب الخامس : سقوط حق الكفاءة بالتقصير :

إذا تبين للمرأة أن الرجل ليس كفؤاً لها بعد زواجها به ، وهي لم تعرف عن أمر كفاءته شيئاً ولم تشتط عليه أن يكون كفؤاً . لم يكن لها أن تطلب فسخ النكاح ، لسقوط حقها بتقصيرها في السؤال عنه والاشتراط عليه . وكذلك إذا زوجها الأولياء برضاها ولم يبحثوا ولم يشترطوا ، إلا إذا كان الزوج قد أخبرها أو أخبرهم بكفاءته ، فتبين كذبه ، فإن حقهم في الفسخ لا يسقط⁽³⁾.

المطلب السادس : المعاني التي تعتبر في الكفاءة :

تعد الكفاءة بين الزوجين عند من اشتراطها - في أمور مخصوصة وقد اختلف الفقهاء في هذه الأمور : وهي عند الحنفية في ستة أمور وهي : النسب ، والإسلام ، والحرية ، والمال ، والديانة ، والحرفة - على اتفاق في بعض هذه الأمور ، واختلاف في بعضها - ونفصل القول في كل منها على النحو التالي :

(1) - ينظر : الزواج والطلاق في الإسلام ، بدران أبو العينين ، ص 163.

(2) - عيون المسائل الشرعية في الأحوال الشخصية ، على محمد حسب الله ، مطبعة العلوم بشارع الخليج ، ط -

1948 ، ص 62-63

(3) - المرجع نفسه ، ص 63.

النسب : النسب هو صلة الإنسان بمن ينتمي إليه من الآباء والأجداد ، وقد اتفق المذهب الحنفي على أن الكفاءة في النسب معتبرة عند العرب ، لا بالنسبة لغيرهم من الأعاجم ، وذلك لأن العرب يتفاخرون بالأنساب ، ويجعلونها موضع تفاضلهم ومعاييرهم ، ومحل مدحهم وذمهم ، فهم يحافظون على الأنساب ويعتزون بها دون الأعاجم .

وهذه التفرقة بين العرب وغير العرب التي قال بها الحنفية في الكفاءة في النسب، ليست واضحة وغير معقولة ، وأيضاً ما ذكروا تعليلاً لهذه التفرقة غير مسلم، وفيه استبعاد؛ لأن أمر الكفاءة في النسب بين الزوجين لم يثبت فيه نص من الكتاب أو السنة، وإنما بني أمره على العرف ، ومعنى هذا أنه إذا وجد من غير العرب من يعتز بنسبه ويتفاخر به مثل العرب ، ووجد من يتمسك بالتقاليد ويأنف أن يباهر من هو دونه في النسب، ينبغي أن تسري الكفاءة في النسب بين الأعاجم إذا جرى عرفهم وعاداتهم على الاعتراز بالأنساب، وإلى هذا أشار صاحب فتح القدير من الحنفية بقوله : " فإذا ثبت اعتبار الكفاءة بما قدمناه فيمكن ثبوت تفصيلها أيضاً بالنظر إلى عرف الناس فيما يحقرونه ويعيرون به ⁽¹⁾ .

والمقتضى مذهب الحنفية ، لا يكون غير العربي كفتاً للعربية ، ويكون القرشي كفتاً لكل عربية ، ولو كانت هاشمية ، وروى محمد بن الحسن أنه استثنى بيت الخلافة ، وكان هاشمياً عباسياً ، فلم يجعل كفتاً لنسائه إلا الهاشمي ، وليس كل عربي كفتاً للقرشية ، وقد فهموا ذلك مما روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : " قريش بعضهم أكفاء لبعض بطن بطن ، والعرب بعضهم أكفاء لبعض ، قبيلة بقبيلة ، والموالي بعضهم أكفاء لبعض رجل برجل " ⁽²⁾ .

والسبب في اعتبار الكفاءة في النسب بين الزوجين هو أن عدمها يستدعي عاراً أو نقصاً في العرف ، كما أن الغاية من الكفاءة هي حفظ أسرة الزوجة من أن ينتسب إليها بالمصاهرة من لا يساويها في المكانة الاجتماعية .

(1) - الزواج والطلاق في الإسلام ، بدران أبو العينين ، ص 166.

(2) - رواه البيهقي في الكبرى ، ج 7 ص 134 ، حديث 13547 ، عن ابن عمر ، وقد اختلف في صحة هذا الحديث . ينظر : بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، للكاساني الحنفي ، م 3 ، دار الحديث ، ط 2005 م ، ص 560 .

هذا وروي عن أبي يوسف من الحنفية ، أن المولى إن اشتهر بفضل من علم أو أحرز من الفضائل ما يرفع مكانته عند الناس ، يصير كفتا للقرشية بل الهاشمية ، وقد أخذ بذلك في المذهب الحنفي ، وتقرر فيه أن العالم الأعجمي كفاء للعربية ، بل للعلوية الفاطمية ، لأن شرف العلم فوق النسب .

وكذلك روى عن الشافعي وأصحابه أن الكفاءة معتبرة في أنساب العجم فيما بينهم ، والأمر في عرفهم قياسيا على اعتبار عرف العرب ، وهو رأي معقول فإن بعض الأعاجم يعنون بأنسابهم ، كأشراف الإنجليز مثلا . فيجب أن تعتبر الكفاءة فيما بينهم .

نستنتج من ذلك أن المذهب الشافعي قارب المذهب الحنفي ، ولكنه زاد عليه بعض الأمور ونقص بعضها ، وشدد في بعضها بما لم يتشدد الحنفية . فزاد السلامة من العيوب ولم يذكر الكفاءة في المال ، وذكر الكفاءة في النسب والإسلام والتدين وسمها الكفاءة في الفقه . واعتبر الكفاءة في الحرفة وفي الحرية وشدد فيها⁽¹⁾ .

ومذهب مالك لم يعتبر الكفاءة في النسب ، ولا في الصناعة ، ولا في المال أو الغنى ، إنما اعتبر الكفاءة في التدين والتقوى والسلامة من العيوب .

بأن يكون الرجل سليماً من العيوب الجسمية المستحكمة التي لا يمكن المعاشرة معها إلا بضرر⁽²⁾ . والمذهب الحنبلي فيه روايتان عن أحمد : إحداهما : أنه كالمذهب الشافعي ما عدا السلامة من العيوب في الجملة ، والثانية أنه لا كفاءة فيه إلا في التقوى والنسب⁽³⁾ .

وعند الشيعة المعتبر في الكفاءة المماثلة في الحسب والدين لقوله -صلى الله عليه وسلم- : " العرب بعضهم أكفاء بعض حي بحي ، وقبيلة بقبيلة ورجل برجل إلا الحائك والحجام "⁽⁴⁾ وزاد بعضهم المال . ولتتكلم عن هذه الأمور - من حيث الاعتبار - تفصيلاً :

أولاً : الإسلام :

ليس المقصود بالإسلام هنا إسلام الزوج بالنسبة للزوجة المسلمة لأن إسلام الزوج شرط لانعقاد الزواج بالمسلمة⁽⁵⁾ . وإنما المقصود إسلام الأصول ؛ فمن كان أبوه غير مسلم وهو مسلم لا يكون كفوًا

(1) - ينظر : الفقه على المذاهب الأربعة ، عبد الرحمن الجزيري ، مكتبة دار التراث ، ص 48 - 49 .

(2) - بداية الاجتهاد ونهاية المقتصد ، لابن رشد ، دار الكتب العلمية ، ط 10 ، 1988 م ، ص 16 .

(3) - ينظر : المحلى ، لابن حزم ، مكتبة دار التراث ، ج 9 ، د ت ط ، ص 442 .

(4) - رواه البيهقي في الكبرى ، ج 7 ، ص 134 ، حديث 13547 ، عن ابن عمر ، وقد اختلف في صحة هذا الحديث . ينظر : بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، للكاساني الحنفي ، دار الحديث ، م 3 ، ص 2005 م ، ص 560 .

(5) - - ينظر : الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام ، عبد السلام الترماني ، عالم المعرفة ، ط 1984 م ،

للمسلمة التي يكون أبوها مسلماً ، ومن كان أبوه وجده مسلمين يكون كفؤاً لمن لها أب وأجداد مسلمون وهكذا⁽¹⁾.

ثانياً : الديانة :

يقصد بالديانة الصلاح والاستقامة، وهي معتبرة في العرب والعجم . فإذا كانت المرأة من بنات الأتقياء الصالحين ، وكانت هي على مثل حالهم لم يكن الفاسق كفؤاً ؛ لأنهم لتقواهم وصلحهم يرون مصاهرة الفاسق عاراً لهم . فإذا تزوجت بفاسق كان للولي حق الاعتراض وطلب التفريق . فإذا كانت المرأة غير مستقيمة وأهلها من ذوي الصلاح والتقوى ، أو كانت هي من أهل الاستقامة ولم يكن أهلها كذلك فهل يكون الفاسق كفؤاً لها ؟ اختلفت آراء الفقهاء في هذه المسألة .

والظاهر أن الفاسق لا يكون كفؤاً للمرأة في كل هاتين الحالتين لأن المرأة المستقيمة تعبر بفسق لرجل أكثر مما تعبر بضعة نسبه ، وكذلك الأولياء الأتقياء يرون في مصاهرة الفاسق لهم عاراً أو منقصة أكثر مما يرون في ضعة نسبه .

والمراد بالفاسق⁽²⁾ الذي لا يكون كفؤاً للمرأة المستقيمة وهو الفاسق الماهر بالفسق كالذي يتناول المسكر في المجتمعات ، أو يذهب إلى أماكن النساء وأندية القمار علناً ، أو يجاهر بأنه يفعل ذلك ، ومنه هؤلاء الذين يتركون الصلاة أو الصيام ويعلمون أنهم لا يصلون ولا يصومون والدليل على اعتبار الدين قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾⁽³⁾ . ولأن الفاسق مردود الشهادة والرواية - عند أكثر الفقهاء غير مأمون عن النفس والمال ، مسلوب الولاية ، ناقص عند الله وعند خلقه ، قليل الحظ في الدنيا والآخرة . فلا يجوز أن يكون كفؤاً للعفيفة ولا مساوياً لها ؛ لكن يكون لمثله⁽⁴⁾.

(1) - الفقه على المذاهب الأربعة ، م 4 ، ص 49 .

(2) - اختلف الفقهاء في معنى الفسق وحدوده . فمنهم من توسع فيه فقال : الفاسق هو العاصي لأوامر الله المبذر لماله فيشمل السفهية ، ومنهم من خص الفسق بالعصيان في الدين فقط ، وهم جمهور الفقهاء ، ومنهم من أوجب الحجر عليه ، ومنهم من لم يوجبه . ينظر : بدائع الصنائع ، للكاساني ، ج 3 ، دار الحديث ، ص 564 .

(3) - سورة السجدة ، الآية : 18 .

(4) - ذهب إلى هذا الرأي المالكية والشافعية والحنابلة ، لأنه غير أهل للكرامة في نفسه فلا يكون أهلاً لتكريم غيره بل هو أهل للإهانة وذهب الحنفية إلى أن شهادته معتبرة لأن شرط العدالة لا يعتبر الشهود ولأن الفاسق يصلح لأن ينشئ عقده بنفسه ويصلح لأن يكون وكيلاً لغيره فمن باب أولى يصلح لأن يشهد على العقد لأن إنشاء العقد ركن والشهادة شرط . ينظر : بدائع الصنائع ، ج 3 ، ص 564 .

ثالثاً: الحرية :

تكون الحرية معتبرة عند الموالى فقط ، ذلك لأنه لم يقبل من العربي إلا الإسلام أو القتل ، وهكذا كان قديماً - لأن النقص بالرق فوق النقص بدناءة النسب ، والكلام فيها مثل الكلام في الإسلام ، ولا حاجة إلى تفصيل القول في ذلك لعدم وجود رقيق في الزمن الحاضر بعد إلغائه⁽¹⁾.

رابعاً : المال :

يقصد بالكفاءة في المال هو أن يكون الزوج قادراً على المهر والنفقة ؛ لأن من لا يقدر على المهر والنفقة لا يكون كفؤاً لها ؛ إذا المهر حكم من أحكام العقد ، والنفقة تندفع بها حاجتها وهي إليها أحوج منها إلى نسب الزوج . و اعتبرت الكفاءة في المال لأن الناس يتفاحرون بالمال أكثر من التفاحر بالنسب أو التدين خصوصاً في زماننا هذا .

وهناك كفاءة تسمى الكفاءة في الغنى أو اليسار وهي أن يكون الزوج قريباً من الزوجة في ثروتهما إذا كانت ذات ثروة وغنى بيّن . وبعضهم يعتبرها وبعضهم لا يعتبرها . ووجهة من اعتبرها ما تعارفه الناس من المفاحرة بكثرة المال ، وأن الغنية العظيمة تتضرر بعشرة من لا يقارنها ثروة ، ومادمت الكفاءة تقوم على الترف فيجب اعتبارها . وقد روي أن عائشة - رضي الله عنها - قالت : " رأيت ذا المال عند الناس مهيباً ، ورأيت ذا الفقر مهيناً " . وقالت : " إن أحساب أهل الدنيا بنيت على المال " ⁽²⁾. والرأي الراجح من خلال ما سبق : ترى الباحثة :

إن الكفاءة في الغنى غير معتبرة ، لأن الكفاءة تكون في الأمور التي لا تقبل الزوال أو لا يمكن تنفيذ أحكام عقد الزواج بدونها . والغنى ليس من الأمرين ، لأن الغنى قابل للزوال ؛ إذا المال عائد ورائح ، فغني اليوم قد يكون فقيراً غداً لأن دوام الحال من المحال . وليس في عدم الغنى ما يمنع تنفيذ أحكام النكاح ؛ إذا القدر اللازم لتنفيذ أحكام النكاح كان في الكفاءة في المال ، فيكتفى بها . فالمهم أن يكون الزوج قادراً على الصداق والإنفاق على الزوجة . فمن كان قادراً على ذلك يعتبر كفؤاً للزوجة ، ولو كانت ثروتهما أو ثروة أبيها أضعاف ثروته - حسب رأى جمهور الفقهاء .

(1) - - يقول : الشيخ جواد مغنية : إن شرط الحرية عند الحنفية يتنافى تماماً مع أصولهم فقد حكموا بأن الحر يقتل بالعبد كما يقتل العبد بالحر مع أن جميع المذاهب بما فيها مذهب الإمامية قالت : بأن الحر لا يقتل بالعبد ويقتل العبد بالحر . هذا والحنفية لا يشترطون في ولي الزواج الحرية كبعض المذاهب . ينظر : الزواج والطلاق في الإسلام ، بدران أبو العينين ، ص 168 .

(2) - ينظر المغني على الشرح الكبير ، ، 3 م ، ص 376.

خامسا : الحسب، والنسب ، أو المنصب :

إن الحسب هو صلة الإنسان بمن ينتمي إليه من الآباء والأجداد ؛ فإذا كانت الزوجة يتصل نسبه بأصل معلوم فلا يكافئها إلا من كان مماثلاً لها في هذه الصلة ، لأن الناس يأنفون من مصاهرة من دولهم في النسب ويعيرون بذلك .

والدليل على اعتبار النسب في الكفاءة قول عمر : " لأمنعن فروج ذوات الأحساب إلا من الأكفاء " . قيل وما الأكفاء ؟ قال : في الأحساب⁽¹⁾ .

سادسا : الحرفة :

المراد بالحرفة العمل الذي يزاوله الشخص لكسب رزقه وعيشه فتدخل في ذلك الوظيفة ، لأنها أصبحت طريقاً للاكتساب . ومعنى الكفاءة في الحرفة أن تكون حرفة الزوج وأهله مساوية أو مقاربة لحرفة أهل الزوجة في المنزلة .

وروي عن أبي حنيفة عدم الاعتداد بالحرفة لاحتمال التحول من الحرفة الخسيسة إلى النفيسة . وروي عن أبي يوسف أنه لا يعتد بها إلا أن تفحش ، كالحجامة ، والدباغة ، والحيافة .

والمعمل عليه الاعتداد بها في ذوي الحرف مطلقاً ، بناء على رأي محمد وروايتين عن الشيخين ، لأن الناس يتفاخرون بشرف الحرف ، ويعيرون بدناءتها ، وقد يتحول المرء من حرفة دنيئة إلى حرفة شريفة ، فيبقى عار الأولى لاصقاً به . ومرجع رفعة الحرفة وخستها العرف⁽²⁾ .

وبالمماثلة في هذه الأمور الستة تتحقق الكفاءة ، وأما السلامة من العيوب التي توجب الخيار للمرأة في الزواج كالبرص والجنون والجدام فليست من شروط الكفاءة عند المالكية والشافعية ، وذلك بأن يكون الرجل سليماً من العيوب المستحكمة التي لا يمكن المعاشرة معها إلا بضرر . ولكن عند الحنابلة⁽³⁾ يثبت الخيار للمرأة دون الأولياء لأن ضرره مختص بها . وقالوا : لو ليها منعها من نكاح المجدوم والأبرص والجنون ، وما عدا هذا فليس بمعتبر .

(1) - نيل الأوطار ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، تحق : عصام الدين الصباطي ، دار الحديث مصر ، ط 1 - 1413 هـ - 1993 م ، ج 6 ، ص 152 .

(2) - ينظر : عيون المسائل الشرعية في الأحوال الشخصية ، علي محمد حسب الله ، ص 64 ، 65 .

(3) - ينظر مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج ، للخطيب الشربيني ، دار الحديث ، م 4 ، ط 2006 م ، ص 256 .

وهل تعد الكفاءة في العقل ؟ قالوا : لا نص فيه عند المتقدمين . أما المتأخرين فيتعنتون فيه . والصواب أن المحنون لا يكون كفؤاً للعاقلة ، وللولي حق الاعتراض وطلب الفسخ ؛ لأن المحنون يترتب عليه من الفساد والشر ما لا يترتب على غيره . بل ويتعير الناس بالمحنون أكثر مما يتعرون بالفقير أو الفاسق .

أما قبح المنظر فليس بعيب ؛ فإذا كانت الزوجة جميلة وكان الزوج قبيحاً فليس لها ولا لوليها حق المطالبة بالفسخ لأن الخلقة من صنع الله ولا اعتراض على خلقه وقدرته . والعبرة في تقييم الرجال ليست بالشكل وإنما بالجواهر والأصل⁽¹⁾ .

ونستنتج مما سبق ذكره : إن المعايير التي اعتبرها الفقهاء في الكفاءة والتي بوجودها وتساويها أو تقاربها بين الزوجين تساعد على الانسجام والتلاؤم بينهما فيتحقق الاستقرار والدوام المرجو لعقد الزواج . ونلاحظ أن هذه المعايير تخضع للعرف وتختلف باختلاف الأزمان والأماكن . ولا يخفى أن التقارب بين الزوجين في السن والثقافة والموطن ونحوها له دخل كبير في حصول الانسجام والتوافق بين الزوجين . فالزواج الذي يتم بين زوجين أحدهما في نهاية الحلقة الخامسة أو السادسة والآخر في منتصف الحلقة الثانية أو الثالثة من العمر ، أو كان أحدهما حصل على قسط وافر من الثقافة والآخر لم يحصل على شيء منها فربما لا يمكن أن يستمر . وإذا قدر له الاستمرار فإنما هي أشهر أو أعوام لا تكاد تمر بها لحظة من استقرار أو سعادة ؛ لأن نظرة أحدهما إلى الأشياء ستختلف عن نظرة الآخر ، وتفكير أحدهما سيختلف عن تفكير الآخر ، ونتيجة ذلك فقد الوفاق والوئام ثم الانفصال في النهاية كما هو في الواقع المشاهد في عصرنا الحالي⁽²⁾ .

الخاتمة :

في نهاية البحث اذكر أهم النتائج وهي :

1- إن الحياة الزوجية في الشريعة الإسلامية قائمة على أسس وضوابط تكفل لها الاستقرار والدوام .

(1) - ينظر : فقه السنة ، السيد سابق ، مكتبة دار التراث ، ج 2 ، د ت ط ، ص 16 - 17 .

(2) - ينظر : أضواء على نظام الأسرة في الإسلام ، سعاد إبراهيم صالح ، ص 74 - 75 .

- 2- تعتبر الكفاءة في الزواج إحدى ضوابط استقرار الأسرة .
- 3- اختلفت وجهة نظر فقهاء الشريعة الإسلامية في مسألة الكفاءة في الزواج ولكل فريق أدلته من الكتاب والسنة .
- 4- إن المعايير التي اعتبارها الفقهاء في الكفاءة تخضع للعرف ، وتختلف باختلاف الأزمان والأماكن .
- 5- أرى ضرورة الأخذ بمسألة الكفاءة في الدين عند الاختيار في الزواج .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- 1- أحكام الزواج في الشريعة الإسلامية ، صابر عبد العزيز ، جامعة الأزهر ، ط - 1997م .
 - 2- أحكام الزواج والطلاق في الفقه الإسلامي دراسة فقهية مقارنة ، الهادي محمد سريط ، منشورات جامعة الزاوية ، ط 1 - 2008م .
 - 1- الأحكام الشرعية للأحوال الشخصية ، زكي الدين شعبان ، منشورات جامعة قاريونس بنغازي ، ط 5 - 19
 - 4- أضواء على نظام الأسرة في الإسلام ، سعاد إبراهيم صالح ، دار الضياء ، ط 3 - 1989م .
 - 5- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، للكاساني الحنفي ، دار الحديث ، ط 2005م .
 - 6- بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، لابن رشد ، دار الكتب العلمية - ط 10 - 1988م
 - 7- رحمة الأمة في اختلاف الأئمة ، أبي عبد الله بن عبد الرحمن الدمشقي العثماني الشافعي ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط 1995م .
 - 8- - زاد المعاد ، لابن القيم الجوزية ، مؤسسة بيروت - مكتبة المنار الإسلامية الكويت ، ط 27- 1994م .
 - 9- الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام ، عبد السلام الترماني ، عالم المعرفة ، ط 1984م .
 - 10- سنن البيهقي .
 - 11- سنن النسائي ، دار القلم بيروت لبنان ، د ت
 - 12- عيون المسائل الشرعية في الأحوال الشخصية ، علي محمد حسب الله ، مطبعة العلوم بشارع الخليج ، ط - 1948م .
 - 13- فتح القدير ، للكامل بن الهمام ، دار الفكر ، د ت ط
 - 14- فقه السنة ، السيد سابق ، مكتبة دار التراث ، د ت ط .
 - 15- الفقه على المذاهب الأربعة ، عبد الرحمن الجزيري ، مكتبة دار التراث ، د ت ط .

- 16- الفقه المقارن للأحوال الشخصية بين المذاهب الأربعة السنية والمذهب الجعفري والقانون ، بدران أبو العينين ، دار النهضة العربية ، ط 1967م .
- 17- المحروحين ، أبو حاتم محمد بن حبان البستي ، دار الوعي حلب ، د ت ط .
- 18- مجمع الأثر في شرح ملتقى الأبحر ، عبد الرحمن بن محمد بن سليمان ، دار إحياء التراث ، دت، دار إحياء التراث العربي ، د ت ط .
- 19- مجموع فتاوي الشيخ ابن باز ، الإسلام سؤال وجواب .
- 20- ، المحلى لابن حزم ، مكتبة دار التراث ، د ت ط .
- 21- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة ، المحافظ شهاب الدين أحمد بن بكر الكناني ، دار الجنان ، د ت ط .
- 22- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، للعالم أحمد بن علي المقرئ المغربي ، دار الحديث القاهرة ، ط 1- 2000م .
- 23- المغني على الشرح الكبير ، شمس الدين المقدسي ، دار الفكر ، ط - 1992م .
- 24- مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج ، للخطيب الشربيني ، ط 2006م .
- 25- نيل الأوطار ، محمد بن علي الشوكاني ، دار الحديث مصر ، ط 1- 1993.

التربية الإسلامية

(دورها - منهجها - بناؤها - أساسها - دعائمها)

للباحث : عبد السلام السالم عبد السلام الأسمر الحضيرى .
كلية الدراسات الإسلامية - سبها .

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

المقدمة :

التربية الإسلامية ، تهدف إلى تحقيق منهج إسلامي عميق ، يطمح إلى الوصول إلى دعائم ثابتة وقوية ، في الأخلاق الراقية والسلوك الرفيعة ، في البناء الصحيح ، والأساس المتين ، في تكوين أروع وأعظم شخصية إنسانية مسلمة .

ولهذا قسم هذا البحث إلى ستة فصول علي النحو التالي :

الفصل الأول : تعريف التربية لغة واصطلاحاً .

الفصل الثاني : فهم التربية الإسلامية ودورها في أخلاق المسلم .

الفصل الثالث : منهج التربية الإسلامية في القرآن الكريم .

الفصل الرابع : بناء التربية الإسلامية .

الفصل الخامس : أساس التربية الإسلامية .

الفصل السادس : دعائم التربية الإسلامية .

وفي الأخير كانت خلاصة الخلاصة في الوصول إلى إخراج هذه الدراسة علي الأرض الواقع، من خلال : التربية الإسلامية ، التي تمثلت في منهج القرآن الكريم ، والسيرة النبوية الشريفة المعطرة بأروع سعادة أبدية .

أسأل الله النفع والعمل علي ذلك ، فإنه نعم المولي ونعم النصير .

الفصل الأول

تعريف التربية في اللغة :

ففي لسان العرب في مادة : (1) ربى ، تأتي بعدة معاني ، بمعنى الزيادة والنماء ، وبمعنى نشأ وترعرع ، وبمعنى أصلحه وتولى أمره وساسه ، وقام عليه ورعاه .

وبذلك تكون معاني التربية في اللغة : هي الزيادة والنمو والنشوء والترعرع والاصطلاح ، والرعاية ، والسياسة ، وتولى الأمور .

الخلاصة :

وفق ما تعارف عليه العلماء : بأنها تغذية الجسم وتربيته بما يحتاج إليه من تكاليف الحياة ومشتقاتها، فهي بمعنى التربية، وهى كل ما يتغذى في الإنسان جسماً وعقلاً وروحاً وإحساساً ووجداناً وعاطفة . (2)

تعريف التربية في الاصطلاح :

هي تلك العملية الموجهة نحو تغير السلوك الإنساني، علي المستوى الفردي وعلي المستوى الجماعي ، يهدف أن يكون الغد دائماً في أحسن حالا من اليوم... (3) .

وأن التربية تعني كل المؤثرات الموجهة، التي يراد منها أن تصرع كيان الإنسان ، وتهدى سلوكه في كل نواحي الحياة ، جسدية كانت أم عاطفية ، وتشمل كل المنظمات والعوامل والأساليب والطرق ، التي تدخل في نطاق الفعاليات التهديبية (4)

والتربية هي تلك العملية المقصودة أو غير المقصودة ، التي اصطنعها المجتمع ؛ لتنشئة الأجيال الجديدة . (5)، والخلاصة من ذلك تنتج دور التربية الإسلامية : فقد عرفت بأنها تلك المفاهيم التي يرتبط

(1) لسان العرب مادة (ربي) ، وفي القاموس المحيط .

(2) نحو منهج إسلامي في التربية والتعليم : عباس محجوب (15) .

(3) الفكر التربوي الحديث : علي خليل مصطفى : (370) .

(4) آفاق التربية الحديثة في البلاد النامية : محمد فاضل (127) .

(5) أساليب تدريس التربية : تيسير طه (23) .

بعضها في إطار فكري واحد ، يستند إلى المبادئ والقيم التي جاء بها الإسلام والتي ترسم عدداً من الإجراءات والطرائف العلمية ، يؤدي تنفيذها إلي أن يسلك سالكها سلوكاً يتفق بعقيدة الإسلام .⁽⁶⁾

الفصل الثاني

فهم التربية الإسلامية ودورها في أخلاق المسلم :

التربية الإسلامية لها دوراً كبيراً ، في تحقيق دعائم الأخلاق في حياة المسلم وتؤكد عملها في تقييم هذه الأساسيات ، وبنائها في تكوين الشخصية الإنسانية للفرد والمجتمع ، بأخلاق فاضلة ، منهجها القدوة الحسنة في أخلاق الرسول الكريم ، في قوله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم : 4) . وفي الحديث النبوي قال : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) .

وقوله أيضاً :

(إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا ، الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافًا ، الَّذِينَ يَأْلِفُونَ وَيُؤْلَفُونَ...) ⁽⁷⁾ .

وتستلهم التربية الإسلامية بأسلوبها ، في تكوين الفرد المسلم الصالح وتستهدف في برامجها ، وأهدافها ، وغاياتها ، إلى تكوين الشخصية المسلمة المتوازنة في جوانبها الروحية والمادية في وقت واحد ؛ حتى لا تطغى فيه الجوانب الروحية علي الجوانب المادية ، ولا الجوانب المادية علي الجوانب الروحية .

وذكر العقاد في قوله : الإسلام ينظر إلي الإنسان علي أنه كل لا يتجزأ عن حاجاته ومتطلباته ، ومن هنا لا يجوز للإنسان المسلم أن يبخس للروح حقاً ؛ لكي يوفى حقوق الجسد ، كما لا يجوز الإسراف في مرضات هذا ولا في مرضاة ذلك ⁽⁸⁾ ، فنجد القرآن الكريم صريح في نهيه عن تحريم المباح في قوله تعالى :

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ (الأعراف:30) .

⁽⁶⁾ المصدر السابق (22).

⁽⁷⁾ أخرجه : أحمد في مسنده ، حديث رقم (7035)(217/2) ، والبيهقي : حديث رقم (7619)(233/6) ،

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد نور الدين علي ، حديث رقم (12666) (21/8) إسناد جيد .

⁽⁸⁾ الإنسان في القرآن : عباس محمود العقاد (29) .

ومن هنا بينت التربية الإسلامية ، في تكوين الشخصية المسلمة الصالحة علي النهج الذي ينظر به الإسلام ، من حيث التوازن الدقيق بين مطالب الروح ومطالب الجسم ، ومن هذا تتميز الشمولية ، في الفكر التربوي الإنساني ، قديماً وحديثاً في شخصية الإنسان المسلم .

ويقول الرسول صلي الله عليه وسلم : (ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا من ترك الآخرة للدنيا ، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه)⁽⁹⁾ ، ويقول أيضاً : (أعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، وأعمل لآخرتك كأنك تموت غداً).⁽¹⁰⁾

وعلي ضوء هذه المفاهيم في التربية الإسلامية لوحدت الشخصية الإنسانية المسلمة ، بجميع جوانبها ، المادية والروحية ، فإنها تهدف بعدم انقسام الذات الإنسانية ، والعناية بمهماً جميعاً . ومن أهم خصائص التربية الإسلامية ، أنها قد جمعت في تناسق ، وتناغم وانسجام رائع ، من أول ظهور الإسلام ، بين تأديب النفس ، وتصفية الروح ، وتثقيف العقل ، وتقوية الجسم ، والعناية بكل ما يجعل حياة الإنسان ، علي وجه الأرض من حياة سعيدة ورغدة .⁽¹¹⁾

الخلاصة :

فإن التربية الإسلامية في برامجها ، ومنهجها ، تعني بالتربية الدينية والتربية الخلقية ، والتربية العلمية ، والتربية الجسمية ، التربية المهنية ، أو بتعبيرنا الحديث التربية التقنية ، دون أن تضحي بواحدة منها ، علي حساب الأخرى .

الفصل الثالث

منهج التربية الإسلامية في القرآن:

تعتمد التربية الإسلامية في تكوين الشخصية المسلمة الصالحة من منهج القرآن الكريم ، باعتباره روح التربية الإسلامية ، ومنهج الدراسة في هذه التربية التي صنعت الرجال ، وكونت القادة ، وأعدت الرجال ، وأخرجت العلماء الفطاحل في مختلف العلوم وأنواعها ، وأبدعت حضارة إنسانية فريدة في تاريخ الحضارات الإنسانية التي عرفها التاريخ الإنساني في قديمه وحديثه .

⁽⁹⁾ أخرجه : إسماعيل العجلوني في كشف الحفاء ، تحقيق هنداوي ، ط 1 ، 1425 هـ ، حديث رقم (2139) . (198/2) .

⁽¹⁰⁾ أخرجه : محمد جمال الدين ، المكتب الإعلامي ، بيروت ، (68/1) .

⁽¹¹⁾ ينظر : الجانب الأخلاقي من التربية الإسلامية : تركي رابح، مطبعة الثقافة الإسلامية، 1977 م، ص38.

ومن المعلوم أن القرآن ليس بمجموعة طقوس أو شعائر دينية ، تتعلق بالحياة الآخرة وحدها ؛ ولكنه كتاب كوني شامل يتحدث عن الآخرة ، كما يتحدث الأديان الأخرى ، ولكنه يصل إلى تلك الآخرة من خلال الحياة الدنيا .

فهو منهج حياة فاضلة ، يعمل على أن يتشرها المسلم ، ويترجمها إلى سلوك عملي ، يشمل تفكيره ، وتصوراته ، وآراءه ، وعلاقاته بالناس ، وبالبيئة التي يعيش فيها ، وبالعالم أجمع ، وهذا كان منهج الدراسة في هذه المدرسة الإسلامية ، منهجاً شاملاً واسعاً ، يتسع لكل شيء يحتاج إليه الإنسان في حياته الدنيا والآخرة معاً .

كانت حياة المعلم الأول سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم تطبيقاً عملياً لهذا المنهج ، فخلقه رقيقة ، وسيرته عطرة بسنته الرشيدة ، فقد كان خلقه أعلى خلق وصفه به صحابته رضوان الله عليهم هو القرآن الكريم .⁽¹²⁾

والقرآن جمع كل العلوم الكونية والروحية ، ولم يترك في القرآن شيئاً إلا أرشدنا الله إليه ، فليس هناك في الإسلام علوم محرمة علي المسلمين ؛ لأن المسلم كلما ازداد علماً كلما ازداد من الله قريباً ، وازداد قدرة علي معرفة أسرار الحياة واستحقاقاً لهذا التكريم الذي كرمه الله سبحانه وتعالى به ؛ حيث جعله خليفته في الأرض في قوله تعالى :

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة : 29) .

الخلاصة :

فالقرآن الكريم يدعو في آيات كثيرة إلى النظر في ظواهر الوجود ، ومظاهر الحياة ، وقد جعل من الكون كله كتاباً للمعرفة ، ووجه القلوب والعقول والأبصار إلى بدائع صنع الله ، ودعا إلى التفكير في آياته ، وأسراره ، وفهم نظمه ونواميسه وبذلك فتح بهذا العرض والتوجيه ، باب العلم علي مصرعيه أمام المسلمين ، وحرر العقول والتفكير ، من أسر الجحود والجهل ، وأغرى بالبحث والدراسة ، في العلم⁽¹³⁾ ، ولذلك كان العلماء في الإسلام هم ورثة الأنبياء ، وكان من سلك طريقا يطلب به علماً ، سهل

⁽¹²⁾ ينظر : دراسة مقارنة لتاريخ التربية : د. عبدالغني عبود، دار الفكر العربي، القاهرة، 1978 م، (192) .

⁽¹³⁾ ينظر : منهج القرآن في التربية : محمد شديد، مكتبة الآداب، القاهرة (137) .

الله له طريق إلى الجنة ، ويلاحظ في مفهوم العلم ، الذي يرد كثيراً في الآيات القرآنية ليس قاصراً علي علوم الدين فقط .

الفصل الرابع

بناء التربية الإسلامية :

نظراً لأهمية الدور الذي تقوم به التربية ، في بناء الشخصية الإنسانية الصالحة ، والشخصية المؤمنة ، الصادقة ، المعبرة عن التربية الإسلامية ، الوظائف الأساسية للأنبياء والمرسلين ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (البقرة : 128) .

لقد نادى الإسلام بمجموعة من المبادئ تتعلق بالكون ، والحياة الإنسانية والمجتمع ، والمعرفة ، والأخلاق ، كلها تصلح لأن تكون إطاراً فعلياً لأحدث أنواع التربية ، وأنفعها للإنسان والمجتمع والحياة ؛ لأن الدين الإسلامي ليس كمثل من الأديان الأخرى التي تقتصر علي شؤون العبادة ، وعلاقة الإنسان بالعالم القدسي فقط، ولكنه دين يتغلغل في صميم الحياة الاجتماعية ، وينظم شؤونها ، ويصحح القواعد المختلفة في نواحيها ، واتجاهاتها الصحيحة .

ولذلك رسم الإسلام للتربية الإسلامية ، أهدافاً وغايات تفوق في شمولها وتكاملها وترابطها ، وواقعتها أحدث الأهداف التربوية ، وجعل في مقدمة الأهداف بناء الشخصية الإنسانية المتكاملة في نموها ، ووضع الأسس القيمة لمناهج تربوية سليمة ، تسير الفطرة البشرية السليمة ، وتلبي حاجات الإنسان الدنيوية والأخوية ومتطلباته للتنمية والقوة والازدهار ، وتستجيب للميول والرغبات المشروعة ، وتفتح صدرها لكل علم نافع ، سواء كان يتعلق بأمور الدين ، أو بأمور الدنيا ، أو بهما معاً .

كما وضع الإسلام الأسس السليمة لطرق تدريس صالحة ، تحترم شخصية المتعلم ، وحاجته وميوله ، وتدفعه إلى المشاركة الايجابية الفعالة في العملية التربوية وتعوده علي البحث والتقصي ، والصبر في سبيل المعرفة ، وتؤكد جانب العمل والخبرة والممارسة العملية ، وترفع من شأن القدوة الحسنة .⁽¹⁴⁾

⁽¹⁴⁾ ينظر : أسس التربية الإسلامية، عمر التومي الشيباني، 1979 م، (101) .

الخلاصة :

في إطار بناء المبادئ التربوية النبيلة التي رسمها الإسلام ، في تطور وتعلم وترى علماء الإسلام ، في تكوين شخصياتهم ، فجاءت مشبعة بروح الإيمان والعقيدة ، ومتحلية بروح الفضيلة والأخلاق الحميدة ، فهي عملية في حياتهم وموافقة لأفكارهم ، ولهذا استطاع هؤلاء العلماء المخلصون أن يفيدوا ويؤثروا في غيرهم ويضربوا علي أنفسهم القدوة الحسنة ، والمثل العليا التي يهتدي بها .

ومما نتج عن مبدأ شمولية التربية الإسلامية لكافة الجوانب الشخصية الإنسانية مبدأ آخر في غاية الأهمية ، تمتاز به التربية الإسلامية عما عداها من أنواع التربية الأخرى ، وهي أنها تتجه في تربية الإنسان إلي البداية ببناء نفسه من الداخل ، ثم تقييم بناءه الخارجي علي أساسه .

وترى البناء الداخلي للفرد في تكوين ضميره وخلقه الطيب الطاهر ونفسه المؤمنة المتشعبة بروح الإيمان، وبمعاني الأخوة، والرحمة، والعدل، والإحسان والصدق، والوفاء، والإخلاص، لكل أبناء البشر .

وهذا أساس العمل الناجح وبناء المجتمع الصالح في الخير لهذا الوجود وأساس قيام الحضارة الإنسانية الصالحة ، ولذلك تقوم التربية الإسلامية التي تستخدم مبادئها وقيمها وروحها من القرآن الكريم. يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ (يونس : 9) .

الفصل الخامس

أسس التربية الإسلامية :

ومن الملاحظ أن التربية الإسلامية تؤكد كثيراً علي تربية الضمير أو القلب السليم، وترى أنه أساس التربية الصالحة للفرد، وقد أوضح القرآن الكريم في كثير من آياته، في وسائل تربية الضمير أو القلب، ومن بين تلك الوسائل هي : الإيمان والتقوى، والإخلاص، والعبادات، وإليك إيضاح كل وسيلة من هذه الأساسيات علي النحو التالي :

أولاً : الإيمان :- (15)

يعد الإيمان الدعامة القوية للدين ، وأساس الحياة الصالحة ، فالإيمان موضعه القلب ، وهو ينبوع الذي تسقي منه الأخلاق الفاضلة ، وتقود الإنسان إلي معرفة الحق والحقيقة ، والعلم مبني علي أساس

(15) ينظر : العقيدة والأخلاق : محمد بيسار، (90) .

من الإيمان القوي الراسخ ، ويقوده لا محالة إلي العمل الصالح الذي يرضى الله ورسوله ، وهو الذي يهدي القلب ويعصمه من الضلال ، والانحراف ، والزيف .

وإن القلوب العامرة بالإيمان ، والمتوكله علي الله سبحانه وتعالى لا يجد الشيطان عليها سبيلاً ، والإيمان الصحيح الصادق هو المسيطر القوي علي القلب وعلي الإرادة .

والقرآن الكريم يوجه كثيراً من آياته التي يستهدف بها الإنسان ؛ بأن يوقظ شعوره وأخلاقه ، ويذكره الأساس المتين للدين ، بالإيمان بالله وحده ، والتفكير في الكون ومخلوقاته .

ولهذا كان لابد للقلب من مداومة العقل الذي يجلبوا صدره ويصفي معدنه وقد عالج الإسلام الإنسان بما يصون روحانيته ، وبقية شر ماديته في قول رسول الله صلي الله عليه وسلم : (ألا أن في الجسد مضغة إن صلحت صلح الجسد كله و إذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب) .⁽¹⁶⁾

وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (الشعراء : 88 – 89)

ثانياً : التقوى :

محلها الضمير أو القلب ، وهي صيانة النفس عن الآثام ، ويوضح القرآن الكريم التقوى في حياة الأفراد والجماعات ، ويرغب فيها بأساليب مختلفة في مثل قوله تعالى :

﴿ فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (الأعراف : 35) .

وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ (النحل : 128) . والحاصل ينبغي للمؤمن أن يتوجه بالإخلاص في العمل ؛ حتى ينتج هذه التقوى ويصبح الإنسان رقيب نفسه ، يتحدى المقاومات الخارجية الضاغطة عليه بالالتجاء والرجوع إلي مولاه في السر والعلانية .

ثالثاً : الإخلاص :

والمقصود بالإخلاص في التربية الإسلامية هو أن يقصد الإنسان بعمله وجه الله ورضاه ، دون رياء ، أو تظاهر كاذب يرضى به الناس ولا يرضى به الله .

⁽¹⁶⁾ أخرجه البخاري ، في حديث رقم (52) (28/1) ومسلم في صحيحه ، في حديث رقم (4101) (50/5) .

وقد حث الله سبحانه وتعالى علي الإخلاص في الأعمال والعبادة وفي الالتجاء إليه وحده بقوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ (الأعراف : 29) . وجاء في السنة عن الإخلاص أيضاً بقوله (الإخلاص سر من سرى استودعته قلب من أحببته من عبادي)⁽¹⁷⁾

رابعاً : العبادات :

وهي محل الاجتهاد والعمل ، وهي التي فرضها الله علي المسلمين في كثير من الأسرار النفسية والاجتماعية ، والمقاصد الحيوية ، التي تستهدف خير الإنسان وتربية قلبه السليم ، ومن قمة هذه العبادات : الصلاة لأنها تنهي عن الفحشاء والمنكر ، حيث يقضي الإنسان فيها فترة من يومه ، بعيداً عن الحياة الآلية ، ويخرج منها إلي ميدان الحرية الفكرية ، والصفاء الروحي ، واقفاً بين يدي ربه ، يناجيه بالتدلل والخضوع ، متذكراً ومتدبراً وحاشعاً لله ، حتى يجد الإنسان تحقيقاً لما يشرح صدره ويطمئن قلبه .

الخلاصة :

تتمثل العبادة في الأركان الخمسة ودورها المستديم الفعال في خلق شخصية الإنسان المسلم ، وتساعده علي تربية الضمير الواعي والقلب النابض ، وتهذيب الشعور والإحساس الراقى . ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ (يس : 60)

الفصل السادس

دعائم التربية الإسلامية :

ولا تكون هذه الدعائم إلا في الشخصية الإنسانية الناجحة ، وهي من مفاهيم التربية الإسلامية وهي تشمل ثلاث ركائز علي النحو التالي : ((الضمير - العقل - الإرادة)) .

أولاً : الضمير :

وهو القلب السليم ، وهو الركيزة ، أو الدعامة الأولى التي تقدم عليها التربية الإسلامية في تكوين الإنسان الصالح ، ويقصد بالضمير هنا :

⁽¹⁷⁾ أخرجه : العراقي في المغني ، بهامش كتاب : إحياء علوم الدين ، وهو حديث مرسل ، رواه القشيري في الرسالة

بسند ضعيف .

الوازع الباطني الخفي ، الذي يرشد الإنسان إلى دائماً إلى الصواب ، ويوجهه إلى الخير وإلى الحق .
والقرآن الكريم يشير دائماً إلى أولى الألباب ، وإلى أصحاب الضمائر الحية والقلوب الصافية ، والنيات
الصحيحة ، والجوارح الطائعة ، والألسن الذاكرة الخائفة المرتجفة إلى خالقها ؛ فبذلك تسلك إلى النور
الذي يهدي الإنسان في مسالك الحياة ويملاً النفس اطمئناناً ورضاً .

الخلاصة :

ترتكز علي أن القلب السليم هو الدعامة الأولى ، والصلة بالله سبحانه وتعالى هي الدعامة الثانية ،
ولذلك تتوجه التربية الإسلامية اهتمامها إلى هذه الدعائم في تربية الإنسان المسلم ، وقد نوه القرآن
الكريم بالقلب السليم ، أي الخاشع الذي أوضح الوسائل الايجابية لتربيته وكذلك العوائق التي تعترضه ،
وتوجيه الإنسان إلى الحياة الراضية المرضية ، فيقول سبحانه وتعالى :

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (الشعراء : 88-89) .

ثانياً : العقل :

ويتميز العقل : بالنعمة العظمي التي خصّها المولى سبحانه إلى الإنسان وبدون العقل تكليف، ومن
هنا يبرز دور العقل في دعائم الشخصية الناجحة الرشيدة في مفهوم التربية الإسلامية بالتربية العقلية، في
اتساع تنميته وتقويته ويكون ذلك عن طريق الثقافة الواسعة بصفة عامة، والثقافة الإسلامية بصفة
خاصة.

وهذا تجب العناية بالتربية الدينية والثقافة الإسلامية ، في مدارسنا ومعاهدنا في مختلف مراحل التعليم
حتى نصلح من شأن مجتمعاتنا علي مستوي الدولي والفردي ، وعندها نكن صالحين قادرين على
إحداث النهضة العلمية والاقتصادية بالوجه المطلوب .

الخلاصة :

تتمثل في الوعي التام في مختلف أنواع الثقافة من حيث العام والخاص وفي تهذيب شخصية الإنسان
وفي تقويم خلقه وإيقاظ عاطفته الروحية ، وتعمقه في الثقافة الكونية ، التي يدرك منها الإنسان قدرة
الخالق جل جلاله في إبداعه الكوني وينتج من هذا إيماناً راسخاً بأن الله هو الفعّال لما يريد ، بيده كل
شيء وإليه المصير .

ثالثاً : الإرادة :

وهي الدعامة الأخيرة من دعائم الشخصية الإنسانية الإسلامية الناجحة وهي الإرادة الصحيحة في مفهوم التربية الإسلامية وهي القوة الموجهة والواقية للإنسان منذ بداية نشأته حتى لا يقع في الانحراف والانزلاق إلى الشرّ والفساد. وفي القرآن الكريم آيات دالة كثيرة علي تنوّه بالعزم الصادق في قوله تعالى:

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾. (الأحقاف : 35)

ومثل قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (آل عمران : 186).

فالإرادة : هي المنهج المقدرّ والمتصرف بقدرته وإرادته سبحانه وتعالى فنجد إرادة المولى في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومواقفه وجهاده في سبيل نشر الدين ، وتبليغ رسالة الإسلام إلى الناس كافة ، بأمثلة رائعة للعزم الصادق والإرادة القوية .⁽¹⁸⁾

الخلاصة :

تتجه التربية الإسلامية في تكوين الشخصية الإنسانية الصالحة . وترتكز علي تكوين شخصيته من النواحي الأساسية ، التي لا تقوم شخصية ناجحة في الحياة إلا علي أساسها ، وهي تكوين الضمير الحي اليقظ ، والعقل الواعي المستنير ، والإرادة القوية الصلبة ، التي تجعل الإنسان لا ينحني ولا ينحرف ، ولا تعصف به الزوابع الغابرة ، أو العواصف الجاحمة .

وختاماً الخلاصة

ترتكز بالقول بأن التربية الإسلامية منشأها تكوين الإنسان الصالح في المجتمع ، ولا يكون كذلك إلا ببناء نفسه من الداخل والخارج ويعتبر هذا أساس العمل الناجح ، ولا ينبغي هذا إلا النفس البشرية السوية الراشدة ، ولا يعتمد هذا إلا علي أساس وقواعد الأخلاق الإسلامية وبذلك كفلت التربية الإسلامية لكل فرد حاجته وسعادته، كما كفلت للمجتمع المسلم لا ترابطه وطمأنينته، واستقراره السياسي والاجتماعي ، والاقتصادي.

ومنهج التربية الإسلامية يقوم علي أساس تحويل الشعور الباطني بالعميقة وآدابها إلى حركة سلوكية واقعية ، ثم تحويل هذه الحركة إلى إعادة البناء السليم طبقاً لأهداف الإسلام ، وهو الإيمان الراسخ ، حتى

⁽¹⁸⁾ ينظر : عبد الحميد حسن، المؤتمر الثاني لجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، 1965 م، (328) .

تتكون دولة صالحة ومصلحة علي دعائم ثابتة وقوية ، بتعليمها وتقديسها للعلم والمتعلمين ، بالمنهجية التربوية الإسلامية الصحيحة ، التي أرادها الله منا للوصول إلي أسمى غاياتها .

في قوله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (آل عمران : 110)

المصادر والمراجع

- 1- القرآن الكريم.
- 2- لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت، 1955م.
- 3- نحو منهج إسلامي في التربية والتعليم، عباس محجوب، دمشق، 1975م.
- 4- القاموس المحيط، مجد الدين يعقوب، بيروت، 1978م.
- 5- آفاق التربية الحديثة في البلاد النامية، محمد فاضل، تونس، 1978م.
- 6- الفكر التربوي في الإسلام، علي خليل مصطفى، مكتب التربية، الرياض 1986م.
- 7- أساليب تدريس التربية، تيسير طه، دار الفكر للنشر عمان، ط/1. 1992م.
- 8- البيهقي في السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر، مكة المكرمة، 1994م.
- 9- مسند أحمد، مؤسسة قرطبة، القاهرة.
- 10- الأسانيد: لأبي عمر بن عبد البر، تحقيق: مصطفى العلوي، ومحمد البكري.
- 11- البيهقي في شعب الإيمان، تحقيق: محمد سعيد، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 12- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي، تحقيق، حسام الدين، القاهرة. 1994م.
- 13- كشف الخفاء: إسماعيل العجلوني، الهداوي ط/1، 2000م.
- 14- إصلاح المساجد من البدع، تحقيق: محمد ناصر، المكتب الإسلامي بيروت، ط/5. 1403هـ.
- 15- صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب، دار ابن كثير، بيروت.
- 16- صحيح مسلم، دار الجبل، بيروت.

- 17- إحياء علوم الدين، دار ابن حزم، لبنان، ط/5، 2005م.
- 18- الإنسان في القرآن، عباس محمود العقاد.
- 19- الجانب الأخلاقي من التربية الإسلامية، تركي دايج، مطبعة الثقافة . 1977م.
- 20- دراسة مقارنة لتاريخ التربية، عبد الغني عبود، دار الفكر العربي، القاهرة 1978م.
- 21- منهج القرآن في التربية، محمد شديد، مكتبة الآداب، القاهرة.
- 22- أساس التربية الإسلامية، عمر التومي، 1979م.
- 23- العقيدة والأخلاق، محمد بيصار.
- 24- المؤتمر الثاني في جمع البحوث الإسلامية، القاهرة، عبد السلام حسن 1965م.

من أسرار ثراء اللغة العربية
 للباحث : المبروك رحومه الذويب
 جامعة الزاوية

ليبيا

مقدمة

اللغة أَلْفَاظٌ يعبرُ بها كل قوم عن أغراضهم، هذه الألفاظ التي تبدأ بسيطة في صورة إشارات أو أَلْفَاظٍ مشوشة لدى الأطفال، وتنتهي بما يسطره العلماء من أدبٍ وعلمٍ وفنٍّ، كَلَّه مُعَبَّرٌ عنه بتلك الألفاظ التي نسميها " اللغة " عند تركيبها، واللغات البشرية كثيرة متنوعة بتنوع الجنس البشري، زماناً، ومكاناً، وخلقاً... ولكنها متحدة من حيث المعنى، حيث أن المعاني التي يعالجها الإنسان، ويحتاج إليها في حياته اليومية متشابهة إن لم تكن متحدة، أي أن المعنى الواحد الذي يخالج ضمائر الناس واحد، ولكن كل قوم يعبرون عنه بلفظ مختلف - في الغالب - عن لفظ الآخرين، ومن هنا اتحدت المعاني واختلفت طرق التعبير عنها من لغة إلى أخرى، ومن قوم إلى غيرهم، بل قد يحدث الاختلاف بين جيل وجيل في اللغة الواحد، لأن اللغة كائن حي ينمو ويفقد مع الزمن شيئاً من أجزائه، بل قد تتعرض اللغة إلى الفناء والزوال إن توفرت عوامل معينة في حياتها .

واللغة العربية إحدى هذه اللغات الإنسانية، حافظ العرب عليها حتى وصلت إلينا من طريق النقل، وحفظها لنا القرآن الكريم، وما صحَّح من الأحاديث النبوية الشريفة، وما رواه الثقات من منثور العرب ومنظومهم، ومعلوم كيف تطورت اللغة العربية بعد أن تفرعت عن السامية القديمة، وبمرور الزمن، ومع تطور الفكر العربي، واتصال قبائل العرب بعضها ببعض، الأمر الذي أدى إلى ظهور اللغة العربية الفصحى، هذه اللغة التي تم تنقيحها والارتقاء بمبانيها ومعانيها، وكان تحليدها بنزول القرآن الكريم بها، هذا الحدث الذي أدى إلى نتيجتين أبديتين هما :

أولاً :- خلود هذه اللغة بخلود القرآن الكريم، فهي محفوظة بحفظه المحقق بقوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ 1

ثانياً :- أن اللغة العربية من خلال القرآن الكريم وصلت إلى قمة لن تعلوها .

ونتيجة لهاتين الحقيقتين عمل العرب من أجل المحافظة على هذه اللغة من خلال توثيق وتقنين قواعدها، تلك القواعد والقوانين التي تم استنباطها من استقراء كلام العرب المتمثل في القرآن الكريم، وأشعار العرب، وما نقل عنهم من منثور الكلام حتى نهاية عصر الاحتجاج، كان ذلك بعد أن خشي أهل اللغة من ضياعها نتيجة اختلاطهم بالأعاجم، وتسرب اللحن إلى اللسان العربي، ذلك الأمر المفزع جعل العرب يدونون لغتهم في معاجم " قواميس"، وأصلوا لها أصولاً تحفظها من الخطأ، تلك الأصول

هو ما نعرفه اليوم بعلوم العربية من : نحو، وصرف، وبلاغة ... وعن طريق هذه العلوم يتوصل العربي إلى عصمة لسانه وقلمه عن الخطأ .

اللغة العربية من أوسع اللغات انتشاراً، وسعة فكر، وتنوع مفردات، ومع ذلك فإن أجزاء الكلام الثلاثة، اسم، وفعل، وحرف، وقد تساءل البعض، لماذا كانت ثلاثة؟ فجاء الجواب : إن هذه الأقسام يعبر بها المتخاطبون عن جميع ما يخطر ببالهم من المعاني، فلو كان ثمة قسم رابع متروك لبقى في النفس معانٍ لا يمكن التعبير عنها، بإزاء القسم الساقط، لأنه لو سقط بعض هذه الثلاثة لسقط معناه .

وقد تحدّث علماء النحو والصرف عن هذه الأقسام طويلاً وحددوها تحديداً دقيقاً، وميزوا بعضها من بعض بحدود وضوابط تدل السالكين طريق العربية إلى سواء السبيل، وفي إشارة إلى الأقسام الثلاثة يقول ابن جني " وأجزاء الكلمة الثلاثة مما اهتم به العرب دون تفريق، وإن كانت رتبة الاسم لها في النفس من حصّة القوة والضعف أن تكون قبل الفعل، والفعل قبل الحرف، ومع ذلك علموا أهم محتاجين إلى العبارات عن المعاني، وأنها لا بد لها من الأسماء والأفعال والحروف، فلا عليهم بأيها بدءوا، لأنهم قد أوجبوا على أنفسهم أن يأتوا بهمّ جمع، إذ المعاني لا تستغني عن واحدة منهن . 2

وهم مع ذلك أجازوا لأنفسهم الحذف بصوره المختلفة، والتقديم والتأخير، والإيجاز والإطناب .. ليتحقق لهم المراد من اللغة، وهو أداء المعنى في أجمل صورة بأقل جهد وأقصر وقت .

وسيكون مدار البحث حول معاني الكلمة العربية ومصادر ثراء هذه اللغة وسرّ تقدّمها وأسباب الارتقاء بها، على أن يشمل البحث مقدّمة، ومطالب هي :

- أقسام الكلمة العربية وتميّز بعضها من بعض .
- الاشتقاق وتصرف العرب في لغتهم من خلاله .
- تغيير صورة اللفظ وما يتبعها من تغيير في المعنى .
- تنقل اللفظ الواحد بين معاني أجزاء الكلمة .

على أن يختتم البحث بما يكون من نتائج، مع بعض التوصيات، وسيكون المنهج الوصفي الاستقرائي السبيل إلى السير في هذا البحث .

تصرف العربي في لغته :

عندما عبّر العربي عن أفكاره وحاجاته وجد نفسه في حاجة إلى رموز يستخدمها في ذلك ، فكانت تلك الرموز المعبر عنها بالألفاظ ليضفي على كل لفظ معنى، وباختلاف المعاني والأحوال التي يكون عليها اللفظ قسّمت تلك الألفاظ إلى : اسم، وفعل، وحرف، ومن خلال الاستعمال الذي أوجبه الحاجة تمّ تحديد كل قسم بمميزات تفصله عن غيره، وباستقراء كلام العرب وجد أهل النحو والصرف أن

: الاسم ما دلّ على جثّة وغير جثّة خارجاً عن الزمن، ومن علاماته : الجر والتنوين والنداء وقبوله الألف واللام ...

ثمّ قالوا إنّ الفعل " ما دلّ على معنى مقترن بزمان، وقسموه وفق ذلك إلى : ماضٍ، وحاضر، ومستقبل، وجعلوا لكل ذلك إشارات ودلالاته المفضية إليه، المميّزة له عن غيره .

كما وجدوا أنّهم يستعملون - أثناء تركيب كلامهم - شيئاً غير الاسم وغير الفعل، فأطلقوا عليه لفظ " الحرف " وقالوا بأنه ما دلّ على معنى في غيره، ولا يأخذ علامة من علامات الاسم أو الفعل، وقسموها إلى : مختصّة وغير مختصّة، وعاملة وغير عاملة ...

وبوجود هذه الأقسام الثلاثة تمّ لهم ما أرادوا، وعبروا عما يختلج في نفوسهم من معانٍ، ولكنهم قي هذا الاستخدام وجدوا أنفسهم في حاجة إلى التوفيق بين صحّة المعنى وجمال المبني، فكان لهم ذلك عن طريق، التقديم أو التأخير، والحذف أو الزيادة ... سواء ذلك في الألفاظ أو الحروف وما يصاحبها من حركة أو سكون، ما أتاح لهم الوصول إلى مراميهم، شعراً أو نثراً، وإنّ توسّعوا وأباحوا للشاعر ما لم يبيح لغيره، ومع كلّ ذلك نجد العربي في سعة من أمره عند استخدام لغته .

وأخذ كل قسم من هذه الأقسام صوراً مختلفة داخل القسم الواحد، فالاسم أقسام باعتبارات مختلفة من حيث الإعراب والبناء، هذه الظاهرة أدّى إليها شكل بناء الاسم من حيث الصحّة والاعتلال ومشابهته للفعل أو عدمها، لهذا وغيره انقسمت الكلمة العربية إلى : معربة ومبنيّة ، كما اختلفت أنواع الإعراب لأسباب متباينة ما جعل منه الظاهر والمقدر والمحلي، وبالمثل نجد اختلافاً في علامة الإعراب تبعاً لتفرّع أقسام الاسم، فالاسم المعرب منه متمكن أمكن، أي : المعرب المنصرف، ومتمكن غير أمكن، أي : الممنوع من الصرف، وكذلك المعرب من الأفعال وهو المضارع في بعض أحواله، وكيف يتناوب عليه الإعراب والبناء، وعلامات أعرابه، وكيف تصرّف العرب في هذه العلامات، حركةً أو حرفاً ، إثباتاً أو حذفاً ...

لقد تكلم العربي بكل ذلك فرسم لوحة فنيّة غاية في الدقة والجمال، من حيث الترابط اللفظي والصوتي، وهو لا يعير أدنى اهتمام لما يقوله أهل النحو والصرف اليوم، ولا يهتم بما يبدو منه من علل لهذه الظاهرة أو تلك، إنّما فعل ذلك بفعل السليقة التي عليها تربى، وفي ذلك قال شاعرهم :

ولست بنحوي يلوك لسانه ولكني سليقي أقول فأعرب

والسليقة هي سبيل العربي الأول إلى استقامة لسانه، والتناغم مع لغته دون أن يعبث بما يقول أو يسمع ، فلسانه لا يطاوعه، وأذنه لا يشنّفها غير فصيح هذه اللغة وصحيحها .

إنّ تسرّب اللحن إلى اللغة العربية كان متأخراً ونتاجاً عن اختلاط العرب بالأعاجم الذين أفسدوا هذا اللسان، وما نشعر به اليوم من معاناة في الدرس اللغوي إلا نتيجة لذلك .

إن سبيل الدرس اللغوي في مجموعته، للحفاظ على هذه اللغة وتطويرها، هو العودة إلى منابعها الأصيلة، وعبر الطرق التي تعامل من خلالها العربي مع لغته، وكيف أوجد وسائل إثراء هذه اللغة، وكيف عبر من خلالها عن حاجاته، ومن خلال هذه العودة نجد أنه اعتمد في ذلك سبلاً شتى منها :

■ الاشتقاق : وهو في اللغة أخذ شق الشيء، والشق من كل شيء نصفه، والاشتقاق أخذ الكلمة من الكلمة 3، وفي الاصطلاح : تناسب بين اللفظين في المعنى والتركيب بحيث يرد أحدهما إلى الآخر، نحو : "ضرباً" إلى الضرب والضارب والمضروب ... نظراً للمناسبة التي بينها في اللفظ والمعنى وهذا يبيح أن نقول : إن هذا مشتق من ذلك، وهو نوعان :

■ الأكبر : ويقصد به عقد تراكيب الكلمة كيفما قلبتها على معنى واحد، وقد أطل ابن جني عند ذكر هذا الباب وزعم أنه لم يسبق إليه وإن تناوله أبو علي الفارسي واستعان به، إلا أنه لم يسمه، يقول ابن جني " هذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا، غير أن أبا علي - رحمه الله - كان يستعين به، ويخلد إليه، مع إعواز الاشتقاق الأصغر، لكنه مع هذا لم يسمه ... وإنما هذا التقليب لنا نحن " 4

وابن جني يوضح الاشتقاق الأكبر بقوله " ... أن نأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية فنعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً ... " ومعلوم أن كلما زاد عدد أصول اللفظ زادت تقاليبه، وأن تلك التقليب كثيرة كانت أو قليلة، منها المستعمل ومنها المهمل، هذه واحدة من أشهر أسباب توسع هذه اللغة واستمرار حياتها، رغم الصعاب التي تمرُّ بها .

وابن جني لم يقف عند هذا الحد بل أشار إلى شيء استنتجه من استقرار كلام العرب من خلال تلك التقليب والمعاني التي تجلبها، ففي نظريته إلى تقاليب " ك - ل - م " قال إنها تدل على القوة والشدة ، وأن تقاليب " ق - و - ل " تدل على الإسراع والخفة، وهكذا في " س - م - ل " قال بأن المعنى الجامع لها المشتمل عليها، الإصحاب والملاينة، ومثل لها بالثوب السمل وقال، والسمل : القليل من الماء، والمسمل والمسمل كله واحد ... ولكنه لم يشر إلى ما يفيد معنى الشدة والقسوة من مثل - سمل العينين . سمل عينه واستملها : فقأها 5، غير أنه استدرك في آخر حديثه عند ما قال " واعلم أننا لا ندعي أن هذا مستمر في جميع اللغة " 6

■ أما الاشتقاق الأصغر فهو : إنشاء مركب من مادة يدل عليها وعلى معناها، كأحمر من الحمرة ، وكأزرق من الزرقة ... ويقصد به عقد تصاريف تركيب من تراكيب الكلمة على معنى واحد وذلك، نحو : " ضارباً ، وضرباً ، وضروباً ... " ذلك كله عائد على معنى واحد هو : الضرب ... ويرى ابن جني بأنه " ما في أيدي الناس وكتبهم؛ كأن تأخذ أصلاً من الأصول فتتفرقه فتجمع بين معانيه، إن اختلفت صيغته ومبانيه ، وذلك كتركيب " س - ل - م " تأخذ منه

معنى السلامة في تصرفه، نحو : سلم، ويسلم، وسالم، وسلمان، وسلمى، والسلامة، والسليم

7 ...

وكل هذا لم يعانهِ العربي واضح هذه اللغة، ولم يشغل نفسه بهذه القوانين ولا بتلك الاستنتاجات، وإنما وضع لكل قضية حلاً من خلال لغة أحكم نسجها، هذا النسج الذي جاء بدقيق المعاني وجميل المباني .

وهذا الباب واحد من أهم أسباب اتساع اللغة العربية ودوامها، فالعرب اليوم يعالجون مشكلة المصطلح الوافد، والمحلي أن وجد، عن طريق العودة إلى ذلك المخزون اللغوي، يطوّعون لما يستجد عليهم من معانٍ .

■ تغيير صورة اللفظ : الحرف والحركة رمزان من رموز اللغة العربية تتحوّل عن طريقهما الكلمة الملفوظة إلى شكل مرسوم مُعبّر عنه بحرف تضبطه حركة أو سكون، وهذا غير بعيد عن الهدف من الاشتقاق المذكور سابقاً، وهذا يقودنا إلى علم الصرف والتعريف به .

الصرف - التصريف - يعرفه الميداني بقوله " علم التصريف أحد أركان الأدب، وبه يُعرف سعة كلام العرب، ومنه يتدرج إلى اللغة العربية ... 8 ، وفي أهميته يقول ابن جني " يحتاج إليه أهل اللغة العربية أتم حاجة ، وهم إليه أشدّ فاقة ؛ لأنه ميزان العربية ... 9 ، ولتعليل قوله هذا يضيف " التصريف أشرف شطري العربية وأغمضهما ، فالذي يبين شرفه احتياج جميع المشتغلين باللغة العربية - من نحوي وصرفي - إليه أيما حاجة ؛ لأنه ميزان العربية ... 10 "

التصريف علم يختص بالأسماء المتمكنة والأفعال المتصرفّة، وهو بذلك يشمل أغلب ما تمثله اللغة ، وانتقال الأسماء من حالة إلى أخرى، فكما يشمل التغيير مبنائها فكذلك يتغيّر معناها، ومن ذلك حالات الإفراد والجمع، وانتقال هذا وذاك من نكرة إلى معرفة، إلى مصغّر أو مكبّر، ومنسوب وغير منسوب ... ، كل ذلك يشمل سيلاً من المفردات التي تتولّد عن تلك التغييرات لها صيغها وأحكامها، وذلك كله ينطبق على الأفعال المتصرفّة، وانتقالها من المستقبل إلى الحال إلى الماضي، وما يصاحب ذلك من حالات البناء والإعراب، وما يتعاقب على المعرب منه من علامات الإعراب، سواء بالحركة أو الحرف أو الحذف، والكيفية التي تستوجبه، من إعراب ظاهر أو مقدّر أو محلي .

وبوضع هذه الألفاظ -بصيغها المختلفة - في تركيب تستخلص المعاني، وباختلاف التراكيب تختلف المعاني .

هذه إشارة إلى باب ثانٍ من أبواب سعة وثراء هذه اللغة، والذي حصره العلماء في خمسة أوضاع هي : الحذف أو الزيادة، والإبدال، والتغيير بالحركة أو السكون، والإدغام .

ما سبق يوصلنا إلى باب ثالث من أبواب ثراء اللغة العربية إنه :

توارد أقسام الكلمة على اللفظ الواحد، أي استعماله اسماً أو حرفاً أو فعلاً وفق متطلبات السياق، وهذا نجد في بعض الحروف التي استخدمها العربي بما يحقق له التوازن بين الألفاظ والمعاني، ما دعاه إلى نقل بعض الحروف من الحرفية إلى الاسمية حيناً وإلى الفعلية حيناً آخر .

وبالنظر في عمل الأقدمين في هذا المجال نجد أنهم قد أشاروا إلى ذلك من خلال دراساتهم اللغوية، فقد ذكر السيوطي هذا النوع من المفردات فقال " وتتبعها فوصلت إلى ثماني عشرة كلمة ... " 11 ، وقد وافقه بعض أهل اللغة في بعض ما ذهب إليه وخالفوه في البعض .

وحقيقة الأمر أن اللفظ قد يخرج من الحرفية إلى الاسمية، والحرف لا يصير اسماً وإنما لفظ آخر، لكن لما كان أحد اللفظين مثل الآخر جُعل لفظاً واحداً في الشكل ولكل منهما معنى يقصده الواضع ويعنيه المتكلم ... " 12 ، واختلاف الألفاظ معنى واتحادها شكلاً - في هذا الباب - محدود، وفي ألفاظ اختلف اللغويون في تحريجها، ولكنها ظاهرة موجودة في اللغة العربية، ومن هذه الألفاظ :

■ على : من الألفاظ التي تأتي مشتركات بين الحروف والأسماء والأفعال، وإن كان استعمالها حرفاً الأشهر، وقد عرفت في كتب النحويين على أنها حرف جرّ، وتتبع هذا اللفظ وجد أنه ومن خلال متطلبات معاني الكلم وأحكام اللغة يُستعمل في الأوجه الثلاثة .

■ فالأول : أنه حرف جرّ يكون أصلياً وزائداً، ويقصد بالأصلية، ما لا يُستغنى عنه معنى ولا إعراباً، ويحتاج إلى تعليق، ويقصد بزيادته أنه يستغنى عنه إعراباً لا معنى، لأنه جاء زيادة قى توكيد المعنى، ولا يحتاج إلى تعليق .

وقد تتبّع علماء اللغة هذا اللفظ والصور التي يأتي عليها، فكان أهمها كونه حرف جرّ وذكروا المعاني الدال عليها، وهي مبسوسة في كتب النحو من مثل : الاستعلاء، والمصاحبة، والمجازة، والتعليل، ...

وقد قدّم ابن مالك هذه المعاني حسب كثرة ورودها فجعلها مرتبة، الاستعلاء، ثم معنى في، ثم معنى عن ، ، وذكر أن هذا الحرف يتبادل المواقع مع كثير من الحروف، مع التمييز الدقيق بين المعاني ، وقال بهذا غيره من النحويين، منهم عباس حسن في النحو الوافي الذي قال فيه " على حرف جرّ أصلي وزائد يجزّ الظاهر والمضمر ... " وذكر أن أشهر معانيه ثمانية ، بدأها بالاستعلاء وجعله حقيقياً مباشراً ومثّل له ب " يعود السائحون إما على القطر وإما على السيارات ... ، ومجازياً ، نحو قوله تعالى " تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض " 13 .

■ الثاني : أن يكون اسماً مجروراً بمن، لأن حرف الجرّ لا يدخل على مثله، وجعلوا من ذلك قول ابن الطثيرة القشيري :

غدت من عليه تنفض الطلّ بعد ما رأت حاجب الشمس استوى فترفعا

وقول مزاحم العقيلي :

غدت من عليه بعد ما تمّ ظمؤها تصلُّ وعن قيضٍ بزيئا مجَّهل

حيث لا تكون " على " في هذين البيتين إلاّ اسماً لدخول من عليها، لأن من لا تدخل إلاّ على الأسماء، وعلى في البيتين جاءت ظرف مكان بمعنى عند أو فوق، وبالمعنى نفسه تقول : نزل فلان من على الجبل، ونزل الفارس من على ظهر الجواد ... وفي ذلك وما يماثله لا يكون " على " إلاّ اسماً . وقد تعسّف البعض في ذلك فزعموا أنه لا يكون إلاّ اسماً، ونسبوه إلى سيبويه، وذكر ابن هشام في المغني شاهداً على ذلك ، قول عروة بن حزام :

تحنّ فتبدي ما بها من صباية وأضفي الذي لولا الأسي لقضاني

أراد : لقضى عليّ فحذف " على " وجعل مجرورها مفعولاً، وجعل الأخصف على ذلك قوله تعالى " ولكن لا تواعدهنّ سرّاً " 14 ، أي : على سرّ ، وقول العرب : نزلتُ على الذي نزلت، أي : عليه ... ، وهذا مما تكثر العرب الحذف فيه لوجود ما يدلّ عليه، ولكن قولهم مع شواهد لا ينفي حرفية أو فعلية " على " إضافة إلى اسميتها .

الثالث : وفيه يكون " على " فعلاً ، وهذا أقلّ الوجوه استعمالاً ومنه قوله تعالى ﴿ إن فرعون علا في الأرض ﴾ 15 ، وعلى ذلك جاء قول امرئ القيس :

علا قطناً بالشَّيمِ أيمنُ صوبه وأيسرُهُ أعلى السَّنار فيذبلُّ

وتكون فعلاً في قولنا : زيد علا الجبل ، بالنصب، لأنّها من علا يعلو، وكُتبت الألف طويلة عوداً إلى قاعدة رسم الألف وفق الأصل .

واختم بقول ابن الخباز في الموضوع حيث يقول " وأما على فتكون حرفاً واسماً، ومن شواهد على أسميتها، قول الشاعر :

باتت تنوش الحوض من علا نوشاً به تقطعُ أجواز الفلا

وتجيء بمعنى " مع " ومنه قول الشاعر :

الموت عندنا أحلى من العسل لا جزع اليوم على قرب الأجل

أراد : مع قرب الأجل "16، وابن الخباز لم يشر إلى أن " على " قد تكون فعلاً، ويذهب مذهب الرضي في شرحه على الكافية .

من : تكون حرف جرّ، يذكر ابن هشام في المغني أنّها تأتي على خمسة عشر وجهاً، الغالب فيها أنّها ابتدائية، والبعض يرجع جميع المعاني إلى هذا، وما وجود هذا التباين في المعاني المستفادة من " من " إلاّ دلالة على حيوية هذه اللغة، وقدرة ألفاظها على جلب المعاني مع الفارق الدقيق بين معنى وآخر ، وذكر ابن مالك أنّها حرف جرّ، تكون للتبعية، أو بيان الجنس، أو ابتداء الغاية ... ، ومثل للتبعية

بقوله تعالى ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله ﴾ 17، وفي بيان الجنس جاء بقوله تعالى ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان ﴾ 18 ، وعلماء النحو يقولون أنه حرف جرّ يجيء أصلياً وزائداً، يجرّ الظاهر والمضمر. ومنهم من يقول باسميته، وجعل من ذلك قوله تعالى ﴿ فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم ﴾ 19، عند ما تكون " من " للتبعيض فهي في موضع المفعول به، ورزقاً مفعولاً لأجله، وذلك على رأي من قال : إذا قدرت من مفعولاً كانت اسماً .
وحرفاً .

عن : أحد خمسة أحرف قال ابن مالك بخروجها من الحرفية إلى الاسمية، وأوضح ذلك بجواز دخول " من " عليها وشاهده على ذلك قول قطري بن الفجاءة :

ولقد رأني للرماح دريئة من عن يميني تارة وأمامي

حيث فسّر " عن " بمعنى الجهة ، والشاهد نفسه جاء به ابن الحَبَّاز في توجيه اللُّمع، وأضاف بعده أنّها " أي : عن " اسم ومعناها المجاوزة، نحو : انصرفت عن جعفر، وصرف الله عنك الأذى " وهو من الألفاظ التي تأتي على معانٍ مختلفة، حيث يكون بمعنى " من " ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ﴾ 20، كما يكون بمعنى الباء ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾ 21 ، وقد جاء على ذلك قول امرئ القيس :

تصدّ وتبدي عن أسيل وتنتقي بناظرة من وحش وجرّة مُطْفَل

أراد : بأسيل، وهو في الواقع ابتعد عن تكرار سيكون مملولاً لو حدث، والعربي يبحث عن جمال المبنى قدر بحثه عن جمال المعنى .

ويذكر هنا -تكملة للباب - بعض الألفاظ التي استخدمت بأكثر من معنى ، وأذكر من ذلك " ربّ " التي رأى بعض النحويين أنّها حرف جرّ شبيه بالزائد، ويرى غيرهم أنّها قد تكون اسماً، وجعلوا من ذلك قول الشاعر :

إن يقتلوك فإن قتلك لم يكن عارٌ عليك وربّ قتل عارٌ

حيث جاءت " ربّ " مبتدأ، وعار خبر لها، غير أن الرضي فضّل أن تكون " عار " في البيت خبر مبتدأ محذوف، والكوفيون يذهبون إلى أسميتها واستدلّوا على ذلك بخصائصها التي تفارق فيها حروف الجرّ، وهو ما ذهب إليه الأخفش 22 ، ومن الألفاظ التي استعملت اسماً كما استعملت حرفاً " مُذ ومنذ " ولا فرق بينهما إلاّ في عدد الحروف . تيسيراً وتوسّعاً - فهما اسمان في موضعين : الأول - أن يرتفع ما بعدهما ، نحو : مذ يوم الجمعة ، ومنذ يومان ، على اعتبار كل منهما مبتدأ رافعاً للخبر بعده .

الأحر : أن يليهما فعل، نحو : أتيتك مذ قام زيد، ومنذ دعا عمرو، وما عدا ذلك فهما حرفان، ويضع ابن الخباز بينهما فرقا حيث يرى أن " مذ " الأغلب أن تكون اسماً، لأنها قد دخلها الحذف، والحذف تصرف، وذلك لا يكون في الحرف ... 23
وكما حُمِلت بعض الألفاظ أكثر من معنى من معاني الكلمة ، فكذلك فعل ببعض الحروف المفردة، فمن ذلك :

ك : من الحروف المفردة التي تستعمل حرفاً واسماً، فهي حرف من حروف الهجاء، كما أنها تستعمل حرف جرّ، وقد تكون اسماً، ومن شواهد ابن مالك على اسمية الكاف، قول الأعشى :
أتنهون ولن ينهي ذو شطط كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل
حيث جاء الكاف في موضع رفع على الفاعلية في قوله " كالطعن " 24 ، وقد جاء في " اللباب في النحو " أن ورودها اسماً قليلاً، وبين أنها تأتي فاعلاً ومفعولاً، فمن مجيئها فاعلاً قول امرئ القيس :
وإنك لم يفخر عليك كفاخر : ضعيف ولم يغلبك مثل مُغلب، أراد : لم يفخر عليك مثل فاخر ضعيف ، ومنه قول أبي الطيب المتنبي :

وما قتل الأحرار كالغفو عنهم ومن لك بالحرّ الذي يحفظ اليدا

حيث جاء الكاف في محل رفع فاعل قتل 25 .

ومن وروده مفعولاً به ما جاء في قوله تعالى ﴿ أُنِيَّ أَخْلَقَ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفَخَ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ 26 ، فُسر : بمثل هيئة الطير حيث يعود إليه الضمير في لفظ " فيه " .
وقد يكون الكاف اسماً واقعاً في محل جرّ، ومن ذلك قولنا " تبسم فلان عن كاللؤلؤ المكنون "، ومن شواهد ابن الخباز على اسمية الكاف قول العجاج :

بيض ثلاث كنعاج جمّ يضحكن عن كالبرد المنهم 27

وهو شاهد الرضي في شرح الكافية حيث قال " الكاف للتشبيه ، ودليل حرفيته، وقوعه صلة في نحو : جاء الذي كزيد، وتتعين اسميتها إذا انجرت ... ، وجاء بهذا الشاهد، وقد قال بزيادها في حال دخولها على " مثل " نحو قوله تعالى ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ 28 ، أو دخول " مثل " عليها كقول رؤبة :

ومسهم ما مس أصحاب الفيل ولعبت طير هم أبابيل

فصيروا مثل كعصف مأكول، وقد علل زيادتها بأن لا يشبهه بالمشبه، فلا بدّ من زيادة إحدى أداتي التشبيه، وزيادة ما هو على حرف واحد أولى ... 29

ومن الحروف المفردة عجيبة الاستعمال في اللغة العربية حرف " الهاء " الذي يكون حرفاً في " إياه " واسماً ضميراً في، نحو : ضربته ، ومررت به ، وفعل أمر من : وهي - يهي ، وهذه تعرف عند البعض بهاء التأنيث، وتعرف عند العامة بتاء التأنيث، ورغم إطلاق نسبتها إلى التأنيث فإنها تأتي لأغراض

عديدة لا علاقة لها بالتأنيث ومنها : تكون علامة للمذكر وسقوطها علامة للتأنيث، وذلك في العدد يقال : ثلاثة رجال، وثلاث نساء، وتكون فرقاً بين الواحد والجمع، وتكون في ذلك علامة للواحد، نحو: ثمرة وتمر ، وبطة وبط ... وقد يكون العكس من ذلك كقولهم : هذا كمء للواحد ، وهذه كمأة للجمع ، وقد تدخل الكلمة لغير فرق ، نحو: قرية ، وشقة ، ونهاية ... ويجعلونها لتوكيد التأنيث في الجمع على " فِعَالٌ وفُعُولٌ " ولا يلزمها في كل المواضع ، فهم يقولون : حَجَرَ وحِجَارَةً ، وفحل وفِحَالٌ وفُحُولَةٌ ... ومنه قوله تعالى ﴿ ترميهم بحجارة من سجيل ﴾ 30 ، وقوله تعالى ﴿ وبعثهنَّ أحقَّ بردهنَّ ﴾ 31 ، كما يجعلونها من وسائل مبالغاتهم في المدح أو الذم فيقولون : رجل علامة، ورجل لحانة، وقد جعل بعض النحويين الهاء في قوله تعالى ﴿ ذلك دين القيمة ﴾ 32، وما جاء على غرارها بأهـاء المبالغة ، وقد جاءت الهاء علامة للنسب في الجمع ومنه : الأشاعرة، والمهالبة، والأشاعنة ... كما تكون عوضاً عن محذوف في، نحو : زناديق وزنادقة ، وجحاجيح وجحاجحة ... وتكون عوضاً عن الياء كقولهم : هذه ، والأصل . هذي، وقد تدل على العدد، نحو : ضربت ضربة ، وجلست جلسة ... وهما يظهر الحرف أو الحركة قبلها عند الوقف، فبيان الحرف، نحو دخولها بعد ألف الندبة في قولنا : وازيداه ، فإن الهاء لإظهار الألف، وتكون وسيلة لإظهار الحركة عند الوقف ومنه قوله تعالى ﴿ وما أدراك ما هيه ﴾ 33 ، كما تأتي بعد ياء الإضافة ، نحو قوله تعالى ﴿ هلك عني سلطانيه ﴾ 34 ، وعليها يعتمدون لتسهيل النطق بالفعل عندما يكون على حرف واحد، نحو : قه وره ... حيث زيدت الهاء في الوقف لإمكان النطق بذلك واللغة العربية تستخدم هذا الحرف بطرق تشدّد العقل وتدفعه إلى التدبّر والتفكير فيما يمكن أن

نسميه خصوصيات اللغة العربية . 35

ومع كل ما ذكر من إمكانية التصرف عند استخدام اللغة العربية، فإن للعربي حدوداً معينة لا يتخطاها ، بل للغة أحكام مرعية محفوظة ولذلك قال ابن جني في السياق " هذا أدلّ شيء على تأملهم مواقع الكلام، وإعطائهم إياه في كل موضع حقّه ، وحصّته من الإعراب ، عن ميزة ، وعن بصيرة ، وأنه ليس استرسالاً ولا ترجيماً ... " 36

وبحكم ابن جني هذا ، وما يمكن استخلاصه من ثنايا هذا البحث يمكن القول :

- إن العربي قد بنى لغته بناءً محكماً جرت فيه المعاني وفق قوالب وضعت طبقاً لتلك المعاني ، فجاء النسج محكماً موصلاً إلى المبتغى ، فكانت بحق أهلاً لأن تكون هذه اللغة لغة القرآن الكريم . - إن هذه اللغة لها مواردها التي لا تنضب ، ومن خلالها يمكنها توفير متطلبات الحياة ، مهما استجدّ من عقبات قد يواجهها أهل العربية .
- نحن نؤمن بأن اللغة العربية محفوظة بحفظ الله للقرآن الكريم ، ولكن هذا لا يعني أهل هذه اللغة من العمل الجاد من أجل المحافظة على صحتها وفصاحتها .

الموامش :-

- 1 - سورة الحشر / الآية 9
- 2 - الخصائص 2 / 30
- 3 - مختار القاموس / مادة . شقّ
- 4 - الخصائص 2 / 132
- 5 - مختار القاموس / مادة - س م ل .
- 6 - الخصائص 2 / 138
- 7 - المصدر نفسه 2 / 134
- 8 - نزهة الطرف 1 / 27
- 9 - المصدر السابق 1 / 28
- 10 - المصدر نفسه 1 / 29
- 11 - الأشباه والنظائر 2 / 11
- 12 - شرح المكودي / ص 137
- 13 - سورة البقرة / من الآية 251
- 14 - سورة البقرة / الآية 233
- 15 - سورة القصص / الآية 4
- 16 - ينظر مغني اللبيب ص 144 ، ص 307 ، شرح ابن عقيل 3 / 12 ، النحو الوافي 2 / ص 385 ، ص 379 ، اللباب / ص 101 ، الأشباه والنظائر 2 / 11 ، توجيه اللمع / ص 234 .
- 17 - سورة البقرة / الآية 8
- 18 - سورة الحج / الآية 3
- 19 - سورة البقرة / من الآية 21
- 20 - سورة الشورى / الآية 25
- 21 - سورة النجم / الآية 3
- 22 - ينظر اللباب ص 103 ، الأزهية ص 260 ، شرح الكافية 4 / 292 ،
- 23 - ينظر شرح المكودي ص 158 ، شرح ابن عقيل 3 / 15 ، اللباب ص 152 ، توجيه اللمع ص 232 .
- 24 - شرح ابن عقيل 3 / 14
- 25 - اللباب ص 101
- 26 - سورة آل عمران / الآية 49
- 27 - توجيه اللمع ص 236
- 28 - سورة الشورى / الآية 11
- 29 - الكافية 4 / ص 323 وما بعدها

- 30 - سورة الفيل / الآية 4
 31 - سورة البقرة / الآية 228
 32 - سورة البينة / الآية 5
 33 - سورة القارعة / الآية 10
 34 - سورة الحاقة / الآية 29
 35 - الأزهية / ص 249 وما بعدها
 36 - الخصائص 1 / 76

المراجع

القرآن الكريم

- 1 - الخصائص . لأبي الفتح عثمان بن جني - تحقيق . محمد علي النجار . المكتبة العلمية .
 2 - مختار القاموس . الشيخ الطاهر الزاوي . الدار العربية للكتاب 1981 م
 3 - نزهة الطرف في علم الصرف . للميداني . شرح ودراسة : د - يسرية محمد إبراهيم . المكتبة الأزهرية للتراث .
 4 - الأشباه والنظائر في النحو . جلال الدين السيوطي . مراجعة : د - فائز ترحيني . دار الكتاب العربي . بيروت .
 5 - شرح الكودي على ألفية . لأبي زيد عبد الرحمن بن صالح المكودي . على ألفية ابن مالك . تنقيح وتصحيح : محمد أنيس . دار المعرفة . الدار البيضاء . المغرب .
 6 - مغني اللبيب . لابن هشام الأنصاري . حققه : د . مازن المبارك ، ومحمد علي حمد الله . راجعه سعيد الأفغاني . دار الفكر . بيروت . لبنان .
 7 - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك . تأليف . محمد محيي الدين عبد الحميد . دار الطلائع . القاهرة . ط . 3 .
 8 - النحو الوافي . عباس حسن . مكتبة المحمدي . بيروت لبنان .
 9 - اللباب في النحو . عبد الوهاب الصابوني . دار الشرق العربي . بيروت . لبنان .
 10 - توجيه اللمع . لابن الخباز . تحقيق : فائز زكي دياب . دار السلام . القاهرة .
 11 - كتاب الأزهية في علم الحروف . علي بن محمد الهروي . تحقيق : عبد المعين الملوحي . مطبوعات مجمع اللغة العربية . دمشق . ط 2 . 1981 م
 12 - شرح الرضي على الكافية . تصحيح وتعليق : يوسف حسن عمر . جامعة بنغازي 1978 م

الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي

رائد الترجمة المسرحية مصرياً وعربياً

أ.د سيد علي إسماعيل

كلية الآداب - جامعة حلوان

التياترو الفرنسي بالأزبكية :

عندما نتحدث عن المسرح في مصر؛ نجد أنفسنا نعود بالتاريخ إلى يوم الاثنين الموافق الأول من نوفمبر سنة 1869. وهو يوم افتتاح دار الأوبرا الخديوية؛ بوصفها المسرح الحكومي الرسمي الأول، الذي يؤرخ لبدایات المسرح في مصر! وفي هذه الليلة تم تمثيل مسرحية (ريجوليتو) - عن مسرحية (الملك يلهو) لفيكاتور هوجو - مما يعني عدم وجود أي عرض مسرحي رسمي حكومي قبل هذا العرض في القاهرة، وأيضاً يعني عدم وجود أي بناء مسرحي رسمي حكومي، تُقام على خشبته العروض المسرحية. علماً بأن مسرح حديقة الأزبكية تم افتتاحه عام 1873⁽¹⁾.

ظلت هذه المعلومات عالقة في ذهني - راسخة في وجداني - حتى اطلعت على معظم أعداد جريدة (الوقائع المصرية) طوال عامي 1868 و 1869، ولفت انتباهي مجموعة أخبار عن زيارة ولي عهد إنجلترا (دوغال) مع زوجته إلى مصر، وحفاوة الخديوي إسماعيل بهما. وفي مقالة مطولة بتاريخ 1869/2/8، وصفت الجريدة زيارات الضيف وزوجته بصحبة كل من: المشير محمد توفيق باشا، ووزير الداخلية شريف باشا، ووزير الجهادية شاهين باشا، والكولونيل فنصل إنجلترا، حيث قاموا جميعاً - احتفالاً بولي عهد إنجلترا وزوجته - بزيارة الآثار الفرعونية في صعيد مصر، وشاهدوا الاحتفال بالمحمل الشريف في ميدان محمد علي بالقلعة، وزاروا السبيل في شارع النحاسين .. إلخ. وفي يوم 21 يناير 1869 - كما حددت المقالة - قالت الجريدة الآتي:

"... فاستقبلهما الجناب الخديوي وصاحبهما من قصر النيل في عربية يجرها أربعة من الخيل إلى السراية المهياة لهما خاصة بالأزبكية وكان إذ ذاك مجتمعاً بذلك القصر حضرات المأمورين الفخام المصرية متحملين بملابسهم الرسمية مصطفىين برصيف المحطة صفيين والعساكر النظامية المشاة والخيالة واقفون في الانتظار مصطفىون إلى باب القصر مع الانتظام والوقار. وفي غروب ذلك اليوم توجهوا إلى التياترو المصري وتفرجا عليه مع سعادة ذلك الجناب المعظم من مكان مخصوص ثم عادوا"⁽²⁾.



كانت مفاجأة كبيرة، اكتشافي ما يُسمى (التياترو المصري) في منطقة الأزبكية بالقاهرة قبل افتتاح الأوبرا بعشرة أشهر! والمؤكد إنه كان مسرحاً راقياً فحماً؛ كي يليق بضيوف مصر أمثال ولي عهد إنجلترا وزوجته، ويليقي أيضاً بمكانة الخديوي الذي حضر العرض مع ضيوفه، وكانت له غرفة خاصة (لوج)، أو مكان مميز خاص به، كما قالت الجريدة: (وتفرجاً عليه من مكان مخصوص)!

وبعد عشرة أيام - من الخبر السابق - نشرت الجريدة خبراً آخر عن افتتاح (السيرك) بمنطقة الأزبكية، قالت فيه محددة مكانه: "تم المحل المنشأ بقرب محل التياترو الكائن بميدان الأزبكية لأجل الألعاب الخيلية المتنوعة، وما يماثلها من التدريبات اللعبة الحيوانية"⁽³⁾. وهذا الخبر يؤكد لنا أن التياترو المصري، كان يقع في ميدان الأزبكية قريباً من السيرك. وعندما نعلم أن السيرك هو المبنى الدائري - ذو القبة السوداء الكبيرة - الموجود خلف الأوبرا الخديوية مباشرة - كما هو واضح من الصورة المرفقة - سنعلم أن التياترو المصري، كان قريباً من السيرك والأوبرا الخديوية؛ التي ستبنى فيما بعد!



دار الأوبرا الخديوية، وخلفها السيرك

ومن الواضح أن التياترو والسيرك هما المكانان الترفيهيان فقط في القاهرة في تلك الفترة؛ بدليل أن جريدة (الجوائب) في مارس 1869، نشرت خبراً عن عرض مسرحي في التياترو، وآخر بملواني في السيرك؛ خصص إيرادهما للفقراء، قائلة في ذلك: "سبق إجراء ألعاب ليلية بتياترو مصر، وليلة بالسيرك ليتبرع بما يتحصل منهما على الفقراء؛ بإيداعه في صندوق إعانتهم. فتحصل من الألعاب التياترية 2200 فرانق، والألعاب السركية 1400 فرانق"⁽⁴⁾.

وفي هذه الفترة حضر نوبار باشا وزير الخارجية - ورئيس الوزراء فيما بعد - عرضاً مسرحياً مع الخديوي إسماعيل في هذا المسرح، تحدث عنه في مذكراته، قائلاً: ".. كان البعض منهم قد قام ببناء مسرح صغير تعرض عليه بعض فرق الأوبريت والمسرحيات الهزلية. وكان الوالي أحد الرواد الرئيسيين لهذا المسرح" اصطحبي الوالي إلى المسرح، وكانوا يعرضون مسرحية من فصل واحد باللغة الفرنسية. وكانت القصة عبارة عن أن أناساً من بيت كريم وحسن السمعة، يستغلون غياب سيدهم عن المنزل ويدعون أصدقاءهم لقضاء سهرة عندهم؛ حيث استعاروا أسماء سادتهم وقلدوهم في كل حركاتهم وتصرفاتهم"⁽⁵⁾.

ومما سبق يتضح لنا أن تياترو مصر، هو مسرح رسمي فخم موجود بمنطقة الأزبكية، قريب من السيرك، وتم افتتاحه في يناير 1869، وكان الخديوي يحضر عروضه! وكان من المفروض ألا تتوقف الصحف عن ذكر أنشطته الفنية! ولكن المفاجأة، أننا لم نجد له - بعد الأخبار اليسيرة السابقة - أي نشاط فني منشور في الصحف؛ إلا مع قدوم ضيوف مصر - من ملوك العالم وأمراءه - للاحتفال بافتتاح قناة السويس، وبالتالي افتتاح الأوبرا الخديوية في نوفمبر 1869! أي أن تياترو مصر توقفت أنشطتها المسرحية من مارس إلى نوفمبر 1869، بالرغم من أنه المسرح الرسمي الحكومي الوحيد في القاهرة .. لماذا؟!!

الإجابة على هذا السؤال؛ نشرها أغلب الصحف العربية العامة ابتداء من أبريل 1869، وتمثل في: أن مدير هذا المسرح الإيطالي يدعى (ميناس)، قام بالتعاون مع مساعديه في المسرح بصنع قنبلة بدائية، ووضعها أسفل مقعد الخديوي إسماعيل في البنوار الخاص به! ولم يكن يقصد من وراء ذلك اغتيال الخديوي؛ بل كان يريد مكافأة مالية ضخمة؛ لأنه أبلغ الخديوي قبل قدومه إلى التياترو بأنه اكتشف القنبلة! أي أن مدير المسرح قام بتمثيل هذه المؤامرة؛ كي يقنع الخديوي بأنه أنقذه من محاولة الاغتيال، فيفوز بمكافأة سخية من الخديوي! ومن الواضح أن تمثيل المدير لم يكن متقناً؛ فشكل مأمور الضبطية لجنة تحقيق من قناصل دول فرنسا وإنجلترا وأيطاليا وأستراليا، وانحصرت الشبهة في مدير التياترو (ميناس) ومعاونيه، وهم: فاربوني، وأنريكو أتاسي، وفرانسوا أكسانتاكسي. وتشكلت لهم محكمة تحت رئاسة علي مبارك باشا، الذي حكم عليهم بالنفي⁽⁶⁾.

هذه الحادثة كانت شؤماً على هذا المسرح؛ فتم إغلاقه ولم يُستكمل موسمه الأول - الذي عرض فيه مسرحيتين فقط كما سنعلم لاحقاً - لا سيما بعد نفي مديره الإيطالي ميناس! أما موسمه الثاني، فقد بدأ بإعلان نشرته مجلة (وادي النيل) في 1869/10/8، قالت فيه: "لفظ إعلان وارد إلى محافظة مصر من حضرة مهندس مباني الخاصة: يكون معلوماً لدى الجميع على أن التياترو الفرنسي مزعم افتتاحه قريباً. وقد تحدد ميعاد يومي من الساعة إحدى عشر أفرنكي صباحاً لغاية الظهر. فكل من له رغبة في الاستيجار فليحضر في مكتب التياترو المذكور في هذا الميعاد حين ما يتحرر إعلان آخر".

لم أجد ما يفيد أن أحداً استأجر المسرح، أو أن نشاطاً فنياً تم فيه، لا سيما وأن الإعلان نُشر قبل أيام من افتتاح الأوبرا الخديوية في 1869/11/1؛ بوصفها المسرح الخديوي الأرقى والأفخم والأهم، والذي حضر افتتاحه ملوك أوروبا وأمراؤها! ناهيك عن اهتمام الجميع بعروض الأوبرا المسرحية، التي تُعدّ أفضل بكثير من عروض تياترو مصر المشؤوم، الذي سُمي بالتياترو المصري تارة، وبالملاعب الأوروبي تارة أخرى! وبعد افتتاح الأوبرا أُطلق عليه - للتمييز بينه وبين الأوبرا - ملعب الكوميديا، أو التياترو الفرنسي، أو مسرح الكوميدي الفرنسي!

وفي أكتوبر 1870، بدأ الموسم الثالث لهذا المسرح، وأسهمت مجلة (وادي النيل) في وصف بروجرام افتتاح ملعب الكوميديا، واصفة إياه بـ"الملاعب التخيلية المضحكة... أي الملاعب التصويرية الأوروبية بمدينة مصر القاهرة، تحت إدارة جناب درانيت باولينو بك مدير التياترات الخديوية"⁽⁷⁾. ولأول مرة نقرأ عناوين عروض هذا المسرح، التي تمت في الافتتاح وهي: مسرحية (الموافق والمخالف)، ثم (كروك بول) أي الثعلب، و(موال فرننتيو)⁽⁸⁾.



الخدوي إسماعيل

ومن حُسن الحظ أن جريدة (الجوائب)، اهتمت بهذا المسرح أيضاً - في هذا الموسم - فوصفته بصورة عامة في فبراير 1871، قائلة: "... وملعب مصر إنما هو من الحجر الممتين، وحيطانه من الداخِل منقوشة مزخرفة بأحسن ما يكون. وله أيضاً حديقة بهيجة بلغت مصاريفها فيما قيل أربعين ألف ليرة"⁽¹¹⁾. وبعد شهرين، نشرت الجريدة وصفاً للمسرحين - الأوبرا والمسرح الفرنسي - نقله محرر الجريدة في مصر بعد زيارته للمسرحين، ومشاهدته :

"... ثم إن مصر كما تقدمت في الصنائع والتجارة والطبع والعلوم والفنون كذلك تقدمت في معبود الهنود. وحضرها كثير من الوجوه والأعيان المصريين ومن الهنود والعجم وغيرهم. ويوجد فيه وفي الملهى الفرنساوي مخصوصة للذوات الكرام"⁽¹²⁾. ويختتم الكاتب وصفه هذا، قائلاً: "وكنت تلك الليلة في حجرة مدير الملهى فقال لي: يسرني أكثر من أن أرى أهل مصر مرتاحين لهذه الملاهي لأهم لما دخلوا في أبواب التمدن من جميع وجوهه كان ما يجري في الملاهي متمماً له. ولكن كن مغطيات الوجوه ولهن جر مخصوصات هن؛ محاطة بشباك مذهب"⁽¹³⁾.

وفي أبريل 1871 نشرت مجلة () تفاصيل متنوعة لنشاط التياترو الفرنسي في القاهرة، وكشفت لنا عن وجود بروجرام له منشور في ديسمبر 1870 ()
 () في أول موسم له لم يعرض سوى مسرحيتين فقط، وفي الموسم الثاني عرض 29 مسرحية، وفي الموسم الثالث 27 (14).

لهذا المسرح !! وفي يونية 1881 تقدم يوسف الخياط بطلب إلى لجنة التياترات من أجل إعانته بمبلغ ألفي ليرة؛ كي يقدم بين في التياترو الفرنسي!
 11 14 نوفمبر 1881
 ()، التي حضرها (15).

وفي فبراير 1882 () آخر خبر في يتعل ()
 () : "قدم المسيو بارجون أول أمس ليلة شائقة في التياترو الفرنسي ندفق إلى وقد قسمها إلى ثلاثة فصول خصص أولها إلى العمل بالآلة الناطقة .
 ونال والحالة هذه نجاحاً .

" (16)

⚡

! الذي اتخذ من التياترو الفرنسي
 لجنوده في القاهرة!! 1887 () خبراً، قالت فيه: " العساكر الإنكليزية من التياترو القديم الذي قطنوه منذ عام 1882 إلى البناء ا
 " (17). وبعد أيام من هذا الخبر، أضافت الجريدة : "وبلغني أن في عزم الحكومة
 " (18)

(بلغني) معنى الشك في مصداقية الخبر؛ ()
 1887/8/1 (محل البوسطة الجديد): " لتياترو الصغير الذي كانت فيه عساكر الخفر الإنكليزي وبناء محل البوسطة الجديد فيه". والمعروف إن محل البوسطة بالأزبكية، هو مصلحة البريد بالعتبة الآن! مما يعني أن مكتب البريد في العتبة الآن، هو مكان التياترو
 () خبراً يو 1888/12/5 (محل البوسطة)
 () : "قد تم بناء هذا المحل على ما يرام، وسلم المتعهد بينائه مفاتيحه إلى نظارة الأشغال؛

فأرسلتها إلى مصلحة البوستة العمومية. وستنتقل إدارة البوستة في مصر إلى هذا المحل يوم الأحد 24 ديسمبر الحاضر".

: في يوم 1888/12/24 تم افتتاح مبنى بريد العتبة () لذي بُني

. ومبنى البريد هو نفسه المبنى الموجود حالياً دون تغيير! 1931

أعلى المبنى من الجانبين - حتى الآن - لا تؤرخ لبناء المبنى -
إدارة البريد المركزية من الإسكندرية إلى القاهرة، وغلق آخر مك

1931 هو عام ذروة الأزمة الاقتصادية العالمية في مصر، التي لا تتحمل ميزانيتها - في

هذه الفترة - بناء هذا المبنى! والسبب في هذه الأيام - 2

2015 - مرور مائة وخمسين سنة على تأسيس البريد المصري، الذي أصبح مصرياً في الثاني من 1865.

ويشاء القدر ألا يجرم مصر من أثر مسرحي مازال موجوداً وشاهداً على صمود أول مسرح حكومي رسمي مصري في القاهرة، وهو التياترو الفرنسي بالأزبكية! والأثر الذي أتحدث عنه، هو بوابة مبنى البريد المصري في العتبة !! فهذه البوابة هي بوابة ()؛ لأنها مبنية على الطراز الإيطالي المستحدث، وهو طراز أغلب مباني منطقتي الأزبكية والعتبة في عهد ديوبي إسماعيل! البوابة تختلف بناء مبنى البريد الموجود لمى جانبي تلك البوابة! ولو عدنا إلى !

- تحدث في كتابه 1888 1889 - :

سبب تسميتها وجود سراية العتبة الخضراء، التي كانت - في الأصل - دار الحاج محمد الداده الشراي، ثم تملكها بعده الأمير رضوان كتحدا الجلفي فجددها وبالغ في زخرفتها، ثم تملكها الأمير محمد بك أبو الذهب، ثم "انتقلت إلى ملك الأمير طاهر باشا الكبير، ثم إلى ملك قريبه الأمير طاهر باشا ناظر الجمارك واستمرت بيد ورثته إلى أن اشتراها المرحوم عباس باشا وهدمها ووسعها وبنائها بناء محكماً . وبقيت كذلك إلى زمن الخديو إسماعيل، ثم لما حصل التنظيم بالأزبكية أخذ منها جزءاً كبيراً

وبقي منها القصر العظيم الذي به الآن المحكمة المختلطة والقشلاق المقابل له

المعدّ لعساكر البوليس الآن" (19).

)

(، الذي يتحدث عنه علي مبارك؛ سيتضح لنا أن بوابة مبنى البريد ومدخلها، هو الجزء المتبقي

- لوالدة الوالي عباس باشا الأول - الذي أخذه الخديو إسماعيل واستخدمه في بناء

- بطرازه الإيطالي - شاخاً حتى

مبنى بريد العتبة ومدخله!!

الآن في صورة بوابة التياترو الفرنسي ومدخله، التي



مبنى بريد العتبة الآن

الشيخ رفاة أول مترجم مسرحي في مصر:

علمنا مما سبق أن التياترو الفرنسي بدأ عروضه في يناير 1869، قبل الأوبرا الخديوية التي بدأت عروضها في نوفمبر 1869؛ مما يعني أن أية أخبار تتعلق بالمسرح أو التمثيل في القاهرة قبل نوفمبر 1869 مد وأنها تخص التياترو الفرنسي ! - في دار الوثائق القومية مؤرخة في 15 1286 1869/10/21 - عبارة عن أمر من الخديوي إسماعيل : "أمر كريم منطوقه ناظر مطبعة بولاق كتب لمعيتنا في 29

تسعة آلاف وثلثمائة وخمسين قرش وعشرة فضة ثمن ألف وخمسمائة كتاب فصل التياترو تقدم طبعهم تركي وعربي. وحيث إنه في مقتضى إرادتنا تسديد هذا المبلغ من الخاصة إلى المطبعة أصدرنا أن تلك الكتب باقي منها جانب بعد الذي صار تفريقه المذكور مرسل إلى الخاصة لإبقاه" (20).

هذه الوثيقة تُعدّ كشفاً ثميناً؛ لأنها - - - - -
 طبعت ألف وخمسمائة نسخة من نص مسرحي باللغتين العربية والتركية، وهذه النسخ تم توزيع أغلبها، ولم يبق منها إلا القليل. المؤكد أنها إحدى المسرحيات التي تمّ عرضها في التياترو !
 التفسير

لم نقرأ أن العرض المسرحي الأول - - - - -
 التركية! لهذا الأمر، هو أن النسخ المطبوعة بالعربية والتركية، ما هي إلا ترجمة عربية وتركية لنص مسرحي فرنسي تمّ عرضه في التياترو الفرنسي!

اكتشافي لهذه الوثيقة، جعلني أعود إلى كتاب (المسرح المصري في القرن الت
 سادجروف عن الترجمات المسرحية الأولى في مصر: "... كانت أول ترجمة من هذا
 النوع ترجمة أوبريت (Offenbach) (هيلين الجميلة La Belle Hélène)، التي نشرت
 في 1869 " (21).



الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي

وعندما عدت إلى المصدر الذي استقى منه سادجروف هذه المعلومات
 مجلة () 1871/1/6 (في نوع اللعب النفيس المسمى بقضاء باريس).
 محمد عبد الله أبو السعود أفندي ()، التي ستعرض في
 .والغريب أنني لم أجد في المقالة المعنى الذي كتبه سادجروف؛ بأن الطهطاوي أشرف
 على ترجمة () ما وجدته يثبت أن الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي هو نفسه مُترجم
 المسرحية!!

يقول أبو السعود أفندي في هذه المقالة، صراحة: " .. ها هو قد شرع في نشر هذه البدعة الجليلة بترجمة اللعبة المسماة باسم (هيلينة الجميلة) وانتشرت من العام الماضي في أفق الأدبيات وظهرت في أجمل حلل الحسان العربيات. اعتنى بتعريبها بأمر الحضرة الخديوية الأديب الشهير والأستاذ الكبير **حضرة رفاعة بك أفندي** أستاذ كل من له في الديار المصرية " (22)

(1801 - 1873)

() إسماعيل! وهذا الخبر لا شك في

- فهو مُترجم () ، التي عرضت بالأوبرا الخديوية لأول مرة

1871- بالإضافة إلى أنه وأقرهم إليه في هذه الفترة!

ليبرتو (هيلانة الجميلة La Belle Hélène) الأساطير

1864 : (Henri Meilhac)

(Jacques) (Ludovic Halévy)

(OFFENBACH) (1819 - 1880).

() ؛ بوصفها أول عمل مسرحي إبداعي يقوم بترجمته. ١٤

يعدّ مجالاً جديداً يُضاف إلى تاريخ الشيخ رفاعة الطهطاوي وإلى إنتاجه العلمي المُترجم.

1868 - فهذا يجعلنا نقرّ بأن الطهطاوي أول

مصري يترجم مسرحية؛ مما يعني - حتى الآن - رائد الترجمة المسرحية في مصر!

أثر أدبي مجهول للشيخ رفاعة :

عندما أشار سادجروف إلى إشراف الطهطاوي على ترجمة مسرحية () ، كان يتمنى أن

يحصل على نسخة من هذه الترجمة؛ ولكنه لم ينجح! وعندما اكتشفت أن الطهطاوي لم يشرف على

الترجمة؛ بل هو من قام بترجمة المسرحية بنفسه، كنت أحلم بحصولي على نسخة من هذه الترجمة، و

الحصول على هذه النسخة حلماً بعيد المنال! ولكن الحلم تحقق، ونجحت في الحصول على نص مسرحية

() :

على الصفحة الأولى مكتوب أن هذه النسخة

البرنسي ابن الخديوي إسماعيل، ومؤرخة في 26 1888. ١٥

(أسماء أصول مشاهير الرجال والنساء المذكورين في الألعاب المبينة في هذا الكتاب وبيان مناصبهم

(هذا العنوان أسماء ! وجاءت مرقمة في عمودين، الأول يحمل

- (أسماء) () : ومن هذه الأسماء والأوصاف على سبيل المثال :
 بريام ملك ترواه (بقرب اسكي أزمير) : ملك سيرطة باليونان، أغامنون :
 ملكة سيرطة وزوجة مينيلاس : رئيس كهنة هيكل المشتري، أشيل :
 .. إلخ.

أسماء أصول مشاهير الرجال والنساء المذكورين في الألعاب الميمنة في هذا الكتاب ويان مناصبهم ووظائفهم	
أوصاف	أسماء
ابن الملك بريام ملك ترواه (بقرب اسكي أزمير)	٠١ باريس
ملك سيرطة باليونان	٠٢ مينيلاس
ملك ملوك اليونان	٠٣ أغامنون
رئيس كهنة هيكل المشتري	٠٤ كلكاس
ملك فيسوس باليونان	٠٥ أشيل
معلم مدينة سلامينة باليونان	٠٦ اجاش الاكبر
ملك اللوكر بانية باليونان	٠٧ اجاش الاصغر
خادم كلكاس ورئيس الكهنة وهذا الخادم مأسور الرعد	٠٨ فيلو كوم
حداد	٠٩ أوتيكليس
ملكة سيرطة وزوجة مينيلاس	١٠ هيلانة
ابن أغامنون ملك الملوك	١١ أوربست
ملازمة لهيلانة في احوالها ومصاحبة لها	١٢ بانيس
عابقة فانية	١٤ لهينه
عابقة فانية	١٥ فريتيديس

صفحة شخصيات المسرحية

أول مسرحية يتم ترجمتها في مصر بالعربية

! (اللعبة الأولى) () . ()
 () ! () ()

تقع في 86 صفحة من القطع الصغير، ومنشورة في

ثني - اللعبة الأولى تتألف من أحد عشر م -

الثالثة تتكون من ثمانية ملاعب؛ أي ثمانية مناظر أو مشاهد!!



الصفحة الأولى من مسرحية (هيلانة الجميلة)

(هيلانة الجميلة) في جو أسطوري حول ربة الجمال ()، التي ترسل رسالة إلى () رئيس كهنة معبد المشتري تأمره فيها بأن يسلم () ملكة أسبرطة إلى () ابن الملك بريام ملك طروادة؛ لأنها حكمت بجبهما. وبالفعل يحضر () ويقع في غرام هيلانة، التي () ملك أسبرطة. وعندما يحضر الزوج و زوجته في أحضانهما في مشهد حضره كل الملوك. ويعيش الزوج في أزمة نفسية ليقينه بحدوث .. حدث في المنام لا في اليقظة.

() تقسو على اليونان بأكملها، بأنها أرسلت إلى أهلها لعنة

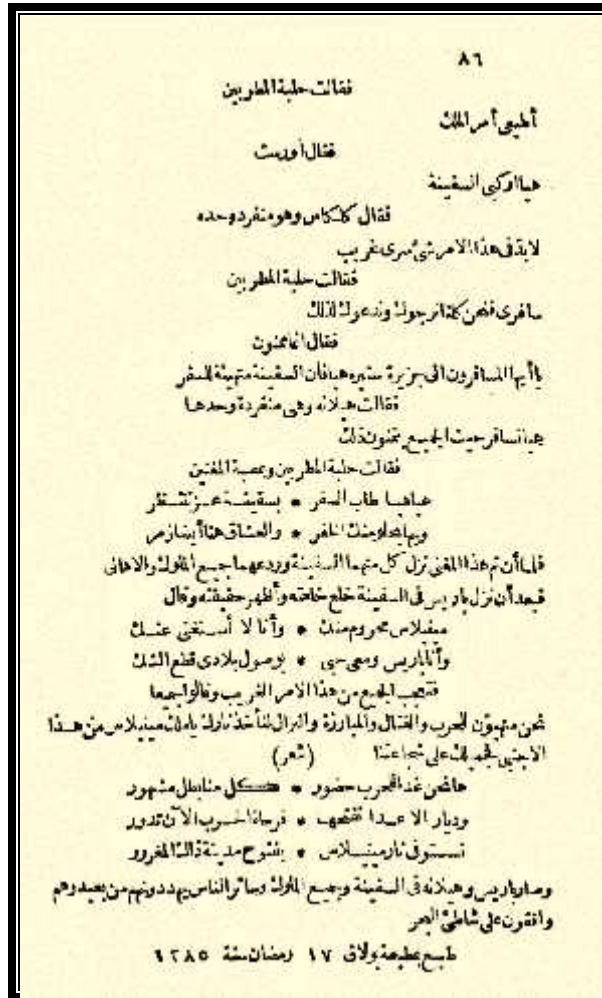
الأزواج من ^{تم} ! فيتدخل الملوك وأنصاف الآلهة والشخصيات الأسطورية أمثال: ()

() (أجاش)، في محاولة إقناع ()

ولكن الزوج رسل رسالة إلى كبير كهنة معبد الزهرة، يطلب منه الحضور

من أجل التفاهم معه في حل آخر يُرضي الزهرة. وبالفعل يحضر الكاهن الأعظم في سفينة ضخمة،

ويقترح على () () إلى جزيرة نائية تنحدر فيها عشرة عجول بيضاء قرباناً
مدبل لترضية الزهرة. ويوافق مينيلاس والشعب اليوناني، وتستقل هيلانة السفينة
- بعد أن أبحرت السفينة -



آخر صفحات مسرحية (هيلانة الجميلة)، وبها اسم المطبعة وتاريخ الطبع

وهناك ملاحظتان مهمتان في نسخة نص () المترجم: الأولى أن تاريخ طباعتها مذكور
في آخر سطر من آخر صفحة رقم (86)، ومكتوب الآتي: " 17
"1285" 1868/12/31. وحسب اجتهادنا في البحث، لم نجد أية إشارة لنشاط
اترو الفرنسي قبل هذا التاريخ، بل وجدنا بعده وتحديدًا يوم 21 1869
برفقة ولي عهد إنجلترا وزوجته، كما مر بنا. وهذا الخبر لا أظنه خبر افتتاح التياترو الفرنسي؛ لأنه جاء

!

1868/12/31 () 1869/1/21

الخدوي وولي عهد إنجلترا دوغال إلى المسرح! وفي ظني إن هذا اليوم هو السابع عشر من يناير 1869 لأنه يوم الاحتفال باعتلاء الخديوي إسماعيل عرش مصر - الذي بدأ في هذا اليوم عام 1863 - والاحتفال بعيد الجلوس الخديوي، هو أنسب يوم لافتتاح أول مسرح رسمي حكومي في الأزبكية!! يعضد هذا الأمر، قول عبد الله أبو السعود أفندي بأن الطهطاوي ترجم المسرحية بأمر إسماعيل كما مر بنا!

الملاحظة الأخرى في النص المنشور لترجمة مسرحية () تتمثل في () على النص؛ بوصفه مترجماً أو كاتباً أو مؤلفاً. وهناك احتمالان لهذا الأمر:

! !

قبوله؛ لأنه يعني أن بقية الـ1500 - عربي وتركي كما جاء في الوثيقة- المنزوعة، والتي بها اسم الشيخ رف ! وهذا الأمر لو كان حقيقياً لكان أمر قيام الشيخ بتجمة المسرحية - وبالأخص دارسي إنتاج الطهطاوي - وهو الأمر الذي لم يحدث!

لم يبق أمامنا إلا الاحتمال الآخر، وهو أن الشيخ رفاعه هو من طلب عدم وضع اسمه على ترجمة ! لأنه كان مجبراً على ترجمه بأمر من الخديوي إسماعيل! والسّر في ذلك لشيخ رفاعه، لا يريد أن يرتبط اسمه بالمسرح في مصر؛ لأن هذا الارتباط يعني ارتباطه بالعالم - وما فيهم من وقاحة، كما سيأتي ذكره!!

الشيخ رفاعه أول مترجم مسرحي عربي :

(أول مترجم مسرحي مصري)، بناء على ترجمته

() 1868 (أول مترجم مسرحي عربي)، بناء على ترجماته

للموضوعات المسرحية، التي بدأ في نشرها منذ عام 1833!!

مسرحي مؤلف أو مترجم قبل هذا التاريخ!!

ففي ديسمبر 1829 هـ - أثناء بعثته في باريس - ترجمة كتاب (

في غريب عوائد الأوائل والأواخر) للمؤلف الفرنسي (دينچ Depping). وعندما عاد الطهطاوي إلى

مصر نشر الكتاب في في غرة شعبان سنة 1249

: الثاني هو ترجمة الكتاب، أما القسم الأول فحاء 1833/12/13⁽²³⁾.

()! أي شيء غير مسبوق! لأنه عبارة عن قاموس مُصغر للألفاظ الأعجمية الواردة في
!

"شرح الكلمات الغريبة التي توجد في كتاب قلائد المفاحر في غريب عوائد الأوائل والأواخر، مرتبة
على حروف المعجم، مضبوطة حسب الإمكان ومفسرة على الوجه الأتم، سواء كانت أسماء بلدان أو
أشخاص أو أشياء. ولما كانت هذه الألفاظ في الأغلب أعجمية فلم ترتب إلى الآن في كتب اللغة
عربانها بأسهل ما يمكن التلفظ به فيها على وجه

. حتى إنه يمكن أن تصير على مدا الأيام دخيلة في لغتنا كغيرها من الألفاظ المعربة عن الفارسية
. ولو صنع المترجمون نظير ذلك في كل كتاب تُرجم في دولة أفندينا ولي النعم الأكرم

الأمر بالتقاط سائر الألفاظ المرتبة على حروف الهجا ونظمها في قاموس مشتمل على سائر غريب
الألفاظ المستحدثة التي ليس لها مرادف أو مقابل في لغة العرب أو الترك.

ه تحصل الإعانة على فهم كل ع

ومن أهم الألفاظ الأعجمية، التي شرحها الطهطاوي في قاموسه هذا، كلمة () -

... اسم لملعبة ببلاد الإفرنج، يلعب فيها تقليد سائر ما وقع. وفي
الحقيقة إن هذه الألعاب هي جد في ص . فإن الإنسان يأخذ منها عبراً عجيبة لما أنه يرى فيها

والسيئة فيتحاشاها لما يراه من مدح الطيب وذم الخبيث. حتى إن
الإفرنج يقولون إنها تهذب أخلاق الإنسان. مع اشتغالها على المزج الممدوح فها أيضاً كثير من
. وصورة هذه السبكتاكالات عند الإفرنج إنك تجد هيكلًا عظيمًا مسقوفًا بقبة

. وكل دور به أروقة موضوعة حول القبة من داخل في جوانب الهيكل وفي جانب من
الجوانب أيضاً مقعد متسع يكشفه سائر الجالسين في هذه الأروقة. بحيث أن سائر ما يلعبه اللاعبون في
يراه سائر من في الهيكل. وتحت ذلك المقعد محل للآلاتية.

المقعد يتصل برواق فيه سائر آلات اللعب وسائر الأدوات اللازمة للألعاب التي تظهر في ليلة اللعب
ولجميع النساء والرجال المعدين للعب فيهيئون ذلك المقعد على حسب ما يقتضيه اللعب المطلوب منه.
فإذا أرادوا تقليد سلطان مثلاً في حكاية سائر ما وقع منه صوروا ذلك المقعد في شكل سراية بها كرسي
وعليه شخص جالس في شكل السلطان المقلد وجعلوه يتكلم ويؤ

تجهيز المقعد يرخون الستارة لتحجب ا
ثم يرفعون الستارة ويلعبون. واللاعبون
واللاعبات بهذه الهياكل أشبه بعوالم مصر لا في الوقاحة؛ فإن أرباب هذه الحرفة عند الإفرنج
أرباب أدب وحياء في مدة لعبهم؛ وإن كانت اللاعبات في الغالب غير عفيفات. ومن الغرائب إن

كلاً من اللاعب أو اللاعبة يحفظ دواوين الأشعار الأفرنجية والنكات والنوادر؛ بل ومسائل من العلوم البرانية الغربية، حتى إن من رآهم ربما نظمهم في سلك العلماء لا العوالم".



()؛ كان تعريفاً وتمهيداً لترجمة

(ديوان قلائد المفاحر في غريب عوائد الأوائل والأواخر)

(في لعب السبكات)

(المسرح الروماني) - (24) - في الآتي:



)

"... فمن مجالس الملاهي عندهم محال تسمى التياتر... (

. وفي الحقيقة أن هذه الألعاب هي جدّ في صورة هزل.

فإن الإنسان يأخذ منها عبيراً عجيبة وذلك لأنه يرى فيها سائر الأعمال الصالحة والسيئة ومدح الأولى . حتى أن الفرنساوية يقولون إنها تؤدب أخلاق الإنسان وتهدمها.

كثير من المبكيات. ومن المكتوب على الستارة التي ترخى بعد فراغ اللعب باللغة اللاتينية وما معناه باللغة العربية) .

وصورة هذه التياترات أمها بيوت ، لها قبة عظيمة. . وفي جانب

من البيت مقعد متسع يطل عليه من سائر هذه الأوض بحيث إن سائر ما يقع فيه يراه من هو في . وتحت ذلك المقعد محل للآلاتية.

فيها سائر آلات اللعب وسائر ما يصنع من الأشياء التي . ثم

فإذا أرادوا تقليد سلطان مثلاً في سائر ما وقع منه، وضعوا

وصوروا ذاته وأنشدوا أشعاره . ومدة تج

ثم يرفعونها ويتدون . ثم أن النساء اللاعبات والرجال

يشبهون العوالم في مصر، واللاعبون واللاعبات بمدينة باريس أرباب فضل عظيم وفصاحة.

كان لهؤلاء الناس كثير من التأليف الأدبية والأشعار. ولو سمعت ما يحفظه اللاعب من الأشعار

وريات في وما يجاوب به من التنكيت والتبكيك لتعجبت غاية العجب.

العجائب أنهم في اللعب يقولون مسائل من العلوم الغريبة ويتعمقون في ذلك وقت

حتى يظن أنهم من العلماء. حتى أن الأولاد الصغار التي تلعب

الطبيعات ونحوها. ثم أنهم يتدون اللعب بآلات الموسيقى ثم يلعبون ما يريدون لعبه. واللعبة التي تظهر

كتب في ورقة وتلصق في حيطان المدينة وتكتب في التذاكر اليومية ليعرفها الخاص والعام. وفي الليلة

وبعد فراغ كل لعبة ترخى الستارة. إذا أرادوا مثلاً لعب شاه العجم أُل

وأحضروه وأجلسوه على كرسي وهكذا. وفي هذه السبكتاكل يصورون سائر ما يوجد حتى

فيصرون البحر ويجعلونه يتماوج حتى يشبه البحر شهباً

. وقد رأيت مرة في الليل أنهم ختموا التياتر بتصوير شمس وتسييرها وتنوير التياتر بها حتى غلب نور

هذه الشمس على نور النجف حتى كأن الناس في الصباح ولهم أشياء أغرب من هذا.

يتعلم فيها العالم والجاهل. وأعظم السبكتاكل في مدينة باريس المسماة

الأوبره....

. ومنها تياتر تسمى أوبره كوميك فيغنى فيها الأشعار المفرحة

وهذه كلها من

سبكتاكالات الكبيرة. وفي باريس سبكتاكالات صغرى وهي مثل تلك إلا أنها صغيرة وهناك أيضاً

..... إلخ".



في ختام هذه الدراسة، نستطيع تحديد نتائجها في النقاط التالية:

: أول مسرح حكومي رسمي بُني في القاهرة، هو التياترو الفرنسي عا 1868
إسماعيل على عرش مصر للعام السادس يوم 17 1869.

: التياترو الفرنسي بدأ نشاطه الفني عام 1869 1882، وتحول إلى قشلاق لجنود

: - - 1888، وبني
مكاتها مبنى بريد بوسطة العتبة، حتى الآن.

: بوابة مبنى بريد بوسطة العتبة ومدخلها حالياً، هما بوابة ومدخل التياترو الفرنسي منذ أيام الخديوي
إسماعيل!

: ()
17 1869، وهو يوم الاحتفال السادس بتولي الخديوي إسماعيل عرش

: () ترجمها الشيخ رفاع الطهطاوي بأمر من الخديوي إسماعيل،
كون بذلك رائد الترجمة المسرحية في .

: - في مطبعة بولاق - الترجمة العربية لمسرحية () 31
ديسمبر 1868 تم الحصول على النسخة الوحيدة المتبقية من هذا الأثر الأدبي الفريد، و
قليلة بمشيئة الله!!

: رفاع الطهطاوي أول مترجم مسرحي عربي؛ لأنه ترجم موضوعات مسرحية
ونشرها في مصر 1833. كما أنه نشر في مصر عام 1834 1835
المسرحية في باريس. وحتى الآن لم نجد عربياً ألف أو ترجم أية موضوعات مسرحية قبل عام
1833.

الهوامش

(1) - . سيد علي إسماعيل - تاريخ المسرح في مصر في القرن التاسع عشر - الهيئة المصرية العامة للكتاب -
1998 - ص(40 - 72).

(2) - () - 1869/2/8-270

(3) - () - 1869/2/18 - 273

(4) - () : - 1869/3/24 - 390

(5) - - ترجمة جارو رويبر طبعان - - 1 - 2009 - ص(490)

(6) - () : - 1869/4/12 - 286 - 294

() - 1869/5/13 - 387 - 386

1869/4/28 - 391 - 1869/5/31، مجلة () - 1

1869/4/22

(7) - مجلة () - 1870/10/21 - 52 -

- 8) - () :
- 9) - ()
- 10) - () مجلة () - 53 - 1870/10/24
- 11) - () - 497 - 1871/2/8
- 12) - () - 513 - 1871/4/12
- 13) - ()
- 14) - () : - 513 - 1871/4/12
- 15) - () : - 1881/11/10 1881/11/9 1881/10/27 1881/6/1 - ()
- 1881/11/18 1881/11/16 1881/11/14
- 16) - () - 1882/2/25
- 17) - () - 1887/7/23
- 18) - () - 1887/8/1
- 19) - () - الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة - المطبعة الكبرى الأميرية
- 20) - () - 1306 - [1889 - 1888] - ص (108 109)
- 21) - () - دفتر س 41/1/1 - المسرح المصري في القرن التاسع عشر 1882/1899 - ترجمة د. - سيد علي إسماعيل - سلسلة دراسات في المسرح المصري - 9 - 2007 - ص (43)
- 22) - () مجلة : () - 71 - 14 - 1287 - ص (4)
- 23) - () - هذه المعلومات منشورة في مقدمة وخاتمة الطبعة الأولى من الكتاب.
- 24) - () - في أسلوب ترجمته - () بمعنى التمثيل المسرحي، وكلمة () بمعنى الممثل، وكلمة () بمعنى المسرحية، وكلمة () بمعنى قاعة العرض المسرحي، وتعبير () بمعنى مسرح الطفل .. إلخ. مع ملاحظة أن الأجزاء التي بين القوسين (...)
- 25) - () - جاء على الصفحة الأولى للطبعة الأولى من الكتاب الآتي: طبع كتاب تخلص الإبريز في تخلص باريز بدار الطباعة الخديوية ببولاق مصر الحمية على يد مؤلفها ومصحح طبعها الفقير إلى الله تعالى رفاعة رافع الطهطاوي غفر الله له ولوالديه جميع الذنوب والمساوي لازالت هذه المطبعة بعناية الداوري الأكرم زاهية زاهرة وبأنفاس الخديوي الأعظم باهية باهرة ولا برحت على مدى الأيام بديعة النظام كاملة المعاني والمباني بمعرفة ناظرها أبي القاسم أفندي شاهد الكيلاني سنة 1250 من الهجرة المحمدية على صاحبها أفضل

الصورة الشعرية عنصراً بانياً في الشعر الليبي الحديث والمعاصر

الدكتور: فتحي رمضان القراضي

كلية الآداب - صبراتة

جامعة الزاوية - ليبيا

تقديم :

لا غنى للأديب بعامة والشاعر بخاصة وهو يبني نصه الإبداعي عن وسائل تعينه على ذلك البناء الذي يسير ضمن إطارى الشكل والمضمون . وفي مقدمة هذه الوسائل الصورة الشعرية التي لا يستطيع الشاعر من دولها أن يبرز العواطف المتأججة في أعماقه . من هنا عدّها النقاد عنصراً بانياً في النص بمعنى أن النص لا يبني من دون هذا العنصر الحيوي .

يختار الشاعر - وهو يبني نصه - عديد القنوات ليصب فيها قوالبه الشعرية ساعياً إلى إحداث تأثيره النفسي في المتلقي معتمداً الصورة الشعرية أساساً لا محيد عنه البتة هذه الصورة التي صارت تمثل " نسيجاً موحداً بعد أن كانت أشبه بخيوط متوازية ، وتروع هذه الوحدة حين يؤلف الشاعر المعاصر بين أبعاد كثيرة لخبرة واحدة " (1) ومهما يكن من أمر الاهتمام بالصورة الشعرية عبر مراحل التطور الشعري منذ العصر الجاهلي إلى العصر الحديث تبقى الصورة الشعرية عملاً فنياً يشير إلى عظمة الخيال المبدع الذي يبعثها من الذاكرة ، وإلى العاطفة السائدة التي تلونها بألوان تتناسب والموقف الشعري ومن هذا المفهوم سنتناول الصورة الشعرية ودورها في بناء النص من خلال التصوير غير المباشر ؛ لأنه أبلغ في التأثير من التصوير المباشر الذي لا يخرج فيه الشاعر عن " رسم منظر ديناميكي في شكل قصصي ، أو حوار درامي تتجه أحداثه وتسير خطوطه وتتقدم بشكل يجعلها قادرة على تجسيد تلك الإحساسات التي تطفح من معنيات التجربة الشعرية " (2) .

1 - التشبيه :

لقد أجمع النقاد على ضرورة وجود هذه الصورة في الشعر ؛ لأن من شأنها أن تزيد المعنى وضوحاً وبالتالي يزداد التأثير في العواطف الإنسانية الذي هو هدف العملية الإبداعية وقد ركز النقاد المحدثون على التناسب النفسي - من خلال التشبيه - الذي ينبع من المواقف والانفعالات التي هي أساس

تشكيل نسيج التجربة الشعرية مخالفين القدامى الذين يردون التشبيه إلى الأشكال الخارجية دون غيرها (3) ومهما يكن من أمر فإن للتشبيه تأثيراً لا يخفى على ذي بصيرة وهذا ما سنحاول تتبعه في الشعر الليبي من خلال عرض نماذج لشعراء مختلفين في اتجاهاتهم ومدارسهم .

يقول الشاعر أحمد الفقيه حسن :

فإنَّ العلم في الدنيا ضياءٌ وداءُ الجهلِ كالدَّاءِ العُضالِ (4)

هنا يشبه الشاعر الجهل بالداء العضال الذي لا براء منه وقد جاء التشبيه تاماً وباب هذا التشبيه الحث على ضرورة التعلم .

ولا يتوانى الشاعر أحمد الشارف في أن يشبه من يسعى بجهله بحالة من يسير في صحراء لا يعرف مسالكها حيث يقول :

ومن سار في دنياه يوماً بجهله كمن سار في البيداء وهو بما عمي (5)

وهذا الشاعر عبد الحميد اليربوعي يشبه الجهل بالموت إذ يقول :

والجهلُ موتٌ للشُّعوبِ فإن دجا ليلُ الخطوبِ كَبَّتْ به الأرزاء (6)

وقد عمد الشاعر هنا إلى حذف أداة التشبيه ليكون التأثير أقوى حيث جعل الجهل موتاً ليوقفنا على خطره المحقق بنا وهذا هو التشبيه البليغ .

ويشبه الشاعر خالد زغبية الليل في وطنه المغتصب بالشبح المخيف في قوله :

الليلُ .. والسُّور الكبير

في موطني يعلو

كالشُّبحِ المخيف

يَغْتالُ في أغوارنا صوت الحياة (7)

ولكي يوقفنا الشاعر على بشاعة هذا الليل ، وذاك السور - منع التجول - يشبهه بأكثر من مشبه ؛ فهو كالبوم والغريان والقرد الخليع :

ويحطُّ فوق رؤوسنا

فوق الجباه

كالبوم

كالغريبان

كالقرد الخليع (8)

والملاحظ هنا أن الشاعر اختار المشبه به (البوم ، الغريبان ، القرد) ليوحى لنا ببشاعة هذا الليل وسطوته على نفس الشاعر .

ومن التشبيهات التي شبه فيها الشعراء المشبه بأكثر من مشبه به قول القمودي :

شعر بأنّ الدُّنيا

سجنٌ ..

شعر بأنّ الدُّنيا

لحدٌ ..

وأَنَّ الدُّنيا فرسٌ جامع

لا يألُفُ .. لا يهدأ (9)

فالشاعر هنا شبه الدنيا بالسجن مرة ، وباللحد مرة ، وبالفرس الجموح مرة ثالثة وجميعها تشبيهات تعتمد أساساً على تناسب القيم النفسية في الجمع بين طرفي التشبيه وقد حرص شعراء ليبيا على أن يأخذوا من صور الحيوانات ، والطيور غير الأليفة مثلاً يشبهون به صور البشاعة والنفور . فهذا الشاعر علي الفزاني يشبه أولئك الجائعين بالكلاب الضالة التي ترقد في السهول والتلال :

فالتَّاسُ جائعونُ جدُّ جائعين

ويرقدون كالكلاب في السُّهول والتَّلال (10)

ويشبه الشاعر علي صدق عبدالقادر الخامس من يونيو ذلك التاريخ المشؤوم بكلب ذليل يسف التراب إذ يقول :

ولكّي أستطيعُ

سأكتبُ تاريخنا من جديد

سأجعلُ تاريخ " خامس يونيو "

ككلب ذليل مُطارِد

يَسفُ التُّراب (11)

ومن تشبيهات الفزاني البليغة قوله :

مَدادٍ في صُدوغي كاللّجين كَتبتُ أُنِي بِلغتُ الأربعين (12)

فقد شبه الشاعر الشيب الذي اعتلى صدغيه وكأنه مدادا بلون اللجين يكتب في صفحة الشاعر وأمام الملاء أنه قد بلغ الأربعين من العمر.

ومن التشبيهات المؤثرة تشبيه الأم بالشمعة ، ومعلوم أن وجه الشبه بينهما هو إضاءة الطريق أمام الآخرين ، والذوبان في سبيل الغير نقرأ ذلك كله في قول القمودي :

وعبر الليالي تذوب كشمعة (13)

ومن تشبيهات القمودي الرائعة قوله :

أنا كالعطشان ينبش في التراب

أنبشُ الماضي وأيامي العذاب (14)

فالشاعر هنا يشبه نفسه وهو ينبش ماضيه بالعطشان وهو ينبش التراب بحثاً عن الماء وقد وفق الشاعر هنا إلى التناسب المنطقي بين طرفي التشبيه ؛ لأن كليهما يبحث عن شيء عزيز أفتقده .

ويشبه القمودي قلوب اللبيين البيضاء بنبات القطن (الذهب الأبيض) مقرباً بين طرفي التشبيه اللذين لا تربط بينهما رابطة منطقية الأمر الذي جعل الشاعر يسوق تشبيهه على سبيل التخيل وهذا النوع من التشبيه بليغ جدا :

قلوبنا في ليبيا بيضاء

كالقطن في حقولك الغنّاء (15)

ومن الصور التشبيهية الرائعة التي تدل على خيال خصب قول الشاعر عبدالغني البشتي :

فالدُّرُ موطنه البحارُ وإن بين عنها ففوق ترائب الحسناء

وكذلك إبراهيم أصبح درةً في الخلدِ زان مفاتنِ الحوراء (16)

لقد رسم الشاعر بخياله الواسع صورة لصاحبه الغريق (الشاعر إبراهيم الأسطى عمر) جعلت منه درة ثمينة تزينت بها حوراء في جنة الخلد .

ومن التشبيه التام والمؤثر قل الشاعر علي صدقي عبدالقادر :

الماردُ الغولُ يلقي الشَّرر

بقامته الحانية

بعينين كالجمرتين اشتعالا

يُجِيلهما فوق رأسي (17)

فالشاعر هنا أتي بتشبيه قوي مؤثر من خلال ارتباط أركان التشبيه في نسيج متلاحم .

ومن التشبيه البليغ قول الشاعر حسن صالح :

والجُوعُ عملاقٌ مُخيف

أبدا يُطارِدني ولا أجدُ الرِّغيف (18)

شبه الشاعر الجوع - الذي هو شيء حسي - بالعملاق المخيف مع حذف أداة التشبيه لكي يشعر المتلقي بأن طرفي التشبيه صارا واحدا وهذا أدمى للتأثير في المتلقي .

وما كانت المرأة لتغيب عن تشبيهات الشاعر الليبي فهذا هو الشاعر إبراهيم الأسطى عمر يشبهها بالعادة إذ يقول :

أقبلت كالغادةِ الحسناءِ زينتها سمو أخلاقها بين الفتيات (19)

وهذا الشاعر عبدالمجيد القمودي يشبه النساء الجميلات بالظباء لما يجمع بين طرفي التشبيه من سواد العيون ، واتساعها ، وطول الجيد إلى غير ذلك من الصفات التي تحسن في المرأة :

والمليحاتُ الحرائرُ

كظباء

رُحن يسلبنه لبَّه (20)

وفي موضع آخر يشبه الشاعر الصبايا بالقبرّات في شحوها ، ويشبه الصغار بالعصافير في تنقلاتهم الرشيقة :

والصبايا

قبرّات تتغني

تملاً الدنيا مواويل فرح

والصغار

كالشّحارير

تتمايل (21)

ومن الصور الرائعة التي شبه فيها الشاعر صورة بصورة قول الشلطامي :

حينما كنتُ أغني وأهيم

كان حيّ

قبل أن تسحر عينيه النُّجوم

مثل صوفي يدوخ (22)

فالشاعر هنا ماثل بين صورتين هما : صورة الشاعر وهو يغني هائماً بمحبوبته ، وصورة الصوفي الذي يهيم في أناشيده وتسايحه. وقد وفق الشاعر إلى رسم صورة جميلة خلقت نوعاً من التقابل الانفعالي بين حالة الشاعر وحالة الصوفي .

ومن التشبيهات الرائعة التي تحمل أبعاداً ، ودلالات نفسية مؤثرة ، وشحنة من الأحاسيس الوجدانية الفياضة قول الأسطى عمر :

أو يبكيه الشُّعرُ علَّ الدَّمع يسعفه بأجرٍ من "عروض" غير ما ذكروا
أو يبكيه النَّثرُ في ألفاظه سلس كأنَّه جدول ينسابُ أو درر (23)

ومن صور الأسطى عمر الكلية التي تفيض إجماء ، وإحساساً قوله :

أنا في الجوّ وفي الدَّوح أغاريدُ الطيور
وأنا في الرّوضِ ألوانٌ وعطرٌ في الزُّهور
وأنا في النَّهرِ ترجيعٌ لموسيقى الخريف
وأنا في الشُّعرِ تحريكٌ لأوتار الشُّعور (24)

فالشاعر هنا رسم لنا صورة كلية موحية تفيض عذوبة ، وسلاسة وذلك عندما جعل من نفسه أغاريد الطيور ، وعطراً للزهور ، وترجيماً لموسيقى الخريف ؛ فهذه لوحة ناطقة بالحياة المستمدة من اللون والحركة وهذا ما جعلها مؤثرة جداً في رأينا .

2 - الاستعارة

الاستعارة من حيث ذكر أحد طرفيها تنقسم على قسمين هما : الاستعارة المكنية ، والاستعارة التصريحية وتكمن أهمية الاستعارة في كونها ” من أعظم أدوات رسم الصورة الشعرية ، لأنها قادرة على تصوير الأحاسيس الفائرة ، وانتشالها ، وتجسيدها تجسيدا يكشف عن ماهيتها وكنهها بشكل يجعلنا ننفعل انفعالا عميقا بما تنضوي عليه “ (25) وفوق هذا كله وفي باب أهمية الاستعارة وتأثيرها في العمل الفني لا بد من الإشارة إلى أنها قد تتحول من عملية استعارة مصرح بها ، أو مكنى عنها إلى ” عملية خلق جديدة في اللغة ، ولغة داخل لغة فيما تقيمه من علاقات جديدة بين الكلمات ، وهما تحدث إذابة لعناصر الواقع ليعاد تركيبها من جديد وهي بهذا التركيب الجديد كأنها منحت تجانسا كانت تفقده ، وهي بذلك بثت حياة داخل الحياة التي تعرف أنماطها الرتيبة ، وتضيف وجوداً جديداً تخلقه

علاقات الكلمة بواسطة تشكيلات لغوية عن طريق تمثيل جديد له " (26) وفيما يلي بعض النماذج لهذه الصورة الشعرية التي تمثل أساساً لا غنى عنه في عملية التأثير الفني في النص الأدبي بعامته .

يقول الفزاني :

ولماذا يَصْمَتُ الحرفُ

ويبقى حوله الخوفُ يدمدم (27)

لقد شبه الشاعر هنا الخوف بالإنسان ثم عمد إلى المشبه به وحذفه مبقياً شيئاً من لوازمه يدل عليه وهو الفعل " يصمت " وذلك على سبيل الاستعارة المكنية . وجاءت الاستعارة جميلة ومؤثرة ؛ لأنها بعثت الحياة في غير الحي وجعلته يؤدي وظيفة دلالية لها أهميتها في تجربة الشاعر .

وتظهر الاستعارة واضحة جلية في قول علي صدقي عبدالقادر :

فاستيقظ الربيعُ في مزهرتي الطُّروب

وابتسمت نافذتي العبوس من زمان (28)

ففي هذا المقطع استعارتان الأولى في قوله (استيقظ الربيع) حيث شبه الربيع بالكائن الحي الذي ينام ويستيقظ ثم حذف المشبه به مبقياً ما يدل عليه (الاستيقاظ) على سبيل الاستعارة المكنية . ويكمن سر جمالها في أنها شخصت الحسي وحولته إلى مادي . والثانية في قوله (ابتسمت نافذتي) حيث شبه النافذة بالإنسان ثم حذف المشبه به مبقياً شيئاً من لوازمه (الابتسام) على سبيل الاستعارة المكنية .

ومن الاستعارات البليغة المؤثرة التي تدل على مقدرة فنية قول الشاعر عبدالمجيد المنتصر :

أم في الجوانح ذكرى لستُ أذكرها إلا مررت على القرطاسِ تبتسمُ (29)

فالشاعر يعقد تماثلاً بين القلم والإنسان ثم حذف المشبه به وأبقى شيئاً من لوازمه يدل عليه (الابتسام) على سبيل الاستعارة المكنية . ولا يخفى ما في هذه الاستعارة من شحنة نفسية مؤثرة ما كانت لتتضح عند المتلقي لولا هذه الصورة .

وهذا الشاعر خالد زغبية يعي الاستعارة ومدى تأثيرها في بناء النص حيث نقرأ :

ففاضت العيون بالدموع

وظلت الشفاه

تَهْمَسُ بالصلاة (30)

فقد شبه الشاعر العيون بالنهر الجاري ثم حذف المشبه به ما يدل عليه (الفيضان) على سبيل الاستعارة المكنية . وقد زادت هذه الاستعارة المعنى جمالا ؛ لأنها جعلت المتلقي يتصور أن العيون من شدة حزنها قد فاضت ومن هنا كان التعبير بالحجاز ابلغ من التعبير بالحقيقة .
ونقرأ في موضع آخر :

وفي خريفٍ موحشٍ رهيب

تلملم " مارس " في الغروب

وزغردت في دمه أنشودةُ الفناء (31)

شبه الشاعر هنا مارس الشهر المعروف بالشيء المادي مستعيراً لفظ " تلملم " مما أضفى جمالا على النص تمثل في هذه الصورة الرائعة التي رسمها الشاعر من خلال هذه الاستعارة التي عقدها هنا .
وللشاعر علي الرقيعي استعارتان جميلتان في قوله :

والرَّيحُ تسرِّقُ أغنياتِ الصُّبحِ منك أيا كسولة

وهضابك الجرداء تستلقي قتيلة (32)

لقد كنى الشاعر عن الطرف الثاني من طرفي التشبيه في قوله (والريح تسرق) لكنه أبقى لنا شيئاً يدل عليه وهو الفعل (تسرق) على سبيل الاستعارة المكنية . وفي قوله (هضابك الجرداء تستلقي) أيضاً استعارة مكنية شخصت الهضاب وجعلت منها إنساناً يستلقي ليعمل فكره فيما ينفعه .

ومن الاستعارات المصيبة قول الشاعر أحمد الفقيه حسن :

هَجَرُوا الخَيْرَ وامتطوا غاربَ الشَّرِّ وهبوا لكلِّ فعلٍ رذيل (33)

عقد الشاعر هنا مماثلة بين الشَّر وهو شيء حسي ، وما يُمتطى وهو شيء مادي ثم حذف المشبه به مبقياً شيئاً من لوازمه يدل عليه (الامتطاء) على سبيل الاستعارة المكنية . وقد استطاع الشاعر من خلال هذه الاستعارة أن يوصل المعنى الذي يريد إيصاله إلى المتلقي من دون عناء .

ومن الاستعارات التي أدت معناها بقوة قول الشاعر أحمد قنابة :

فما بكتِ السَّماءُ بها غليناً ولا نَضِرُ الرِّبيعُ ولا سُقينا

ففرَّحتِ المصائبُ وهي شتى وباضت فوق بؤس البائسينا (34)

استعار الشاعر في البيت الأول صفة البكاء التي هي صفة للحيوان وأضفاها على السماء على سبيل الاستعارة المكنية . وفي البيت الثاني شبه الشاعر المصائب بالطيور التي تبيض وتفقس فعقد استعارة مكنية زادت من قوة المعنى .

ومن الاستعارات المصيبة قول الشاعر محمد عبدالله معيتيق :

لقد عَظمت بموطننا الجِراحُ وعَضَّتْه النوائِبُ يا صلاح (35)

شبه الشاعر هنا النوائِب بالحيوان المفترس ثم حذف المشبه به وأبقى شيئاً يدل عليه وهي صفة (العض) على سبيل الاستعارة المكنية . وقد شخصت هذه الاستعارة النوائِب وجعلتها مادية محسوسة الأمر الذي زاد المعنى قوة ووضوحاً .

هذا عن الاستعارة المكنية وهي كثيرة جداً عند شعراء ليبيا - شأنهم شأن الشعراء العرب - ولذلك رأينا أن نكتفي بهذه النماذج التي نستدل بها على استخدام الشعراء الليبيين لهذه الصورة المؤثرة .

أما عن الاستعارة التصريحية فقد استخدموها هي الأخرى ولكن ليس بالشكل الذي استخدموا به الاستعارة المكنية ومن النماذج في هذا النوع - الاستعارة التصريحية - قول الشاعر محمد الشلطامي :

الليل مدٌّ فوقنا الجناح

يا مدينتي

الليل سرُّ

إننا كبار (36)

فالشاعر هنا استعار الجناح من الطير وأضفاه على الليل ، وقد وفق الشاعر في استعارته هذه ؛ لأنه جعل من الليل طائراً كبيراً يسد بجناحيه الأفق وذلك ليوقفنا على معاناته في هذا الليل الطويل الذي لا آخر له .

ومن الاستعارات التصريحية الجميلة قول الشاعر عبدالمجيد المنتصر :

وهزني منك وحيُّ كنت تُرسله إليَّ والكونُ في أجفاتهِ الحُلْمُ (37)

فقد استعار الشاعر لفظة الأَجْفَانِ من الإنسان وأعارها إلى الكون وقد زادت هذه الاستعارة من جمال البيت ، وتأثيره وذلك كونها حولت الكون من شيء معنوي إلى شيء مادي له أجفان يملأها الحلم.

وهذا الشاعر علي الفزاني يستعير لفظة النجمات بدلا من القصائد على سبيل الاستعارة التصريحية نقرأ ذلك في قوله :

أصدقائي الفصحاء

نظموا النجمات عقداً للأميرة

ثم عادوا مهدايا " أنوشروان "

الجوّاري وثياب الطيلسان

ثرثروا باللغو حيناً لينام

سيدُ الأمصارِ في وكرِ الحرّيمِ (38)

وجاءت الاستعارة جميلة للمعنى المشترك بين النجمات والقصائد وهو الظهور والإشهار ، وفي السطر الشعري الأخير من نفس المقطع يستعير الشاعر لفظة الوكر الذي هو مبيت النسر ويضفيه على الحرّيم على سبيل الاستعارة التصريحية وسر جمال هذه الاستعارة أنّها حولت - في باب السخرية والتهكم - هذا السيد إلى جارية تبحث عن مكانها بين الحرّيم .

ومن الاستعارات التصريحية الجميلة قول الرقيعي :

يا عذارى حيناً الحَلْمِ

مازلنا شباباً

فاغسلوا وجه القمر

بالأغاني (39)

وقوله :

موطني يا مشرقَ الشَّمْسِ ويا أرضَ طماحي

يا عرينِ النسرِ يختالُ غروبي الجناح

من دوي المدفعِ الرشَّاشِ قدستُ جراحي

من أغاني إلى النَّصرِ إلى فجرِ صباحي (40)

استعار الشاعر هنا لفظة العرين الذي هو مبيت الأسد وأضفاها على النسر وقد زادت هذه الاستعارة من قوة المعنى الذي رمى إليه الشاعر وهو القوة ؛ فكأن الشاعر لم يكتف بقوة النسر فاستعار له قوة الأسد من خلال عرينه .

واستعار الشاعر علي الخرم الليل الذي يرمز إلى الخوف الناتج عن الظلمة نقرأ :

تعالى

إنَّ هذا الليلُ يصلُّبني

على بوابة المنفى

ويغرسُ فيَّ خنجره

فيمضي حدَّه المحنون في جرحي (41)

الملاحظ هنا أن الشاعر صرح بالمشبه به وهو الليل ، وحذف المشبه وهو الإنسان الذي يرتكب الجرائم وقد وفق الشاعر إلى رسم هذه الصورة عندما استعار الليل وصرح به ليوقفنا على ما ارتسم في ذهنه .

ومن الاستعارات التصريحية المؤثرة والجميلة قول علي صدقي عبدالقادر :

لماذا حزينة ؟

ووجهك يا فرحتي كالمدينة

تفتحُ صباحاً نوافذها المستقيمة

وعند المساء تضيءُ مصابيحها بالسفينة (42)

لقد استعار الشاعر وجه الحبيبة للفرحة العارمة مع إيجاد قرينة تربط بين الطرفين على سبيل الاستعارة التصريحية .

والصور الاستعارية كثيرة جداً عند الشعراء الليبيين ولذلك نكتفي بهذه النماذج التي أردنا أن ندلل بها على استخدام الشعراء الليبيين لهذه الصورة الجميلة ، والمؤثرة التي من شأنها أن تزيد من قوة المعنى وذلك بتشخيص الأشياء المعنوية ، وبث الحياة في الجمادات إلى غير ذلك من سمات هذه الصورة .

3 - الكناية

الكناية صورة أخرى مهمة تؤثر في المتلقي أيما تأثير ، وهي صورة لا يقصد بها إلى الشيء المراد مباشرة بل يكنى عنه بغيره بحيث يكون القصد إليه دون التصريح به (43) ، ومعلوم أن الكناية أبلغ من التصريح كما أن المجاز أبلغ من الحقيقة .

وبتتبع هذه الصورة في الشعر الليبي رصدنا هذه النماذج :

نقرأ للشاعر علي الخرم قوله :

إلام تظلُّ الخراف

تلوكُ الحصى والنفايات

مُسَلِّمةً بالجفاف (44)

كنى الشاعر هنا عن موصوف هو الشعب بكل شرائحه واختار الخراف ليكني بها لما في هذه الكناية من إيحاء مشحون بالعواطف . وأنت ترى أن الكناية هنا أبلغ من التصريح فلو قال الشاعر مثلاً " إلام يظل الشعب " لما كان التعبير مؤثراً مثلما هو عليه حين لجأ الشاعر إلى الكناية .

ومن الكنايات الجميلة التي أدت المعنى بقوة قول الرقيعي :

إِنَّهُ يَا أَصْدِقَائِي الطَّيِّبِينَ

زَيْتُ مَصْبَاحِي لِآلَافِ اللَّيَالِي الْآتِيَةِ

إِنَّهُ فِي خَاطِرِي يَرُوقُ أَشْهَى أُغْنِيَةِ (45)

ففي قول الشاعر " زيت مصباحي " كناية عن صفة هي إضاءة الطريق في الليل البهيم ولا يخفى ما في هذه الكناية من قوة تأثير في المتلقي ؛ لأن الشاعر لو صرح ولم يكن بأقال " إنه يضيء لي الطريق في الليالي المظلمة " لما كان قوله مؤثراً مثلما هو عندما كنى عن هذه الإضاءة بقوله " زيت مصباحي " .

والذي لا بد من ذكره هو أن هذه الصورة قليلة جدا عند شعراء ليبيا قياساً بالصورتين السابقتين - التشبيه والاستعارة - ولعل السبب في ذلك راجع إلى عدم تمكن أكثر شعراء ليبيا - الذين شملتهم الدراسة - من هذه الصورة لما فيها من صعوبة بالغة حالت دون استخدامها لها على الرغم من أهميتها في التأثير شأنها شأن غيرها من الصور .

4 - المجاز المرسل

المجاز المرسل قسمان : مجاز عقلي ، ومجاز لغوي وينقسم هذا الأخير على قسمين هما : المجاز الاستعاري ، والمجاز المرسل وهذا النوع الأخير هو المقصود في هذه المقاربة النقدية ؛ لأنه مجاز علاقته غير المشاهدة وإنما سُمي مرسلًا لعدم تقيده بعلاقة المشاهدة ، أو لتعدد علاقته .

ومن الصرر المجازية في الشعر الليبي قول الشاعر علي صدقي عبدالقادر :

وعلت من خيلنا حممة النَّصْرِ المَبِينِ

وتعالى صوتُ تَهْلِيلِ وتكبيرِ الأذنين

كيف تنسى الآن يا شومان تاريخَ السنين (46)

ففي العادة أن اللسان هو الذي يهمل ويكبر لكن الشاعر اجتاز هذه الصفة إلى القلب - والأذنين جزء منه - على سبيل المجاز المرسل والعلاقة هنا هي المحلية ؛ إذ إن الإنسان عندما يهمل إنما يدلل على فرحه ومحل الفرح هو القلب .

ومن قبيل الجاز المرسل أيضا قول الرقيعي :

باعوك بالبخسِ الحقيِرِ نذالة بئس الدُّناة خيانة بأعوك
لا لا اليهود تجرءوا أن يجلّموا بالنّصر أو بالحكم في ناديك(47)

ففي قول الشاعر " ناديك " مجاز مرسل علاقته المكانية حيث إن المقصود ليس النادي بل من يجلس فيه فعبر عنهم الشاعر بالنادي الذي هو مكان جلوسهم .

وهذه الصور - الجاز المرسل - أيضا قليلة الاستعمال ، بل نادرة فقلما تعثر وأنت تقرأ في دواوين الشعراء الليبيين على صورة مجاز مرسل بمعناه التام الذي وضعت له في علم البلاغة العربية وهذا ناتج - في رأينا - عن عدم تمكن هؤلاء الشعراء ، أو جلهم من فنون البلاغة العربية .

الخاتمة

هذه وقفة مع الصورة الشعرية المفردة التي كان لها كبير الأثر في بناء النص الشعري عند الشاعر الليبي شأنه شأن غيره من شعراء العربية الكبار . هذه الصورة التي مثلت عنصرا من عناصر البناء الفني للنص الشعري عند الشاعر الليبي الذي استطاع من خلال هذا العنصر أن يجمّل نصه دلالات متنوعة وشحنات نفسية مؤثرة ارتقت بالنص الشعري الليبي لتجعل منه نصا شعريا مؤثرا في العواطف الإنسانية محققا مكانة متقدمة تضعه في مصاف النصوص الشعرية في المشرق العربي .

هوامش البحث ومصادره :

- 1 - الصورة الأدبية، مصطفى ناصف، ط1، بيروت، دار الأندلس، 1981م ص : 29 .
- 2 - التصوير الشعري، عدنان حسين قاسم، ط1، طرابلس، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع، 1980م، ص: 183 .
- 3 - الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، جابر عصفور، القاهرة، دار المعارف، ص: 189 .
- 4 - ديوان أحمد الفقيه حسن، طرابلس، مطابع وزارة الإعلام والثقافة، 1966، ص: 347
- 5 - أحمد الشارف دراسة وديوان، علي مصطفى المصري، بيروت، المكتب التجاري، 1968م، ص: 212 .
- 6 - ديوان ورود وأشواك، عبد الحميد اليربوعي، ط1، طرابلس، مطابع وزارة الإعلام والثقافة، 1968م، ص: 23 .
- 7 - ديوان السور الكبير، خالد زغبية، ط1، طرابلس، مطابع وزارة الإعلام والثقافة، 1968م، ص: 115 .

- 8 - المصدر السابق، ص: 115 .
- 9 - ديوان أغنية البحر، عبد الحميد القمودي صالح، طرابلس، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1984م، ص: 53 .
- 10 - الأعمال الشعرية الكاملة، علي الفزاني، مجموعة الأولى، ط4، طرابلس، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1983م، ص: 67 .
- 11 - ديوان الكلمة لها عينان، علي صدقي عبدالقادر، ط1، لاب، لامط، 1970م، ص: 165 .
- 12 - الأعمال الشعرية الكاملة، علي الفزاني، مصدر سابق، ص: 43 .
- 13 - ديوان زغاريد في علبة صفيح، عبد الحميد القمودي صالح، لاب، لامط، 1973م، ص: 101 .
- 14 - المصدر السابق، ص: 123 .
- 15 - ديوان أغنية البحر، عبد الحميد القمودي، مصدر سابق، ص: 161 .
- 16 - ديوان الشاعر (مخطوط)، ص: 147 .
- 17 - ديوان أحلام وثورة، علي صدقي عبدالقادر، ط1، القاهرة، دار النشر المصرية ودار الثناء للطباعة، ص: 18 .
- 18 - ديوان بعد الحرب، حسن صالح، طرابلس، دار النشر الليبية، 1962م، ص: 68 .
- 19 - شاعر من ليبيا إبراهيم الأسطى عمر، تحقيق: علي مصطفى المصراحي، ط2، طرابلس، مكتبة الفكر، 1972م، ص: 122 .
- 20 - ديوان زغاريد في علبة صفيح، عبد الحميد القمودي، مصدر سابق، ص: 114 .
- 21 - المصدر السابق، ص: 46 .
- 22 - ديوان أنشودة الحزن العميق، محمد الشلطاوي، ط2، مصراتة، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، 1996م، ص: 49 ، 50 .
- 23 - شاعر من ليبيا إبراهيم الأسطى عمر، مصدر سابق، ص: 111 .
- 24 - المصدر السابق، ص: 72 .
- 25 - التصوير الشعري، عدنان حسين قاسم، مصدر سابق، ص: 81 .
- 26 - فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، رجاء عيد، ط2، الإسكندرية، منشأة المعارف، ص: 400 .
- 27 - ديوان الطوفان آت، علي الفزاني، طرابلس، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، 1980م، ص: 10 .

- 28 - ديوان صرخة، علي صدقي عبدالقادر، بيروت، مؤسسة المعارف، 1965م، ص: 258 .
- 29 - نقلا عن: الشعر والشعراء في ليبيا، محمد الصادق عفيفي، ط1، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1957م، ص: 246 .
- 30 - ديوان أغنية الميلاد، خالد زغبية، ط2، طرابلس، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1986م، ص: 64 .
- 31 - المصدر السابق، ص: 68 .
- 32 - ديوان أشواق صغيرة، علي الرقيعي، ط1، طرابلس، مطابع وزارة الإعلام والثقافة، 1966م، ص: 59 .
- 33 - ديوان أحمد الفقيه حسن، مصدر سابق، ص: 177 .
- 34 - أحمد أحمد قنابة دراسة وديوان، الصيد أبوديب، ط1، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1968م، ص: 148 .
- 35 - ديوان رياحين، محمد عبدالله معيتيق، بيروت، دار لبنان للطباعة والنشر، 1970م، ص: 80 .
- 36 - ديوان يوميات تجربة شخصية، محمد الشلطامي، ط1، مصراتة، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، 1980م، ص: 103 .
- 37 - نقلا عن: الشعر والشعراء في ليبيا، محمد الصادق عفيفي، مصدر سابق، ص: 246 .
- 38 - الأعمال الشعرية الكاملة، علي الفزاني، مصدر سابق، ص: 57، 58 .
- 39 - الليل والسنون الملعونة، جمع وتقديم: بشير العتري حنين، ط1، منشورات أمانة الإعلام والثقافة، 1990م، ص: 81 .
- 40 - ديوان الحنين الظامى، علي الرقيعي، ط1، طرابلس، منشورات مكتبة الفرجاني، 1957م، ص: 104 .
- 41 - ديوان الجوع في مواسم الحصاد، علي الخزم، طرابلس، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1984م، ص: 10 .
- 42 - ديوان ضفائر أُمي، علي صدقي عبدالقادر، ط1، بيروت، لامط، 1970م، ص: 61 .
- 43 - الصناعتين، أبوهلال العسكري، تحقيق: مفيد قميحة، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1982م، ص: 407 .
- 44 - ديوان الجوع في مواسم الحصاد، علي الخزم، مصدر سابق، ص: 26 .
- 45 - ديوان أشواق صغيرة، علي الرقيعي، مصدر سابق، ص: 9 .
- 46 - ديوان أحلام وثورة، علي صدقي عبدالقادر، مصدر سابق، ص: 129 .
- 47 - ديوان الحنين الظامى، علي الرقيعي، مصدر سابق، ص: 76 .

الغلموية والشعر والشبق في الشعر الأندلسي

الدكتورة: ربيعة أبوالقاسم علي الواعر

جامعة الزاوية - ليبيا

أولاً: الغلموية وشعراؤها:

هو الهوى ومديما كنتُ أحذره	السقمُ موردهُ والموتُ مصدره
يا لوعة أحلا من نظرة أمل	الآن أعرفُ رشداً كنتُ أنكره
جدُّ من الشوق كان الهزل أوله	أقلُّ شيء إذا فكرتُ أكثره
ولي حبيب دنا لولا تمنُّعه	وقد أقولُ نأى لولا تذكره ⁽¹⁾

يعد الحب الشاذ ظاهرة اجتماعية تعكس ما أصيب به المجتمع الأندلسي من تحرر حتى الانفلات، واستهتار حتى العبث بالقيم والمبادئ الخلقية، ويبدو أن هذا الحب كان شائعاً في الأندلس كما يدل على ذلك الشعر الذي وصلنا من ذلك الزمان، ومن الصعب جداً أن نوضح الأسباب النفسية والاجتماعية لهذه الظاهرة الغريبة، إن شيوع الكلف بالغلما في الأندلس بكل ما يمثله من خطورة على الحياة الاجتماعية، ظاهرة يحار المرء في تعليلها. إذ لا يمكن إرجاعها إلى المناخ السائد في شبه الجزيرة، ولا إلى التكوين البشري للمجتمع، ولا إلى التعطش الجنسي في مجتمع لا يعاني من الكبت، ولا يحرم الناس فيه من الدفء الأنثوي، فإذا كان من الممكن أن نتصور الحرمان الجنسي سبباً رئيسياً من أسباب هذا الاتجاه في الطبقات الفقيرة، فإن مثل هذا السبب يفقد أهميته تماماً في الأوساط الأرستقراطية التي ابتذلت فيها المرأة والتي كان انتشار حب الغلمان فيها لا يقل عن انتشاره في غيرها من الطبقات، إن لم يزد عنها، وربما يرجع السبب في ذلك إلى أن الغلمان كانوا يسقون الخمر، ويعمرون مجالس اللهو والغناء والأنس والطرب، مع ما اشتهروا به من ظرفٍ وجمالٍ ألحب القلوب، إلى جانب أن المجتمع الأندلسي في كثير من مراحلها قد بلغ من الحضارة درجة يبدأ منها في التحلل، وكان التمتع بالغلما أحد المظاهر الجديدة في ألوان المتعة، كما أن البحث دائماً عن وسائل جديدة للمتعة فكان الغلمان أحد هذه الوسائل، ويبدو أن العرب الفاتحة كانوا يسكنون شبه الجزيرة العربية قبل دخولهم الأندلس وكانت وجوههم السوداء كالحلة للبشرة البيضاء وزرق العيون وغيرها من الجديد الذي لم يكن عندهم إلا بالقلة القليلة، ومن ير مخطط

(1) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ لابن بسام/ تقديم محمد رضوان الداية/ منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي/ دمشق. 1978/ص733.

الأندلس وكثرة ما يجري فيها من أثمار يصب بعضها في المحيط الأطلسي وبعضها في البحر المتوسط يُحس جمال هذه البلاد وجمال مناظرها وأوضاعها الطبيعية، وقد أفاض مؤرخو العرب في وصف مشاهدتها، ففي إقليم طالقنة من أقاليم إشبيلية وجدت صورة جارية من مرمر معها صبي، وكأن حية تريده، لم يسمع في الأخبار ولا رأي في الآثار صورة أبدع منها⁽¹⁾، كما أفاض الشعراء في التغني بمناظرها، وهذه البلاد نزلها أمم مختلفة قبل دخول العرب فيها. حين فتحها العرب، لم يكن الجيش الفاتح عربياً خالصاً بل كانت كثرته من البربر، واستمر العرب والبربر ينزلون الأندلس ويستقرون بها بحيث استطاعوا أن يعربوها ويجعلوها ولاية عربية ثم دولة عظيمة تنافس بعاصمتها بغداد، على أن هذه الدولة الكبيرة لم يمض نحو قرنين ونصف حتى بدأت تنقسم إلى شعب وفروع كثيرة، تصبح كل مدينة كبيرة فيها إمارة مستقلة بنفسها لها ملك، وللملك وزراؤه وشعراؤه في نظام معروف سمي بنظام ملوك الطوائف، وقد مزق هذا النظام الرقعة الأندلسية إلى دويلات متناحرة، الأمر الذي أضعف قوة العرب العسكرية وأوصلهم إلى حافة الانهيار، كما أن الأوضاع الثقافية بعامة والأدبية بخاصة تطورا مملوساً، فقد انتشرت العلوم والآداب في ذلك العصر إذ كان الأمراء يتنافسون في تعزيزها، وهذا أصبح عصر ملوك الطوائف العصر الذهبي للشعر والشعراء، وكان هؤلاء الملوك يتنافسون فيما بينهم لجذب الشعر إلى دويلاتهم واجتهد كل واحد منهم في أن يكون له أكثر من شاعر يتغنى بأمجاده ومفاخره فكثرت الشعراء، وفي ظل ملوك الطوائف، وإذ تنوعت المواضيع الشعرية، وهذا ظهر هذا النوع الجديد من الغزل، الذي انتشر في تلك الآونة عادة اقتناء الغلمان، يقول المؤرخ جرجي زيدان: "إن الأمويين عمدوا إلى استخدام الخصييان الصقالبية وهم غلمان كان النخاسون يحملونهم من شمالي أوروبا يتجرون ببيعهم في أنحاء العالم، وكان الاتجار بهم راجحاً... وقد كانوا بيض البشرة وعلى جانب عظيم من الجمال... وكان المسلمون في الأندلس يبتاعونهم للخدمة أو الحرب"⁽²⁾، وهؤلاء الغلمان كانوا يُلبسون الثياب الجذبة ويُزينون بالحلي ويعطون كالتساء، ولعل الذوق الجمالي حينئذ كان يلتفت إلى جمال الغلمان أكثر من التفاته إلى جمال المرأة وذلك سعياً وراء ضرب من المتعة الجديدة.

الغلمان لغة:

1: الغلام تصغير غليم والجمع غلِمة وغلِمان، واستغنوا بعلمة عن أغلِمة والأثنى غلامه⁽³⁾، وغلِمة؛ وغلِمان، وهي غلامه⁽⁴⁾.

(1) الروض المعطار في خبر الأقطار/ محمد عبد المنعم الجميري/تح: إحسان عباس/منشورات لبنان/1975م/ص123.

(2) تاريخ التمدن الإسلامي/ جرجي زيدان/القسم الثاني/ج4/ص497-498/ مطبعة دار المعرف/مصر.

(3) الغلمان في الدولة العباسية/طارق حسين سعيد محمد على/ص11-12.

(4) مختار القاموس/الظاهر الزاوي/حرف الغين. باب اللام. فصل الميم/ص460.

2: الغلام بالضم، وإنما أهمل لشهرته، كما يطلق أيضاً على الكهل. قال الإعرابي: يقال فلان غلام الناس وإن كان كهلاً.

3: مفردھا غلام وهي تعني في اللغة العربية شاب أو فتاة حديثة السن، والغلام الأمرد هو الغلام الذي لا شعر في لحيته، وإن الكلمة تعني بشكل عام خادم.

4: أمّا بالنسبة لكلمة غلام، فقد وردت هذه اللفظة على الآثار والتحف العربية، وهي في أصل اللغة الصبي الصغير، ويجمع على غلمان وغلماة، ثم صار اللفظ يطلق على المملوك الصغير السن أو الذي لم يتجاوز مرحلة الشباب.

5: ولبعض كتّاب التاريخ رأي، أن غلمان مفردھا غلام ومؤنثھا جارية.

الغلمان اصطلاحاً:

وردت هذه الكلمة في سورة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾⁽¹⁾ وتفسير هذه الآية: يطوف عليهم: للخدمة لهم كأهم حسناً ولطافة، لأنه فيها: أحسن من غيرها، غلمان أرقاء. لؤلؤ مكنون: مصون في الصدق. وهناك أخبار عن خدمهم وحشمهم في الجنة، كأهم اللؤلؤ الرطب المكنون في حسنهم وهائمهم ونظافتهم وعبق عطرهم وحسن ملابسهم. ومن خلال تفسير الآية الكريمة نجد أن معنى واستخدام الغلمان في الجنة يكاد يكون مطابقاً للمعنى والاستخدام الدنيوي، فهم في الدنيا أرقاء وفي الجنة كذلك، وأخيراً للدلالة على استعمال لفظة غلام، فقد وردت كلمة غلام في توقيعات بعض الصناع، وربما كانت تدل على أن الصانع المذكور قد تعلم صنعة على يد صانع آخر، ومن ثم فإنه يحس كأنه مملوكه، وربما تدل على أن الصانع كان مملوكاً فعلاً لصاحب الاسم الوارد في التوقيع بعد لفظة غلام⁽²⁾ وما لجوؤنا إلى تحديد هذا المصطلح الإنساني إلا للدلالة على أهميته في ما مثل من دور حضاري في الأدب والتاريخ والسياسة إبان الوجود العربي في أسبانيا، وقد كثر عدده في دويلة المرابطين⁽³⁾، وعلى الرغم من قصر تلك الفترة التي تخضبت بالحروب، فقد ظهر شغف بالأدب

(1) الطور: آية 23.

(2) الغلمان في الدولة العباسية/11-13.

(3) من هم المرابطون؟ بعد انتهاء عهد ملوك الطوائف بقيام دولة المرابطين التي أزالَت الدويلات الأندلسية وضمها إليها، والمرابطون يرجع أصلهم إلى قبيلة "لمتونة" البربرية الصنهاجية في المغرب، وقد سموا "المتمنين" لأهم كانوا يضربون لثاماً على وجوههم، ومؤسسها هو يحيى بن إبراهيم من قبيلة جدالة الصنهاجية، وقد اعتنق يحيى الإسلام وقصد مكة المكرمة فأدى فريضة الحج وعاد ليصلح قبيلته، حيث أصبحت الدولة ذات حركة دينية، ثم دعا يحيى الفقيه عبد الله بن ياسين ليلقن قبيلته أصول الدين، فأنشأ عبد الله رباطاً جعله مكاناً للصلاة والعلم، وقد أمّ الناس ذلك المكان بكثرة فسموا بالمرابطين، فتأسست الدولة بزعامة عبد الله بن ياسين وقيادة يحيى بن عمر، ثم توفي وخلفه أخوه أبو بكر بن عمر، وسيطر على القسم الأكبر من المغرب، ثم تنازل لابن عمه يوسف بن تاشفين أبو يعقوب، تسلّم يوسف -

شعراً ونثراً، وابتدعت ألوان منه عنيت بالإنسان، وعلت فنون وأغراض مقاماً وذبلت ألوان وفنون أخرى، وألوان أخرى أخذت طعاماً جديداً عرفت بالـغزل الغلماي "المذكر"، حيث كان الشعراء يلجئون إلى اقتناء غلمان خدام ينتقوا لهم لحسنهم وطلاوة أحاديثهم فيحاكون بأوصافهم أجمل النساء، وفي هذه الفترة بدأ الغزل الغلماي ثابتاً مستقراً مستقلاً، وقد أشار ابن حزم في كتابه طوق الحمامة إلى نظرة الأندلسيين- في عصره- إلى الحب والغزل وتحدث عن أشياء من عوائدهم وأساليبهم فيها، كغرام بعضهم بجمال الأشقر، وعن اتخاذ الحمام لتبليغ الرسائل، فقال وإني لأعرف من كانت الرسول بينهما حمامة مؤدبة، ويُعقد الكتاب في في جناحها، وفي ذلك يقول:

تخيرها نوحٌ فما خاب ظنُّه
لديها وجاءت نحوهُ بالبشائر
سأودعها كُتبي إليك فهأكها
رسائلٌ تهدي في قوادم طائر⁽¹⁾

وعن التهادي بحصل الشعر مبخرة بالعنبر مرشوشة بماء الورد، ولقت في تطاير الوشي والخز. وحدثنا عن ضروب من الحب عندهم أدت إلى الجنون وأخرى إلى الانتحار، ويستشف من أقواله سيطرة الجارية على دنيا الغزل، ويقال أن المنصور بن أبي عامر قتل جارية كان نحسها قد لقنها بعض أبيات وأمرها بإنشادها بين يديه⁽²⁾، في صبح أم المؤيد، وأن آل مغيث استؤصلوا ولم يبق منهم إلا الشريد الضال؛ لأن أحمد بن مغيث تغزل بإحدى بنات الخلفاء، مما يدل على قيام حدود صارمة تجعل نساء الأشراف في منزلة خاصة لا تتناول إليها، أو لا يجب أن تتناول عيون الشعراء المتغزلين عليها. وبالنظر إلى الغزل فقد ربط ابن حزم الحب في رسالته بالنظرة الأفلاطونية، وربما وثق العلاقة بينه وبين الأخلاق، ولم يكن جارياً في هذا على طبيعته المتدينة فحسب، بل كان يصور تياراً قوياً في شعر الحب بالأندلس وجد قبل أن يكتب طوق الحمامة. إذ كانت علاقة الشعر بالأخلاق قد أخذت تتحدد لا على نحو رومنطقي أعرابي كما حدث في نسيب المشاركة أبان العصر الأموي بل على نحو الإيمان بالعفاف عند المقدرة وأنه

— الحكم ففتح فاس وطنجة وسبتة وبنى مدينة مراكش وجعلها عاصمة ملكه، ثم اجتاز بجيشه الكبير بحر المضييق، وأتى الجزيرة الخضراء حيث وفاه ملوك الطوائف بالعدد والعدة، توجه الفونسو للقاء ابن تاشفين فدارت بينهما معركة عرفت باسم "الزلاقة"، عاد على أثرها يوسف بن تاشفين إلى المغرب مكللاً بغار الانتصار، وفي عهد أبو الحسن بن يوسف بدأ ظهور الموحدين، سقط علي بن يوسف في معركة وهران وخلفه ابنه إبراهيم الذي قتل في حصار مراكش (541هـ/1146م)، وموته انتهى حكم المرابطين. ينظر: المرأة العربية في الأدب الأندلسي من الفتح الإسلامي إلى سقوط الخلافة (92-422هـ) (711-1031م) رسالة مقدمة لجامعة الخرطوم/ إعداد: د. ربيعة أبو القاسم علي الواعر/2012م/ص176-180 بتصرف.

⁽¹⁾ طوق الحمامة في الألفة والألف لابن حزم الأندلسي/ قدم له وحققه: فاروق سعد/ منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت/2002-2003م/ص114.

⁽²⁾ شهيرات النساء في العالم الإسلامي/ قدرية حسين/ دارالمعارف. مصر/د.ت/ص254.

سمة أخلاقية ملازمة للفتوة نفسها، تلك الفتوة النابعة أيضاً من النظرة الدينية. وقد مثل ابن فرج صاحب الحدائق هذا الاتجاه خير تمثيل في مقطوعتين، يقوا في الأولى من الكامل:

وما الشيطان فيها بالمطاع	وطائفة الوصال صددتُ عنها
دياجي الليل سافرة القناع	بدت في الليل سافرة فباتتُ
لأجري في العفاف على طباعي	فملكْتُ الهوى جمحات شوقي
فيمنعه الفطام عن الرضاع	وبتُهما مبيتَ الطفل يظما
سوى نظر وشم من متاع	كذاك الرّوضُ ما فيه لمثلي
فاتخذ الرياض من المراعي ⁽¹⁾	ولستُ من السوائم مَهْمَلاتٍ

أما الثانية فقوله:

بشكر الطيف أم شكر الرقاد	بأيهما أنا في الحبّ بادي
عفتُ فلم أنل منه مرادي	سرى فازداد بي أمني ولكن
جريتُ من العفافِ على اعتيادي ⁽²⁾	وما في النوم من حرجٍ ولكن

وقد كان الصراع واضحاً في فلسفة ابن حزم بين الشهوات والإقلاع عنها، فذهب إلى القول بأن الله عزّ وجل ركّب في الإنسان طبيعتين متضادتين: إحداهما لا تشير إلاّ بخير ولا تحض إلاّ على حسن ولا يتصور فيها إلاّ كل أمر مرضي، وهي العقل، وقائده العدل، والثانية ضد لها، لا تشير إلاّ إلى الشهوات، ولا نفوذ لها إلاّ للردى، وهي النفس، وقائدها الشهوة⁽³⁾ والروح واصل بين هاتين الطبيعتين. وقد أنكر ابن حزم قول الناس في عصره وبلده، إن الوفاء في قمع الشهوات في الرجال دون النساء، وقال: الرجال والنساء في الجنوح إلى هذين الشئيين سواء⁽⁴⁾، وذهبت هذه النظرة في هذا الموقف "الحي"، بعد عصر ابن فرج وغيره عن التمكن من الشهوات مذهباً أدبياً، دون أن يعبر في ذلك عن حقيقة أخلاقية ماثلة في نفسه، ومن الشعراء من عبّر عن القناعة في الحب هو الشاعر أبي جعفر أحمد بن الأبار، أحد شعراء دولة المعتضد، فقال:

وصيرتُه يدُ الصهباء طوع يدي	حتى إذا غازلت أجفانه سنةً
فقال: كفك عندي أفضل الوسدِ	أردتُ توسيدهُ خدي وقلّ له
وبتُ ظمآن لم أصدر ولم أردِ	فبات في حرم لا غدر يذعره

(1) تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)/إحسان عباس/دار الثقافة. بيروت/1969م/ص 158.

(2) نفسه/158.

(3) طوق الحمامة/ص 268.

(4) طوق الحمامة/270.

هذا مع أن لأبي جعفر بن الأبار قطعاً مجونية فاحشة جرى على منواله في بعضها عبد الجليل بن وهبون وأبو بكر الداني والأشبيلي وغيرهم، وهذا ما يؤكد انقسام الغزل في هذا العصر إلى اتجاهين عند الشاعر الواحد، إلى جانب انقسامه منذ عهد مبكر بين غزل بالمؤنث وآخر بالمذكر، ومما يميز الغزل في هذا العصر-الأندلسي- وضوح شخصيات بعض النساء اللواتي يدور الغزل حولهن أو دوران الغزل حول امرأة معروفة، يذكر أن ابن الحداد كان قد شغف في صباه بجارية يسميها "نورية" واسمها على الحقيقة "جميلة"، فقال فيها:

ورأت جفوني من نورية كاسمها
والماء أنت وما يصحُّ لقايضٍ
ناراً تضلُّ وكل نارٍ ترشد
والنَّارُ أنتِ وفي الحشا تتوقد⁽¹⁾

ومن أشهر قصص الحب في الأندلس قصة ابن زيدون وصاحبه ولأدة بنت الخليفة المستكفي، وسبب ذلك أنها قصة تمثل العلاقة الارستقراطية بين اثنين من السادة، أحدهما مخزومي النسب، وصاحبه أموية من بيت الخلافة، ومن روائع قوله فيها:

ألم أوثر الصَّبَ كيما أخفَّ
ألم أرضَ منك بغير الرضا
ألم أعتَفِرَ موبقات الذنوب
ولم يَدِرِ قلبك كيف النَّزوع
وليتَ الذي قاد عفواً إليك
بجيل عذوبة ذلك اللَّمس
ألم أكثرَ المهجرِ كي لا أقلَّ
وأبدي السُّرورِ بما لم أنلَّ
عمداً أتيتَ ههنا أم ذلَّ
إلى أن أرى سيرة فامتثلَّ
ابن الهوى في عنان الغزل
ويشفي من السقم تلك المقل

كما يظهر الغزل في واحدة من وقفات ابن زيدون أيضاً مع ولادة بحيث ينقلنا من شدة الوجد إلى عالم الرسم الجميل الذي صور فيه محبوبته بما تتصف به من صفات الجمال الرائعة فيقول:

مفضَّضُ الثَّغْرِ لَهُ نُقْطَةٌ
من عنبرٍ في خده المذهب⁽²⁾
وقوله أيضاً :

يا أئين الناس أعطافاً وألينهم
لحظاً وأعطر أنفاساً وأرداناً⁽³⁾

(1) ديوان ابن الحداد (480هـ)/تح:د. يوسف علي طويل/ط1: 1990/ منشورات دار الكتب العلمية. بيروت قافية الدال/88.

(2) ديوان ابن زيدون/لابن زيدون/شرح وتعليق. محمد سيد كيلاي/مطبعة البابلي الحلبي. مصر/ط:3. 1965م//ص312.

(3) ديوانه//332.

ومن خلال هذا العرض السريع يتضح لنا في هذا العصر أن الغزل ظل دون شاعر متخصص فيه مثلما كان عمر بن أبي ربيعة أو العباس بن الأحنف في المشرق ولم يبلغ في ورمطيقيته مبلغ شعر المجنون وكثير عزة وغيرهم... ولكنه انقسم قسمة مصطنعة عامدة بين الإلحاح في شأن العفاف أو الانسياق في المجون.

أولاً: الغلموية والأنثوية:

ظل شعراء الأندلس يستعملون معاني المشاركة في تصوير جمال المرأة، لأن حب المرأة موضوع قديم طرقة الشعراء منذ الجاهلية وما يزالون، وقد اتكأ المتأخرون منهم على من تقدمهم من الفحول، وجعلوا يأخذون منه الكثير من المعاني والصور، وكان نصيب شعراء الأندلس كبيراً في هذا الميدان ورغم غزارة شعرهم الغزلي، كشعر ابن زيدون الذي أكثر منه في ولادة بنت المستكفي، فإن شاعراً منهم على مرّ العصور لم يتفرد به ويخصص، وقد نحو في هذا الميدان منحى حسيّاً أكثر منه روحياً وتراوح شعرهم الغزلي بين ما هو جسدي شهواني، وبين ما هو روحي عفيف، إلا أن كفه ميزان الاتجاه الأول رجحت على الأخرى، لأن الطبقة الارستقراطية هي التي مثّلت خيراً تمثيل، وذلك لكونها حامية الأدب ومغذية فنونه وأغراضه من جهة فلكون معظم الشعر الغنائي الذي اطلعت عليه فهو يختص بأفراد الطبقة الوسطى من جهة ثانية، إذ نادراً ما نجد في الوسط الارستقراطي الحب العميق القوي، فشعره يصدر من انفعالات سطحية حزينة، أما بسبب ابتعاده منها لظروف معينة، أو بسبب لقاءها بعد غزوة قد يطول أمدها.

1: الجنسية المثلية بين شواعر الأندلس:

وكما أسلفنا أن الأندلس بعدما استقرت سياسياً انعكس هذا الاستقرار على الحياة الاجتماعية العامة فشاع الترف والمجون بين سكاها حتى وصل إلى النساء اللاتي بلغن بالبعض منهن دركاً من التهلك المزري الذي لم يكن له سابق وجود لدى شاعرات العرب- كما أسلفنا-، حيث انتشر بين شاعرات الأندلس الغزل بالمؤنث، ويطلق على النساء المصابات بداء الجنسية المثلية اسم "Les Biennes" باللغة الفرنسية، كما تطلق كلمة مشابهة لها في اللغات الأخرى⁽¹⁾، ونطلق بالعربية على هؤلاء الشاذات اسم "السحاقيات"⁽²⁾، وقد أُهْمَت ولادة بنت المستكفي بعلاقتها بمهجة القرطبية، وفي هذا الصدد يروي

(1) هذه اللفظة ليست مشتقة من لفظ لاتيني، ولكنها نسبة إلى مدينة يونانية قديمة كان يسكنها جنود وضباط الجيش، وكان هؤلاء الجنود والضباط إذا خرجوا للحرب ظلوا شهوراً طويلة بعيدين عن زوجاتهم، فكانت كل زوجة تختار عاشقة لها لتقضي معها حاجتها في أثناء غياب زوجها... ينظر: الحب والجنس - دراسة علمية - تأليف المحامي: محمد حسن كامل/دار مكتبة الحياة. لبنان/1974م/69-70.

(2) الشعر النسوي/سعد بو فلاقة/98

لنا ابن سعيد: "... وكانت من أجمل نساء زماها وأخفهن روحاً، فعلقت بها ولأدة ولزمت تأديبها"⁽¹⁾، وقد كانت في شذوذ مواقفها ما سيدل بوضوح على إنها تحررت تماماً من كثير من الأوهام، وربما داخل أخبارها شيء من التزيد وهو ما يعود إليها نفسها، مع ذلك فإن التسامح معها بإزاء حياة من هذا اللون يعني أن الإسلام وهو متشدد كثيراً وحساس للغاية فيما يتصل بالمرأة، ارتخت قبضته شيئاً فشيئاً في الأندلس بخاصة، ومن المؤكد أن المناخ الذي أوجدته بيئة ذات عادات مسيحية أتاح للمسلم أن يصل إلى مفهوم أكثر تحملاً فيما يتصل بوضع المرأة⁽²⁾، ومن الشواعر اللاتي تغزلن بالمؤنث - أيضاً - حمدونة بنت زياد المؤدب وهي شاعرة من وادي آش⁽³⁾، فقد خرجت مرة إلى وادي مدينتها مع بعض صواحبها ليسبحن فيه، وكانت معهن فتاة هواها فأثارت عواطفها وهي تستحم في النهر، فأخذت تصور تباريح حبها لها⁽⁴⁾، فقالت: الوافر

أَبَاحِ الدَّمْعُ أُسْرَارِي بَوَادِي	لَهُ لِلْحُسْنِ آثَارٌ بَوَادِي
فَمَنْ نَهْرٍ يَطُوفُ بِكُلِّ رَوْضٍ	وَمَنْ رَوْضٍ يَرِفُّ بِكُلِّ وَادِي
وَمَنْ بَيْنَ الطُّبَاءِ مَهَاةَ إِنْسٍ	لَهَا لُبِّي، وَقَدْ مَلَكَتْ فُؤَادِي
لَهَا لَحْظٌ تَرْقُدُهُ لِأَمْرٍ	وَذَاكَ الْأَمْرُ يَمْنَعُنِي رُقَادِي
إِذَا سَدَلَتْ ذَوَائِبَهَا عَلَيَّهَا	رَأَيْتَ الْبَدْرَ، فِي جُنْحِ الدَّادِي
كَأَنَّ الصُّبْحَ مَاتَ لَهُ شَقِيقٌ	فَمَنْ حُزْنٌ تَسْرِبَلٌ بِالْحِدَادِ ⁽⁵⁾

وظاهرة الغلموية أو الجنسية المثلية لدى شواعر العرب كانت خاصة بالأندلس ولم تعرف بالمشرق⁽⁶⁾، وهكذا من خلال ما أسلفنا نرى أن أجواء من الحرية طبعت الحياة العربية في الأندلس وأثرت في الشعر فظهرت أنواع جديدة من المنظومات الشعرية كالموشحات والأزجال، وراح الغزل ينحو منحى التلاؤم مع

(1) الشعر النسوي / 193 - 194.

(2) بتصرف يسير من: الشعر الأندلسي في عصر الطوائف - ملاحمه العامة وموضوعاته الرئيسية وقيمه التوثيقية - / هنري بيرس / ترجمة: د. الطاهر أحمد مكي / منشورات دار المعارف. القاهرة / مصر / ط1: ذو القعدة 1408هـ / يونيه 1988م / ص 349 - 350.

(3) شاعرات الأندلس / د. تيريسيا جارولو / ترجمة: د. أشرف علي دعدور / مراجعة: أ.د. محمود علي مكي / منشورات دار تحضة الشرق. جامعة القاهرة / ط2: 1985م / ص 82.

(4) الشعر النسوي / سعد بوفلاحة / 194.

(5) شاعرات الأندلس / د. تيريسيا جارولو / 84.

(6) ديوان العرب - كتاب الغزل - / جودت فخر الدين + حسن عبد الله / منشورات دار الحرف العربي. بيروت

لبنان / ط 2: 1419هـ - 1998م / ص 30

تلك الأجواء التي كانت توفر الم لذات على أنواعها⁽¹⁾، فكانت الأشعار برقتها قد عبرت عما للمرأة من قدرة على الإفصاح عن مشاعرها دون مبالاة أو الخوف من رقيب.

2: دور البغاء:

البغاء من المهن التي اكتسبت منها بعض النساء رزقها وأتقنتها، الذي كان مسموحاً به في الأندلس، وقد سميت البغايا بالخرجيات وكانت لمن أماكن خاصة هنّ في بعض الفنادق التي سميت بدور الخراج⁽²⁾، واشتهرت بعض الدروب التي تقع فيها مثل هذه الفنادق بهذا الاسم، وقي ذلك يقول ابن قزمان من أشهر الرجالين في الأندلس:

والنقر فالعيّدان
وصولة المزمّار
يَفْعَلُ وَيَصْنَعُ
مِنْ بَرٍّ تَسْمَعُ⁽³⁾

وكانت البغايا أو الخرجيات يقفن خارج الفندق بكامل زينتهنّ المبالغ فيها، متبرجات كاشفات عن شعورهنّ لإغراء الرجال بل وتحريض النساء أيضاً، وقد أمر صاحب الحسبة ابن عبدون⁽⁴⁾ بأن تمنع هذه النساء عن كشف رؤوسهن، ولا بد للخراجية أن تجيد الرقص والغناء وسائر فنون التسلية التي تمتعوا بها ذاك الزمان، ولم يعبر أحد عن هذه المتعة وعن قولهم: "ولك الساعة التي أنت فيها"⁽⁵⁾، بأفضل مما عبر عنها البكري⁽⁶⁾: الطويل:

خَلِيلِي إِنِّي قَدْ طَرَبْتُ إِلَى الْكَأْسِ
فَقُمُوا بِنَا نَلْهُو وَنَسْتَمِعُ الْغِنَا
وَتُقْتُ إِلَى شَمِّ الْبِنْفَسِجِ وَالْأَسِ
فَلَيْسَ عَلَيْنَا فِي التَّلَلِّ سَاعَةٌ
وَنَسْرِقُ هَذَا الْيَوْمَ سِرًّا مِنَ النَّاسِ
وَإِنْ وَقَعَتْ فِي عَقَبِ شَعْبَانَ مِنْ بَاسٍ⁽⁷⁾

(1) المرجع نفسه/34.

(2) الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين/ عصر الطوائف - 510 - 546هـ/ 1116 - 1151م/د. عصمت عبد اللطيف دندش/ دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان/ ط1: 1408هـ - / 1988م/ ص 337 - 338.

(3) المرجع نفسه/338/ هامش رقم(112).

(4) رسائل آداب الحسبة/ لابن عبدون/ 50.

(5) الشعر الأندلسي في عصر الطوائف - ملاحمة العامة وموضوعاته الرئيسية وقيمتة التوثيقية - / هنري بيريس / ترجمة: د. الطاهر أحمد مكي / منشورات دار المعارف. القاهرة. مصر / ط1: ذو القعدة 1408هـ / يونيه 1988م / 320.

(6) البكري: هو عبد الله بن عبد العزيز البكري من أبناء الأمراء يكتنّى أبا عبد الله، من مفاخر الأندلس، وهو أحد الرؤساء الأعلام، ومن مؤلفاته قلائد في أحياء الأيام، توفي 487هـ / ينظر: الصلة/ لابن بشكوال/ القسم الأول/ 2008م/ رقم (1633) / ص 287 - 288.

(7) الحلة السيرة/ لابن الأبار (أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار) 595 - 658هـ / 1199 - 1260م / تح: حسين مؤنس / دار المعارف مصر / ط2: 1985م / 2/ 187.

وهكذا كانت دور البغاء من أحد الأسباب في تمكن هذا الداء من الانتشار وتآكل جسد الدولة الإسلامية هناك.

3: الحب اللاهبي:

انتشر الحب اللاهبي بين أبناء الطبقة الارستقراطية فانصرفوا إلى هذا الاتجاه الحسي الذي يتعدى معشوقة واحدة بحيث غدت المرأة الأندلسية المدللة وسيلة لتسلية الرجل الغني وملء فراغه، فهو لم يعد وفيماً مخلصاً لها كما كان الأمر عند جميل بن معمر، بل أصبح متحرراً من قيودها باحثاً عن غيرها في المستقبل القريب مقتدياً في ذلك طريقة عمر بن أبي ربيعة وهكذا عكس الغزل اللاهبي حياة العصر الحضارية، وتركز على وصف جمال المرأة الأثوي إلى جانب دلالتها ورفقتها الدائمين. وقد ظل الشعراء الأندلس يستعملون معاني المشاركة في تصوير جمال المرأة، فالأنامل سوسن لشدة بياضها، والعينان نرجس لشدة سوادها وسعتهما معاً، والوجه بدرٌ تم في تلالئه أو شمس الضحى في تودده، والقدر حسام صارم، والخضر ريم في انعطافه... الخ إذاً لم يخرج الأندلسيون من فلك المشاركة ولم يأتوا بأي منزع جديد إلا نادراً. وقد ساعد على تطور الغزل الإباضي عوامل عدة أهمها:

- 1: تحسين الظروف الاقتصادية وثناء الطبقة الارستقراطية.
- 2: تطور الغناء والموسيقى.
- 3: ظهور طبقة الجوّاري وجمال طبيعة الأندلس.
- 4: إقامة مجالس اللهو والشراب.
- 5: حرية اختلاط الشباب بالفتيات.
- 6: إتاحة الحكام لأبناء الطبقات الغنية وهم منها كل أسباب اللهو والترف لتأمين شرهم وعدم تدخلهم في شؤون البلاد السياسية، فراحت تغدق عليهم الأموال وتلهيهم بالجوّاري الحسنات.

ثانياً: شعراء العلموية وأشعارهم.....

قال أبو بكر الداني:

ضَمَمْتُهَا ضَمَّ مُشْتَاقٍ إِلَى كَبْدِي حَتَّى تَوَهَّمْتُ أَنْ الْحُلِيَّ يَنْكَسِرُ

يقول لقد ضممتها إلى صدري ضمة قوية حتى ظننت أن جسمها ينكسر من شدة العناق، وقال ابن

عمار:

ضَمًّا وَلِثَمًا يَفْنَى الْحُلِيَّ بَيْنَهُمَا كَمَا تَجَاوَبُ أَطْيَارٌ بِأَطْيَارٍ

وقال والبة بن الحباب:

قُلْتُ لِنُدْمَائِي عَلَى خَلْوَةٍ أَدْنُ كَذَا رَأْسِكَ مِنْ رَأْسِي

وَنَمَّ عَلَى جَنَبِكَ لِي سَاعَةً
إِنِّي امْرُؤٌ أَنْكَحُ جُلَّاسِي (1)

أنه قال جليسه وهو في مكانٍ منفردٍ معه قَرَّبَ رأسك من رأسي، واستلق بقربك لساعةٍ واحدة، فأنا رجل اعتدتُ أن أضاجع من يجلس معي، وقال ابن المعتز:

تَحَاوَلُ فَتَقَّ غَيْمٌ وَهُوَ يَأْبَى
كَعْنَيْنٍ يَحَاوَلُ نَكْحَ بَكَرٍ (2)

أي أنها تحاول أن تصيب فتقاً في ملابسها وهو يعترض كرافض يحاول مضاجعة فتاة عذراء.

ثالثاً: الغلموية الذكورية:

لم يقتصر التغزل بالمذكر على مجال اللهو والمجون، تعداه إلى أكثر المجالات وقاراً، وهو مجال مدح الخليفة نفسه، فإذا كان الخلفاء في المشرق قد أظهروا لمادحيهم بعض تساهلهم ولين جانبهم، ولم يمانعوا في استهلال قصائد المدح بالغزل في المذكر، فقد عرف الشعراء في الأندلس مثل ذلك التساهل، إذ هناك من استهل مدحه بأبيات من الغزل الشاذ نذكر على سبيل المثال قصيدة إسماعيل الكاتب في مدح الخليفة الناصر، والتي جاء في مطلعها:

لَطُفْتُ أَنَامِلَهُ بِعَقْرَبِ صَدْغِهِ
وَكَأَنَّ شَارِبَهُ هَلَالٌ طَالَعٌ
وَكَأَنَّمَا بَجْبِينَهُ شَمْسُ الضُّحَى
عَمْدًا لَبْلُوغٍ فِي فَوْادِ الْعَاشِقِ
قَدْ حَطَّهَ بِالْمَسْكَ أَحْذَقُ حَاذِقٍ
قَدْ قَنَعَتْ بِظِلَامِ لَيْلٍ غَاسِقٍ (3)

وما مدح الخليفة بهذا النوع من الغزل إنما هو تجاوز لمقامه الذي يفترض أن يكون أكثر جدية ووقاراً، فهو دليل على اتساع شيوعه في أوساط المجتمع، وهو بالتالي نموذج عن الاستهتار بالقيم والمبادئ الخلقية، إن حب الغلمان في الأندلس جعل بضاعة التغزل بالمذكر رابحة رائجة، فأقبل عليها الأندلسيون يتذوقونها ويعجبون بها، مما دفع بالشعراء على الإكثار منها معبرين عن ولعهم تارة وتفننهم طوراً (4)، ولإبراز ظاهرة الولوج الغلماني والتغزل بالمذكر نذكر ابن عمار الذي كان له في هذا المجال جولات عدة تكشف لنا عن الجانب الأهم في حياته والوجه الأكثر وضوحاً لشخصيته وخاصة في قصيدته اللامية المشهورة في المعتمد بن عباد صديقه واعتماد الرميكية زوجته، والتي أغرت المعتمد به حتى قتله، والتي منها:

أَتَذْكَرُ أَيَّامَنَا بِالصَّبَا
وَأَنْتِ إِذَا لَحْتَ كُنْتَ الْهَلَالِ

(1) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني/اختيار وتقديم. محمد رضوان الداية/منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي. دمشق/1978/ق2/م1/ص154.

(2) الذخيرة/ق1/م2/ص904.

(3) الذخيرة/ج3/ص228.

(4) الذخيرة/3/228.

أعانق منك الرطيب
وأقنع منك بدون الحرام
سأهتك عرضك شيئاً فشيئاً
وأرشف من فيك ماءً زلالاً
فتقسّم جهدك أن لا حلالاً
وأكشفُ سترك حالاً فحالاً⁽¹⁾

يقول ابن بسّام: إن تغزل، ولا سيما في المعذرين من الغلمان، أسمع سحراً لا يعرفه البيان، ومن ذلك ما ورد عن ابن عمار أنه ساير غلامين من بني جهور أحدهما أشقر والآخر عذاره أخضر، فكان يميل بحديثه من ظهر دابته إلى الذي وصف في هذه القطعة، فقال:

تعلّقته جهوريّ النجار
من النّفر البيض جرو الزمان
ولا غرو أن تغربَ الشارقات
ولا وصلُ إلا جُمان الحديث
شنثتُ المثلثَ للزعفران
حلّو اللّمس جوهرِيّ الثنايا
رقاق الحواشي كرام السجايا
وتبقى محاسنها بالعشايا
تساقطه من ظهور المطايا
وملتُ إلى خضرةٍ في الثفايا⁽²⁾

ومهما قيل فيه تبقى أخباره ونوادره بالإضافة إلى شعره ترجمان قلبه خير شاهد على حبه للغلمان وتولعه الشديد بهم. كما كان لولادة هجاء لابن زيدون تصفه بعشقه للغلمان ومطارهم، ولا ندري أهو حقيقة كما ذكرت أم هجاء من باب التحقير، فقالت:

إنّ ابن زيدون على فضله
لو أبصر ... على نخلةٍ
وقالت أيضاً:

ولقبتَ المُسدّسَ وهو نعتُ
فلوطيٍّ و ... وزانٍ
تُفارقُ الحياةَ ولا يُفارقُ
وديوثٌ وقرنانٌ وسارقٌ⁽⁴⁾

(1) نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب/ الشيخ أحمد بن المقرري التلمساني/ تح: إحسان عباس/ دار صادر بيروت/ ط1: 1968م/ 4ص/ 212-213.

(2) الذخيرة/ ج4/ ص3888.

(3) النفع/ 4/ 206، نساء من الأندلس/ أحمد خليل جمعة/ اليمامة للطباعة والنشر. دمشق. بيروت/ ط1: 1421هـ- 2001م/ ص492.

(4) نساء من الأندلس/ أحمد خليل/ 492، والقرنان: الدُّيُوثُ المُشارِكُ في قرينته، لزوجته. مختار القاموس/ الطاهر أحمد الزاوي/ 499.

وقد انشغل الشعر والشعراء بتصوير هذه الظاهرة بكثرة ملحوظة لا يعني بالضرورة ممارسة فعلية للشذوذ كما ذكرت ولادة، فقد يكون الحديث عنهم وإبداء التعليق بهم راجعاً إلى الرغبة في استعراض الملكات الشعرية، والقدرات البلاغية السامية، وكما قال الشاعر ابن زرقون الإشبيلي (ت 586هـ):

وافوا لشعر لا جناح عليه وسواء صدقه والكذب

وبما أنّ أعظم مدن الأندلس إشبيلية، التي من محاسنها اعتدال الهواء وحسن المباني، ومهرها الأعظم الذي يقول فيه ابن سفر⁽¹⁾:

شَقَّ النَّسِيمُ عَلَيْهِ جَيْبَ قَمِيصِهِ فانسَابَ مِنْ شَطِيئِهِ يَطْلُبُ نَارَهُ
فَتَضَاكَحَتْ وَرُقُ الْحَمَامِ بِدَوَجِهَا هُزْءاً فَضَمَّ مِنَ الْحَيَاءِ إِزَارَهُ⁽²⁾

فقد كان الذوق الجمالي في أشبيلية قد أخذ يلتفت إلى جمال الغلمان أكثر من التفاته إلى جمال المرأة، وأغلب تلك الأوصاف كان امتحاناً للقدرة على الإتيان بتشبيه مبتكر أو معنى جديد، وسيد الشعراء في هذا الباب بلا منازع هو أبو إسحاق بن سهيل الإسرائيلي⁽³⁾، كان ابن سهيل قد طال به عهد المراهقة فافتتن بسلام يهودي اسمه "موسى"، وجاء أكثر شعره غزلاً فيه، إلا أن شعره لم يكن وفقاً على موسى، إذ تغزل بسلام اسمه "محمد"، فقال فيه:

تسليتُ عن موسى بحبِّ محمدٍ هُدَيْتُ وَلَوْلَا اللَّهُ مَا كُنْتُ أَهْتَدِي
وما عن قَلِيٍّ قَدْ كَانَ ذَاكَ وَإِنَّمَا شَرِيعَةُ مُوسَى عَطَّلَتْ بِمُحَمَّدٍ

وقال في موسى من الكامل:

نَفْسِي فِدَى مُوسَى وَإِنْ لَمْ تُبْقِ لِي أَلْحَظْهُ نَفْساً مَهْمَا أَفْدِيهِ
يَهْدِي إِلَى دِينِ الصُّبَاةِ وَحُسْنِهِ آيٌّ يُضِلُّ مَنِّ مَنْ يَهْدِيهِ
فَعَلْتَ فِعَالٌ عَصَا الْكَلِيمِ لِحَظْهُ بِمُصَدِّقٍ دَعَاؤُهُ لَا يَعْصِيهِ

(1) ابن سفر: أبو عبد الله محمد بن سفر الأديب (ويكتب اسمه أيضاً بالصاد) وهو من ناحية المرية... وسكن إشبيلية. ينظر: المغرب/2/212، النفح/1/157.

(2) النفح/157.

(3) أبو إسحاق بن سهيل الإسرائيلي: قضى غرقاً وهو لم يتجاوز العقد الرابع من عمره والإشبيلي: نسبة إلى أشبيلية، ومعنى اسمها: المدينة المنبسطة، ولها خمسة عشر باباً وهي من غرب الأندلس وجنوبه، وهو شاعر يهودي كان من عجائب الزمان في ذكائه على صغر سنه، دخل الإسلام وقد شكَّ بعضهم في صحة إسلامه، وقد سئل أحدهم عن سبب رقة ابن سهل في الشعر، فقال: لأنه اجتمع فيه ذلآن: ذلُّ العشق وذلُّ اليهودية. مات غريقاً فقال معاصريه: عاد الدر إلى وطنه. ينظر: ديوان ابن سهل الأندلسي/ضبط نصوصه وعدّ فهرسه وقد له: د. عمر فاروق الطباع/شركة دار الأرقم للطباعة والنشر. بيروت/ط1: 1419هـ-1998م/ص5، ودفاتر أندلسية/د. يوسف عيد/المؤسسة الحديثة للكتاب. بيروت/2006م/ص431.

تسعى لقلب الصّب منها حية
وأرى قلوب العاشقين تحيرت
أودت به لسعاً فمن يرقيه
من تيهه في مثل قفر التيه⁽¹⁾
...
فدعوتُه: إني بجنبك مؤمن
وعلى الرغم من أن ديوانه يتمحور حول الغزل الغلماني إلا أنه أورد قولاً متغزلاً بفتاة:
وزاهرة المرأى معطرة الشذا
قد ابتدعت خلقاً من المسك والنور⁽²⁾
...
لو أنّ إيمان الشّحي يُنجيه
قد ابتدعت خلقاً من المسك والنور⁽²⁾

وغيرها من الأشعار الكثيرة في ديوانه للتغزل بالمذكر وإظهار روائع الأوصاف فيه، لكن محطتنا محدودة بوريقات لا تفي حقه، أما الشاعر الآخر الذي أجاد في الوصف الغلماني هو الشاعر الرصافي البلنسي⁽³⁾، وقد أبدع في فن الغزل الغلماني وله روائع بديعية منها ما قاله في غلام يعمل في نسج الحرير مشبهاً إياه بالضبي الذي يمسك العرارة، وهي نوع من النبات، حين يلتقط خيوط الحرير بفيه:

هو والطبي في الحال سواء
أعيد يمسك الحرير بفيه
ما استعار الغزال منه استعاره
مثلما يمسك الغزال العرارة

ومن تغزل بالمذكر أيضاً الشاعر ابن خفاجة (450-533هـ)، الذي كان لوصف الغلمان والتغزل بهم نصيب في أشعاره، كنحو قوله:

قد قام في صدر الندامي، فاستوى
وأكب يشربها، وتشرب ذهنه
فحسبته ألفاً به مكتوبا
فأريت منه شارباً مشروباً
مشمولة، بينا ترى كفه
ماء، ترى في خده ألحوبا

هنا الصورة واضحة في وصفه للغلام الذي ربط بينه وبين الخمرة، وكأهما تؤمان لا ينفصلان فالغلام بدا وكأنه الشمس مشرقة دون غيومها ناصع الجبين ينساب كالماء بين المنتظرين لشدة نعومته ولطافته يدخل القلب دون عناء يشرب الخمرة التي تؤثر فيه وتبعث بلهيبها إلى خديه لتلهبهما باللون الأحمر لتبدو صورته آية في الحسن والدلال.

(1) التيه (الأولى): الزهو، والتيه (الثانية): الضياع إشارة إلى تعرض قوم موسى للتيه في القفر. ديوان ابن سهل/174.

(2) ديوان ابن سهل/86-87

(3) بلنسية من شرق الأندلس تنبت الزعفران وتُعرف بمدينة التراب، وهما كمشرى تسمى الأرزة في قدر حبة العنب، قد جمع مع حلاوة المطعم ذكاء الرائحة، إذا دخل داراً عُرف بريحه، ويقال: أن ضوء بلنسية يزيد على ضوء سائر بلاد الأندلس، وفيها قال الشرف أبو جعفر بن مسعدة الغرناطي:

هي الفردوس في الدنيا جمالاً
لساكنها وكارها البعوض
النفح/179/1.

إن أخبار الحبِّ الشاذِّ والتغزل بالغلمان أصبحت عندهم من الأمور العادية، وكان الشاعر مثلاً يتغزل أحياناً لإظهار مقدرته الفنية على النقل والتصوير والاختراع والإتيان بالجديد أكثر من رغبة التعبير عن تنفيس جنسي يعاني الشاعر حرقة، ولعله في ذلك تقليداً أدبياً، إلا إن الكثير منهم كانوا شديدي التعلق بالغلمان ومغازلتهم والولوع بهم فظهرت قصص غرامية تناقلتها الأفواه، على نحو ما حكى عن أحمد بن كليب النحوي الشاعر (426هـ)، الذي تولع بـغلام اسمه أسلم ولد أحد كبار القضاة، وكان الغلام جميلاً، وقال فيه الأشعار الجميلة التي دارت بين المجالس، فانقطع أسلم عن جميع مجالس الطرب التي كان يرتديها ولزم بيته، ولم تنقطع محاولات العاشق في تفقده والاتصال به، حتى أهلكته العلة ومات، وقد رُئي أسلم قاعداً على قبر أحمد بن كليب على حين غفلة من الناس في يوم مطير⁽¹⁾، وكان قد قال في أسلم هذا:

أسلم يا راحة العليل
رفقاً على الهائم النحيل
وصلك أشهى إلى فؤاده
من رحمة الخالق الجليل

ولم يكن التغزل بالغلمان في مجالس اللهو وهدوء الأيام بل تعداه إلى أكثر من ذلك، كما حدث مع المعتمد بن عباد حين أبدى كلفه الشديد بفتى جميل الصورة من جنوده، يزداد العجب أن ينشغل بتصوير عواطفه نحوه خلال معركة الزلاقة سنة 480هـ والغلام في ملابس الميدان، فأنشأ فيه:

ولما اقتحمت الوغى درعاً
وقنعت وجهك بالمغفر
حسبنا محيّاك شمس الضحى
عليها سحائب من العنبر⁽²⁾

وفي بلاط الملك يدور حوار بين الملك المقتدر بن هود ملك سرقسطة، وبين أحد غلمانه الموصوفين بالجمال والظرف، فأرسل إليه الأمير بما يفصح عن تعلقه الشديد به، فقال:

يا ظبي بالله قلبي
يمر عمر وحالي
متى ترى في حبالي
من خيبة منك خالي

غير أن الغلام أفلت من محاولات الملك، وكتب له في ظهر رقعته:

إن كنتُ ظبياً فأند
وليس يخطر يوماً
مت الهزبر⁽³⁾ تبغي اغتيالتي
حلول غيرك ببالي

فتراجع الملك ورفع مرتبة الغلام إلى الوزارة، وغيرهم من الوزراء والملوك الذين كان لهم السبق والتعلق بالغلمان، إلا أن وقتنا قصير كما أسلفنا ومع هذا نمر سريعاً فنتجاوز مجون الأمراء والوزراء وتعلقهم

(1) بغية الملتمس/ص 189.

(2) ديوان المعتمد بن عباد (431-488هـ)/تح: د. رضا الحبيب السويسي/الدار التونسية للنشر/د.ت، ص 23.

(3) الهزبر: الأسد. مختار القاموس/634.

بالغلمان إلى الطبقات الأخرى لوجدناهم جميعاً في الهوى سوى، كالإمام أبي القاسم السهيلي (ت 581هـ)، الذي يظهر الكلف بـغلام وضيء الوجه من طلابه حتى لم يكن يصبر عليه فيكثر المرور من أمام منزله، وهو لافتنانه بالـغلام قد اضطر لتغيير علاقاته الاجتماعية بالناس حسبما يقول:

جعلتُ طريقي على داره
وعاديت من أجله جيرتي
وما لي على بابه من طريق
فإن كان قتلي حلالاً لكم
وآخيت من لم يكن لي صديق
فسيروا بروحي سيراً رفيقاً

وغيرها من المواقف والأشعار الكثيرة التي قيلت في التغزل بالغلمان سوءاً من عامة الشعراء مثل أبو العلاء زهر بن عبد الملك بن زهر الإيادي الذي كان إلى جانب شعره أنه فيلسوفاً وحكيماً، وأبو بكر بن محمد بن عمّار المعروف بذي الوزارتين، وأبو محمد عبد الله بن صارة الشنتريني الذي كان وصفه إبداعاً حين قال في غلام أحبه:

قاسيتُ حبك منذ حول كامل
فحرمت منك بلوغ ما أملتُهُ
وطيور آمالي عليك تحومُ
أشقى البرية عاشق محروم

وغيرهم من الشعراء في هذا المجال، أو الوزراء أو أصحاب الدين، فالحب لا يفرق بين فقير وغني أو بين عامة الناس أو كبارها.

رابعاً: الشبق⁽¹⁾

هو اجتماع أحاسيس الحب والمشاعر الفياضة، وهو استحضار لماضٍ سعيد أو شقي، ترك في العين دمة أو في القلب لهفة، وكثيراً من الناس من يخلط بين الشبق الحقيقي لتلك المشاعر الصادقة ولو في تلك اللحظة مع النزوة المتغشية بغشاء الحب، والشبق أدب يعبر عن الأحاسيس في مجالات الحب، أما ميدانه فهو المرأة، التي لولاها لما كان ثمة شعر ولا حياة هنية، فلا غرو أن يتخذ الشعراء من الصلة الطبيعية بين الرجل والمرأة أداة لإقامة بناية الغزل الكبرى، وإذا كان بين الغزل والنسيب والتشبيب فوارق معنوية في نظر علماء الأدب، فابن رشيق يجترئ تلك الفوارق بكلمة واحدة: "وهو ذكر محاسن المرأة في ألفاظ حلوة ومعاني سهلة وكلام ظاهر"، وكثيراً من النقاد الذين قالوا إن الغزل أو التغزل هما من المغازلة أي المحادثة وإن التشبيب هو ذكر صفات المرأة، وأن النسيب هو ذكر عاطفة الحب.

والشبق قديماً قدم الإنسان بل خلق معه، فهو تعبير عن أحاسيس ومشاعر، والتعبير عن تلك الأحاسيس لا سيما إذا كانت جنسية قد أوجدتها الطبيعة البشرية، فمنذ وجدت الطبيعة وجد الحب،

(1) نظراً إلى أن البحث العلمي حول هذه الفقرة بالذات يقتضي ورود بعض الألفاظ الجنسية توضيح أكثر لمعنى هذه الكلمة، فإني أعتذر من القراء الكرام سلفاً لعدم وجود ذلك، وإني أؤكد أنه لولا الضرورة لها لما وجدت إطلاقاً فإني أتعفف عن ذلك.

فغير عجيب أن يشاركه التعبير تلك الأقدمية، فيكون الغزل هذا الفن الشعري الغنائي، الكثير الشبوع، الجديد الصلة بحياة الإنسان، تلمساً لحالة عاطفية، ورسمياً لانفعالات قلبية، ومعالجة لأزمات جنسية، ولكن بصدق وإخلاص لتلك المشاعر وليست مجرد أكثر من متعة محدود بزمن من الدقائق العابثة... !!!.

أثر الغزل الغلماني في المجتمع:

تعد هذه الظاهرة من سيئات ما اتسمت به حركة التفاعل بين الأندلسيين والعرب المشرقيين في الحضارة التي تهلها ليغرق بها حياته الخاصة، فكان أن استمد من تلك المعالم خيرها وشرها على حد سواء، ولاشك في أن ميل الرجال إلى الغلمان ظاهرة خطيرة تعكس اتجاهًا شاذًا للطبيعة البشرية، وفي هذا الشذوذ انتهاك لرجولة الرجل، وبالتالي امتهان أعنف لأنوثة المرأة، لأنه ليس من الأمور العادية أن يكتشف الرجل في الغلمان مصدرًا آخر للذته، ويحله محل المرأة المصدر الطبيعي لتبادل اللذة الجنسية.

كما أن الغزل الغلماني قد أصاب الحب الحقيقي في الصميم، فشوه مفهومه، وانحرف بهم إلى ارتكاب ما يتنافى مع الحشمة والأدب من خلال تصرفاتهم وانعكاسها على مواقفهم. وبما أن هذه الظاهرة كانت منتشرة بكثرة في المدن، وأن البدويين كانوا ينفرون من هذا الاتجاه الشاذ ولا يستجيبون لغزل أصحابه بل يتجاهلوهم وربما يقاطعونه حتى في المعاملة العادية، من ذلك قول الشاعر عبد العزيز بن الطراوة الذي تغزل ببدوي جميل نفر منه:

من لي بدوي لا يهذه
كلما رمت لثماً قيض لي
لين الكلام ولا يرتاح للغزل
وجهاً يريني فيه اليأس من أملي

وبما أن الغزل الغلماني كان موجة فسق جارفة تصدّ التقدم، وتعطل عملية البناء الحضاري للأمة الإسلامية، فهذا الحب يفتك بالأعراض، وينتهك الحرمات والكرامات، ويمرغ أنف صاحبه بالوحل فيجعله مرذولاً من الناس، منبوذاً من المجتمع عدواً بكل معنى الكلمة للحياة.

كما كان أثر هذا الحب أنهم انشغلوا به فابتعدوا عن الهموم المصيرية الكبرى للبلاد، وتخلوا عن المسؤولية في أحوال الأوقات. بحيث كان أحد الأسباب الجوهرية لدمار الأندلس، على نحو ما حدث لأهل بلنسية الغائبين عن الحرب والضرب، المقبلين على الشهوات والملذات، حتى استيقظوا بصيحات فرسان العدو على أبواب المدينة سنة 476هـ فخرجوا للقاء العدو بثياب الزينة ومعهم عبد العزيز بن أبي عامر فاستؤصلوا بالقتل والأسر.

الخاتمة والنائج:

إن التعلق بالغلما ن والتغزل بهم لم يكن منتشرًا في الأندلس فحسب، بل أنه لا يبدو أمرًا معيًّا أو غير مرغوب فيه لاسيما في الوسط الارستقراطي، لذا فهو يرد لدى كثير من شعراء ذلك العصر، وقد كان الولوج بالغلما ن سببًا في ظهور قصص غرامية غريبة تناقلنا الأفواه وسارت بها الركبان صحيحة وملفّقة، ومن خلال رحلتنا القصيرة في هذا الموضوع توصلنا إلى النائج التالية:-

1: إن حب الغلمان في الأندلس جعل بضاعة التغزل بالمذكر رائجة، فأقبل عليها الأندلسيون يتذوقونها ويعجبون بها، مما دفع بالشعراء إلى الإكثار منها معبرين عن الاستهتار بالقيم الخلقية.

2: يعد هذا الشذوذ انتهاك لرجولة الرجل، وبالتالي امتهان أعنف لأنوثة المرأة، فكيف بتغيير طبيعة الله في خلقه أن يكتشف الرجل في الغلمان مصدراً آخر للذته، ويحله مكان المرأة المصدر الطبيعي للذته التي أحلها الله.

3: ترك الغزل الغلما ني بصمات واضحة في تصرفات الناس ومواقفهم، فانحرف بهم إلى ارتكاب ما يتناقى مع الحشمة والأدب، ويتعارض مع القيم والمبادئ الروحية.

4: لا يعني بالضرورة انشغال البعض من الشعر والشعراء بتصوير هذه الظاهرة بكثرة ملحوظة ممارسة فعلية للشذوذ من كل قائل، فقد يكون الحديث عنهم وإبداء التعليق بهم راجعاً إلى الرغبة في استعراض الملكات الشعرية، والقدرات البلاغية السامية، أليس من الصحيح ما يذهب إليه الشاعر ابن رزقون الإشبيلي (ت 586هـ)، بقوله:

وافوا لشعرٍ لا جناح عليه وسواء صدقه والكذوب

5: ظاهرة الغلموية أو الجنسية المثلية لدى شواعر العرب كانت خاصة بالأندلس ولم تعرف بالشرق.

6: أدت أجواء الحرية التي طبعت الحياة العربية في الأندلس وأثرت في الشعر إلى ظهور أنواع جديدة من المنظومات الشعرية كالموشحات والأزجال، وراح الغزل ينحو منحى التلاؤم مع الأجواء التي كانت توفر الملمات على أنواعها.

7: وبما أن هذه الصفيحات القصيرة قد شغلت الحديث عن اللهو والملاهي وقضاء الفراغ بأكثر من أسلوب، لذا علينا أن نسأل كيف كان الوجه الآخر من صورة حياة الأندلسيين، حياة العمل والعاملين، كما يعبر عنها الشعر؟! قد كانوا أحرص الناس على التميز، حتى أن الجاهل الذي لم يوفق للعلم، يجتهد في أن يتميز بصنعة على أن يكون عالة على غيره.

8: وبما سبق تبين لنا أن ظاهرة الشذوذ كانت من آفات المدن، وقد مثلت عند أصحابها وجهاً من وجوه المتعة غير السوية، وقد لا يجد المرء تعليلاً لهذه المجاهرة بالسوء في مجتمع يفرض فيه- أن تصرفاته

محكومة بدستور إسلامي قوي، ولكن قاتل الله الإسراف في الترف الذي يقود إلى التحلل وإلى تلمس الملذات من كل وجه.

وتمثل هذه النية وبما هو أسوء منها غربت شمس العرب في شبه الجزيرة، وقد دارت دورة الهلاك على أيدي متزفيها وكذلك يفعلون دوماً

المصادر والمراجع:

- 1: الأندلس في تحاية المرابطين ومستهل الموحدين / عصر الطوائف - 510 - 546هـ / 1116 - 1151م / د. عصمت عبد اللطيف دندش / دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان / ط1: 1408هـ - / 1988م.
- 2: بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس / الضبي (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة المتوفى سنة 599هـ) / الهيئة المصرية العامة للكتاب / 2008م.
- 3: تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) / إحسان عباس / دار الثقافة. بيروت / 1969م.
- 4: تاريخ التمدن الإسلامي / حرجي زيدان / القسم الثاني / ج4 / مطبعة دار المعرف / مصر.
- 5: الحلة السبراء / لابن الأبار (أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار) 595 - 658هـ / 1199 - 1260م / تح: حسين مؤنس / دار المعارف مصر / ط2: 1985م.
- 6: الحب والجنس - دراسة علمية - / تأليف المحامي: محمد حسن كامل / دار مكتبة الحياة. لبنان / 1974م.
- 7: دفاتر أندلسية / د. يوسف عيد / المؤسسة الحديثة للكتاب. بيروت / 2006م.
- 8: ديوان ابن الحداد (480هـ) / تح: د. يوسف علي طويل / ط1: 1990 / منشورات دار الكتب العلمية. بيروت
- 9: ديوان ابن حمديس (447 - 527هـ) / شرح وتعليق وعنونة القصائد: د. يوسف عيد / منشورات دار الفكر العربي. بيروت.
- 10: ديوان ابن زيدون / لابن زيدون / شرح وتعليق. محمد سيد كيلاني / مطبعة البابلي الحلبي. مصر / ط3: 1965م.
- 11: ديوان ابن سهل الأندلسي / ضبط نصوصه وعدّه فهرسه وقد له: د. عمر فاروق الطباع / شركة دار الأرقم للطباعة والنشر. بيروت / ط1: 1419هـ - 1998م.
- 12: ديوان العرب - كتاب الغزل - / جودت فخر الدين + حسن عبد الله / منشورات دار الحرف العربي. بيروت لبنان / ط1: 1419هـ - 1998م.
- 13: ديوان المعتمد بن عبّاد (431 - 488هـ) / تح: د. رضا الحبيب السويسي / الدار التونسية للنشر / د.ت.
- 14: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة / لابن بسام / تقديم محمد رضوان الداية / منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي / دمشق. 1978.
- 15: رسائل آداب الحسبة / لابن عبدون. : ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة والمحتسب / نشر الأستاذ: ليفي بروفنسال / مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية. القاهرة 1955م.
- 16: الروض المعطار في خبر الأقطار / محمد عبد المنعم الجميري / تح: إحسان عباس / منشورات لبنان / 1975م.
- 17: شاعرات الأندلس / د. تيرسيا جارولو / ترجمة: د. أشرف علي دعدور / مراجعة: أ.د. محمود علي مكي / منشورات دار تحضة الشرق. جامعة القاهرة / ط2: 1985م.

- 18: الشعر الأندلسي في عصر الطوائف - ملاحظه العامة وموضوعاته الرئيسية وقيمته التوثيقية - / هنري بيرس / ترجمة: د. الطاهر أحمد مكّي / منشورات دار المعارف. القاهرة مصر / ط1: ذو القعدة 1408هـ / يونيه 1988م.
- 19: الشعر النسوي الأندلسي / سعد بو فلاقة / دار الفكر للطباعة. بيروت لبنان / 1424هـ - 2003م.
- 20: شهيرات النساء في العالم الإسلامي / قدرية حسين / دار المعارف. مصر. د.ت.
- 21: الصلّة لابن بشكوال / القسم الأول / 2008م / رقم (1633).
- 22: طوق الحمامة في الألفة والألف / لابن حزم الأندلسي / قدم له وحققه: فاروق سعد / منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت / 2002 - 2003م.
- 23: الغلمان في الدولة العباسية / طارق حسين سعيد محمد علي / منشورات دار الفكر بيروت / د.ت.
- 24: مختار القاموس / الطاهر الزاوي.
- 25: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب / الشيخ أحمد بن المقرئ التلمساني / تح: إحسان عباس / دار صادر بيروت / ط1: 1968م.
- 26: نساء من الأندلس / أحمد خليل جمعة / الإمامة للطباعة والنشر. دمشق. بيروت / ط1: 1421هـ - 2001م / ص492.

سيكولوجية البخل عند الجاحظ

الدكتور: محمد رضا خضري

أستاذ الأدب العربي العباسي

جامعة الشهيد بهشتي . طهران

الملخص:

هذا البحث عبارة عن دراسة تحليلية حول موضوع البخل عند أبي عثمان الجاحظ ونظرته له وما كتبه عنه، حيث تطرق لهذا الموضوع بأسلوب شيق وممتاز وعدّه داءً اجتماعياً ينبغي معالجته والقضاء عليه، والحق أنه أفضل من كتب عنه وذلك لسعة علمه وتعدد معارفه وتنوعها. وللجاحظ قصب السبق إلى ذلك وله الفضل في لفت الانتباه إلى تأثيرات هذه الظاهرة المرتبطة بالجنس البشري كله وأساليب التصدي لها، ويشمل البحث الفقرات التالية:

. مقدمة عامة تحوي علم النفس (السيكولوجيا)

. تعريف البخل

. ارتباط البخل بالمال والثروة.

. نظرة إلى العوامل المؤثرة.

. اتساع مساحة البخل.

. منهجه في البحث.

. نتائج البحث.

سيكولوجية البخل عند الجاحظ :

إذا كان علم الطب ينظر إلى الإنسان بوصفه مخلوقاً جسمانياً مكوناً من أعضاء وجوارح، خاضعا لنظام كوني دقيق، فإن السيكولوجية تنظر إلى النفسانيات المتصلة بهذا الجسم نظرة خاصة بها، وعلى الرغم من الصعوبات التي تكتنف هذا النوع من البحوث والدراسات إلا أن علماء النفس والسيكولوجيا ركزوا اهتمامهم على معالجتها ومناقشتها وفق أحدث ما توصلوا إليه علمياً. ويكاد يكون سيجمون فرويد (1856 - 1939) الطبيب والفيلسوف النمساوي الكبير ومؤسس علم النفس التحليلي⁽¹⁾ من أشهرهم على الإطلاق حيث لفت الانتباه الى التأثير السيكولوجي للمال⁽²⁾، فأوضح لنا كيف أن النفس الانسانية تتأثر بالمال في تكوينها، وفي الكثير في ديناميكيتها سواء كان ذلك في البخل والحق والكذب والرياء وهوى الثراء ونظائرها، الأمر الذي يرينا أن حيازة المال ليس مجرد هدف اقتصادي نتعاشق معه، انما هي تجربة فريدة ذات تأثيرات وجدانية تطبع صاحبها بمواصفات معيشية خاصة يستجمع الفرد من خلالها جملة من القيم ويتحدد سلوكه وفق اطر نفسية واجتماعية توجه تصرفاته نحو المال، وهذا يدفعنا الى توجيه مجموعة من الاسئلة محاولين البحث عن اجابات لها وفي مقدمتها هل هناك محاولات بذلها المفكرون العرب وعلى رأسهم الجاحظ الذي عاش قبل فرويد بقرون كثيرة للكشف عن سلوكية الافراد واتجاهاتهم النفسية نحو المال ؟ وفي بداية البحث اذا اردنا ان نكون نظرية نفسية عن البخل وجب علينا ان نتعرف اولا على هذه الصفة لغة واصطلاحاً.

البخل لغة واصطلاحاً :

بخل: البُخل والبُخْل، لغتان قرينتان هما والبُخْل والبُخول: ضد الكرم. والجمع: البُخلاء⁽³⁾، وفي الاصطلاح: ظاهرة اجتماعية ذات جذور نفسية، تقترن غالباً برغبة تكديس المال، واختلف الرأي فيها، فمنهم من سماه اصطلاحاً ومنهم من اعتبره شحاً وتقيراً وطمعاً في المال الأمر الذي يجلب العار أحياناً، وقد كتب عن البخل منذ القدم، فالأدب اليوناني هو الأول الذي عرف هذا النوع من الأدب.

يكاد يكون بلوتس الكاتب المسرحي اليوناني الشهير الذي عاش قبل الميلاد بحوالي قرنين ونصف أول من عالج ظاهرة البخل في كتابه المسرحية، كما عرفت الآداب العالمية منذ أزمانها السحيقة أيضاً موضوع البخل لدى مولير الفرنسي في مسرحيته المشهورة البخيل سنة 1688⁽⁴⁾. فليس إذن بمستغرب أن يظهر هذا الموضوع في الأدب العربي، وأكثر ما نجد البخل متجلياً لدى ابن عبد ربّه في كتابه العقد الفريد وأبي حيان التوحيدي في كتابه "الإمتاع والمؤانسة" وابن قتيبة في كتابه "عيون الأخبار" والراغب الإصفهاني في كتابه "محاضرات الأدباء" والإبشيهي في كتابه "المستظرف من كل فن مستظرف" وكل من بدع الزمان الهمداني والحريزي في مقاماتيهما. والجاحظ نفسه في كتابيه "البخلاء" و "المحاسن

والأضداد " يشير إلى من تناول موضوع البخل والبخلاء أمثال الأصمعي وأبي الحسن المدائني وسهل بن هارون وعبد الرحمن الثوري، وطريقة الذين سبقوا الجاحظ معالجة البخل والبخلاء كانت تتخذ طابعا روائيا بحتة وكانت تسوقهم في تلك غاية قومية حيناً وهي التعريض بالشعوبية عن طريق اتخاذ شخصيات البخلاء من الأعاجم، وحيناً آخر غاية سياسية وهي التعريض بالأمويين باتخاذ شخصيات من البخلاء ونسبها اليهم وذلك كسبا لرضا الدولة العباسية الجديدة. وفي بعض الأحيان كانت غاية من تناولو البخل في الأدب العربي غاية شخصية بحتة وهي الدفاع عن سلوكهم أو بالأحرى عن مذهبهم في البخل.

وأما أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزار الكناني الليثي الملقب بالجاحظ لبروز عينيه والمتوفى سنة 225هـ. في البصرة فكان إماماً من أئمة الكتاب وزعيماً من زعماء النثر الذي بإمكاننا أن نعدّه نقطة تحوّل بل نقطة انطلاق في تأريخه. إنّه كان عارفاً بمعارف عصره لا يكاد يفوته شيئاً منها ويقال إنّه لم يقع بيده كتاب قطّ إلاّ قرأه ممّا كان موضوعه حتّى قال رجل لأبي العيّن، ليت شعري أي شيء كان الجاحظ يحسن؟ فقال: ليت شعري وأي شيء كان لا يحسن؟⁽⁵⁾ كان لطيف المعشر حلو الحديث، حسن المحاضرة وسريع النكتة، ساخر، عميق السّخرية⁽⁶⁾. لقد عالج الجاحظ العديد من القضايا الإنسانية والاجتماعية معالجة علمية دقيقة مطابقة للواقع المشاهد مع البراعة في رسم الحقائق وترك بهذا الخصوص آثاراً عديدة قيّمة ولم يعرف أديب، لقيت مؤلفاته من الشهرة والذّيوع ما لقيته كتب الجاحظ على كثرتها وتنوع المقاصد والأغراض فيها.

لقد عرف العصر الذي عاش فيه الجاحظ، بعصر المأمون واقترب ميلاد أبي عثمان بميلاد النهضة السياسيّة والفكريّة والأدبيّة والإقتصاديّة في العصر العباسي الأول كما اقترب خصبه ونتاجه بأسماء إثني عشر خليفة إذ أنّه عاصر: المنصور والمهدي والمهادي والرّشيد والأمين والمأمون والمعتمد والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين والمعتمد وهم أشهر الخلفاء العباسيين وأعظم نفوذاً وأجلهم همّة. إنّه صحب الدنيا طويلاً وتقلبت على عينه كما يقول المتنبي. إنّه كان على صلة ببلاط الخلافة وبالوزراء والولاة والقضاة من ناحية ويتغلغل في أوساط مجتمعة كلّها.

علاقة البخل بالمال:

لقد ذكر علماء التحليل النفسي⁽⁷⁾ ان للمال تأثيرات اساسيه على النفس البشري، يعد الشعور بالقوة في مقدمة هذه العوامل، فالذي يمتلك المال يشعر بقدرّة كبيرة ويشعر أنه جدير بأعلى المناصب وأفخم القصور وأجمل النساء، ولقد ظن بعض الذين تعاضم هذا الشعور لديهم أن قوة المال قوة مطلقة تجعلهم متمكنين متفوقين وناجحين وقادرين علي كل شيء. والبحث عن الأمان هو الآخر الذي ذكره

علماء النفس، فالإنسان يسعى جاهدا للحصول علي المال اتقاء لخوفه من الفقر والمرض والجوع. ولما كانت الحياة اليومية مليئة بالحوادث والاضطرابات وسلسلة من الصراعات أصبح الشغل الشاغل للفرد أن يجد وسيلة للسلم والطمأنينه، يقضي بها على كثير من مصادر الخوف ويحتمي بها من ضربات القدر، إلا أن علماء التحليل النفسي الجدد يعرضون لهذه المكانة التي يتمتع بها المال والدور السيكولوجي الذي يوديه في حياتهم، فنجدهم يذكرن أن المال يمنح الشعور بالأمن بقدر ما يزيد من القلق من فقدان الثروة و الإحساس برفض الآخر وعدم قبوله بل والشك فيه وهناك عامل ثالث ومهم: فهو الحرية، و يعتقد كثير من الناس أن المال هو الشيء الوحيد الذي يجعل الفرد حرا ذا حرية مطلقة أمام الضغوط و القيود كافة، سواء أكان ذلك في العمل أو في المنزل أو في علاقاته بالآخرين، و مهما يكن من شيء فإن كل هذه العوامل تؤدي إلي حالة من ارتباط بين امتلاك المال والحصول على المسرات والملذات وهذا يتعلق الإنسان بالمال تعلقا شديدا ويصبح فقده للمال شيئا مؤلما جدا لأنه سيرتبط بفقد كل اللذات والمسرات ولهذا نستغرب حين نرى تاجرا يصاب بأزمه قلبية حين يخسر أمواله أثناء التجارة.

وقد رصد الجاحظ هذه العلاقات بين المال و النفس البشرية في العصر العباسي في حياة الحاضرة فنحن نلاحظ في كتابه البخلاء⁽⁸⁾ بصورة تلفت النظر أن رجلا من أصحاب المال يدعى الحزامي كان يسره أن يوصف بالبخل مادام هذا الوصف يحمل ضمينا أنه ذو مال وأن الناس لن يطمعوا فيه، وفي كتابه المحاسن والأضداد⁽⁹⁾ يحاول تبيين بعض مبادئ البخل معتمدا على أحاديث ونوادير السلف. وقد تبناه الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي في كتابه دراسات فنية في الأدب العربي إلى هذه الناحية أثناء دراسته لموضوع حقيقة الضحك فيعتمد على إحدى نوادر الجاحظ وهي نادرة وال بفارس، إما أن يكون خالداً (أخا) مهرويه أو غيره، وهو يقول⁽¹⁰⁾: هذه النادرة تبرز الفرق بين عالم الفن وعالم المادة والواقع، ولكن هذا الإبراز يتم بطريقة سلبية، فمن المعلوم أن عالم الفن وهو عالم الفكر النير أعلى من عالم المادة المظلم، ولكن البخل يقلب الأمر ويعلي شأن المال فوق شأن الشعر ويتبع الشاعر الذي جاء يمدحه كلاماً بكلام وعلى تعبيره هو كذباً بكذب، فهو يدني قيمة الشعر إلى مايعادل كلامه العادي الذي هو مجرد وعد كاذب، وهو يحقر نفسه حين لا يستطيع الشعر أن يخدعه عنها فيعتبره كلاماً مزجى خالياً من أي قيمة ومن أي صناعة زيادة على ما في القصة من مفاجأة تخرج عن العرف ومن شح ينحسر حتى في التعبير. وهذا مما توضحه الدكتورة وديعة طه نجم في بيان الصورة التي رسمها الجاحظ للمدائني فهي تقول⁽¹¹⁾: إن الصورة التي يرسمها الجاحظ للمدائني تظهره و هو يقضي كل حياته و طاقته ركضا وراء ماله الذي يدينه للناس. والقلق يساوره حول مركزه الذي وصل إليه عن طريق المال و الثروة، و يزيد هذا القلق أنه كان مولى. فهو يفخر بالاقتصاد و الثروة، لكن كبرياءه في أمور تخص المال و معاملاته مع الناس كان أعظم من شعوره بالثروة والغني. و هذا الإحساس الشديد متات من كونه

مولى وأنه لولا ثروته لأهين و احتقره الناس. فهو يقول مثلاً عند اقتضاء دين له وقد ألح هو على مدينه و عرض به بعض الحاضرين من أجل ذلك: "...أظن الذي دعا صاحبك إلى ما قال انه عربي و أنا مولى، فان جعلت شفعاك من الموالي أخذت هذا المال و إن لم تفعل فيني لا أخذه..."

نظرة في العوامل المؤثرة :

بما أن البخل كصفة نفسانية للإنسان كان منتشراً ومألوفاً لدى البشرية، منذ نشوء العلاقات الإجتماعية والإقتصادية بين الناس لا بد أن ندركه في ضوء العوامل الإجتماعية ومنزلة الفئات المختلفة. فإن معالجة موضوع سيكولوجية البخل لدى الجاحظ ومحاولة تفهمها بدون تلك الصورة أمر غير مجد في كثير من الأحيان بل وغير الممكن في أحوال كثيرة. كل ذلك لا بد من عرضه ونحن في صدد موضوع البخل.

1 - لقد نشأ وترعرع الجاحظ بحي شعبي من أحياء البصرة في كنف أمه، مات أبوه "بحر بن محبوب" وهو الصبي فاضطر إلى أن يترك الكتاب لبيع السمك والخبز بسيحان (أحد هجرات البصرة) ⁽¹²⁾ إذ كان فقيراً في المساء إذا توفر له المال، يكتري دكاكين الوراقين فيبيت فيها الليل يقرأ وينسخ ما توفر. وقد اكتسبته هذه المهنة إتصالاً بالناس وقدرة على فهم تصرفاتهم، وتعليلها، وأدرك طبائع بعضهم وأخلاقهم وكان يشتري مما يكسبه الكتب والدفاتر ويحملها إلى أمه وقد ضاقت يوماً بما يصنع " فحملت بعض هذه الكرايس على أمها غداء يطعمه وهو يمارس البيع في السوق فقال لها ما هذا ؟ قالت: هذا ما تأتي إليّ به فاغتم لذلك غما شديداً وذهب إلى المسجد، وكان يعرفه بعض الأغنياء الموسرين. وهو يونس بن عمران فسأله عن سبب اغتمامه فقص عليه الأمر فعطف عليه، ونفس عنه وأعطاه خمسين ديناراً فذهب من فوره واشترى بها يلزمه من الطعام وانصرف به إلى أمه فسألته من أين جئت بهذا كله فأجابها من الكرايس التي جئت بها إلي" ⁽¹³⁾.

قد اخذ اللغة والأدب عن أمثال أبي عبيدة والأدهمي وأبي زيد الأنصاري، والنحوعن أمثال أبي حسن الأخفش والكلام عن أبي إسحاق و النظام من كبار العلم والأدب بالبصرة وتثقف بثقافات العصر اليونانية والفارسية والعربية وما لبث أن صار مؤلفاً وكتاباً أخذت تدر عليه الرزق ثم نراه صاحب مال ومكانة مرموقة. وفي هذه الفدلكة من حياته تدلنا على أن حياة الجاحظ كيف تتغير من حالة إلى أخرى وكيف يخرج أبو عثمان من طبقة أهل الفقر والكدح والحرمان إلى طبقة الميسورين.

2- ما في شك أن حركة تجمع وترتكز رأس المال في العصر العباسي لها دور رئيسي في تغيير المفاهيم الإجتماعية خاصة المفاهيم الحياتية عامة. ومكانة للفئة الميسورة التي تحرص على إكتناز المال مجرد حيازته، أو مجرد الخوف من فقدانه والرجوع إلى قعر المجتمع. وكان لا بد من وقوع تصادم بين الفئات الإقتصادية الحادثة من تجمع رأس المال وبين القيم الأخلاقية العالية من هذه الفئة ظهرت جماعة من

البخلاء كان لديهم نوع من الإحساس والشعور بالمكانة والقيمة. بسبب ما يمتلكون من مال، وقد تواجدت هذه الفئة أكثر شيء في طبقة التجار الأثرياء في البصرة وبغداد وهي الطبقة التي تقابل الطبقة البورجوازية في الغرب وهذه الطبقة هي بطبيعتها أكثر الناس تقديرا للمال وأشدّ حرصا عليه، وما أجمل الثعاليبي تبين هذه الصفة: " والمعلوم أنّ البخل والنظري اللطيف مقرون بالتجارة، والتجارهم أصحاب الترييح والتكسب والتدنيق" (14) حسب ما يدعي الجاحظ نفسه في رسائله أنّ تجار البصرة يتلقون نقدا لاذعا لا لأنهم أغنياء بل لأنهم لم يعطوا حق الضيافة ولم يكونوا ذوي كرم على عكس ما كان عليه تجار قريش (15). وإذا دققنا في هوية شخصيات كتاب البخلاء ندرك بأن معظم هذه الشخصيات التي رسمها الجاحظ فيه هم من التجار، أمثال أبي عبد الرحمن الثوري (16) والكندي (17).

وقد سرت عدواها إلى جماعة من الشعراء والقراء والفقهاء، صارت تمثل مفاهيم أهل المال، وإن لم تكن تعدّ شيئا في أهل المال، بل لقد تفتشت هذه المفاهيم في معظم أنحاء البلاد، وأصبح من الأمثلة الجارية في مدينة بغداد مثلا "المال المال... وما سواه محال" (18) مما لا شك فيه أن الثروة في الحضرة الإسلامية كانت تشكل العمود الفقري للحياة الإقتصادية. فلا التجارة ولا غيرها من النشاطات الإقتصادية كان بالإمكان.

3- لقد شهد المجتمع العربي الإسلامي في هذا العصر تغييرات جذرية في تركيبها وفي تكوينها. العلاقات القبليّة بدأت تنقلص، لتحلّ مكانها العلاقات الجديدة بسبب استقرار الناس في المدن وانتقال الدولة إلى الشرق، فلم تعدّ العلاقة العائليّة هي التي تقرر كثيرا من المعاملات بل وحتى لم تكن ذات قيمة تذكر. والجاحظ حاول تصوير هذا الجانب من البخلاء في كتابه، إذ يتحدث عن خالوية المكدي أحد بخلائه فهو ينصح ابنه أن يحفظ ماله وليس دافعه إلى ذلك حبه الشديد له، يقول: "...ولست أوصيك بحفظه لفضل حيّ لك، ولكن بفضل بغضي للقاضي؛ إن الله جلّ ذكره لم يسلط القضاة على أموال الأَوْلاد إلاّ عقوبة للأولاد..." (19) ومن الطريف أن الأمر في البادية كان يختلف إنّما كانت تحتفظ بكثير من مظاهر الفاقة والجذب المادي. روي المدائني الحادثة التالية، قال أبو الحسن: سمعت أعرابيا في المسجد الجامع بالبصرة بعد العصر سنة ثلاث وخمسين ومائة وهو يقول: أمّا بعد فإننا أبناء سبيل وأنضاء طريق وفلّ سنة، فتصدقوا علينا فإنّه لا قليل مع الأجر ولا غنى عن الله ولا عمل بعد الموت، أمّا والله إنّنا لنقوم هذا المقام وفي الصدر حزاة وفي القلب غصّة (20). وهو أيضا يقول لنا إنّّه ليس عنده أمتع من الإستماع لحديث الأعراب حين يردون إلى الحضرة (21). ولعلّ من أهم ما يميّز حياة الحضرة الإسلامية في هذا العصر الذي ظهر فيه هذا الاختلاف هو هذا التصادم الذي حصل بين عناصر البادية والحضرة. فحين نجد الحضرة الإسلامية تضرب بخطوات واسعة في مضمار التطور نجد البادية تحتفظ بكثير من مظاهر الفاقة والجذب الماديّ ومن ثمّ تحتفظ بكيّانها الإجماعي مغلقا أمام عناصر التطور والتبدل. وقد لاحظ

ذلك الدكتور شارل بللا المستشرق الفرنسي الشهير في كتابه الجاحظ وهو يقول: البخل الذي انشأ عليه الجاحظ كتاب البخل كان صفة بارزة للطبقية البصرية البورجوازية التي أثرت بفضل اقتصادها المفرط⁽²²⁾

4- لقد تطورت الحركات الفكرية والعقائدية في هذا العصر تطورا كبيرا، يكاد يكون الفكر الاعتزالي أهم حركة فكرية قوية في إسلام التي استمر صداها حتى اليوم. للمعتزلة فضل كبير في إعزاز العقل وتمجيده وترقيته، ولهم كذلك الفضل الأول في وضع الأسس الأولى لعلم الكلام وعلم البلاغة وعلم الجدل. وإنهم أول من استعاض بالفلسفة اليونانية في تقوية آرائهم وعقائدهم، وعلى الجملة، فإن المعتزلة قد أوثقوا صلاتهم بالمتنوع وتغلغلوا في الناس كثيرا. وكان لديهم الميل إلى حرية الرأي، و إلى تحليل القضايا وتعليلها بمنطق العقل، ووضع الأمور كلها موضع الشك. لا يعتقدون بعصمة أحد من الصحابة فضلا عن التابعين ومن بعدهم. يعدّ الجاحظ إماما من أئمة المعتزلة وشيخا من كبار شيوخهم، وعلمنا من أشهر أعلامهم ويعدّ من الطبقة السابعة في المعتزلة⁽²³⁾. ما في شك أن للمذهب المعتزلة أثر كبير في تنظيم الفكر الجاحظي وتوجيهه في ما وجه إليه نفسه وموهبته وعلمه وعقله معا، سواء في سلوكه العملي كله، أم في إنتاجه الأدبي والعلمي كله. إنه يعتمد على العقل في كل شيء، ويضع كل رأي وكل شيء في منطقة النقد والشك أولا ومن هنا جاءته رغبة التحريب والاختبار والمعاينة في كل أمر. "أعرف مواضع الشك وحالاتها الموجبة لها لتعرف مواضع اليقين والحالات الموجبة لها لتعرف مواضع اليقين والحالات الموجبة لها وتعلم الشك في المشكوك فيه تعلمها، فلو لم يكن إلاّ تعرّف التوقف، ثم التثبت، لقد كان مما يحتاج إليه

»(24)

هذه المظاهر جميعا قد انعكست في تفكير الجاحظ، وعلاقته بكل هذه المظاهر يجب أن تكون ذات أهمية خاصة عند دارسي الأدب العربي لهذه الفترة، والسبب في ذلك هو اهتمام الجاحظ بجميع أحوال الناس في المتنوع مهما اختلفوا في نمط تفكيرهم وأسلوب معيشتهم. وهو لا يريد أن يتركهم هملا بغير راع أو رادع، ولذلك فهو يقف من ظاهرة البخل موقفا ويجاوب معالجتها. والسؤال الذي يردّ هنا هو: كيف نما موضوع البخل في فكر الجاحظ وما الذي جعله موضوعا للكتابة عنده؟ هذا السؤال حاولت الإجابة عليه في هذه المقالة ومن خلال هذا العرض السريع لحياة الجاحظ وآرائه أن هناك أسبابا أربعة رئيسة حدت بالجاحظ إلى معالجة موضوع البخل.

السبب الأول:

إيماننا من الجاحظ بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقوم بنقد سؤالات مجتمعة المنطوية على وجوه الظلم و وجوه من الإستغلال المهين لفضايا الإنسان، ووجوه من الإنحراف بشأن المال عن قيمته كأداة في خدمة حاجات الإنسان، وما في أدنى شك أن البخل من أبرز مظاهر هذه السؤالات وهو مظهر من مظاهر إضطراب العصر وما حمله من صراع على القوت وتفاوت في توزيع الثروة وقد صار البخل في

مجتمعي بغداد والبصرة وبعض المجتمعات الأخرى كخراسان مذهباً يعتقد، له أتباعه وأنصاره، كان لا بدّ للجاحظ باعتباره شيخ من شيوخ المعتزلة ومعلم أدب وبيان وبلاغة أن يتصدى لهذا المذهب ودعاته، وأن يعرض له ولهم في تهكم ونقد مريرين، وإذا كان الجاحظ من أوفى أهل عصره لطابع ذلك المجتمع الذي عاش فيه، وعرف أسوأه واختبر مختلف فئاته وآمن بعقل الإنسان وحرته لم يكن عجباً أن يولي عناية كاملة في نقده إلى الأسباب التي أوجدت هذا السوءات البشعة في المجتمع، وإلى النظام السياسي والإجتماعي والاقتصادي التي أشاعها في الناس. و يعدّ كتاب البخلاء تحفة فنية رائعة يحوي أدب الجدل والحجاج والحوار والجدل والمناقشة وما يزيد من أهميته هو أنه أوضح صورة شعبية لحياة المجتمع الإسلامي في الحاضرة العباسية.

فالغاية من إثارة موضوع البخل والتحدث في نواذر البخلاء ووضع الكتب في ذلك هي غاية تعليمه. والبخل وإن كان المدار الرئيس للبحث، إلا أن هذه الشخصيات لم تكن معروضة في حدود البخل دائماً إذ كثيراً ما يهمل الجاحظ جانب البخل من شخصية بخيلة إهمالاً تاماً، ويستغلّ هذه الشخصية في سبيل عرض أوسع من فكرة البخل وحدها، فيهدف أحياناً إلى عرض أحوال في مجتمعه من خلال شخصياته. والمثال على ذلك قصة الطبيب أسد بن الجاني الذي كان طبيباً فاشلاً - كما يدعى الجاحظ - ولا يعرض الجاحظ فيه صورة البخيل بقدر ما يعرض صورة ضحية التقليد الإجتماعي، يقول عنه الجاحظ إنه سئل لماذا لم يفلح كطبيب فأجاب: "أما واحدة فإني عندهم مسلم وقد اعتقدت القوم قبل أن أتطبّب، لا بل قبل أن أخلق، أن المسلمين لا يفلحون في الطبّ! وإسمي أسد، وكان ينبغي أن يكون إسمي صليبا ومرابيل، ويوحنا وبيرا. وكنيتي أبو حارث، وكان ينبغي أن تكون أبو عيسى، وأبو زكريّا، وأبو إبراهيم. وعليّ رداء قطن أبيض، وكان ينبغي أن يكون رداء حريرا أسود ولفظي لفظ عربيّ، وكان ينبغي أن تكون لغتي لغة أهل جنديسابور" (25).

السبب الثاني:

والردّ على شعوبية الذين كانوا يردون الشك فيما تنسب إلى العرب من أريحية وكرم ويردون أمثلة كثيرة لبخل العرب، من أهم الدوافع التي حدثت بالجاحظ إلى دراسة موضوع البخل، فشعوبيون عمدوا في سبيل ذلك إلى تلمّص أخبار من حياة العرب تنم على حياة البدوّة وما يتصل بها من مآكل غثّة ومطاعم كريهة كأكل الضباب والجراد، ليقولوا بعد ذلك إن أكثر هذا، لفخر كلام لا يفي به الفعل. أنى تكون مع هذه الحياة الدنيئة التي يحويها كل تلك الدعاوي العريضة التي يتشدق الشعراء بها ويتغنى بها أنصار العربية المنافحون عنها. والحديث عن الشعوبية كظاهرة إجتماعية مهمّة في هذه العصر يقودنا إلى الحديث عن الخصومة السياسية بين الأمويين والعباسيين وكل فريق منهم كان يعمل على إشاعة

النقائض والمثالب للفريق الآخر كما كان الجاحظ يقصد التندر بالأمويين فيما روى عنهم من بخل وهم وشراهة الطعام في والأكل (26).

السبب الثالث:

وإذا كنا في الأسباب والملابس التي جعلت من الجاحظ ذلك الأديب الساخر وأتاحت لنا أن نستمتع في أدبنا بتلك الصور الفنية الساخرة فليس يفوتنا أن نشير إلى ما كان لطبيعة المرحه من أثر. أنه مولع أشد الولع بخلق جو من المرح والمتعة لأنه كان موفور النصيب من طبيعة ضاحكة مازحة وساخرة، فأعانه ذلك على ما يؤدي مهمة الناقد الاجتماعي بهذه الطريقة من التعبير الأدبي الفني التي تتخذ السخرية والفكاهة سبيلا إلى نقد سوءات المجتمع وقد ظهرت هذه النزعة في كثير من قصصه مما منحها جمالية متميزة تقدم على الوصف الدقيق كما تقوم على السخرية والجاحظ نفسه يكشف لنا عن فلسفة الضحك والإضحاك، وأثرها في المجتمع، إذ يقول: لو كان الضحك قبيحا من الضاحك وقبيحا من المضحك لما قيل للزهرة والحبرة والحلى والقصرة المبنى كأنه يضحك ضحكا، وقد قال الله جل ذكره: "و أنه هو أضحك و أبكى ، و أنه هو أمات و أحيا " فوضع الضحك بحذاء الحياة ووضع البكاء بحذاء الموت وأنه لا يضيف الله إلى نفسه القبيح ولا يمن على خلقه بالنقص" (27).

يكاد يكون الهزل الصفة السائدة في كتابات الجاحظ، فلا عجب إذا كانت هذه الروح الهزلية في موضوع البخل أكثر وأشد، وقد ذكرنا آنفا اهتمامه بسيكولوجية الضحك، لأن قصص البخلاء تتطلب هذه الصفة، وعادة تقوم على السخرية. وأكبر الظن عندنا أن ميل الجاحظ إلى السخرية وما إليها إنما جاء - أول شيء - عن هذه الطبيعة المرحية المتبسطة الضاحكة ثم من أنه كان - إلى هذا - رجلا سهل الجانب لين الحاشية محبا للناس عطوفا عليهم، لا يضيق بهم، ولا يتبرم بعيوهم، ولا يتسخط عليهم. وجملة التي أثرت عنه تفرما ذهبنا إليه وهي قوله: "الجد مبغضة والمزاح محبة" (28) إنه مطبوع علي الهزل من نفسه، فهو يروي نادرة عن امرأة أرادت أن يرسم لها الصائغ صورة شيطان، فقادت الجاحظ إلى الصائغ وقالت له: مثل هذا (29).

وفي قصة البخيل محفوظ النقاش الذي كان ضيفا على الجاحظ في تلك الليلة نفاجا بأمر غير مألوف وهو توجيه النصيحة للجاحظ بعدم تناول العشاء بسبب مرضه؛ بل يصل البخل به إلى أن يقول إن شئت أكلة وموتة، وإن شئت فبعض الاحتمال ونوم علي سلامة فما ضحكت قط كضحك تلك الليلة ولقد أكلته جميعا، فما هضمه إلا الضحك والنشاط والسرور فيما أظن، ولو كان معي من يفهم طيب ما تكلم به، لأتى علي الضحك، ولقضي علي، ولكن ضحك من كان وحده لا يكون علي شطر مشاركة الأصحاب (30). هناك سيطرة واضحة للشكلية والنمطية علي شخصية محفوظ النقاشي

أثناء تصرفاته تلك الليلة وحينما تسيطر الشكلية والنمطية علي جوهر الأشياء ينشأ الضحك والطريف هنا أن الجاحظ يتمني أن يكون الضحك بمشاركة الأصحاب، لأن مشاركة الجماعة بالضحك يؤدي إلى تضاعف السرور والجاحظ في هذا قد سبق "هنري بريكسون" حيث قرر الآخر أن الضحك لا بد من جماعة تشترك في انفعال واحد وضحك الإنسان وحده لا يكون علي قدر مشاركة الأصحاب⁽³¹⁾.

غير أن الجاحظ سلك مسلكاً خاصاً في الضحك فحدد له إطاراً خاصاً وهو يقول: وللضحك موضع وله مقدار، ومتى جازهما أحد وقصر عنهما أحد، صار الفاضل خطلاً، وتقصيرا نقصا. فالناس لم يعيوا المزح إلا بقدر. ومتى أريد بالمزح النفع وبالضحك الشيء الذي له جعل الضحك، صار المزح جداً والضحك وقاراً⁽³²⁾.

ويضيّق لنا المقام لو أردنا أن نتوسع في ذكر أمثلة من ضحك الجاحظ وفكاهته، وقد تكون هذه الطبيعة الضاحكة والساخرة وراء إثارة موضوع البخل لدى الجاحظ ونزعتة إلى الضحك والإنطلاق هي التي أملت عليه الكتابة عن البخلا.

السبب الرابع :

في إعداد هذه الدراسة يتمثل في أن الأسباب الثلاثة السابقة لم تكن عديمة الأثر والجدوى عند الجاحظ في اندفاعه صوب تأليف كتابه عن البخل والبخلاء إلا أننا نرى أن الرغبة التي كانت تحده في الكتابة حول هذا الموضوع تتمثل في أن هذه الظاهرة الاجتماعية كانت تحوز على الاهتمام والتأثير النفسي لدى مجتمعه وتثير السخرية والفكاهة عنده حيث أراد رمي مناوئيه بهذه الصفة الذميمة ما يشعر باستصغارهم ويشير السخرية منهم في المجتمع، ولم يرغب بنعتهم بصفات جليلة السوء كالكذب والخيانة والكفر ونظائرها، حيث لجأ إلى البخل لرمي خصومه به وشنّ عليهم هجوماً بما يشبه الحرب الناعمة لكي يحطم قدرهم ويضعف شخصياتهم في المجتمع بإثارة السخرية منهم وليس بالسخط عليهم، وماشجع الجاحظ على تناول هذا النهج هو أن الكثير ممن اتصف بهذه الظاهرة كانوا أشخاصاً ذوو شأن اجتماعي رفيع ويحظون بشعبية عند الناس إلا أن الجاحظ كان يعارضهم انطلاقاً من رسالته التي حمل رايته عبر هذا الكتاب، لذلك فإن أسلوب الحرب الناعمة التي اعتمدها كان له بالغ الأثر في تعديل سلوك من تأثروا به وفي تحطيم من لم يستشعر بالأسلوب التربوي البليغ لدى الجاحظ، وفي النتيجة استطاع بنهجه التربوي إصلاح الأصدقاء وتحطيم الأعداء ونشر في ذات الوقت الفكاهة والضحك لدى عامة الناس وهو ما يجسد ذكائه وضلوعه في اعتماد نهج تربوي تطبيقي يعد الأكثر تطوراً في عالم السيكولوجيا اليوم.

مساحة البخل:

الجاحظ يوسع النظر في مسألة البخل فيجعلها شاملة لاتقف عند جمع المال و ادخاره بل قد تمتد لتشمل النواحي النفسية و الاجتماعية للبخيل، وينقسم إلى عدة أنواع على النحو التالي:

1- البخل الحقيقي: وهو نوع يدرك صاحبه انه بخيل و يقتدر في انفاقه على نفسه وأسرته ومن حوله، لا يهدأ ضميره إلا بالإمساك دون أن يستشعر ما في ذلك من صغار، وقد ذكر الجاحظ مثلاً بارزاً لهذا النوع من البخل وهو ابو الهذيل و كان أشد الناس طيبة في القلب وكان بخله طبيعي وساذج وغير مقصود وقصة الدجاجة التي يرويها الجاحظ هي تجسيد لهذه الطبيعة وعدم القصد قال ابو عثمان⁽³³⁾: كان ابو الهذيل أهدى إلى مويس دجاجة، وكانت دجاجة التي أهداها دون ما كان يتخذ لمويس. ولكنه بكرمه وبحسن خلقه أظهر التعجب من سمنها وطيب لحمها. وكان يعرف بالإمساك الشديد. فقال: "وكيف رأيت يا ابا عمران تلك الدجاجة؟ قال: كانت عجباً من العجب! فيقول: وتدرى ما جنسها؟ وتدرى ما سنها؟ فإن الدجاجة إنما تطيب بالجنس والسن. وتدرى بأي شيء كنا نسمنها؟، فلا يزال في هذا والآخر يضحك ضحكاً نعرفه نحن، ولا يعرفه ابو الهذيل. وفي موضع آخر يفخر ابو الهذيل بكرمه، ويصر على ذلك حتى يجعل الجاحظ نفسه شاهداً على ما يقول، ولا يكتفي بهذا بل يجعله يقسم على ذلك، ويقول الجاحظ معلقاً على هذا: "فلم يرض بإحضاري هذا الكلام حتى استشهدني ولم يرض باستشهادي حتى استحلطني..."⁽³⁴⁾.

2- البخل المصلحي: وهو بخل مقتر خارج أسرته لكنه قد ينفق على أبنائه ويوسع عليهم فهو حريص ومدبر وهو يحاول تأمين كل متطلبات اللذة لذاته ولذويه فهو غارق في الترف يتمتع بكل مباح الحياة ولكنه بخيل على مجتمعه يرضن على وطنه ويشح على أمته هي شخصية قاسم التمار متكلم ومعتزلي يصفه أبو عثمان في كتابه بأنه "شديد الأكل، شديد الخبط قدر المؤكلة وكان أسخى الناس على طعام غيره، وأبخل الناس على طعام نفسه. وكان يعمل عمل رجل لم يسمع بالحشمة ولا بالتجمل قط"⁽³⁵⁾. على أن التمار كان محتزماً بين المعتزلة، وكان يتمتع بروح فكاهية وظرافة.

3- البخل الشمولي: و هو البخل الذي لا يقتصر بخله على النواحي المالية بل يمتد أيضاً ليشمل النواحي النفسية والعاطفية فيبدو قليل الكلام فاقدا للاهتمام بالآخرين و مفتقرا إلى التعاطف والمشاركة الإيجابية وقد وظف هذه المعرفة كما وصلت آثاره. وحين عوتب أحد البخلاء "سليمان الكثري" في قلة الضحك وشدة القلوب، نجده يجيب: "إن الذي يمنعني من الضحك أن الإنسان أقرب ما يكون من البذل إذا ضحك وطابت نفسه"⁽³⁶⁾ هنا نجد الجاحظ يتأمل في سيكولوجية الضحك، فيرى النفس أسمح ما تكون وهي ضاحكة و أمنع ما تكون حين تكون مقطبة، لذلك يرسم البخيل، عن قصد، ملامح

العبوس على وجهه، والجاحظ يشير إلى أحد بخلائه بأنه كان يبدأ ضيفه بالحديث ثم يدعه يتحدث و يأكل هو كل الطعام وحده. وللأسف فإن سيكولوجيا البخل تسود في أيامنا هذه العالم الغربي والدول المترفة ما أصبحت نزعة ثابتة عندهم أعجزهم عن تغييرها ولك أن ترى كيف حجبت هذه الظاهرة عيونهم عن معاناة العالم الثالث والاهتمام به وفي المقابل توفير كافة إمكانيات الحياة لمواطنيهم حيث ان هناك الكثير من المعوزين في المجتمع البشري الذين تكتنفهم ملابسات تعيقهم عن الكسب، وكرامتهم تأتي عليهم أن يطلبوا المساعدة، وإهم يتظاهرون بعكس حقيقتهم فيبدون لأول وهلة أصحاب مال، وأولي رخاء ولكن المشاهد العاقل يعي ما وراء الصورة الشكلية، فالمشاعر السيكولوجية تتمظهر على سيماهم، وتطل من محياهم، وهم يدثرونها تعففا. هذه الفئة العظيمة يجب أن توجه لهم العناية على نحو لا يخذل أنفثهم ولا يجرح إباءهم.

منهجه في البحث :

هناك اتفاق عندالكتاب والمؤرخين أن أبا عثمان الجاحظ كان ينظر، في حدود طاقته الزمنية، إلى حياة الناس في مجتمعه، نظرة أعمق مما كان ينظر إليها غيره من الأدباء العرب المعاصرين له ويؤكد الدكتور طه الحاجري في مقدمة كتاب البخلاء أن أسلوب من سبقوا في الحديث عن البخلاء أسلوب أخباري يفقر إلى النزعة الفنية التي تميز بها الجاحظ عن سواه، فهؤلاء كانوا يتحدثون عن البخل والبخلاء ضمن إطار الدفاع عن الدولة العربية العباسية ضد خصومها الشعبيين فجاءت كتاباتهم، لذلك أخباريه، تكمن وراءها غاية سياسية⁽³⁷⁾. لقد حاول الجاحظ أثناء عرضه لموضوع البخل أن يعالج طبيعة البخل وحقيقته والدافع إليه، وتصوير حياة البخلاء والتغلغل في أعماق نفوسهم وتتبع حركاتها وخلجاتها والكشف عن أسرارها، ثم حكاية نوادرهم والسخرية بهم أو الاحتجاج لهم بأسلوب فني ساخر. إنه سلك طريقة أدبية بحتة في معالجة هذا الموضوع وهي طريقة القصص. وقد كان عدول الجاحظ عن الأسلوب الإخباري إلى الأسلوب الأدبي عدول العارف بموقف نفسه وهو يقول: " فأما ما سألت من احتجاج الأشحاء ونوادير أحداث البخلاء فسأوجدك ذلك في قصصهم إن شاء الله مفرقا وفي احتجاجاتهم مجملا فهو أجمع لهذا الباب من وصف ما عندي " (38).

من يتابع أسلوب الجاحظ يرى بوضوح بأن لديه شغف كبير بحكاية الواقع، لا يسعى إلى المبالغة والابتعاد عن المعقول من القصص، وإنما يقوم لمتلقي ما حدث فعلا وما يمكن أن يحدث. وأبطال قصصه هم أناس من مخلوقات الله لا من مبتدعات الخيال فهم ما بين عالم أو قاض أو تاجر وإن من أدق الوصف الواقعي في غير تصنع ومدارة ما ذكره عن بخلاء عصره من مثل سهل بن هارون والكندي وابن غزوان والحارثي والحزامي وعليّ الأسواري⁽³⁹⁾. والله إني لو لم أترك مؤاكلة الناس وإطعامهم (إلا) لسوء رعة على الأسواري لتزكته وما ظنهم برجل ههش بضعة لحم تعرفا فبلغ ضرسه وهو لم يعلم فعل ذلك عند

إبراهيم بن الخطاب مولى سليم وكان إذا أكل ذهب عقله وحفظت عينه وسكر وسدر وانبهرت وتردد وجهه وعصب ولم يسمع ولم يبصر فلما رأيت ما يعتره وما يعترى الطعام منه صرت لا أذان له إلا ونحن نأكل التمر والجوز والباقلي ولم يفجأني قط وأنا أكل التمر ألا استغف سفا وحساه حسودا وزاد به زدوا ولا وجده كنيزا إلا تناول القطعة كجمجمة الثور ثم يأخذ بحضنيها ويقلها من الأرض ثم لا يزال ينهشها طولا ولا عرضا ورفعها وخفضها حتى يأتي عليها جميعا ثم لا يقع غضبه إلا على الإنصاف والأثلاث ولم يفصل تمرة قط من تمرة وكان صاحب جمل ولم يكن يرضى بالتفريق ولا رمى بنواة قط ولا نزع قمعا. ولا نفى عنه قشرا ولا فثشه مخافة السوس والدود. ثم ما رأته قط إلا وكأنه طالب ثار وشهشهان صاحب طائلة وكأنه عاشق مغتلم أو جائع مقرر.

وكذلك يسعى جاهدا في اختيار ألفاظ دقيقة معبرة، تلائم ما يصفه أو يصوره حتى إنه ليحكي كلام المولدين والعوام بما فيه من لحن وخطأ لينقل إلينا الواقع بكل ما فيه وهو يقول: " وإن وجدت في هذا الكتاب لحنًا أو كلامًا غير مُعرب أو لفظًا معدولًا عن جهته فاعلموا إننا تركنا ذلك لأن الإعراب ييغض هذا الباب ويخرجه من حدّه إلا أن أحكى كلامًا من كلام متعاقلي البخلاء وأشحاء العلماء كسهل بن هارون وأشباهه⁽⁴⁰⁾. فلكل شخصية ألفاظها وتعابيرها المطابقة لما هي عليه في الحياة، إذا كان البخيل متكلمًا، يتحدث بكلام المتكلمين وإذا كان قاضيًا يستعمل التعابير الفقهية، وفي كتاب البخلاء وردت كلمات فارسية مثل: "وتبنكت خاتون"⁽⁴¹⁾ الذي يردّ على لسان شخصية فارسية على الأرجح. ولعل هذه الاتجاه عند الجاحظ مستمد من مذهبه الواقعي نفسه في الفن، فهو لشدة ارتباطه بواقع الحياة إلى ومية العامة ولحرصه الفني على أن يأتي أدبه معبرًا عن دقائق هذه الحياة بألوانها الأساسية الحية المتحركة. كما لكل صورة من صور البخيل دقائقها وتفصيلها نرى مثلاً العناية البالغة بأدق التفاصيل والجزئيات في قصة الحزامي، فحكى عنه حوارًا ممتعا ابتدعه في قصة هدايا جاءت هذا الرجل من البصرة، وفيها زقاق دبس، فقسّمها على من حضر مجلسه بالسواء فحجّبوا لهذه البادرة منه، وهو الذي عرف بأنه يجزع من "الإعطاء" ويطلب "الأخذ" دائماً⁽⁴²⁾.

وأما أكثر الأسماء وروداً في قصص البخل لدى الجاحظ؟ نقول: إنهم بلغوا حوالي أربعين بخيلاً من العرب والفرس، منهم عشرة بخلاء من الفرس وثلاثين من العرب ومما لا شك فيه أن كتاب البخلاء يعدّ من أفضل ما كتب عن موضوع البخل في تاريخ العرب، فهو كتاب فريد في موضوعه وطريف في أسلوبه، جمع فيه الجاحظ أخبار البخل والبخلاء وصورهم تصويراً قلّ نظيره في الأدب العربي. " وهو أول كتاب يؤلف في فن أدبي له في الأدب العربي شأن كبير وهو أدب الطبائع "⁽⁴³⁾.

وكتاب البخلاء معتدل في حجمه، فهو دون الحيوان والبيان والتبيين وقد ألفه وهو مريض مفلوج يشكو من الفالج طرفاً⁽⁴⁴⁾ وأغلب الظن أنه أهدها إلى ابن أبي داوود وأنه ألفه بعد الحيوان والبيان وقد طبع هذا الكتاب غير مرة وكان أول من طبعه المستشرق فان فلوتن في ليدن سنة 1909. ومما لاشك فيه أن الجاحظ رائد فريد لهذا الفن في الأدب العربي على الإطلاق. ونحن على ثقة أن الأدب العربي قبل الجاحظ لم يكن يتجه إلى حياة الناس الإجتماعية بمختلف أطرافهم وبيئاتهم ومستوياتهم كما فعل أبو عثمان إنه أغنى فن النثر العربي بأن جعله يشتمل على موضوعات جديدة كانت حتى الآن بعيدة نسبياً عن نطاقه. ذلك القصص الذي كتبه عن البخلاء، وطرائقهم في البخل والأسباب التي حدثت لهم إلى إتخاذ حلية لهم ميزتهم عن غيرهم من أفراد المجتمع.

وأما النتائج التي تمخضت عنها هذه الدراسة:

- إذا كان الجاحظ من أئمة أهل عصره بموضوع البخل لكنه لم يكن أول من بدره بدراسته، فهناك من كتب وأجاد في هذا الموضوع، أمثال الأصمعي وأبي الحسن المدائني وأبو عبيدة وغيرهم.
- اتسمت دراسة الجاحظ لموضوع البخل و البخلاء بنزعة فنية بحتة، حيث جعل من البخل فنا قصصياً مستقلاً يحتذى به.
- وقد استغل الجاحظ في سبيل فنه القصصي الذي يتمثل في ظاهرة البخل كافة الوسائل والمهارات البشرية، من قبيل الضحك والحيل والاستجداء وغير ذلك.
- والجاحظ وإن لم يمنع معاتبة البخلاء معاتبة قاسية، لكنه يحذر من ممارسة أي تصرف غير أخلاقي تجاههم أو توجيه أي تهمة غير لائقة بهم، و ذلك لان في البخلاء من يستحق المدح كما يستحق الذم ومن جملة هؤلاء ما قاله في حق صديقه الحذامي، البخل من برأ الله و أطيّب من برأ الله.

المصادر والمراجع

- الإبيهي، محمد بن أحمد: المستطرف من كل فن مستظرف، القاهرة 1886
- بريجسون هنري: الضحك، دار الكتاب المصري 1948
- بللا، شارل، الجاحظ، دار الفكر، دمشق، 1985
- الجاحظ (عمرو بن بحر): البخلاء، تحقيق أحمد عوامري بك، على الجارم بك، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان 1991
- ---- البخلاء، تحقيق: طه الحاجري، دار المعارف ط 6
- ---- الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، إحياء التراث العربي بيروت، ط 3، 1969

- 1 - مجموع رسائل الجاحظ، طبع الساسي المغربي، القاهرة 1906
- 2 - المحاسن والأضداد، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط2، 1991
- 3 - الحاجري، طه: البخلاء، دار المعارف ط 6
- 4 - الحصري، أبو إسحاق إبراهيم الحصري القيرواني: جمع الجواهر في الملح والنوادر، المطبعة الرحمانية بمصر 1353
- 5 - كرد علي، محمد: أمراء البيان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ط 1937
- 6 - ابن منظور: لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان
- 7 - المبارك، محمد: فن القصص في كتاب البخلاء للجاحظ، دار الفكر، دمشق 1965
- 8 - المسعودي، علي بن حسن: مروج الذهب، دار المعرفة، بيروت، لبنان
- 9 - معلوف، لويس، المنجد في الأعلام، ط12، بيروت، لبنان
- 10 - النجم، وديعة طه: الجاحظ والحاضرة العباسية، مطبعة الإرشاد، بغداد 1965
- 11 - اليافي، عبد الكريم: دراسات فنية في الأدب العربي، ط1/ 1963

(¹) راجع المنجد في الأعلام ، لويس معلوف، ص: 526

(²) راجع كتاب الدكتور أكرم زيدان بعنوان: سيكولوجية المال الفصل الأول وكتاب سيكولوجية الطفل الراض للمدرسة للدكتور نايل العاصمي ص 106

(³) لسان العرب ، ابن منظور مادة بخل، ص: 322

(⁴) راجع الجاحظ والحاضرة العباسية للدكتور وديعة طه نجم : 149

(⁵) الحصري أبو إسحاق جمع الجواهر في الملح والنوادر ص: 204

(⁶) راجع: أمراء البيان لمحمد كرد علي، ص ص: 323 و324

(⁷) راجع كتاب د.أكرم زيدان بعنوان سيكولوجية المال الفصلين الثاني والرابع

(⁸) راجع البخلاء للجاحظ: 114/1.

(⁹) راجع المحاسن والأضداد للجاحظ: 95.

(¹⁰) اليافي ، عبدالكريم ، دراسات فنية في الادب العربي :89

(¹¹) راجع الجاحظ والحاضرة العباسية: 178.

(¹²) الحموى ، ياقوت : معجم الأدباء ، ج 16، ص74

(¹³) . كرد علي،محمد، أمراء البيان ج2، ص318

(¹⁴) المسعودي ، مروج الذهب، ج 4 ص 225

(¹⁵) الجاحظ ، عمرو بن بحر، مجموعة رسائل(الساسي) صص155- 156

(¹⁶) الجاحظ ، عمرو بن بحر، البخلاء ص 103، دار المعارف

(¹⁷) المصدر نفسه ص83

- (18) الجاحري ، طه ، مقدمة البخلاء ص 35
- (19) الجاحظ ، عمرو بن بحر ، البخلاء صص 121 - 122
- (20) الجاحظ ، عمرو بن بحر ، البيان والتبيين ج 2 ص 93
- (21) الإبيشيبي محمد بن أحمد : المستطرف من كل فن مستظرف ج 1 ص 161
- (22) بللا ، شارل ، الجاحظ: 311
- (23) كرد علي ، محمد ، أمراء البيان ج 2 ص 322
- (24) الجاحظ ، عمرو بن بحر ، الحيوان ج 6 ص 10
- (25) الجاحظ ، عمرو بن بحر ، البخلاء ج 2 ص 504
- (26) الجاحري ، طه ، مقدمة كتاب البخلاء ص 28
- (27) الجاحظ ، عمرو بن بحر ، البخلاء ج 1 ص 28
- (28) الجاحري ، طه ، مقدمة كتاب البخلاء ، ص 54
- (29) كرد علي ، محمد ، أمراء البيان ، ص 464
- (30) الجاحظ ، عمرو بن بحر ، البخلاء ج 1 ص 45
- (31) راجع : الضحك تأليف هنري بربجسون ، ترجمه سامي الدروبي وآخر ص 14
- (32) الجاحظ ، عمرو بن بحر ، البخلاء ج 1 ص 29 و 30
- (33) الجاحظ عمرو بن بحر ، البخلاء : 63 / 2
- (34) الجاحظ ، عمرو بن بحر ، البخلاء : 64 / 2
- (35) المصدر نفسه ، 157 / 2
- (36) المصدر نفسه ، 45 / 2
- (37) الجاحري ، طه ، مقدمة كتاب البخلاء ، ص 28
- (38) الجاحظ ، عمرو بن بحر ، البخلاء ص : 26
- (39) الجاحري ، طه : الجاحظ ، ص : 79.
- (40) الجاحظ ، عمرو بن بحر ، البخلاء ج 1 ص : 78
- (41) المصدر نفسه ، ج 1 ص : 90
- (42) المصدر نفسه ، ج 1 ص : 115
- (43) المبارك . محمد ، فن القصص في كتاب البخلاء للجاحظ ص 15
- (44) البخلاء ، عمرو بن بحر ، البخلاء ، ج 2 ص 45

الشعر والتوظيف الديني عند ابن الرومي
 الباحثة الدكتورة : ربيعة أمحمد أحمد الجهمي
 جامعة الزاوية - ليبيا

توطئة :

تراجعت أسباب كثيرة أدت إلى هزيمة أدبية ونضوج فكري نشأ عنه ما يسمى بالتوظيف الديني في الشعر، والدين الإسلامي هو العامل الأول للثقافة العربية والإسلامية، وثقافة الشاعر العربي، ذلك أن الشاعر العربي يستمد ثقافته من لغته العربية التي عمادها القرآن الكريم، وقد رسم الإسلام للناس مناهج السلوك التي يسلكها الإنسان في مجتمعه، وكان القرآن الكريم مفخرة العرب في لغتهم؛ لأن هذا الكتاب لم يتح لأمة من الأمم، كتاب مثله من حيث البلاغة والفصاحة والتأثير في النفوس والقلوب، فهو معجزة بيانية، وكان له الأثر الكبير في أدهم، من حيث اللغة، والأسلوب، والمعاني، والأفكار، والصور والأخيلة. نزل القرآن الكريم بعدما تتقف اللسان العربي بفصاحة الأعراب يصوغ تجارب الحياة في أمثال وحكم، وسجع وخطب وقصائد وكان اللسان العربي قد أسس زمناً من عمره الفني يختزع المعنى وينتقي اللفظ، ويتقف الأسلوب، ويرسم الصورة، فجاء القرآن الكريم وهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو أوثق نص في اللغة العربية بنظمه ومعانيه، جاء بإعجازه ومعجزته، بأسلوب لم تألفه العرب عندهم من قبل، أسلوب يدهش الفكر، والذوق، واللسان بحروفه وكلماته، وأسلوبه، ومعانيه، هو فريد في نظم آياته، بديع في أداء أغراضه، رائع في عرض صورته، جميل في بلاغته له وقع الشعر في النفوس، وله موسيقى السجع وليس بسجع وله سماحة اللفظ ورقة العبارة وجمال المعنى كما وصف نفسه: ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾⁽¹⁾.

لاشك أن الشعراء كانوا من الأوائل الذين اهتموا بالقرآن ودراسته لقدراهم الفنية وأساليبيهم التعبيرية، والدليل على ذلك كثرة الشعراء الذين أسلموا على يد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد استماعهم إلى القرآن، ويبدو أن بعض الشعراء قد اهتموا بدراسة القرآن، حتى شغلوا عن نظم الشعر، فقال لبيد: قد أبدلني الله بالشعر سورة البقرة وسورة آل عمران⁽²⁾، وقد كان التراث الديني في كل العصور ولدى كل الأمم مصدراً سخياً من مصادر الإلهام الشعري، حيث يستمد منه الشعراء نماذج وموضوعات وصوراً أدبية، والأدب العالمي حافل بالكثير من الأعمال الأدبية العظيمة، التي محورها

شخصية دينية، أو موضوع ديني، أو التي تأثرت بشكل أو بآخر، بالتراث الديني"⁽³⁾، وكان الأدب شعراً ونثراً أشد جوانب هذه الحياة متأثراً بالقرآن، لأن الشعر والخطابة كانا وسيلة العصر للتعبير عن شؤون حياته العامة، وعندما جاء القرآن ليقيم الحياة على وضع جديد، كان الأدب بدوره عنصراً من عناصر هذه التجربة، "فقد كان المجتمع مجتمعاً إسلامياً، وكانت الطبقة العامة فيه حسنة الإسلام تتمسك بفرائضه وسننه وشعائره"⁽⁴⁾، فقد ظل الدين الإسلامي قوياً راسخاً في القلوب، متأصلاً في النفوس، فتأثر الشعراء العرب بمصادر التشريع الإسلامي، وفي مقدمتها كتاب الله (القرآن الكريم) إذ استمدوا منه الكثير من الموضوعات ذات الطابع الديني، وكذلك الشخصيات التي لها علاقة بالدين الإسلامي كالأنبياء والرسل، وقادة المعارك الإسلامية وغيرهم، والتي كانت سبباً لأعمال أدبية رائعة.

لقد حازت شخصية الأنبياء والرسل على اهتمام الشعراء فأصبحت لديهم "أكثر شخصيات التراث الديني شيوعاً في شعرنا المعاصر ولا غرو فقد أحس الشعراء من قديم بأن ثمة روابط وثيقة تربط بين تجربتهم وتجربة الأنبياء، فكل من النبي والشاعر الأصيل يحمل رسالة إلى أمته، والفارق بينهما أن رسالة النبي رسالة سماوية وكل منهما يتحمل العنت والعذاب في سبيل رسالته، ويعيش غريباً في قومه محارباً"⁽⁵⁾.

أثار التوظيف الديني في شعر ابن الرومي :

إن شاعرنا ابن الرومي كغيره من شعراء العصر العباسي في استخدامه للتراث الديني وتوظيفه، وخاصة أنه كان من المثقفين بالثقافة الإسلامية، حيث أثرت هذه الثقافة في شعره، فأستمد صورته الشعرية بعناصر من الشريعة السمحاء، فقد أخذ شاعرنا من هذا المصدر الثري كثيراً بالألفاظ والعبارات التي وظفها في نقل أفكاره ومشاعره مستغلاً في ذلك الإيحاءات الدينية لتلك الألفاظ، وإذا تتبعنا هذه الاستخدامات اللفظية من القرآن الكريم، في دواوينه، لصعب علينا حصرها، ولكن سنقتصر على بعض منها وذلك للاستدلال والبرهان على ثقافته الواسعة وعلومه الزاخرة.

لقد صاغ ابن الرومي بعض صورته الفنية متأثراً بالتراث الديني، من ذلك، هذه الصورة المشتملة على آية محكمة من كتاب الله العزيز التي ضمنها لوحته الشعرية في الهجاء فقال يهجو أحدهم بالجهل:

فليس يَحْسُنُ إلا وهو مصلوبٌ⁽⁶⁾

طولٌ وعرضٌ بلا عقلٍ ولا أدبٍ

فقد تأثر شاعرنا بالآية الكريمة: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خَشْبٌ مُسْنَدَةٌ...﴾ (7).

وقال الشاعر في الهجاء:

(من مشطور الرجز)

رُبَّ فَتَاةٍ حُرَّةٍ الْمُقَاتِلِ

.....

تَكْسُو عُقُودَ السُّدْرِ وَالزُّبُرِ حِدِ
تَحْرَأُ كَصَرْحِ الْمَرْمَرِ الْمُمَرِّدِ
دَافَعْتُهُمَا فَمَا اتَّقَتْنِي بِالْيَدِ
لَكُنْ بَرَجْلِيهَا وَلَمْ تَنْكُحِ (8)

وواضح أنه استعار بعض ألفاظه من الآية الكريمة: ﴿... قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ...﴾ (9). وكان من مظاهر تأثر لغة الهجاء بلغة العلوم الإسلامية، قوله في هجاء مشرك بالله:

(من مجزوء الرمل)

كَافِرٍ بِاللَّهِ مُشْرِكٍ (10)

بِيَهْقِي مَرْدَقِيَّ

وقال في هجائه لأهل الكوفة:

(الهنج)

لَالِ اللَّهِ مَا أَجْنِي

وَكَمِّ مِنْ مَوْرَقٍ فِيهِمْ

لَالِ اللَّهِ مَا أَغْنِي

وَكَمِّ مِنْ نَاصِرٍ فِيهِمْ

ج

لَالِ اللَّهِ قَدْ أَخْتِي (11)

وَكَمِّ مِنْ خَاذِلٍ فِيهِمْ

فتكراره "آل الله" أوضح ما كان يرمي إليه الشاعر من طعن للكوفيين بأنهم قوم لا ينفعون محتاجاً، ولا ينصرون ضعيفاً ولا يصدقون في نصر من يحتاج إلي نصرهم. وذكر التسنيم وهو ماء في الجنة:

(من الخفيف)

كسروي شرا به من رحيقٍ ومزاجُ الرحيقِ من تسنيمٍ⁽¹²⁾

فوظف كلمة التسنيم في الشراب، من قوله تعالى: ﴿وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾⁽¹³⁾.

وقال في التسنيم:

لله أخلاقٌ منحت صفاءها مثل الرحيق مزاجه التسنيم⁽¹⁴⁾

مضمون البيت يقول: لك الله لما تحمل من سجايا، أعطيت خلاصتها خالية من كل شائبة؛ إهما تشبه ما تفرزه الأزهار ممزوجاً بماء الجنة.

وقال أيضاً في ماء الجنة:

لا سقى الله جسمه من حيا المز ن ولا روحه من السلسيل⁽¹⁵⁾

لا سقى الله جسمه من ماء المطر ولا من ماء الجنة، فوظف الآية القرآنية: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾⁽¹⁶⁾.

كما نجد بعض الإشارات الدينية في شعره يقول:

(من الوافر)

إذا قالت حذام فصدّقوها فإن القول ما قالت حذام

ولو عيبت هنالكُم لديه لقال نكيره: صمى صمام⁽¹⁷⁾

حذام اسم امرأة عرفت برجاحة العقل وسداد الرأي، فهذا البيت مثل يضرب به في القول الصواب الذي يؤخذ به، يقول للممدوح: في كلامك حكمة علينا الأخذُ بها، مثل كلام حذام حكمة استمدها أهلها منها، لو ذمَّ لك لضم أذنيه عن سماع الذم وأنكره عليك، فهذا من توظيف الآية الكريمة: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ (18).

الصورة الشعرية عند الشاعر وفقاً للموروث الديني :

كما استعان ابن الرومي، في بناء لوحاته الشعرية بقصة يوسف عليه السلام وهي من القصص القرآني عند العرب والمسلمين كافة، فنجد بعض الإشارات الدينية في خاتمة قصيدة الشاعر "في القاضي يوسف، حيث يذكر سيدنا يوسف عليه السلام، في إعفائه عن أخوته وعدم اللوم فيقول:

(من الخفيف)

بَعَّ مَسَاعَاتُهُ الَّتِي لَنْ تَحْيَا

يَا سَمِّي النَّبِيَّ ذِي الصَّفْحِ وَالتَّا

سُفُّ لِمُرْتَجِيكَ لَا تَتْرِيَا

قَلْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ الْخَيْرِ يَا يُو

.....

دَلْ فِيمَنْ يُضْحِي وَيَسْمَى نَحْيَا (19)

فَاتِقِ اللَّهِ - أَيُّهَا الْحَاكِمُ الْعَا

يشير إلى النبي يوسف عليه السلام، الذي عفا عن أخوته وهذا من كرمه وحسن خلقه، وفي البيت الثاني يدعو القاضي إلى أن يقول لمن يرتجيه كما قال يوسف النبي لأخوته: لا ألومكم ولا أشعركم بالذنب إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (20)، وفي البيت الأخير يدعو الشاعر إلى اتقاء الله في الحكم على الجبان.

واستمد الشاعر صوره من الموروث الديني في سورة يوسف عليه السلام في إظهار الحق قال الشاعر في عتابه لبعض أصدقائه:

(من الكامل)

وما إن يزال على هوائي مخالفاً
ومعانداً للحق حين يُحصص⁽²¹⁾

فاستمدتها من الآية الكريمة: ﴿الآن حَصَّصَ الْحَقُّ﴾⁽²²⁾.

يقول إنه يعاندني ويعاكسني في ميولي، وينكر الحق الظاهر إلى أن ظهر وبان. فأكثر عناصر الصورة الشعرية مستمد من الموروث الديني، وهذه صورة شعرية أخرى استوحى الشاعر عناصرها من الدين الإسلامي يذكر فيها قصة يوسف، ورؤيا فرعون يقول:

(من المتقارب)

كأني سألتك قوت العبا
د في سنة البقرات العجاف⁽²³⁾

فليت الرجال أشد القلي
وعفت جداهم أشد العياف⁽²⁴⁾

يلمح في البيت الأول إلى السنين العجاف التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، وفي مواضع كثيرة من أشعاره، فاستمد الشاعر صورته من الآية القرآنية: ﴿إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾⁽²⁵⁾، ويشير في البيت الثاني إلى الآية القرآنية: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾⁽²⁶⁾. ونجد بعض الإشارات الدينية في قصة يوسف وامرأة العزيز يقول الشاعر في شيخ وعجوز وقد تعجب مما حدث بينهما.

(من البسيط)

يا أيها النفر الذين تعجبوا
من قصة امرأة العزيز ويوسف

هايتكم فتننت بأحسن من مشى
ممن عرفناه ومن لم نعرف⁽²⁷⁾

ففي البيت الأول استمد صورته من فئة الناس الذين تعجبوا من قصة امرأة العزيز ويوسف، فوظف الآية القرآنية: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي

ضَلَّالٌ مُّبِينٌ ﴿٢٨﴾. فامرأة العزيز استهواها أجمل من عرف من الرجال، ومن لم يعرف، فهم قد تعجبوا من حب الشيخ للعجوز.

(من الخفيف)

يَا كَفِيَّ الْهُوَى وَفَوْقَ الْكَفَى

يَأَيُّ حُسْنٍ وَجْهَكَ الْيُوسُفِيُّ ﴿٢٩﴾

وقال في الغزل:

اجتماعُ الرَّبِيعِيِّ وَالْخَزَفِيِّ

فيه وَرْدٌ وَنَرْجِسٌ ﴿٣٠﴾، وَعَجِيتُ

لقد وصف القرآن الكريم قصة يوسف وجماله، فاستعان ابن الرومي بالآية الكريمة: ﴿وَشَرَّوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ ﴿٣١﴾. وفي البيت الثاني جمع الشاعر بين متعة الربيع والخريف وجمالهما، ومن يتفحص شعر ابن الرومي في دواوينه يجده قد تأثر بالقرآن في وصفه ومدحه وفخره وهجائه ورتائه وغزله فيأخذ من معاني القرآن وصوره ويقتبس منها، ويحلي بها معانيه وصوره الشعرية.

يقول العقاد "أما حظه من علوم العربية والدين فمن الفضول أن نتعرض لإحصاء الشواهد عليه في كلامه، لأنه أبين من أن يحتاج إلى تبين" ﴿٣٢﴾. ومن شخصيات الأنبياء عليهم السلام التي تعرض لذكرها ابن الرومي في شعره ووظفها بما يتفق مع الموقف الملائم له.

ذكره لسيدنا إبراهيم عليه السلام، متخذاً بعض الإشارات الدينية في قصيدة "زُفْتُ لَهَا".

(من الطويل)

وحارت من الأوصاف أوصافها الحسنى

رأت نار إبراهيم أيام أوقدت

وباتت بطيب لا يوازي ولا يحكي ﴿٣٣﴾

حكّت نورها بردها وسلامها

فالآيات مقتبسة من الآية الكريمة: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿٣٤﴾. إن استعماله للآيات القرآنية وتوظيفها كثير في شعره قد يأتي بأكثر من آية في القصيدة الواحدة يقول ابن الرومي في الهجاء.

(من الوافر)

وتوقد بالحجارة والحديد

أنا النار التي بالخلق تغدى

أعيد لهم سوى تلك الجلود

إذا نضجت جلود القوم فيها

بها، فتقول: لا، هل من مزيد؟

يقال: هل امتلأت؟ وكل خلق

فويل القوم من شرب الصديد⁽³⁵⁾

إذا عطشوا سقيتهم صديداً

في البيت الأول إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَقُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾⁽³⁶⁾، وفي البيت الثاني إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾⁽³⁷⁾، وفي البيت الثالث قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾⁽³⁸⁾، وفي الرابع إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾⁽³⁹⁾. كما تأخذ شخصية نبي الله موسى عليه السلام في شعر ابن الرومي مكانة مرموقة.

(من الخفيف)

شد منه بعونه هارونه⁽⁴⁰⁾

إن موسى نجى من لا يناجى

يشير في هذا البيت إلى الآية القرآنية: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾⁽⁴¹⁾. يقول الشاعر:

(من الطويل)

ضربت به بحر الندى، فتضحضحا

مديحي عصا موسى، وذلك أني

فمديحي لك مثل عصا موسى عليه السلام تلقف ما تقع عليه، وقد ضربت بها بحر كرمك، فقل ماؤه، وبان بخلك، إشارة إلى قول الآية الكريمة في البيت الأول: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ، فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُطِلُّهُ﴾⁽⁴²⁾. وقوله في شق

البحر: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ (43).

كما تحتل شخصية عيسى ابن مريم، عليه السلام في شعر ابن الرومي مكانة لا بأس بها حيث يوظفها كذلك في شعره فقال:

(من الكامل)

فكأن عيسى (44) جاء بالإحياء (45)

وتعيد نشأها المشيب إلى الصبا

وقال الشاعر:

(من مجزوء الكامل)

ح ونشره الموتى بذاكا (46)

فكأنه عيسى المسية

في هذا البيت إشارة إلى معجزة عيسى عليه السلام وهي إحياءه للموتى.

وقال ابن الرومي بمدح:

(من الطويل)

رأى أن متن البحر صرح مُرَدُّ (47)

ولم تألُ إنذاراً له غير أنه

يشير في هذا البيت إلى حكاية سليمان عليه السلام مخاطباً ملكة سبأ: ﴿قَالَ إِنَّهُ صَرَحَ مُرَدُّ مَنْ قَوَارِيرَ﴾ (48).

وفي قصيدة بعنوان "شهد الله" قال يهجو:

(من الخفيف)

أَنَّ عَبْدَ الْقَوِيِّ عَبْدٌ قَوِيٌّ

شهدَ اللهُ وهو عدلٌ رضيُّ

أخذَ يحيى لكنَّ يحيى نبيُّ

أخذَ الناسَ كلُّهم لكتاب

وهو يحيى لولا النجاسة والجهد

ل وإن لم يحيء به زكري⁽⁴⁹⁾

يشير في البيت الثاني إلى الآية الكريمة: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾⁽⁵⁰⁾، ويعني بذلك آخذ الكتاب مثل يحيى إلا أن يحيى نبي الله، أما في البيت الثالث فيشير إلى زكريا الذي أنجب يحيى من زوجته وهي في السبعين من عمرها وزوجها ناهز الثمانين.

وقال الشاعر:

علمه يونس من تسيحه

(من الرجز)

ما كان أذاه إلى تسريجه⁽⁵¹⁾

في البيت إشارة إلى قصة سيدنا يونس عليه السلام، حيث ابتلعه الحوت، فدعا ربه فنجاه ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَمَّناهُ﴾⁽⁵²⁾، وقد أشار إلى قصة يونس عليه السلام في أكثر من مرة، فقال في ذلك:

قد بلَى الله يونس بن بغاء

ببلاء النبي يونس قبله

يبلغ الحوت بعضه كل يوم

ليته يبلغ المسكين جملة⁽⁵³⁾

ويشير هنا أيضاً إلى قصة سيدنا يونس حيث ابتلعه الحوت.

وقال ابن الرومي يهجو:

ثقل أوراكها على عاتقي

ه ولك النسل جئت شيئاً فريباً

فاتق الله بل إخالك شيخاً

يتقى الله أن يكون تقياً⁽⁵⁴⁾

استمد معانيه من الآية الكريمة: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً فَرِيًّا﴾⁽⁵⁵⁾.

وقال يتذكر الشباب:

(من البسيط)

كفُّ عهدتُ ثمارَ اللهو دانيةً منها فقد قلَّصت عنها مجانيها
روحٌ على النفس منها كان يبردها بردُ النسيم ولا ينفكُّ يحييها⁽⁵⁶⁾

فالشاعر يبكي على كف كانت ثمار اللهو قريبة منها، ثم ابتعدت وما عادت تستطيع أن تلهو، وكان الشباب راحة النفس وفرحها، كالنسيم في لطفه يحيي تلك النفس ويوقظها، فوظف الموروث الديني في الآية الكريمة: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾⁽⁵⁷⁾، فأكمل المعنى عندما أشارت الآية الوصفية إلى القطوف الدانية القريب تناولها، فوصف القرآن الكريم المؤمنين في الجنة وصفاً بياناً حياً، ووصف ابن الرومي الشباب بأنه راحة النفس وجنة الدنيا، "والوصف في القرآن وسيلة فنية هامة تستخدم لتبرز الجوانب الهامة من مواقف الإنسان"⁽⁵⁸⁾.

وقال أيضاً في المدح:

(من الطويل)

ولم تألُ إنذاراً له غيرَ أنَّه رأى أن متن البحر صرح ممرد⁽⁵⁹⁾

يشير في هذا البيت إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ صَرَخَ مُرَدٌّ مِّنْ قَوَارِيرَ﴾⁽⁶⁰⁾، حكاية عن سليمان عليه السلام يخاطب ملكة سبأ. وقوله في وأد الناس "دفنهم أحياء".

(من البسيط)

لو كنتَ أزمانَ وأد الناس ما وأدوا أحياء سماحك فيهم كلَّ موؤود⁽⁶¹⁾

فهذا البيت إشارة إلى الآية القرآنية: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾⁽⁶²⁾، لو عشت في زمن وأد الناس لبنائهم في الجاهلية لا أحييت بكرمك كل موءودة. وقال أيضاً يهجو أحد الكتاب:

(من الخفيف)

فأدخروه إذا تقرب منكم وأحلوه بالمحل الحر يد⁽⁶³⁾

لبنان والله يُقي بنانا ستة أنت كلُّهم بالوصيد⁽⁶⁴⁾

في البيت الثاني إشارة إلى قصة أهل الكهف في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةَ سَادُسُهُمْ كُلُّهُمْ رَجماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةً وَتَأْمِنُهُمْ كُلُّهُمْ﴾⁽⁶⁵⁾.

إنما يعبر الشاعر عن أحاسيسه وانفعالاته، ويرسم موقفه من المهجو بأبيات فيها ذاتية واضحة، فيقول: اطروده، كي يذهب إلى بنان، أبقاها الله، فلها ستة أصحاب، وأنت سابعهم كالكلب، أكرمك الله، يفترش فناء بيتها، "ولقد كان ابن الرومي دقيق الملاحظة، يصور ما يلاحظه في دقة عجيبة ويخلط هذه الصور المادية بحبه أو بكرهيته حتى يجسم العاطفة ويظهرها ملونة بارزة"⁽⁶⁶⁾.

وهذه صورة أخرى يستوحىها ابن الرومي من القرآن الكريم في الهجاء يقول:

(من الخفيف)

بدل بالحبيب وكس كما استب بدل بالجتين أثل وخط⁽⁶⁷⁾

فقوله: كما استبدل بالجتين إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿وَبَدَّلْنَا هُم بَجَنَّتِيهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾⁽⁶⁸⁾، "وكان ابن الرومي يتعامل مع الصورة الشعرية تعامل فنان مقتدر، يسخرها لبحث الحياة في معانيه وأفكاره، فخياله المبدع الخلاق مكّنه من انتزاع أقرب الصور وأكثرها تعبيراً وأشدّها محاكاة للواقعة وحياته"⁽⁶⁹⁾، ومن أروع صوره الشعرية ما قاله في الزهد:

(من الهزج)

جنان الخلد تشتاق	إلى الزهاد في الدنيا
ودمع العين مهراق	يضحون إلى الله
فإعتاقك إعتاقُ	مليك الناس اعتقنا
إذا ما كشفت ساق ⁽⁷⁰⁾	مليك الناس خلصنا

يخبرنا أن جنات النعيم تشتاق إلى زهاد الدنيا ومتعففيها، فهم من خشية الله رب العالمين تنسكب الدموع من مآقيهم، وطلباً لمغفرته، وفي البيت الأخير يدعون ربهم أن يقيهم نار جهنم، وهنا يشير إلى الآية الكريمة: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾⁽⁷¹⁾.

يصور الشاعر معانيه وأفكاره بكل دقة فسبحان الله خالق الجود البارع من الجن والإنس، فيشير إلى الآية الكريمة: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾⁽⁷²⁾، وفي البيت الثاني يشبه الممدوح الكريم بالبدر يزيج عتمة الليل. وله في المدح:

(من المنسرح)	تبارك الله خالق الكرم الـ
بارع من حمأة ومن علق ⁽⁷³⁾	
كالبدر يجلو غواشي الغسق ⁽⁷⁴⁾	ماذا رعيناه في جناب فتى

ويتحدث الشاعر عن الصدق فيقول:

(من الخفيف)	يا سمى الصدوق في الوعد إسـ
حاعيل أئني يكون إلا صدوقا	
ك، وهيها أن تلاقى فروقا ⁽⁷⁵⁾	ورعاً أن تفارق البخل كفاً

يشير إلى الآية الكريمة: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾⁽⁷⁶⁾، فيصف كرمه وكرهه للبخل وشجاعته وجرأته.

وقال يمدح: (من المتقارب)

وأبدي لك الصبح عن واضح بين: رأيك منبلجاً والفلق

فله صبحك ماذا جلا والله ليُلك ماذا وسق⁽⁷⁷⁾

وإذا أشرق الصبح عليك، وأشرق رأيك الوضاح معه، فما أعظم ما جلاه الصبح له من فرج، وما حواه ليله من كرب، فوظف الشاعر في صورته الشعرية قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ، وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ، وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾⁽⁷⁸⁾.

فقد استطاع الشاعر أن يلبس أفكاره رداءً من الطابع الديني فهو يشير إلى إشارات متعددة هادفة إلى ما يعنيه من معانٍ لآيات الله الدافعة إلى القدرة الإلهية والتأمل في الطبيعة وقال يمدح:

(من المنسرح)

فلا تخافوا، أمنتُمُ أبداً ما أينع الطلعُ في بواسقها⁽⁷⁹⁾

معنى عجز البيت مأخوذ من الآية الكريمة: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾⁽⁸⁰⁾. وقال أيضاً:

(من البسيط)

لولا فواكه⁽⁸¹⁾ أيلول إذا اجتمعت من كلِّ نوع ورق الجو والماء⁽⁸²⁾

فالبیت مأخوذ من قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾⁽⁸³⁾.

وللشاعر في استخداماته للموروث الديني، القدرة على الاستدلال بالآيات القرآنية، ووضعها في المكان المناسب، مما أضفى على شعره جانباً من الحيوية، وخفة الروح ومن ذلك قوله:

(من الوافر)

يزيد الله فيها كلَّ يوم
فلا تنفكُ دائماً النماء

ويُصحبك الإله على الأعادي
مساعدة المقادر والقضاء⁽⁸⁴⁾

ففي البيت الأول يشير المعنى إلى النعم التي أنعمها الله عليك دائماً الزيارة إلى مالا نهاية، ويستمر في البيت الثاني بقوله يكون الله إلى جانبك دائماً في مواجهة أعاديك مؤيداً وناصرًا، والشطر الثاني مأخوذ من الآية القرآنية: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾⁽⁸⁵⁾، فيكون الله في صفك يدعمك بإرادته، ويكون القدر إلى جانبك. وقال في الحمد والشكر والثناء على النعم التي أنعم الله بها على الإنسان:

(من الخفيف)

أحمد الله نيةً وثناءً
غدوةً بل عشيّةً بل مساءً

حمدٌ مُستعظم جلالاً عظيماً
من مليكٍ وشاكر آلاء

ملك قدح الحياة من المو
تي، ويكفي بفضلها الأحياء⁽⁸⁶⁾

فالمعاني الإسلامية واضحة في هذه الأبيات التي استلهمها الشاعر من الآية الكريمة: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾⁽⁸⁷⁾. فالشاعر في هذه الأبيات يحمّد الله على جلاله العظيم وفضله المبارك ويشكره في كل وقت، وقدرة الله إنه يجعل من الموت حياة وينعم بفضلها على الأحياء، في قول الشاعر (يقدح الحياة من الموت) فهذا إن دل على شيءٍ فإنما يدل على ثقافة الشاعر الإسلامية وفهمه للعقيدة الدينية والمعاني القرآنية. وقال ابن الرومي في الشعراء:

(من الطويل)

يقولون مالا يفعلون مسبّةً
من الله مسبوبٌ بها الشعراء

وما ذاك فيهم وحده بل زيادة

يقولون مالا يفعل الأمراء⁽⁸⁸⁾

يصف الشعراء ويقول إهم يقولون مالا يفعلون، فقولهم مخالف لفعلهم، إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾⁽⁸⁹⁾، فهم يقولون أشياء زيادة على ما وصفهم به القرآن الكريم، فهم غير صادقين مع الله ومع الناس. وقال أيضاً:

(من البسيط)

يعدون في السبت عدو الناشط الشيب⁽⁹⁰⁾

يا قاتل الله نسواناً له مجناً

أراد الشاعر بذلك أنه يتجاوزن حدود الله، وقوله يعدون في السبت، مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعاً وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾⁽⁹¹⁾. وقال في النبذ الأسود:

(من الخفيف)

ره شرب الزقوم أهل العتاب

أنت في لرك العتاب بمن يك

غير طعن الكلى وضرب الرقاب⁽⁹²⁾

ليس بيني وبين قيس عتاب

وهو في الصورة يجسد العتاب وكيف يكون، أي أنت الذي يستحق العقاب بسبب إلزامك العتاب بمن يبغي شرب الزقوم، يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ، طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾⁽⁹³⁾. والعتاب سيكون طعناً بالرمح والسيوف تخترق الكلى وتقطع الأعناق رسم الشاعر صورته معتمداً في إبرازها على الكلمات الموحية للمعنى، وهذه كلها صور حسية تنزع إلى تصوير الموقف كما يراه الشاعر ويحسه.

(من الخفيف)

وقال الشاعر:

أيها المرء فاقض ما أنت قاضي

أنت منهن بين حمد وذم

أ تفي بالذي وعدت من التع
ريض مما فيه رضا المعتاض⁽⁹⁴⁾

وقد أجاد ابن الرومي في رسم صورة الإنسان التي تتأرجح بين مدح له أو ذم، ويدعوه أن يحسم الأمر فينهي إليه رفته، وأن يفیه ما وعده به، حتى يدخل الرضا إلى فؤاد طالب الوفاء بالدين، والمعنى مأخوذ من الآية الكريمة: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِمَّا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾⁽⁹⁵⁾.

وقال بيتاً مفرداً في الهجاء: (من البسيط)

لئن فخرت بأباء ذوي حسب
لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا⁽⁹⁶⁾

يشير إلى الآية الكريمة: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾⁽⁹⁷⁾.

وقال في الوصل والهجر: (من الهزج)

يحول الحول في الفصل
ويبقى لي تذكره

ويوم الهجر والبين
كيوم كان مقداره⁽⁹⁸⁾

ينقضي العام على الوصل بعد العام ويبقى في ذاكرتي وخاطري، بينما يبدو يوم الفراق كيوم كان مقداره خمسين ألف سنة، فما أجمل الوصل ولذته، وما أتعس الفراق وعذابه، وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾⁽⁹⁹⁾، وقوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾⁽¹⁰⁰⁾.

وقال:

(من مجزوء الرجز)

نا بينه " زال المرا

لقوله: " نحن قسم

قسمة أرزاق الورى

ولو تولي غيره

لكننا تحت العرا⁽¹⁰¹⁾

جرت خطوب بيننا

يتحدث الشاعر عن قدرة الخالق في قسم الأرزاق، ويقول لو تولّى توزيع النعم كائن غير الله لعم البلاء، وجرت المحن بين الناس، وهم عزّل من الحكمة والتصرف كمن يفي بدون قوة لمواجهة الحياة، استلهم ذلك من الآية القرآنية: ﴿لَنْ نَقْسِمَآ بَيْنَهُمْ مَّعِشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾⁽¹⁰²⁾، ومن الحديث الشريف "من لم يرضَ بقضائي ويصبر على بلائي ويشكر لنعمائي فليخرج من تحت سمائي، وليتخذ ربا سواي"⁽¹⁰³⁾.

(من الطويل)

وقال أيضاً:

أحال عليهم مكرهم خير ماكر⁽¹⁰⁴⁾

إذا حاول الأعداء أن يمكروا به

لو حاول الأعداء المكر بالممدوح، رد عليهم مكرهم خير الماكرين، وهو الله سبحانه وتعالى، فالمعنى مقتبس من الآية القرآنية: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾⁽¹⁰⁵⁾.
وفال في الأترك:

(من الطويل)

بنات المنايا والحني المدثر

لهم عدة تكفيهم كل عدة

بتسمية القرآن فيما يفسر⁽¹⁰⁶⁾

هي القوة الحق المسماة قوة

لهم عدة القتال الجاهزة الفتاكة، وهم القوة المعدة، كما ذكرت في القرآن الكريم: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾⁽¹⁰⁷⁾.
وله في الهجاء:

(من السريع)

وآية بالشفع والوتر⁽¹⁰⁸⁾

أقسمت بالمقسم في وحيه

ففي هذا البيت إشارة على القسم الوارد في الآية الكريمة: ﴿وَالشَّفْعَ وَالْوَتْرَ﴾⁽¹⁰⁹⁾. وتعرض الشاعر كذلك لذكر بعض أسماء الله الحسني ومن ذلك قوله في الرثاء:

(من الطويل)

فصبراً فإنَّ البرَّ من يتصبرُّ

ولن يُعوَزَ الوهابَ إخلافُ فارس

فذكر اسم من أسماء الله الحسني "الوهاب" فالشاعر على دراية واضحة بالتراث الديني. وقوله يهنئ، ويعزي:

(من الوافر)

إلا فليهنِك الخلفُ الجديدُ

صبرتَ فأخلفَ الملكُ المجيدُ

أهلُّ أخوهُ واللهُ الحميدُ

صبرتَ على مغيِبِ البدرِ حتى

لدينا عمره فيها مديدُ⁽¹¹⁰⁾

فذاك مضي لآخرةٍ وهذا

صبرت على فقد مولودك فأخلفك الله الحميد بمولود آخر، ويكرر فيقول صبرت على فقد مولود كالبدر حتى ولد أخوة، وأحمد الله على ذلك، ويختم فيقول فذاك مضي لآخرة، وهذا قدم الدنيا، فدعا له يطول العمر فذكر اسم "الحميد، والحميد". وقوله أيضاً يهنئ:

(من الخفيف)

متبعاتٍ في طاعةِ الرَّحمنِ

يا لها من جوارحٍ مُعمَلاتٍ

نَّةٌ تسليفها نعيم الجنان⁽¹¹¹⁾

حقُّها لو يسلفُ المُحسنُ الجنَّةَ

فقد سخر كل جوارحك وأعضائك من سمع وبصر وغيرها في طاعة الله، ومساعدة المحتاجين، فأنت بذلك المعروف وتلك الطاعة نستحق جنان الفردوس جزاءً وثواباً، فوظف اسم من أسماء الله وهو "الرحمن". وله في الرثاء أيضاً:

(من البسيط)

حَتَّى أَتَاهُ رَسُولُ الْمَوْتِ يُؤْذِنُهُ أَنْ الْبَقَاءَ لَوْجَهُ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ⁽¹¹²⁾

فالبقاء لله وحده، مأخوذ من الآية الكريمة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ﴾⁽¹¹³⁾.

تأثر ابن الرومي بالمعاني الإسلامية :

وكان ابن الرومي على دراية جيدة بالتراث الديني، ويظهر ذلك في شعره من خلال تأثره بالمعاني الإسلامية والقرآن الكريم في مواطن متعددة في شعره، وهذا التأثير يعد رافداً من روافد الصورة في شعره يظهر فيه إبداع ابن الرومي في المعاني الدينية لشعره ومن ذلك ذكره لقبيلتي عاد وثمود وما حلَّ بهما من لعنة الله يقول:

(من الخفيف)

ليلة الأربعاء، وهو من الأيّ ام يوم ماشئت من محمود

كان نحساً على ثمود وعاد وسعوداً لصالح وهود⁽¹¹⁴⁾

فكان يوم الأربعاء شؤماً على قبيلتي عاد وثمود، وسعداً على النبيين نبي الله صالح وهود عليه السلام، لأن عاد وثمود كفروا بالله فجزاهم الله عن ذلك وقال في الحكمة "البيان":

(من البسيط)

ذو حكمة وبيانٍ جلَّ قدرُهُما ففيه لقمانٌ مجموع وسبحان⁽¹¹⁵⁾

وما لسبحانٍ جزء من سمّاحته ولا لقمانٍ لو جاراه لقمان⁽¹¹⁶⁾

يشير إلى الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾⁽¹¹⁷⁾. ومن بديع ما قاله من التراث الديني:

(من المنسرح)

فَأَعْمِدِ السَّيْفَ عَنكَ وَانْتَصِهِ⁽¹¹⁸⁾ لِمَنْ يُعَادِيكَ يَلْحَقُوا إِرْمًا⁽¹¹⁹⁾

قصد ارم ذات العماد من الديار أو من العرب البائدة، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾⁽¹²⁰⁾.

ومن بديع ما قاله مي التراث الديني قوله في الإسلام:

(من الخفيف)

لَنْ تَمَسَّ الْجَحِيمُ ظَنِّي جِلْدًا قَدْ كَسَاهُ أَثْوَابَهُ الْإِسْلَامُ⁽¹²¹⁾

يقول في هذا البيت: أن من اعتنق الإسلام لن تحرقه نار جهنم وقوله:

(من الخفيف)

ذَاكَ فِيهِ الْأَمَانُ مِنْ كِبَةِ النَّارِ وَهَذَا جَارٌ مِنَ الْأَيَّامِ⁽¹²²⁾

فالعطاء، مرضاة الله، تقيه ظلم الناس والأيام كما أن الإسلام يقيه من نار جهنم. وقد ورد ذكر البيت الحرام والكعبة في أشعاره بكثرة نذكر منها على سبيل المثال:

(من الوافر)

ظَلَلْتُ بِمَأْمِنٍ مِنْهُ حَرِيْزٍ يُجِيلُ أَنَّهُ الْبَيْتُ الْحَرَامُ⁽¹²³⁾

هِنَالِكَ وَالْمَشَاعِرُ وَالْمَقَامُ⁽¹²⁴⁾ وَزَمْرُمُ وَالْحَطِيمُ لَدَى مِنْهُ

وقفتُ عنده كمن يعيش في حصنٍ، فالذي يعيش في هذا المكان كأنه يعيش في البيت الحرام لما يجده فيه من أمان وطمأنينة، ولي فيه ما أحده أثناء زيارتي للبيت الحرام من بئر زمزم إلى جدار الكعبة وإلى المناسك الأخرى وقبر الرسول الكريم. وقال أيضاً:

(من الخفيف)

هو كالكعبة المصلي إليها الذُّ
أس من بين منجدٍ وهامي

قبلة الآملين، منتجع الرَّا
جين، مأوى الضعاف والأيتام⁽¹²⁵⁾

إنه كالكعبة يجتمع إليه الناس من كل الفئات وكل الأجناس من نجد وهامة وهو مقصد الناس، والمكان الذي يطلب فيه المتأملون راحتهم، والضعاف والأيتام مأواهم وملجأهم.

(من مجزوء الرمل)

وقوله كذلك في بئر زمزم:

بَطْنٌ يَمْنَاكَ لَنَا زَمَّ
زَمُّ يَغْشَاهَا الْحِيَامُ

وقراها الرُّكنُ أَضْحَى
يَتَهَادَاهُ اسْتِسْلَامُ⁽¹²⁶⁾

فكفك اليمنى باطنها بئر زمزم الذي يرد عليها الحجيج للشرب والقرى والخير الذي تقدمه يمناك، كالركن اليماني الذي يتزاحم الحجاج على استلامه بالأيدي، فما أجمله من تعبير رائع، تضمنت معانيه البيت الحرام وماء زمزم وحالة الحجيج، وكيف يتزاحم الناس على ماء زمزم لترووا ظمأهم. وقال أيضاً في نفس المعنى:

(من الطويل)

مُقَبَّلٌ ظَهَرَ الْكَفِّ وَهَابُ بَطْنِهَا
له راحةٌ فيها الحطيمُ وزمزمُ

فظاهرها للناس رُكنٌ مُقَبَّلٌ
وباطنهما عين من العُرفِ عيلم⁽¹²⁷⁾

والتأمل في شعر ابن الرومي، يدرك مدى سعة خياله، حيث استطاع أن يوفق بين الممدوح، وذكر الأماكن المشهورة في الحج، فجعل ظهر كفه للتقيل، وباطنها للعطاء والهبات، وكأن راحته أضحت ما بين مقام إبراهيم عليه السلام وبئر زمزم، وكأن ظاهر كفه الركن المقدس المقبل، وباطنها منبع العرف والإحسان.

وقال في المشعر الحرام:

(من الرجز)

أَقْسَمْتُ وَالْحَنْثُ لَهْ آثَامُ
بِمَنْ لَهُ الْمُشْعَرُ وَالْمَقَامُ⁽¹²⁸⁾

يقسم الشاعر ويقول إن الكذب في القسم إثم كبير، وقسمي بالله صاحب المشعر الحرام بمكة، وهو كل ما يلوذ بالحج، والمقام وهو مقام سيدنا إبراهيم بجوار الكعبة. ويمضي في ذكر الشواهد الدينية التي حفل بها ديوانه، فيقول في الشكر لله:

(من المتقارب)

وبالشُّكْرِ قُدْرَ تَجْدِيدِهَا
ولله بَعْدُ يَدٌ شَافِيَةٌ⁽¹²⁹⁾

ومن الواضح في هذا البيت تأثره بقوله تعالى: ﴿لَعَنَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾⁽¹³⁰⁾. وتتجدد النعم بشكر الله تعالى صاحب النعم.
وقال في الشورى:

(من الكامل)

وَأَفْرَعُ إِلَى شُورَى الرَّجَالِ فَيَاهَا
إِفْسَادُ رَأْيِكَ حِينَ يَفْسُدُ نَافِيَهُ
لَا تَرْضَيْنَ بِرَأْيِ نَفْسِكَ وَحَدَّهَا
فَلُرَبٌّ خَافِيَةٌ عَلَيْكَ وَخَافِيَةٌ⁽¹³¹⁾

وشاور الرجال، لأن الشورى أمر حسن، وإن ظهر فساد رأيك فلا تقنع بما تمليه عليك نفسك من آراء، فرمما خفيت عليك أمور وأمور، فيشير في هذا المعنى إلى الآية الكريمة: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (132).

وقال في التهجد (صلاة الليل): (من الطويل)

هِيَ الْعَيْنُ لَمْ تُؤْتِرْ كَرَاهًا، وَلَمْ يَزَلْ
تَهَجُّدَهَا أَوْلَىٰ بِهَا مِنْ هُجُودِهَا (133)

هي العين التي لم تفضل النوم على السهر، ولم يزل قيامها في الليل أجدر بها من نومها.
وقال أيضاً في التهجد:

(من الخفيف)

وَاسْتَهَبَ الرَّقُودُ لِلشُّكْرِ فَالْأَمُّ
حَمَةٌ مِنْ ذِي تَهَجُّدٍ أَوْ هُجُودٍ (134)

استهب أي استيقظ النائمون ليشكروا الله على وجودك بينهم، فالأمة بسبب سياستك الحكيمة بين قائم يصلي شكراً لله ونائم مطمئن.
وقال في الإيمان بقضاء الله وقدره: (من الخفيف)

يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ كَمَا شَاءَ
مَتَى كَانَتْ مَا كَانَا (135)

يشير بذلك إلى الآية القرآنية: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (136). إنه فعل الله، الذي يفعل ما يريد، ويقول للشيء كُنْ، فيكون، وقد ذكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصحابته يقول في المدح:

(من المنسرح)

كَأَنَّمَا يَشْهَدُ النَّبِيُّ أَوْ الصِّدِّيقُ
أَوْ صَاحِبِيهِ مَنْ شَهِدَكَ (137)

لك وجه يطفح بالنور والبركة فمن شهدك فكأنما قد رأى الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم -
وحوله أصحابه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي. وقد وظف أحداث ليلة الإسراء والمعراج في شعره:

(من الخفيف)

يا لها ليلة، قَضَيْنَا بِهَا حَا
جاً، وَإِنْ عَلَّقَتْ قُلُوباً بِحَا

رَفَعْنَا السُّعُودُ فِيهَا إِلَى الْفَوْ
زِ فَكَانَتْ كَلِيلَةَ الْمِعْرَجِ (138)

يشير إلى هذه الليلة وقد حملتنا مراكب اليمين والسعادة إلى منازل الظفر، فكانت ليلتنا لما فيها من خير
وكشف مثل ليلة المعراج، فقضوا ما يحتاجون إليه وأكثر. ويذكر الدابة التي امتطها رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - ليلة الإسراء والمعراج، يقول في المدح:

مَتَوَقَّدُ الْحَرَكَاتِ تَحْسَبُ أَمْرُهُ
لَمَعَانَ بَرَقٍ أَوْ خَفِيفَ بَرَقٍ (139)

يشير إلى حيوية الممدوح وسرعة تحركه كالبرق الخاطف، أو خفة البراق دابة الرسول - صلى الله عليه
وسلم - في إسرائه ومعراجه. وهكذا فشعره بجزاً زاخراً في بحور الأدب العربي. وقال يرثي وقد ذكر آل
رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(من الطويل)

فُحِبَّ بِهِ جِسْمًا إِلَى الْأَرْضِ إِذْ هَوَى
وُحِبَّ بِهِ رُوحًا عَلَى اللَّهِ تَعْرُجُ

تَأْتَتْ لَكُمْ فِيهِ مَنَى السُّوءِ هَيِّنَةً
وَذَاكَ لَكُمْ بِالْغِيِّ أَعْرَى وَأَهْجُ

تُمَدُّونَ فِي طُغْيَانِكُمْ وَضَلَالِكُمْ
وَيُسْتَدْرَجُ الْمَعْرُورُ مِنْكُمْ، فَيُدْرَجُ

.....

فلا تُلَقِّحُوا الْآنَ الضَّعَائِنَ بَيْنَكُمْ

وبينهم إِنَّ اللّٰوَأِحَ تَنْتَجُ⁽¹⁴⁰⁾

فكانت لهذه الصورة معان جميلة يقول الشاعر:

ما أحبَّ جسمَ أبي الحسين إلى الأرض حين سقط من جواده، وما أحب روحه إلى الله حين
صعدت إلى السماء، هُمَيَّاتٌ لكم في قتله أمنيات الشر! سهلة التحقق، وفي ذلك إغراء لكم بالتمادي في
الشر والظلم، وقد تجاوزتم الحدَّ في ظلمكم وجهالتكم، فأمهلكم الله، وخدع الجاهل منكم، فسار في
طريق الضلالة المؤدية إلى الهلاك وانقطاع الذكر، يشير إلى الآية القرآنية: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا
يَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁴¹⁾، وفي البيت الأخير بقول فلا تُلَقِّحُوا الأحقاد بينكم وبين آل رسول الله عليه السلام
الآن، فالحوامل تلد من جنس ما ألقت.

(من الخفيف)

قَابٌ هُمَيَّا فافحشوا التلقيا⁽¹⁴²⁾

أنزل الله في التنايز بالأل

يشير هنا إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّقَابِ﴾⁽¹⁴³⁾.

(من الوافر)

وقد كَرَبْتُ تَوَارِي بِالْحِجَابِ⁽¹⁴⁴⁾

وقال في الحجاب:

إذا شمسُ الأصائلِ عارضتها

وفي هذا البيت اقتباس من قوله تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ

بِالْحِجَابِ﴾⁽¹⁴⁵⁾.

(من المتقارب)

ويرزقه من حيث لم يحتسب⁽¹⁴⁶⁾

وقال في الرزق:

ومن يتق الله يصنع له

في هذا البيت اقتباس من الآية القرآنية: ﴿وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (147).

وقال يخذر من التعرض لهجائه:
سَأْرَهُقُ مِنْ تَعَرَّضَ لِي صَعُوداً
وأكوي مِنْ مِياسِمِي الجَنُوبَا (148)
(من الوافر)

أخذ الشاعر الشطر الأول من البيت من الآية الكريمة: ﴿سَأْرَهُقُهُ صَعُوداً﴾ (149).

وفي موقف آخر يقول في الهجاء:

يا مسلمون انفروا جميعاً
إليه أو انفروا ثبات (150)
(من المنسرح)

يشير ابن الرومي في هذا البيت إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ
انْفِرُوا جَمِيعاً﴾ (151). وقال يمدح وقد تعرض لذكر موقعة بدر التي كانت بين رسول عليه السلام وكفار
قريش:
(من البسيط)

بيومِ بدرٍ أعزَّ الدينَ ناصرهُ
وبابنِ بدرٍ أعزَّ الظرفَ والأدبَا (152)

ففي قوله: أعز الدين ناصره إشارة إلى الآية: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ
أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ (153). يقول:
كما أعزَّ الله يوم بدر دينه، كذلك أعزَّ الظرف والأدب ابن بدر وتعرض كذلك لذكر نار جهنم فقال
يرثى مغنية:

كأنَّ عينيَّ أبصرتك ضحى
في مجلسي والوشاة في سقر (154)
(من المنسرح)

وقال في قصة الفيل وهدم الكعبة.

(من الكامل)

فثنوا أعنة راجعين بخيبة
كر جوعهم أيام ساقوا الفيلا⁽¹⁵⁵⁾

ساقوا الفيل: إشارة إلى ضلالتهم، يشبههم بأصحاب الفيل المغضوب عليهم وأبرهة الحبشي حين أراد هدم الكعبة فالمعنى مأخوذ من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾⁽¹⁵⁶⁾.
وقال بمدح:

(من الخفيف)

لا ولا حمدكفء نِعْماك إلا
حمد سبّع من الكتاب مثاني⁽¹⁵⁷⁾

فالسبع المثاني إشارة إلى سورة الفاتحة وعددها سبع آيات، فلا يليق بحمدك إلا آيات الفاتحة القرآنية التي يحمد فيها الله سبحانه وتعالى. ومن بديع قوله من التراث الديني ذكر النبي محمد صلى الله عليه وسلم فقال.

(من السريع)

قل للمكني باسم خير الورى
صلّى عليه ربنا والملك⁽¹⁵⁸⁾

من خلال الشواهد الشعرية من الموروث الديني التي نقلتها من ديوان الشاعر نرى أن الموروث الديني يشكّل أحد عناصر الصورة في شعر ابن الرومي وذلك يتمثل في الاستعانة بالرموز، والشخصيات الدينية، والقصص القرآني في رسم لوحاته الشعرية وأتت الصور رائعة، وكان شعره صورة لثقافته الواسعة المتعددة الألوان والعناصر فهو طويل النفس في قصائده بديع المعاني كثير التحليل والتوليد والاختراع، أكثر معاني ابن الرومي مبتكره مبتدعه، وكان إذا تناول معنى قديماً أفاض عليه من شاعريته أثواباً من التجديد والبيان.

الخاتمة :

إن حركة الشعر تكشف لنا الكثير عن ظواهر سائدة وجوانب دقيقة سادة في العصر العباسي ، فجدد الشعر أدى دوراً مهماً في الاستكشاف ومن خلاله يمكن الوقوف على كثير من الظواهر والأهداف والاضطرابات التي حدثت في هذا المجتمع ، ولعل أبرز هذه الظواهر ظاهرة التوظيف وظاهرة التوظيف الديني في شعر ابن الرومي وفي نهاية هذا البحث نصل إلى :

أولاً - بدأت الدراسة بالوقوف على توطئة تنهض بدراسة ظاهرة التوظيف الديني بإشكاله المختلفة ولقد أظهرت هذه الدراسة مدى تأثير الشاعر بالموروث الديني

ثانياً- تبين الباحثة أن التوظيف الديني سار في صور وأشكال مختلفة ، فأخرج لنا شعراً في غاية الإبداع والابتكار مما أغنى الساحة الشعرية قديماً وحديثاً .

ثالثاً- أتى الشاعر بصور جميلة ومعاني وألفاظ رقيقة وأخيلة رائعة ، فصاغ ابن الرومي بعض صور الشعرية متأثراً بالثرات الديني .

رابعاً - تعرض ابن الرومي لذكر أسماء الله الحسنى وهذا يدل على درايته الواسعة بالتراث الديني .

خامساً - تعرض الشاعر لذكر بعض الشخصيات الدينية في شعره ، حيث ظهر تأثير الدين الإسلامي واضحاً جلياً في شعره بمختلف مجالات الحياة .

سادساً- استعرض الشاعر كثير من الصور الدينية في شعره بأنواعها المختلفة فكان شجرة الاختراع وثمرتها الابتداء .

سابعاً - تميز شعره في التوظيف الديني بسميات فنية رائعة سواء كان من حيث اللغة أو الصورة أو الإيقاع .

الهوامش :

- 1- سورة الإسراء، الآية 88.
- 2- بتصرف طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي (ت: 231هـ)، تحقيق محمود محمد شاعر، مطبعة المدني، القاهرة، 1973، ج1، ص135 وما بعدها.
- 3- للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا، ص95.
- 4- العصر العباسي الثاني، شوقي ضيف، ص.105
- 5- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص97

- 6- ديوان ابن الرومي، شرح مجيد طراد، ط1، ص. 427.
- 7- سورة المنافقون، الآية 4.
- 8- ديوان ابن الرومي، شرح فاروق أسليم، ج2، ص522-523.
- 9- سورة النمل، الآية 44.
- 10- ديوان ابن الرومي، شرح قدرى مايو، ج5، ص. 125.
- 11- ديوان ابن الرومي، مجيد طراد، ج1، ص120، 121.
- 12- ديوان ابن الرومي، شرح عمر فاروق الطباع، ج3، ص406.
- 13- سورة المطففين، الآية 27.
- 14- ديوان ابن الرومي، شرح أسامة حيدر، ج6، ص50.
- 15- المزن: ماء المطر، السلسيل: عين في الجنة، ديوان ابن الرومي، أحمد بسيح، ج3، ص79.
- 16- سورة الإنسان، الآية 18.
- 17- ديوان ابن الرومي، شرح أسامة حيدر، ج6، ص8، 9.
- 18- سورة الإنسان، الآية 18.
- 19- ديوان ابن الرومي، شرح أسامة حيدر، ج6، ص8، 9.
- 20- ديوان ابن الرومي، شرح مجيد طراد، ج1، ص343.
- 21- سورة يوسف الآية 92.
- 22- ديوان ابن الرومي، شرح أنطوان نعيم، ج4- ص6.
- 23- سورة يوسف الآية 51.
- 24- تعرض لذكر السنوات العجاف في ديوان ابن الرومي، شرح أنطوان نعيم، ج4، ص417.
- 25- ديوان ابن الرومي، المرجع السابق ج4، ص414.
- 26- سورة يوسف، الآية 43.
- 27- سورة الضحى الآية 3.
- 28- ديوان ابن الرومي، شرح أنطوان نعيم.
- 29- تعرض لذكر السنوات العجاف في ديوان ابن الرومي، شرح أنطوان نعيم، ج4، ص417.
- 30- ديوان ابن الرومي، المرجع السابق، ج4، ص414.
- 31- سورة يوسف الآية 43.
- 32- سورة الضحى الآية 3.
- 33- ديوان ابن الرومي شرح انطوان نعيم، ج4، ص411.
- 34- سورة يوسف الآية 3.
- 35- اليوسفي: نسبة ليوسف بن يعقوب الذي باعه إخوته حينئذ، ماروزيرا لفرعون وهو المعروف بالقران نقلاً عن ديوان ابن الرومي شرح أسامة حيدر، ج6، ص262، 263.
- 36- الترجس نبات يصف حولي فروع لجمال زهره وطيب رائحته.

- 37- سورة يوسف الآية 20 .
- 38- ابن الرومي للعقاد ص 93
- 39- ديوان ابن الرومي ، تحقيق عمر فاروق الطباع ج1 ، ص 157
- 40- سورة الأنبياء أية 69 .
- 41- ديوان ابن الرومي ، شرح فاروق سليم ج2 ، ص 517، 518
- 42- سورة البقرة الآية 24 والتحریم الآية 6 .
- 43- سورة النساء الآية 164 .
- 44- ديوان ابن الرومي أحمد بسبح ج1 ، 325 .
- 45- سورة يونس الآية 80-81 .
- 46- سورة يونس الآية 90 ، سورة طه الآية 78-79 .
- 47- عيسى: السيد المسيح عليه السلام، نقلاً عن ديوان ابن الرومي ، عمر فاروق الطباع ج1 ، ص 153 .
- 48- ديوان ابن الرومي ، تحقيق عمر فاروق الطباع ، ج1 ، ص 643 .
- 49- ديوان ابن الرومي أحمد بسبح ، ج3 ص 16 .
- 50- ديوان ابن الرومي عمر فاروق الطباع ج1 ص 643 .
- 51- سورة النمل الآية 44 .
- 52- ديوان ابن الرومي تحقيق الطباع ج3 ص 675 .
- 53- سورة مريم الآية 12 .
- 54- ديوان ابن الرومي ، أحمد بسبح ، ج3 ، ص 16 .
- 55- سورة الأنبياء الآية 88 .
- 56- ديوان ابن الرومي أحمد بسبح ، ج 3 ، ص 99 .
- 57- ديوان ابن الرومي ، عمر فاروق الطباع ج 3 ، ص 676 .
- 58- سورة مريم الآية 29 .
- 59- ديوان ابن الرومي ، شرح أسامة حيدر ، ج 6 ، ص 269 ، ص 270 .
- 60- سورة الحاقة الآية 23 .
- 61- الوصف في القران الكريم أشرف الدكتور صبحي الصالح ، سورية دمشق ط2 1999 ، ص 45 .
- 62- ديوان ابن الرومي شرح مهنا ، ج 2 ، ص 122 .
- 63- سورة النمل الآية 44 .
- 64- ديوان ابن الرومي شرح مهنا ، ج2 ، ص 148 .
- 65- سورة التكوير ، الآية 8 .
- 66- ادحروه ، اطردهوه ، المرید ، المنفرد ، نقلاً عن ديوان ابن الرومي ج2 ص 489 .
- 67- وراء الجمهور أن الوصيد هو الفناء ، معجم البلدان ، 3/ 378 ، ديوان ابن الرومي ، شرح فاروق سليم ، ج 2 ، ص 482 .
- 68- سورة الكهف ، الآية 22 .

- 69- تيارات أدبية ، إبراهيم سلامة ، مطبعة أحمد مخيمر ، 1951 – 1952 ، ص 174 .
- 70- ديوان ابن الرومي ، شرح أنطوان نعيم ، ج 4 ، ص 134 .
- 71- سورة النبأ، الآية 16 .
- 72- اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري ، قحطان التميمي ، ص 414 .
- 73- ديوان ابن الرومي ، شرح انطوان نعيم ، ج 4 ، ص 502 .
- 74- سورة القلم ، الآية 42 .
- 75- الحمأ ، ما اجتمع من صلصال ومن طين ، وهو أصل خلقه ، الجان ، ومن العلق خلق الإنسان ، لسان العرب ج 2 ص 986
- 76- نفس المرجع ، ج 4 ، ص 511 .
- 77- سورة العلق ، الآية 2 .
- 78- ديوان ابن الرومي ، تحقيق مهنا ج 4 ، 311 .
- 79- سورة مريم ، الآية 54 .
- 80- ديوان ابن الرومي ، أنطوان نعيم ج 4 ص 570 .
- 81- سورة الانشقاق ، الآية من 16-18 .
- 82- ديوان ابن الرومي ، أنطوان نعيم ، ج 4 ص 497 .
- 83- سورة ق ، الآية 10 .
- 84- الفاكهة معروفة وأجناسها الفواكه ، وقيل كل ثمار فاكهة ، والفاكهة الذي كثرت فاكهته والفكه الذي يأكل الفاكهة ، لسان العرب ، ج 5 ، ص 3453 .
- 85- ديوان ابن الرومي ، شرح مجيد طراد ، ج 1 ص 37 .
- 86- سورة الرحمن ، الآية 68 .
- 87- ديوان ابن الرومي ، طباع ، ج 1 ص 65 .
- 88- سورة آل عمران ، الآية 160 .
- 89- ديوان ابن الرومي ، الطباع ج 4 ، ص 70 .
- 90- سورة الأنعام ، الآية 95 .
- 91- ديوان ابن الرومي نجيب طراد ، ج 1 ، ص 68 .
- 92- سورة الشعراء ، الايات 224 – 226 .
- 93- الناشط الشباب ، الشباب النشيط ، ديوان ابن الرومي الطباع ج 1 ، ص 355 .
- 94- سورة الأعراف ، الآية 163 .
- 95- ديوان ابن الرومي الطباع ، ج 1 ، ص 443 – البيت الثاني مقتبس .
- 96- سورة الدخان ، الآية 43 .
- 97- ديوان ابن الرومي شرح انطوان نعيم ، ج 4 ، ص 83
- 98- سورة طه ، الآية 72 .
- 99- ديوان ابن الرومي الطباع ، ج 2 ، ص 78 .

- 100- سورة البقرة ، الآية 83 .
- 101- ديوان ابن الرومي عمر الطباع ، ج2 ، ص 308 .
- 102- سورة السجدة ، الآية 4 .
- 103- سورة المعارج ، الآية 4 .
- 104- ديوان ابن الرومي ، عمر فاروق الطباع ، ج2، ص 307 .
- 105- سورة الزخرف ، الآية 32 .
- 106- الاستيعاب ، 265/1 .
- 107- ديوان ابن الرومي ، شرح قدرى مايو ، ج3 ، ص 153 .
- 108- سورة الأنفال ، الآية 30 .
- 109- ديوان ابن الرومي ، عمر فاروق الطباع ، ج2 ، ص 16 .
- 110- سورة الأنفال ، الآية 60 .
- 111- ديوان ابن الرومي عمر فاروق الطباع ج2 ، ص 231 .
- 112- سورة الفجر ، الآية 3 .
- 113- ديوان ابن الرومي شرح فاروق سليم ، ج2 ، ص 444 .
- 114- ديوان ابن الرومي شرح أسامة حيدر ، ج7 ، ص 238 .
- 115- سورة الشورى ، الآية 38 .
- 116- التهجد: صلاة الليل ، المحمود : النوم ، ديوان ابن الرومي ، شرح سليم ، ج2 ، ص 277 .
- 117- ديوان ابن الرومي شرح فاروق سليم ، ج2 ، ص 305 .
- 118- ديوان ابن الرومي شرح أسامة حيدر ، ج7 ، ص 90 .
- 119- سورة يس ، الآية 82 .
- 120- ديوان ابن الرومي شرح قدرى مايو ج5 ، ص 15 .
- 121- ديوان ابن الرومي ، شرح فاروق إسلام ج2 ، ص 38 .
- 122- ديوان ابن الرومي ، شرح انطوان نعيم ، ج4 ص 535 .
- 123- ديوان ابن الرومي ، شرح فاروق إسلام ، ج2 ، ص 50-51 .
- 124- سورة القلم ، الآية 44 .
- 125- ديوان ابن الرومي ، شرح مهنا ج1 ، ص 239 .
- 126- سورة الحجرات ، الآية 111 .
- 127- ديوان ابن الرومي ، شرح مهنا ، ج1 ، ص 282 .
- 128- سورة ص ، الآية 32 .
- 129- ديوان ابن الرومي ، شرح مهنا ، ج1 ، ص 169 .
- 130- سورة الطلاق ، الآية 3 .
- 131- ديوان ابن الرومي شرح مهنا ، ج1 ، ص 381 .

- 132- سورة المدثر ، الآية 17 .
- 133- ديوان ابن الرومي ، شرح مهنا ، ج 1 ، ص 445 .
- 134- سورة النساء ، الآية 71 .
- 135- ديوان ابن الرومي شرح عمر الطباع ، ج 1 ، ص 190 .
- 136- سورة الأنفال ، الآية 7 .
- 137- سقر ، أسم من اسماء جهنم ، لسان العرب ، ج3 ، ص2036 ، ديوان ابن الرومي شرح الطباع ج2 ، ص 109 .
- 138- ديوان ابن الرومي شرح الطباع ، ج3 ، ص 128 .
- 139- سورة الفيل ، الآية 1 .
- 140- ديوان ابن الرومي شرح اسامة حيدر ، ج6 ، ص 592 .
- 141- خير الورى - النبي محمد عليه السلام ، ديوان ابن الرومي ، احمد بسبح ، ج3 ، ص 49 .
- 142- ديوان ابن الرومي شرح اسامة حيدر ، ج6 ، ص 577 .
- 143- ديوان ابن الرومي شرح فاروق سليم ج2، ص 335 .
- 144- سورة الإخلاص ، الآية 1-2 .
- 145- عاد وثمرود ، من قبائل العرب البائدة وصالح وهو النبي الذي بعثه الله إلى قوم ثمود فكذبوه فزلزلت بهم الأرض ، هود :- هو النبي عليه السلام ، نقلاً عن ديوان ابن الرومي ، مهنا ، ج2 ص 138 .
- 146- لقمان الحكيم الذي في القران ، وسبحان وائل ، خطيب بليغ من خطباء العرب في الجاهلية ، وقد أسلم زمن الرسول عليه السلام - ولم يره مات سنة 50 الهجري ، العلام ج3 ص 79 نقلاً عن ديوان ابن الرومي احمد بسبح ج 3 ، ص 376 .
- 147- ديوان ابن الرومي أسامة حيدر ، ج6 ، ص 435 .
- 148- سورة لقمان ، الآية 12 .
- 149- امتصه - سله .
- 150- ديوان ابن الرومي شرح قدرى مايو ، ج5 ، ص 669 .
- 151- سورة الفجر ، الآية 7 .
- 152- ديوان ابن الرومي ، الطباع ، ج3 ، ص 474 .
- 153- كية النار- نار جهنم ، نفس المرجع ج3 ، ص 438 .
- 154- ظللت : وقفت في الظل ، الجيز ، المحصن المحفوظ ، البيت الحرام - مكة المكرمة .
- 155- زمزم ، نبع في بئر قرب مكة ، الحطيم : جدار الكعبة ، المشاعر : المناسك ، المقام : القبر ، نقلاً عن ديوان ابن الرومي ، شرح اسامة حيدر ، ج6 ، ص 134 .
- 156- ديوان ابن الرومي شرح الطباع ، ج3 ، ص 436 .
- 157- ديوان ابن الرومي ، شرح قدرى مايو ج 5 ، ص 637 .
- 158- ديوان ابن الرومي شرح الطباع ج3 ص 262 .
- 159- ديوان ابن الرومي شرح قدرى مايو جت 5 ، ص 613 .
- 160- ديوان ابن الرومي شرح اسامة حيدر ج7 ، ص 238 .

المصادر والمراجع

- القران الكريم
- ابن الرومي للعقاد ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان 1980 .
- اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري - قحطان التميمي ، دار المسيرة ، بيروت .
- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، د. علي عشري زائد ، ط ، طرابلس 1978 .
- تيارات أدبية ، إبراهيم سلامة ، مطبعة أحمد مخيمر ، 1951 - 1952
- ديوان ابن الرومي لأكثر من مؤلف :
- الجزء الأول - شرح مجيد طراد الجزء الثاني - فاروق اسليم
- الجزء الثالث + الخامس - قدرى مايو الجزء الرابع - انطوان نعيم
- الجزء السادس + السابع - اسامة حيدر
- ديوان ابن الرومي ، تحقيق الدكتور حسين نصار ، مركز تحقيق التراث ، ط3 منقحة ، مكتبة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، 1424 هـ - 2003 م
- ديوان ابن الرومي دار الجيل ، بيروت ط1 ، 1418 هـ - 1998 م
- ديوان ابن الرومي شرح وتحقيق : عبد الأمير مهنا منشورات دار مكتبة الهلال ، بيروت ، ط1 ، 1411 هـ - 1991 م .
- ديوان ابن الرومي ، ضبط نصوصه وعلق حواشيه وقدم له د: عمر فاروق الطباع ، شركة الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1420 هـ - 2000 م .
- طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي ، ت- 231 هـ ، تحقيق محمود محمد شاعر ، مطبعة المدينة ، القاهرة 1973 .
- العصر العباسي الثاني ، شوقي ضيف .
- لسان العرب لابن منظور ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة .
- الوصف في القران الكريم بإشراف العلامة الدكتور صبحي الصالح ، تقديم وهبة الزحيلي ، سوريا ، دمشق ، ط2 ، 1999 م

خصائص وصفات معلم اللغة العربية بمرحلة التعليم الأساسي ودوره في معالجة تدني مستوى

التحصيل الدراسي

د. علي خليفة سعيد

كلية التربية تيجي

جامعة الجبل الغربي - ليبيا

المقدمة :

إن التطور المستمر في المجالات المعرفية والذي جاء نتيجة التقدم العلمي قد شمل العلوم التربوية وخاصة تلك المرتبطة بالعملية التعليمية وطرائق التدريس، حيث استفادت العملية التدريسية من التطور الذي صاحب العلوم الأخرى بحيث أصبحت فاعلية التعليم والتدريس والمنهج تقاس بمدى تحقيقها للأهداف الفلسفية والتربوية المرسومة، وتحتاج إلى معرفة سليمة باللغة العربية الفصحى⁽¹⁾.

إلا أن المناهج تحظى باهتمام متزايد من قبل رجالات التربية والتعليم، إيماناً منهم بأن المناهج تعكس مدى كفاءة وفاعلية الأنظمة التربوية السائدة، حيث أن التربية تعكس فلسفة المجتمع وتطلعاته، ومن هنا كانت المناهج الفعلية الوسيلة الرئيسة والأداة الفعلية لتحقيق الأهداف التربوية خاصة بالنسبة للمجتمعات السائرة في طريق النمو⁽²⁾ وقد يتعرض التلاميذ في المدرسة لعدة مشكلات منها ظاهرة ضعف التحصيل الدراسي وهي من المشكلات التعليمية التي تعاني منها كافة دول العالم النامية والمتقدمة على حد سواء ومن ضمنها ليبيا وهي مشكلة تستحق الاهتمام من جانب المسؤولين والباحثين التربويين لدراسة أسبابها وأنسب الطرق لعلاجها⁽³⁾.

مشكلة البحث :

من المشكلات التعليمية البارزة في مختلف بلدان العالم ألا وهي مشكلة ضعف التحصيل الدراسي في مرحلة التعليم العام، سواء سمينا هذه المشكلة بهذا الاسم أو بذلك، فهي مشكلة حقيقية جديرة باهتمام القائمين على التعليم العام في المجتمع، واهتمام العلماء والباحثين في مجالات علم النفس التربوي، وعلوم التربية لإلقاء الضوء على جوانبها الكثيرة والتي قد يكون من أهمها :

مفهوم ضعف التحصيل المدرسي وأهميته ثم مؤشرات ومضار هذا الضعف في مرحلة من التعليم الأساسي .⁽⁴⁾

إن مشكلة ضعف التحصيل الدراسي ليست مقتصرة على بلد معين أو مجتمع معين بل هي من المشكلات التربوية العامة التي تشكو منها كافة دول العالم سواء كانت دولة نامية أو متقدمة .

فإذا كان هناك اختلاف بين البلدان بالنسبة لهذه المشكلة فإنما اختلاف في درجة حدتها وفي مجموعة وتفصيل العوامل المؤدية إليها، وفي طرق وأساليب مواجهتها، ومهما كان حجم مشكلة ضعف التحصيل، فإنها من المشكلات التربوية الرئيسية في أي نظام تعليمي، وهي جديرة بالدراسة والتشخيص والعلاج على أسس علمية سليمة، ووجودها في أي نظام تعليمي بصورة واضحة يعد دون شك مظهر من مظاهر عدم كفاية هذا النظام ونقطة من نقاط الضعف فيها .⁽⁵⁾

لقد ظل الاهتمام مركزاً لفترات طويلة على دراسة التحصيل الدراسي للتلميذ متأثراً بالمعلم، وأحياناً عن الأسباب الموضوعية الأخرى والتي لا تقل أهمية عن دور المعلم في ذلك مثل الاستعداد والنضج والمناهج ودور الأسرة .

ونظراً لقلّة الدراسات الخاصة بهذه المشكلة نشأت فكرة هذا البحث الذي تكمن مشكلته في التساؤل الرئيسي الآتي :

ما الأسباب التي أدت إلى تدني مستوى التحصيل في مواد اللغة العربية لتلاميذ من مرحلة التعليم الأساسي ؟

أهمية البحث والحاجة إليه :

ويمكن أن تحدد مبررات الدراسة في الآتي :

1- تؤكد أهمية الدراسة على الدور الذي يلعبه معلم اللغة العربية في البناء المعرفي واللغوي للتلاميذ وخاصة في هذه المرحلة لما لهذه المرحلة من أهمية في بناء شخصية التلاميذ العلمية والتربوية حيث يعد المعلم من أهم عناصر العملية التعليمية في مرحلة التعليم الأساسي .

2- تسعى إلى دراسة المشكلات وأسباب ضعف التحصيل العلمي في مادة اللغة العربية مرحلة التعليم الأساسي .

- 3- تكمن أهمية الدراسة في كشف وتحديد المشكلات التي تحدد أسباب الضعف التحصيلي في مرحلة التعليم الأساسي كما يشعر بها المعلم وإن إهمالها قد يسبب عواقب غير محمودة على العملية التعليمية .
- 4- يعد هذا البحث من الناحية النظرية استمراراً للجهود التي تبذل للتعرف على المشكلات التي تواجه معلمي اللغة العربية .

الإطار النظري

المبحث الأول :

تعليم اللغة العربية في مرحلة التعليم الأساسي :

تعد اللغة العربية الوسيلة الهامة في عملية الاتصال والتفاعل مع الآخرين، لذا تعد اللغة العربية وسيلة هامة في قيام المدرسة في مرحلة التعليم الأساسي بوظائفها وتحقيقها لأهدافها لأنها تعتبر من أهم وسائل الاتصال بين التلميذ وبيئته وإكسابه القدرة على الاتصال بالآخرين .⁽⁶⁾ كما تعد اللغة العربية الوسيلة الأساسية للفرد في إدراك وفهم المعرفة وتنميتها، لذا ينبغي على المدرسة في مرحلة التعليم الأساسي أن تتناول جميع مهارات اللغة من قراءة وكتابة ونحو .

أهداف تدريس اللغة العربية لمرحلة التعليم الأساسي:⁽⁷⁾

اللغة العربية وثيقة الصلة بالإنسان وبيئته، ولأنها أساس كل أنواع النشاط الثقافي، أسس الإسلام دولته بها، وهي اللغة التي تجاوزت مع القرآن اللهجات جميعها في لهجة رئيسية هي لهجة قريش، وأصبحت اللغة الفصحى هي لغة العرب ومن أهدافها ما يلي :

- 1- أن يكتسب المتعلم القدرة على القراءة الصامتة والجهرية بسرعة مناسبة، مع الفهم والقدرة على الاستنتاج .
- 2- أن تنمو قدرته على الاستماع، والفهم المناسب لما يسمع .
- 3- أن يكتسب القدرة على التعبير عن نفسه، وما يقع تحت حسه كلاماً وكتابه، في أسلوب صحيح واضح منظم بقدر الإمكان .
- 4- إن يتزود المتعلم بالخبرات والمهارات التي تمكنه من ممارسة التعبير الوظيفي، مثل كتابة الرسائل والبرقيات، والمذكرات، والاشترك في المناقشات ونحوها .

- 5- أن يكتب كتابة صحيحة من الناحية الهجائية بدرجة تلائم مستوى نموه، وأن يكون خطه واضح يقرأ بسهولة .
- 6- أن تتسع ثروته اللغوية، عن طريق استعمال لغة حية طبيعية تتصل بواقع التلميذ، وتناسب مرحلة النمو التي يمر بها، وعن طريق بث النسق اللغوي بواسطة ممارسة ألوان النشاط التعبيري.
- 7- أن ينمو ميله للقراءة والإطلاع، بحيث يقبل على المطالعة الحرة .
- 8- أن يتدرب على تذوق النصوص الأدبية، وينمو لديه الإحساس بما فيها من جمال .
- 9- أن تصل التلاميذ بترائهم العربي الهادف البناء، ويدفعهم إلى الاعتزاز بلغتهم وقوميتهم .
- 10- أن تسهم اللغة العربية في توسيع مدارك التلاميذ، وخبرتهم وتهذيب وجدانهم، كما تسهم في تنميتهم عقلياً وخلقياً واجتماعياً .

أهمية اللغة العربية :

للغة العربية منطلقاتها الأصلية، التي تبدو من خلالها العناصر التي تقرون بها طيلة مسيرتها الحياتية، و بها تمكنت من التغلب على العوامل والمؤثرات التي تصدت لها عبر الأزمنة والعصور حاملة أثناءها سمات وخصائص تلك العصور ويمكن تلخيص أهمية اللغة العربية في الآتي :

1- أنها أداة من أدوات بناء الحضارة العربية :

إن اللغة العربية أسهمت وتسهم في تكوين وتطوير الحضارة العربية الإنسانية فما أنتجه الفكر العربي في مجالات العلوم والآداب والفنون والصناعات المختلفة، كان أدواته اللغة العربية .

2- أنها أداة في تحقيق الانفتاح على فروع المعرفة الإنسانية :

إن اللغة العربية أسدت في الماضي دوراً كبيراً للحضارة الإنسانية، حيث تفتحت على الثقافات القديمة ونقلت وأضافت إسهامات جليلة في المجالات العلمية والأدبية والفنية .

3- أنها أداة للتفكير :

فلتأمل العقلي الذي يقوم به الإنسان، ويبدل فيه نشاطاً ذهنياً له ارتباط وعلاقة وطيدة بالرموز والألفاظ اللغوية .

4- أنها أداة الاتصال :

إن هذه الوظيفة لها ارتباط وعلاقة والوظيفة السالفة الذكر، باعتبار أن استخدام الألفاظ والرموز اللغوية تتضمن الأفكار والآراء والتصورات والأحاسيس التي تدور في ذهن المخاطب .

معلم اللغة العربية وصفاته :

من المؤكد أن معلم اللغة العربية يستطيع أن يساهم بدور كبير في معالجة مشكلات ضعف التلاميذ في تعلم فروع اللغة العربية المختلفة خاصة إذا كان يتمتع بالنضج العلمي والخبرة الفنية والقدرة على التخطيط والمتابعة .

ومن الصفات التي يجب أن يتميز بها معلم اللغة العربية هي :

1- يجب أن يجيد مادة اللغة العربية، ويطلع في معلوماتها بشكل مستمر، ويحرص على تقديم الفائدة لتلاميذه .

2- حسن النطق وجودة الأداء في المادة .

3- غزارة المعرفة واتساع الثقافة العامة .

4- أن يكون ذا قدوة حسنة لتلاميذه .

5- قدرته على التوجيه والإرشاد لتلاميذه حيث يوجههم إلى مصادر المعرفة، ويشجعهم على ممارسة المناشط اللغوية .

6- التمكن من اللغة العربية، ويتم ذلك عن طريق القراءة المستمرة، ومعرفة طرائق التدريس وتدريسها وأساليب تقويمها .

7- يجب أن يهتم بتحضير دروسه، وأن يكون ثري اللغة فصيح العبارة ويحث التلاميذ على النشاط .

8- التعاون مع زملائه في مادته والمواد الأخرى .⁽⁸⁾

المبحث الثاني

التحصيل الدراسي :

يعد التحصيل الدراسي أحد المجالات التي أولاها الباحثون اهتماماً كبيراً ولا يعتبر مستوى التحصيل الدراسي مؤشراً على التفوق العقلي ومعدلات الذكاء العالية فحسب بل يعتبر دليلاً على توازن الشخصية والنجاح في عمليات التكيف السلوكي .⁽⁹⁾

كما أنه يعد من أهم المشكلات التي يهتم بتشخيصها وعلاجها، كل المشتغلين بالعلاج النفسي والتوجيه التربوي، والمعلمين والأخصائيين الاجتماعيين .

فالتحصيل الدراسي مشكلة متعددة الأبعاد، فهو مشكلة نفسية، تربوية اجتماعية، جديرة بالبحث وإلقاء الضوء على جوانبها المختلفة من حيث أسبابها وتشخيصها وعلاجها .⁽¹⁰⁾

إن الكثير من المشاكل المدرسية كالهروب من المدرسة وشرد الذهن والاعتداء على الآخرين، قد تكون مصاحبة للتحصيل الدراسي، وقد تكون مسببة له، وقد تكون ناتجة عنه .

فالتلاميذ الذين يخالفون الأنظمة المدرسية، ويخلقون الفوضى والاضطراب في المدرسة هم العادة المتأخرون دراسياً، وسلوك هؤلاء التلاميذ، عبارة عن تعويض للشعور بالنقص الذي يسببه لهم فشلهم في دراستهم .⁽¹¹⁾

مفهوم التحصيل الدراسي :

يعد التحصيل الدراسي مظهراً من مظاهر نجاح المؤسسات التعليمية، وهدفاً من أهدافها المقصودة، والتحصيل الدراسي بمفهومه التقليدي الشائع في أوساط المدرسين وأولياء الأمور والتلاميذ هو :

ما يظهره التلاميذ من استيعاب للمعارف والمعلومات والمفاهيم الأساسية في المادة المقررة، وما يحققونه من نجاحات في الاختبارات المدرسية .

والتحصيل الدراسي بهذا المفهوم التقليدي المحدود لا يتعدى الجانب المعرفي، ولا يتضمن الجوانب الأخرى كالمهارات والاتجاهات .

أما التحصيل الدراسي بمفهومه التربوي الشامل فيتضمن كل ما يكتسبه التلميذ من معارف ومهارات واتجاهات نتيجة لتغيراته في المواقف التعليمية التي مر بها .

وهناك عدة محاولات تتضمن تعريفات للتحصيل الدراسي، فقد ورد في قاموس التربية وعلم النفس بأن التحصيل : هو إنجاز عمل ما أو إحراز تفوق في مهارة ما أو في مجموعة من المعلومات . (12)

أهمية التحصيل الدراسي :

من مؤشرات نجاح العملية التعليمية والتربوية للتحصيل الدراسي للتلاميذ، وتحسن الكفاية سواء أكانت داخلية أم خارجية للنظام التعليمي وزيادة معدلات الإنتاج وانخفاض معدلات الإهدار الذي من أهم مظاهره الرسوب والتسرب اللذين يؤديان إلى إضعاف نسبة المخرجات على المدخلات في النظام التعليمي، والتحصيل الدراسي المرتفع يعد هدفاً من الأهداف المقصودة لكل من الفرد والمجتمع على حد سواء، فالتحصيل الدراسي المرتفع يعتبر عاملاً مساعداً لتحقيق ذات الفرد وتكيفه النفسي الاجتماعي وشعوره بالرضا عن نفسه وإحساسه بالسعادة نتيجة لإنجازه وتحصيله الدراسي المرتفع الذي حققه .

وبالنسبة للمجتمع فإنه يعتبر مؤشراً لكفاية النظام التعليمي، وضماناً لمردود النفقات التي تم إنفاقها على التعليم، علاوة على كونها يفي باحتياجات المجتمع من الطاقات البشرية المدرسية، كما أنه يعتبر خير ضمان لتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية والذي يعتبر من المبادئ الرئيسية التي تقوم عليها الديمقراطية الحديثة .

ولهذه الأهمية الفردية والاجتماعية للتحصيل الدراسي المرتفع، اعتبر التحصيل الهدف الأساسي للمدرسة وأهم مبررات وجودها وما يتعلق عليها وهو أهم ما يشغل بال القائمين على شؤون التعليم وأولياء أمور التلاميذ حيث تسخر كافة وسائل وإمكانيات التعليم، بما في ذلك المناهج الدراسية، وطرائق التدريس، وأساليب التقويم وبعض الخدمات التي توجه إلى المدرسين لمساعدتهم على تحسين أدائهم ورفع مستويات تحصيل التلميذ الذي يعتبر أحد مؤشرات نجاح المدرسين في عملهم .

تدني مستوى التحصيل الدراسي :

تدني مستوى التحصيل الدراسي مشكلة تربوية عامة تعاني منها كافة البلدان، ولكنها تختلف في درجة حدتها وحجمها من بلد إلى آخر، وهي مشكلة جديدة بالدراسة والاهتمام، وأي تهاون في علاج ظاهرة تدني مستوى التحصيل الدراسي من شأنه أن يؤدي إلى الإهدار والتبذير في الموارد البشرية والمادية للمجتمع .

النتائج السلبية لتدني مستوى التحصيل الدراسي :

لتدني مستوى التحصيل الدراسي نتائج سلبية لا تقتصر مضارها على التلميذ وأسرته بل على النظام التعليمي في جميع جوانبه، وعلى معدلات التنمية في المجتمع، ومن هذه النتائج ما يلي :

أولاً : الرسوب :-

ويقصد به الفشل في اجتياز امتحانات صف دراسي إلى الصف الذي يليه في مرحلة ما، ويترتب على الرسوب أو إعادة الصف إهدار لموارد المالية، والجهد البشري، وتقليل المردود الاقتصادي للمصروفات التعليمية، وإضعاف لكفاية الكمية للمدرسة والنظام التعليمي، وعندما يتكرر الرسوب فإنه يجد من تدفق التلاميذ من صف دراسي إلى آخر ومن مرحلة تعليمية إلى أخرى، كما أنه يقلل من نسبة التلاميذ الذين ينهون المرحلة الدراسية التي دخلوها بنجاح في المدة المحددة لها في النظام، ويزيد من المدة التي يمكنها التلميذ في المرحلة الدراسية التي دخلها .

وأشار سماك (1977) في دراسته للإهدار الكمي في التعليم الابتدائي في البلدان العربية إلى أن مدة الدراسة لكل خريج في التعليم الابتدائي تمتد إلى ست سنوات، إلا أن هذه الدراسة أوضحت أن المدة المتوسطة لكل خريج من المرحلة الابتدائية تتجاوز المدة المحددة لها بسبب الرسوب .⁽¹³⁾

فالرسوب الناتج من تدني مستوى التحصيل الدراسي هو خسارة اقتصادية وحيوية تتعلق بتكوين الإنسان فالتلميذ الراسب هو الذي فشل في اكتساب واستيعاب المعلومات المقررة والمطلوبة من استبقائها لنجاحه في صف معين أو إلى مرحلة تالية، فقد أشار دويس ونيفل (1979) في دراستهما عن التعرف على أثر الإعادة في زيادة في مستوى التحصيل الدراسي، وتوصل الباحثان إلى أن الشعور بالنجاح لدى المجموعة الناجحة، كان المحرك إلى زيادة تحصيل التلاميذ المعيدون، وهذا يتفق مع دراسة أجريت في سوريا أوضحت أن 80% من التلاميذ الذي يعيدون صفوفهم لا يرتفع مستوى تحصيلهم الدراسي بعد الإعادة .⁽¹⁴⁾

ثانياً : التسرب :-

لا ينفصل التسرب عن الرسوب، وكلاهما يجد من فاعلية النظام التعليمي ومن كفايته الداخلية الكمية ومن إنتاجيته ومردوده الكمي، وكلاهما يعطل بلوغ الأهداف والخطط المرسومة لسد حاجات المجتمع الفعلية من الخبرات والطاقات البشرية حسب الخطة المرسومة في الفترة الزمنية المحددة وكلاهما

يعتبر من مظاهر الإهدار في الإمكانيات والجهود التعليمية، ويقصد بالتسرب انقطاع التلميذ عن الدراسة كلية قبل أن يصل إلى نهاية المرحلة التي ينتمي إليها .

ويتأثر معنى التسرب بالسياسة التعليمية التي تتحكم في النظام التعليمي من حيث نوعية المدخلات والمخرجات، ففي النظم التعليمية القائمة على اختبار الممتازين والقادرين على مواصلة الدراسة تكثر فيها أعداد الراسبين والمتسربين بحكم القانون المفروضة والامتحانات التي تعد وسيلة هذا النظام للحد من تدفق التلاميذ لمواصلة الدراسة .

بعض العوامل المؤثرة على التحصيل الدراسي :

إن العوامل المؤثرة على التحصيل الدراسي متشعبة، وأن دراستها أمر في غاية الأهمية، لأن أي إجراء لرفع مستوى التحصيل الدراسي يعتمد إلى حد كبير على التعرف هذه العوامل وكشفها بحيث يمكننا علاجها من أجل الرفع من مستوى التحصيل الدراسي، والباحث يجد صعوبة في تحديد العوامل المؤثرة على التحصيل الدراسي وذلك لتداخل هذه العوامل وتفاعلها وتشابكها بصورة يصعب تجزئتها أو الفصل بينها، حيث أن هذه العوامل كثيراً ما تتجمع وتظهر بصورة موحدة في تأثيرها على التحصيل، فقد يؤثر العامل الاقتصادي مباشرة على مستوى تحصيل التلميذ بسبب عدم توفر الأدوات ومصادر المعلومات ووسائل التثقيف وقد يؤثر المستوى الاقتصادي على صحة التلميذ وظروف معيشته مما يؤثر بدوره على تحصيله، وفي هذه الحالة يكون التأثير مشتركاً بين الظروف الصحية والاقتصادية للتلميذ، كما أن هذه العوامل في تفاعلها وتداخلها، تختلف من بلد لآخر وفقاً لظروف كل بلد وكل مرحلة تعليمية، ويعود السبب الحقيقي في تداخل العوامل المؤثرة على التحصيل الدراسي وتشابكها إلى جوانب المجتمع الثقافية والاقتصادية والاجتماعية، كلها جوانب مترابطة، ويؤثر بعضها على البعض الآخر .⁽¹⁵⁾

ولمعرفة العوامل المؤثرة في التحصيل الدراسي، يمكن تصنيفها إلى مجموعتين :

مجموعة العوامل البيئية وتشمل :

- 1- عوامل خارج النظام التعليمي، وتشمل عوامل اقتصادية وعوامل اجتماعية وعوامل ثقافية .
- 2- عوامل داخل النظام التعليمي وتشمل كل ما يتعلق بالعملية التربوية من مناهج وطرق تدريس وكتب مدرسية، ومعلمين، وأساليب تقويم، ومدارس، ووسائل تعليمية، ومعدات، وخدمات صحية، وإدارة مدرسية .

من صفات المعلم وسماته وأساليبه التي لها علاقة بالتأثير السليبي على التلميذ نجد أن أهمها :

- 1- ضعف مستوى إعداده في المادة التي يقوم بتدريسها .
 - 2- عدم كفاءة طريقة تدريسه وعدم قدرته على توصيل معلوماته إلى تلاميذه .
 - 3- فشله في إثارة دافعية تلاميذه للعلم .
 - 4- عدم قدرته على استخدام الوسائل التعليمية .
 - 5- عدم اهتمامه بمواصلة تعليمه وزيادة معارفه .
 - 6- فشله في بناء علاقات إنسانية ناجحة مع تلاميذه .
 - 7- عدم رغبته في التدريس ، وضعف إخلاصه في عمله .
- هذه الصفات إن وجدت في المعلم جعلت منه عاملاً من عوامل ضعف تحصيل تلاميذه .

كما أن المعلم المعد لعمله إعداداً جيداً والمخلص في عمله والملتزم بما يفرضه عليه مسؤوليات وواجبات اتجاه دفع حماس تلاميذه للتعلم والتحصيل تكون اتجاهات إيجابية ، وهناك عدة أساليب التي يجب على المعلم إتباعها من أجل مساعدتهم على تكوين صورة إيجابية عن ذواتهم ويمكن تلخيص بعض من هذه الأساليب في الآتي :

- أ) على المعلم أن يظهر التفهم لمشاعر التلاميذ كأشخاص وليس العطف عليهم كمساكين .
- ب) القبول بشخصية التلميذ من قبل المعلم باحترامه كإنسان .
- ج) الاستجابة والتقويم الصادق لجهود التلميذ .
- د) مساعدة المعلم للتلميذ على إدراك العلاقة بين النجاح المطلوب ومستوى الجهد .
- هـ) تهيئة المعلم للظروف اللازمة للنمو التعليمي بالنسبة للتلميذ .
- و) إتاحة الفرصة أمام كل تلميذ للإنجاز وذلك باختبار الواجبات التي تناسب وقدراتهم .⁽¹⁶⁾

والمدرس الجيد هو الذي يهيمه رفع مستوى تحصيل تلاميذه ومراعاة الفروق الفردية بينهم ويقدم المساعدة لهم حتى يتغلب على مشكلاته الدراسية ، وأيضاً احترام شخصية ومشاعر التلاميذ ويكسب ثقتهم واحترامهم حتى يمكن تحسين تحصيلهم الدراسي ، وعليه أن يراجع طريقة تدريسه باستمرار ليتأكد من سلامتها وأن يرفع من كفاءته العلمية وقدرته على استخدام الطرق الحديثة في التعليم .

لذلك ينبغي إعادة النظر في طرائق وأساليب التدريس وتجديدها وتطويرها بما يتمشى مع الفلسفة التربوية وأهدافها التي ينبغي تطبيقها في ليبيا ، ومع خصائص نمو التلاميذ وحاجاتهم وميولهم وقدراتهم بما يجعلها أكثر مراعاة للفروق الفردية بين التلاميذ و أكثر تشجيعاً لمشاركة التلاميذ في العملية التعليمية بحيث يشارك التلاميذ في العملية ويقوم بدور إيجابي فيها .⁽¹⁷⁾

إن المعلم الناجح هو الذي يكون قادراً على إتباع طرق وأساليب التعليم ويحاول تطوير طريقة التعليم بما يجعلها تتناسب مع حاجات المتعلم ويسمح للتلميذ باكتساب المعارف والخبرات ، وهو الذي يستطيع استخدام الوسائل السمعية والبصرية التعليمية في التدريس ، ويؤكد هوين بقوله "إن الوسائل التعليمية تقدم للتلميذ أساساً مادياً للتفكير الإدراكي وتثير اهتمامهم " .⁽¹⁸⁾

نتائج البحث

من خلال الدراسة توصل الباحث إلى ما يلي :

1- تؤكد الدراسة على أن للحواس دور فعال ورئيسي في اكتساب المعرفة بكافة أشكالها وألوانها ، كما جاء في النتائج بأن سلامة الحواس مجتمعة عندما تحفز مع القدرات العقلية للطالب تساعد على أداء أفضل ، وعندما تشترك أكثر من حاسة واحدة في البناء المعرفي يكون أكثر اتساقاً وأعمق شمولاً وفهماً ، ولما لحاسي السمع والبصر من علاقة مباشرة في اكتساب المعرفة أو المهارة أو التأثير في الوجدان ، وهذا ما ينطبق مع السياقات العلمية والمنطقية العامة .

2- أوجدت الدراسة أن نوعية وكمية الثقة لدى الفرد تزداد مع العمر الزمني له أضف إلى زيادة تجربته في الحياة ، لذا أوجدت أن تلميذ سنة رابعة ابتدائي وهو في حالة تطور نمو ذهني ليست له القدرة العالية في قياس وتقييم المعلم بشكل دقيق مما يجعله يقلد معلمه على الصح والخطأ .

3- أوجدت الدراسة أن من أهم الأسباب التي تؤثر في نوعية وكمية اكتساب المعرفة التي تنعكس بشكل مباشر في أداء التلميذ هي الدافعية للتعليم المتزامنة مع التشخيص والعلاج المبكر لكيفية أثارها وترابطها مع الأسباب الأخرى فمثلاً وجدت الدراسة أن النقص في الوسيلة التعليمية أو كون أن الوسيلة غير مثيرة لها علاقة أيضاً وأثر في التوظيف المعرفي ونوعية التحصيل .

4- من الأسباب المهمة والتي تأخذ الأولوية في التأثير على سلوك التلميذ واكتسابه للمعرفة هو المعلم مما يحول من كفايات وكفاءات علمية وتربوية منعكسة في سلوكه قولاً وفعلاً .

5- عند تحليل الموقف التعليمي والعملية التعليمية حيث وجدت الدراسة أن أهم عنصر هو التلميذ والذي يتوقف عليه نجاح العملية التعليمية ، وأي تعرض للتلميذ يولد إخلال في صحته الجسمية أو العقلية أو يقلل من قدراته على تحمل مشقة الدراسة وضغوطاتها ينعكس على تحصيله العلمي حيث وجدت الدراسة أن للتكيف النفسي داخلا مدرسة مع سوء التكيف الاجتماعي في الأسرة أو المدرسة يولد أثرا سلبيا على تحصيل التلميذ ، ويولد لديه مشاعر بالإحباط أو الفشل .

6- وقد وجدت الدراسة أن للآباء والأمهات دورا كبيرا في حياة أبنائهم التعليمية وفي التغلب على ما يواجههم من مشكلات دراسية من خلال متابعتهم في المدرسة والبيت وأثارت دافعيتهم للتعلم ، كما أن ضعف المستوى الثقافي للوالدين له أثر على تحصيلهم العلمي .

7- أوجدت الدراسة أن الحالة الاجتماعية والحالة النفسية والاقتصادية لمعظم المعلمين تنعكس على طبيعة تدريسهم وأسلوب تعاملهم مع طلبتهم مما ينعكس بالتالي على تحصيل التلاميذ .

8- وقد وجدت الدراسة أن من المؤثرات والأعراض التي لها تأثير سيئ على تحصيل التلاميذ هو حجم الفصل وكثافته .

9- أثبتت الدراسة أن غالبية التلاميذ يعانون ضعفا دراسيا في جميع فروع اللغة العربية .

10- كما أوجدت الدراسة أن للتغير المستمر في نوعية وحجم المعلومات في المنهج يولد إرباكا لدى المعلم مما يؤثر على التحصيل ، أضف وأن قسما منهم أكد بأن حجم ونوعية المواد الدراسية وعدم ترابطها بعضها ببعض من جهة وارتباطها بالبيئة من جهة أخرى بحيث لا تتناسب وقدرات التلاميذ الذهنية .

11- وجدت الدراسة أن أسلوب الامتحانات وطريقتها له أثر فعال على كيفية استظهار المعلومات لدى الطالب خاصة لها علاقة بإحافة الطالب وإثارة قلقه أو إرباكه عند الإجابة في حالة عدم وجود وضوح ورقة الأسئلة من الناحيتين اللغوية والعلمية ، أضف إلى عدم مراعاة للفروق الفردية بين التلاميذ .

12- اتضح من خلال الدراسة أن للتطبيق العملي سواء أكان بالصف على السبورة أو بالواجب البيتي والتغذية الراجعة ، له دور فعال في تثبيت المعلومة وخاصة في مادة اللغة العربية ، حيث أن أهم شيء في تعليم وتعلم اللغات هو التطبيق والتكرار والتدريب .

13- تؤكد الدراسة على استقرارية تنظيم وعمل الجانب الإداري حيث أتضح أن كثرة تنقلات المعلمين بين الفصول أو بين المدارس أثناء العام الدراسي يولد إرباكا من العملية التعليمية ، كما أن قصر العام

الدراسي المقرر من حيث كثرة المناسبات أو بدء تأخر الدراسة يؤثر على استكمال مقررات المنهج مما لا يساعد في تحسين أداء التلاميذ .

14- أن للظروف الأسرية سواء أكان عدم متابعة الأبوين أو وفاء أحدهما أو انتقال الأسرة من مكان لآخر طلبا للرزق هو الآخر يسبب إرباكا لدى التلاميذ المعنيين بذلك .

15- اتضح من خلال الدراسة أن قسما من الطلبة المتفوقين قد حصلوا على معلمين يستخدمون عدة أساليب تدريسية في المحاضرة الواحدة ويدرسون المعرفة بطريقة وظيفية .

16- اتضح من خلال الدراسة أن ليس هناك فرق بين أداء تلاميذ المعلمين عن المعلمات .

17- اتضح أن هناك فرقا ذا دلالة بين أداء تلاميذ قدم الجبل وأعلى الجبل وهذا يعود للطبيعة المناخية والجمالية والعوامل الرئيسية المحفزة لنشاط الفرد بشكل عام ونشاطه الذهني بشكل خاص وهذا ينطبق مع النظريات البيولوجية والنفسية التي تفسر ذلك .

18- كما أثبتت الدراسة أن ليس هناك فرق ذو دلالة إحصائية بين أداء الذكور والإناث .

مقترحات البحث :

من خلال النتائج التي توصل إليها الباحث سواء كانت على الصعيد النظري أو العملي ، ولغرض التطوير العلمي الذي يشمل هذا الجانب المهم في حياة الطلبة ألا وهو التحصيل الدراسي والعوامل المؤثرة فيه سلبا أم إيجابيا ، يرى الباحث ضرورة أن يؤكد على :

1- إجراء دراسات تشمل المناطق الجغرافية الأخرى من ليبيا .

2- إجراء دراسات مماثلة تشمل مستويات التعليم المختلفة (كأن يكون الشق الثاني من التعليم الأساسي أو الثانوي ، أو العالي أو الجامعي) .

3- إجراء دراسات مماثلة تربط مستوى الذكاء ومعدلات مستوى التحصيل تبعا لمتغيرات العمر والجنس

4- إجراء دراسات مماثلة تشمل متغيرات أخرى غير المواد اللغوية والتربوية ألا وهي المواد العلمية مثل الرياضيات ، والعلوم ، للوقوف على الأسباب والمتغيرات التي تؤثر في مستوى التحصيل الدراسي سلبا أو إيجابا .

- 5- إجراء دراسة مماثلة لمعرفة أثر كل من الموقع الجغرافي والبيئة الأسرية على تحصيل الطلاب .
- 6- إجراء دراسة مماثلة لمعرفة أثر كل من العامل الاقتصادي والاجتماعي على التحصيل الدراسي .
- 7- نقترح على الجهات ذات العلاقة المباشرة الاستفادة من الرسائل الجامعية لغرض تطوير الحقل التربوي وخاصة في جانب إعداد الطالب كونه رجل المستقبل ، وعماد البلد ، وأن لهذه المؤسسات التربوية دور فعال في بناء المواطن الصالح في المجتمع ، حيث أن التعليم سيرفد كافة مؤسسات الدولة والمؤسسات الاجتماعية بعناصرها المستقبلية .

المصادر والمراجع

- 1- عمر محمد التومي الشيباني، علم النفس التربوي، الطبعة الأولى، دار النشر الجامعية: 2001.ص353
- 2- عمر محمد التومي الشيباني، التحصيل الدراسي في التعليم بين التشخيص والعلاج، المؤتمر التربوي الرابع حول المستوى الدراسي في التعليم العام، 1986.ص1
- 3- محمد هاشم الفالوقي، أسس المناهج التربوية، منشورات الجامعة المفتوحة، طرابلس: 1991.ص123
- 4- عبد القادر فضيل، التعليم الأساسي ونماذج ربطه بالتعليم الثانوي، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، تونس، 1992.ص115
- 5- مذكرة أهداف تدريس اللغة العربية في التعليم الأساسي، طرابلس، وزارة التربية والتعليم، 1982.ص2-3
- 6- سليمان الريجاني ، "أثر الاسترخاء العضلي وخفض قلق الامتحان " من المجلة العربية للبحوث التربوية ، العدد الثاني يوليو 1982 .ص51-63
- 7- عبد المؤمن الفقي ، " أهمية التوجيه التربوي والنفسي للطلاب وأثره في رفع مستوى التحصيل " بحث مقدم إلى المؤتمر الرابع المنعقد في بنغازي ، 1986 .ص8
- 8- محمد خلف ، مبادئ علم الإجرام ، الطبعة الثانية ، بنغازي ، 1977 .ص280
- 9- الياس الزين ، الطفل العربي والإثراء ، المستقبل العربي ، السنة الثامنة ، العدد العاشر ، لبنان ، 1979 .ص123
- 10- عمر بشير الطويبي ، " مفهوم الذات وصلته بالتحصيل الدراسي " ، عن مجلة الدراسات التربوية ، طرابلس ، قسم التربية ، مكتبة التربية ، جامعة طرابلس . العدد الأول ، 1982 .ص61
- 11- حكمت عبد الله البزاز وآخرون ، " الرسوب في التعليم الابتدائي " . ص97-103
- 12- د.محمد إسماعيل ظافر، يوسف الحمادي، التدريس في اللغة العربية، الرياض، دار المريخ للنشر والتوزيع، 1984م،ص86.
- 13- رشدي طعيمة، تعلم اللغة العربية، أسسه وتطبيقاته، الأنجلو المصرية، القاهرة، 1979م، ص25-35.
- 14- محمد صالح سمك، فن التدريس للتربية اللغوية، وانطبعاها المسلكية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998م، ص56.

- 15- عبدالفتاح محمد، الضغوط النفسية لدى المعلمين، وحاجاتها الإرشادية، وزارة التعليم العام، السودان، إدارة التخطيط التربوي، العدد 109، السودان، 2000م، ص 49.
- 16- محمد زيدان حمدان، التربية العلمية للطلاب والمعلمين، دار التربية الحديثة، عمان، الأردن، 1992م، ص 91.
- 17- حسان محمد حسان، أصول التربية، ط1، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة، العين، 1998م، ص 10.
- 18- فاروق البوهي، مهنة التعليم وأدوار المعلم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ص 209.

دراسة واقع طرق وأساليب التدريس

في مرحلة التعليم الأساسي

د. عبد الحكيم أمحمد عمر

جامعة الزاوية - ليبيا

مقدمة ومشكلة الدراسة :

يعد الأداء التدريسي لأعضاء هيئة التدريس في مختلف المؤسسات التعليمية من أهم المدخلات في تحقيق الأهداف التربوية، نظراً لما يشهده العالم المعاصر اليوم من تغيرات في العلوم والتكنولوجيا والاتصالات لم يسبق لها مثيل مما أدى بشكل أو بآخر إلى إعادة النظر في أهداف التربية بعامه ، وبرامج إعداد المعلمين وتأهيلهم بخاصة.

وتقديراً للدور المحوري الذي يقوم به المعلم في تشكيل شخصية الفرد المعاصر، وتزويده بالمعلومات والمهارات التي تمكنه من التفاعل بوعي مع إفرات الثورة المعرفية والثقافية ومواجهة المشكلات المعاصرة والتعامل معها بعقل مفتوح، فقد تنادي الخبراء و المسؤولون عن التربية في معظم دول العالم لعقد الاجتماعات في نهاية القرن العشرين لدراسة التحديات التي تواجه التربية وإعداد معلم المستقبل⁽¹⁾.

فالتدريس وسيلة اتصال تربوي هادف تخطط وتوجه من المعلم لتحقيق أهداف التعلم والتعليم لدي المتعلم⁽²⁾. في حين يرى البعض أن التدريس مجموعة متكاملة من الأشخاص والإجراءات السلوكية التي تشترك جميعاً في إنجاز ما يلزم لتحقيق أغراض التدريس علي نحو فعال⁽³⁾. حيث ظهرت اتجاهات تربوية عدة في عملية إعداد وتدريب وتأهيل المعلمين وفق الكفايات التدريسية، وتصنيف تلك الكفايات من خلال تحديد الأطوار أو المراحل التي تمر بها عملية التدريس.

فقد شهدت برامج إعداد المعلمين في كثير من الدول العربية محاولات جادة من أجل تقويم هذه البرامج، وإعادة النظر في مبرراتها وأهدافها بما يتلاءم والأدوار الجديدة للمعلم المعاصر. وهناك من يرى أن رسالة كليات التربية في العالم العربي في الألفية الثالثة يجب أن تنصب علي إجادة التدريس لفئات الطلاب الذين يلتحقون بهذه الكليات ، ويرى أن النموذج الأكاديمي في تصميم المقررات الدراسية قد طغي علي مقتضيات النموذج المهني الذي ينظر إلي كليات التربية علي أنها كليات مهنية تعادل مهنتها

كليات الطب، مما يستوجب الأخذ بمقتضيات النموذج المهني عند وضع المقررات أو تقويمها أو تنفيذها أو يوازن فيه الإعداد الأكاديمي مع الإعداد المهني⁽⁴⁾.

إن طريقة التدريس لها مجموعة أساليب يؤديها المعلم من أجل الوصول إلى تحقيق أهداف الدرس. وتعد الطريقة مكوناً من مكونات إستراتيجية التدريس وعنصراً رئيساً من عناصر المنهج ، وهي حلقة الوصل التي يصممها المعلم بين المتعلم والمنهج وعلي ضوئها يتأسس نجاح المنهج في تحقيق أهدافه ، ولها أشكال وصور، وأساليب متعددة كالمناقشات ، وطرح الأسئلة ، أو حل المشكلات، أو المشروعات أو الاكتشاف ، أو الاستقصاء أو غير ذلك⁽⁵⁾.

وتكمن أهمية السياسات التعليمية المستقبلية لتطوير التعليم في إعادة النظر لتأهيل وتطوير المعلم وطريقة إعداده من وقت إلى آخر، إضافة إلى إتباع الأساليب الحديثة في القياس والتقويم بعيداً عن النمطية ، ولا يمكن إغفال اختيار أفضل الطرق والأساليب التدريسية المناسبة. وقد اهتمت بعض الدول العربية في الفترة الأخيرة بتطور العلوم التربوية وخاصة تطوير طرائق التدريس، وذلك من خلال العمل علي حل المشكلات القائمة وتطوير الأساليب والممارسات المطبقة فيها حالياً.

فقد جاءت الدراسة الحالية لتسلط الضوء علي واقع طرق وأساليب التدريس في التعليم الأساسي للتعرف علي أفضل الطرق والوسائل المتبعة في التدريس ومدى تحقق الأهداف المرجوة منها حتى تتمكن من تقديم ما هو أفضل للمتعلمين. و تكمن مشكلة الدراسة في الإجابة عن التساؤل التالي: ما واقع طرق وأساليب التدريس في مرحلة التعليم الأساسي؟

أهداف الدراسة :

تستهدف الدراسة ما يلي:

- 1- التعرف علي واقع طرق وأساليب التدريس في مرحلة التعليم الأساسي.
- 2- التعرف علي واقع اهتمام معلمي مرحلة التعليم الأساسي بتطوير أدائهم الأكاديمي.
- 3- العمل علي عقد دورات تدريبية في مجال طرق وأساليب التدريس لتبادل الخبرات بين معلمي مرحلة التعليم الأساسي.

تساؤلات الدراسة:

تسعى الدراسة الحالية للإجابة عن التساؤل التالي:

1- ما واقع طرق وأساليب التدريس من وجهة نظر معلمي مرحلة التعليم الأساسي؟

حدود الدراسة :

و قد قامت هذه الدراسة علي استطلاع آراء بعض معلمي مرحلة التعليم الأساسي بمدينة أبي عيسى للعام الدراسي 2013-2014 ف فيما يتعلق بإبراز واقع طرق وأساليب التدريس المتبعة بمختلف التخصصات.

الإطار النظري :

مقدمة :

تولي كافة المجتمعات في العصر الحالي قيمة كبرى للعملية التربوية، حيث لم يعد دور المعلم في هذه العملية مجرد ناقل للمعرفة من خلال إكساب المتعلمين للمعلومات و المهارات ، بل تعد ذلك ليصبح المعلم المرشد والموجه لطلابه. و يتطلب عمل المعلم سلوكاً تربوياً يهدف من خلاله إلي إحداث تغيرات في سلوك المتعلمين في كافة الجوانب الجسمية والعقلية والنفسية والانفعالية وغيرها.

ونظراً لتسارع الحياة نتيجة للتقدم التكنولوجي والمعرفي مما أدى إلي توافر الأدوات والأجهزة والتقنيات التعليمية لمساعدته في القيام بالأدوار الموكلة له، إضافة إلي مساعدة كلا من المعلم والمتعلم علي ترتيب أفكارهم وتكوين الاتجاهات الإيجابية لديهم.

مفهوم التدريس: هو عملية تقديم الحقائق والمعلومات والمفاهيم للمتعلم داخل الفصل الدراسي. وهناك من ينظر إلي التدريس علي أنه عملية تفاعلية أو اتصالية بين المعلم والمتعلم يحاول فيها المعلم إكساب المعارف والاتجاهات والمهارات والخبرات التعليمية المطلوبة مستعيناً بأساليب وطرائق مختلفة تعينه علي إيصال الرسالة مشاركاً المتعلم فيما يدور حوله في الموقف التعليمي⁽⁶⁾.

مفهوم إستراتيجية التدريس: هي طريقة التعليم والتعلم المخطط أن يتبعها المعلم داخل الصف الدراسي أو خارجه لتدريس محتوى موضوع دراسي معين بغية تحقيق أهداف محددة سلفاً وفق خطوات متتابعة ومتناسقة منها ما يقوم بها المعلم والطلاب القيام بها في أثناء السير في تدريس ذلك المحتوى⁽⁷⁾. وهناك محاولات عديدة لتقسيم استراتيجيات التدريس بناءً علي-⁽⁸⁾

- مقدار ما يبذله المتعلم من جهد لاكتشاف المعرفة بنفسه، من خلال شرح المعلم (استراتيجيات التدريس عن طريق الشرح) ويقابلها (استراتيجيات التدريس الاستكشافية) التي تعتمد علي المتعلم.
- طريقة حصول المتعلم علي المعرفة وأسلوب اكتسابها بطريقة مباشرة من المعلم أو من مصادر المعرفة الأخرى (استراتيجيات التدريس المباشر) ويقابلها (استراتيجيات التدريس غير المباشرة) من خلال ممارسة أنشطة التعلم الذاتية دون تلقي معرفة من المعلم.
- دور المعلم في العملية التعليمية وتحكمه فيها (استراتيجيات التدريس المتمركز حول المعلم) ويقابلها (استراتيجيات التدريس غير المتمركزة حول المتعلم).

مبادئ التدريس الجيد :

- تحديد الأهداف بشكل محدد ومختصر ممكن ترجمته سلوكيا من قبل المتعلم.
- التخطيط الدقيق لكافة الأنشطة والفعاليات التي تحدث خلال العملية التعليمية.
- ضرورة تمركز جميع الأنشطة والفعاليات حول المتعلم لأنه محور العملية التعليمية.
- مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين من حيث القدرات والميول وحاجاتهم من خلال استخدام الأساليب التدريسية المتنوعة.
- التنوع في طرق التدريس واختيار أفضلها وانسبها باختلاف الموضوعات بالمقررات الدراسية.
- استخدام الوسائل التعليمية حيث يجمع أغلب المربون علي أهمية الخبرة المباشرة في التعلم.
- التغذية الراجعة لتجاوز نقاط الضعف والتركيز علي نقاط القوة من خلال أسئلة المتعلمين وسلوكهم.

مفهوم التدريس الفعال :

هو مجموعة من الإجراءات التي يقوم بها المعلم في البيئة المدرسية عن قصد بهدف الوصول إلي نتائج في مجال التدريس من دون إهدار للوقت والطاقة⁽⁹⁾. وهناك من يري التدريس الفعال بأنه تسهيل عملية التعليم و هو فن قابل للتطبيق والتنفيذ، حيث يهدف إلي تأكيد الجوانب الإدراكية والانفعالية والاجتماعية للتعليم وبخاصة للأهداف التي يمكن تحقيقها في نهاية العام الدراسي.

الأسس التي يقوم عليها التدريس الفعال :

- إيجابية المتعلم ومشاركته في التعلم.
- الخبرات السابقة للمتعلم ذات الصلة بالتعلم الجديد.
- ملائمة المادة المتعلمة لقدرات المتعلمين واتصالها بحاجاتهم.
- زيادة دافعية المتعلم من خلال إشعاره بحاجته إلى التعلم.
- تأهيل المعلم لمواجهة التغيرات التي تحدث في مجال تخصصه.
- الدور الذي يقوم به المعلم كمرشد وموجه عوضاً عن التلقين.

مفهوم الأداء :

ينظر البعض للأداء علي أنه مجموعة الاستجابات التي يقوم بها الفرد في موقف معين، وهذا الأداء هو ما نلاحظه ملاحظه مباشرة⁽¹⁰⁾. كما يري البعض علي أنه المقدرة علي القيام بعمل معين بكفاءة وبمستوي من الإتقان.

مفهوم المهارة :

تعني المهارة ضرب من الأداء تعلم الفرد أن يقوم به بسهولة ويسر وكفاءة مع اقتصاد في الوقت والجهد سواء كان هذا الأداء عقلياً أو اجتماعياً أو حركياً⁽¹¹⁾.

مفهوم طريقة التدريس :

لغة: تعني المذهب والسيرة والمسلك⁽¹²⁾. أما اصطلاحاً هناك اختلاف في وجهات النظر باختلاف الفلسفات التربوية. فيري البعض أنها" الإجراءات التي يتبعها المعلم لمساعدة المتعلمين علي تحقيق الأهداف، وقد تكون تلك الإجراءات مناقشات، أو تخطيط مشروعات، أو توجيه أسئلة، أو غير ذلك من الإجراءات⁽¹³⁾.

وتكمن أهمية طريقة التدريس في كونها ترتبط بثلاث أقطاب مهمة في العملية التعليمية، المعلم، والمتعلم، والمنهج. فالمعلم بدون طريقة تدريسية يتبعها في إعداد الدروس اليومية قد يخفق في أداء عمله، إضافة إلي مساعدته في تحديد أهدافه بوضوح. بينما نجد تجاوب المتعلم مع طريقة التدريس

التي يتبعها المعلم قد يبدي شيئاً من الارتياح تجاه المادة التي يدرسها. وتسهم الطريقة علي جعل المادة المتعلمة سهله بما يتلاءم والمادة التعليمية.

مميزات الطريقة الجيدة :

تمتاز الطريقة الجيدة من حيث ملائمتها لمراحل نمو المتعلمين، بشرط أن يتم عرض المادة حسب ما تتطلبه القواعد المنطقية، كالتدرج من المعلوم إلي المجهول و من المباشر إلي غير المباشر. إضافة إلي مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين من حيث القدرات والميول، والاستعدادات في الفصل الواحد في جو يشعرهم بالنجاح. وهذا يتطلب أن تكون الطريقة مرنة ومدى صلاحيتها للتكيف والظروف الصفية الطارئة، وأن تنظم خطواتها حسب الوقت المخصص للحصة، وغيرها من الأمور التي يجب مراعاتها والتي تختلف باختلاف طبيعة المرحلة بالنسبة للمتعلمين، وكذلك طبيعة المادة المتعلمة مما يسهم في تنمية الاتجاهات السليمة لديهم من خلال الاحترام للآخرين وتحمل المسؤولية.

طرق التدريس العامة :

يخطئ البعض في التمييز بين طرق التدريس العامة والخاصة والتي تختلف باختلاف التخصصات، و باختلاف المادة الدراسية حيث تقسم إلي طرق التدريس العامة التقليدية (القديمية). وطرق التدريس الخاصة التي تختص بمجالات دراسية معينة، انطلاقاً من مفهومي المنهج القديم والحديث. وفيما يلي عرض لأنماط من الطرق العامة:

1- الطريقة الإلقائية :

وهي الأكثر شيوعاً واستخداماً في مجال التدريس منذ القدم ولا تزال تلقي اهتماماً من قبل المربين ويطلق عليها البعض الطريقة الإخبارية، حيث تركز علي تقديم المعلومات دون التركيز علي مستوى المتعلم. ومن إيجابياتها تمكن المعلم من تبسيط المعلومات الغامضة باختيار الألفاظ والأساليب البليغة التي تساعد علي إثراء الرصيد اللغوي لدي المتعلمين. ومن عيوب هذه الطريقة عدم مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين، والتركيز علي الجانب العقلي للمتعلم. وهناك عدة أساليب للطريقة التقليدية منها أسلوب المحاضرة ، والشرح .

2- طريقة المناقشة :

جاءت هذه الطريقة لتلافي عيوب الطريقة التقليدية بحيث تسمح للمتعلم من المشاركة الإيجابية في الدروس. و يعاب علي هذه الطريقة أنها لا تصلح في تدريس كل أنواع المجالات العلمية كالعلوم التطبيقية، حيث يهمل المعلم تحديد الأهداف لموضوع المناقشة وكذلك التركيز علي المتعلمين الأكثر ذكاءً. ونود من خلال هذه الدراسة القول بأن أغلب المعلمين لا يحسنون التدريس بهذه الطريقة نظراً لعدم إلمامهم بكيفية تطبيقها بدءاً من طريقة جلوس المتعلمين و متابعة سير المناقشة بحيث لا تخرج علي أهدافها. ويرى الباحث أن السبب الرئيسي ناتج لوجود عدد من المعلمين غير المؤهلين تربوياً، إضافة إلي الحاجة إلي عقد دورات تدريبية في مجال طرق وأساليب التدريس من خلال ورش عمل للمعلمين تقدمها كليات التربية بصفة دورية بالتنسيق مع التعليم. إن عملية إعداد المعلمين وحدها لا تكفي إذا لم يصاحبها برامج تعني بتدريب وتأهيل المعلمين من وقت لآخر من أجل رفع مستوى الكفاية المهنية لدي المعلم لمواكبة التجديدات في العلوم التربوية والتخصصية. إن معلم اليوم لا يستطيع أداء عمله بمستوي من الإتقان إذا لم يستفيد من التكنولوجيا المتوفرة والتي فرضت نفسها في شتي مجالات الحياة العامة، وبخاصة في مجال التعليم بحيث أصبح المعلم أمام تحدٍ كبيرٍ مجازاة تلك التغيرات.

ومن الطرق الشائعة – الطريقة الاستجوابية: والتي تعتمد علي الأسئلة والأجوبة، و من مزايا هذه الطريقة أنها تساعد علي تنمية الثقة في شخصية المتعلم. في حين تركيز بعض المعلمين في توجيه الأسئلة علي فئة معينة من المتعلمين الناجمين قد يؤدي إلي إهمال الآخرين، وهذا يعد من أحد عيوب هذه الطريقة.

الطريقة الاستقرائية و الطريقة القياسية: فالاستقراء يعني انتقال ذهن المتعلم من الجزئيات إلي الكليات، وتعرف هذه الطريقة بطريقة هربارت والتي تهيم ذهن المتعلم لاستنباط الحقائق والقواعد العلمية وهي تنفع في تدريس العلوم. أما الطريقة القياسية فهي عكس سابقتها حيث يباشر المعلم بتقديم القاعدة وعرضها علي المتعلم منذ البداية ، ثم يأتي بأمثلة متنوعة لتطبيق تلك القاعدة أو القانون عليها. ومن مزاياها أنها سهلة التنفيذ، وتساعد المتعلم علي إدراك وفهم الحقائق العلمية الصعبة. ولا تخلو هذه الطريقة من بعض المساوئ كمساعدة المتعلم علي الحفظ والتلقين، إضافة إلي عدم إتاحة الفرصة للمتعلم المشاركة الإيجابية في الموقف التعليمي.

الطرق العامة الحديثة :

1- طريقة حل المشكلات :

تعتمد هذه الطريقة علي التفكير العلمي، ومن خلالها يتدرب المتعلمين علي ممارسة هذا النوع من التفكير العلمي السليم. و يمكن استخدام هذه الطريقة في مختلف المراحل التعليمية وفقاً لمستويات واستعدادات المتعلمين، فالمشكلة هي " حالة يشعر فيها المتعلم بأنه أمام موقف - قد يكون مجرد سؤال - يجهل الإجابة عليه، أو غير واثق من الإجابة ويشعر برغبة في الوقوف علي الإجابة الصحيحة" (14). و لا بد من أن يلتزم الدارس لأي مشكلة من المشاكل أن يسير وفق خطوات محددة وفق الآتي:

الإحساس بالمشكلة - تحديد المشكلة- جمع المعلومات- وضع الفروض - التحقق من الفروض - حل المشكلة. ومن إيجابيات هذه الطريقة إنها تساعد علي تكوين وتنمية المنهج العلمي لدي المتعلم، و إبراز شخصيته في العملية التعليمية. ومن أهم سلبياتها أنها تتطلب وعاءً زمنياً طويلاً، و ضرورة توافر مكتبات متطورة تلبى حاجات المتعلمين.

2- التعليم المبرمج :

استخدم التعليم المبرمج كأحد الطرق التي استخدمت لتلافي سلبيات الطرق التقليدية ، ويعرف بأنه " طريقة من طرق التعليم الذي تمكن التلميذ من تعليم نفسه بنفسه بواسطة برنامج أعد بأسلوب خاص" (15). ويمتاز بأن يتمكن المتعلم من تعليم نفسه بنفسه، والوصول إلي الأهداف المرغوبة من تعليم البرنامج مع اختصار الوقت والجهد لدي المعلم والمتعلم. وهذا تتاح الفرصة للمتعلم أن يحس بالإثابة عقب كل استجابة صحيحة.

ومن أهم الصعوبات التي تواجه التعليم المبرمج أنه يحتاج إلي كفاءات علمية وفنية لوضع البرامج التعليمية، وهذا يتطلب أن يكون واضعو البرامج من ذوي الكفاءات العلمية والفنية في كل مجال من مجالات الدراسة حتى يتمكنوا من تصميم ووضع البرامج وتجربتها وتنفيذها. ويرى الباحث أن الأسباب التي قد تعيق تنفيذ هذا البرنامج لا يمكن في واضعو البرامج بقدر ما يكمن في من يقوم بتنفيذ هذه البرامج، والمقصود هنا هما (المعلم و المتعلم) لأن برنامج التعليم المبرمج يعتمد علي ركنين أساسيين يجب النظر فيهما بتمعن وهما:

- أن هذا البرنامج يحتاج زمن طويل، إضافة إلى إتقان استخدام الحاسوب في حال البرنامج يعتمد علي الحاسب الآلي، وفي حال أن البرنامج يعتمد علي إجابة اختبار معد لهذا الخصوص فأن المشكلة تكمن في أمرين:

أولاً- طول الاختبار ومدى قدرة المعلم علي متابعة المتعلمين أثناء تنفيذ البرنامج.

ثانياً- عدم قدرة الطلاب الضعاف من الإجابة عن الاختبار وفق البرنامج المعد مما يعيق تعلمهم.

وهذا يتطلب من الخبراء والمختصين في مجال التربية والتعليم النظر بعين الاعتبار في المسؤوليات الملقاة علي عاتق المعلم وحده ، في حين أن المسؤولية تقع علي كل المشاركين في العملية التعليمية، وضرورة إعادة النظر في تدريب وتأهيل المعلمين بكليات التربية. ويقترح الباحث أن نبتعد عن الطرق التقليدية في تطوير خبرات المعلمين من خلال وضع برامج بديلة كاختيار أفضل المعلمين و(إيفادهم بالخارج) للتأهيل والتدريب في مراكز علمية متخصصة باختلاف تخصصاتهم أسوة بأساتذة التعليم الجامعي. وهذا الأمر يمكن تحقيقه في حال وجد الدافع إلي التغيير حتى لا نظلم المعلم الذي لم تتح له الفرصة.

الدراسات السابقة :

دراسة جونز (1987)⁽¹⁶⁾ :

هدفت إلي التعرف علي مدى صلاحية تقويم الطلبة للتدريس من خلال التأثير الممكن أن تحدثه شخصية المعلم علي الطالب عند تقويمه لمعلمه. حيث استخدم الباحث استبانات في مقرر علم الأحياء وزعت علي الطلبة مدة عامين متتالين . من خلال طرح الدراسة لمجموعة من الأسئلة من بينها، هل الطلبة محكمون جيدون؟ هل يمكن الاعتماد علي العقل في تقويم التدريس؟ أم أن هناك متغيرات خارجية تؤثر علي صدق هذا التقويم؟ ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن هناك ارتباطاً كبيراً بين تقويم الطلبة لشخصية المعلم وبين قدراته التدريسية . كما أظهرت وجود علاقة ارتباطية بين متوسط تقويم الشخصية والمتوسط العام لتقويم التدريس لكل معلم من المعلمين الخمسة عشر في السنتين الأولى والثانية.

كما أجري حسن (1992)⁽¹⁷⁾ :

دراسة هدفت إلي تقويم أداء طلاب السنة الرابعة شعبة الرياضيات بكلية التربية، جامعة أسيوط لبعض مهارات التدريس. حيث أشارت النتائج إلي أن أداء الطلاب جاء متوسطاً وفق المعيار الذي حدده الباحث بنسبة أداء 72.75%.

وهدفت دراسة الجفري (2001)⁽¹⁸⁾ :

إلي التعرف علي آراء طالبات الدراسات العليا في الأداء التدريسي لأعضاء هيئة التدريس، جامعة أم القرى من خلال بناء استبانته تضمنت ست محاور رئيسة ، حيث طبقت علي عينة مكونة من (298) طالبه. حيث أظهرت النتائج وجود فروق دالة إحصائياً حول الأداء التدريسي لأعضاء هيئة التدريس طبقاً لمتغير الجنس. بينما لا توجد فروقاً داله إحصائياً حول الأداء التدريسي لأعضاء هيئة التدريس الذكور تعزي لاختلاف الكليات.

بينما أجرى سالم مدلل (2003)⁽¹⁹⁾ :

دراسة تناولت المشكلات التي تواجه معلم اللغة الإنجليزية في تدريس المنهج الجديد للغة الإنجليزية بالمرحلة الثانوية بمدينة طرابلس، من خلال استطلاع آراء عينة من المعلمين. حيث أظهرت نتائج الدراسة أن أغلب المعلمين يعانون من مشاكل في تدريس هذا المنهج لطلاب المرحلة الثانوية، وأن أغلب هذه المشاكل مردها قصور هؤلاء المعلمين من الناحية اللغوية و التربوية.

كما أجرى علوان، جابر (2009)⁽²⁰⁾ :

دراسة بحثت واقع التدريس والتقنيات التعليمية بكلية إعداد المعلمين جامعة طرابلس، من خلال استطلاع آراء عينة من أعضاء هيئة التدريس بلغت (20) أستاذ. و هدفت إلي التعرف علي واقع التدريس والتقنيات التعليمية بالكلية، إضافة إلي تشجيع الباحثين ومراكز البحوث والدراسات تقويم هذا المجال وإعطائه مزيداً من الاهتمام. حيث أوضحت نتائج الدراسة أن الأسلوب السائد في التدريس هو أسلوب المحاضرة. كما أن واقع التقويم للمقررات الدراسية يتركز بصورة أساسية علي تقويم المفاهيم العلمية والحقائق والمعلومات، وأن أكثر الاختبارات المستخدمة هي الاختبارات التحريرية الموضوعية. إضافة إلي أن أحد المشكلات التي تواجه بعض أعضاء هيئة التدريس تكمن في تدريس بعض المصطلحات في مقررات العلوم باللغة الأجنبية للطلاب الضعاف في اللغة مما يعيق تعلمهم بسهولة.

إجراءات الدراسة :

منهج الدراسة: أتبع الباحث أسلوب المنهج الوصفي لأنه من أنسب المناهج لتحقيق أهداف الدراسة ، لكونه يعتمد علي تجميع الحقائق والمعلومات عن الظاهرة المراد دراستها، ثم تحليلها وتفسيرها للوصول إلي تعميمات مقبولة (21).

العينة: تم اختيار بعض معلمي مرحلة التعليم الأساسي أبي عيسي كعينة لهذه الدراسة بطريقة عشوائية، حيث تم توزيع الاستبيان وكان عدد أفراد العينة (100) معلماً و معلمه، حيث تم ترجيع (80) لتكون العينة (80) معلماً و معلمه.

جدول (1)

يبين عينة الدراسة موزعه علي المدارس

م	المدرسة	العدد	الاستمارات المجمعة
1	مدرسة الفتح	25	22
2	مدرسة الوحدة	15	10
3	مدرسة القادسية	20	17
4	مدرسة العموري	18	13
5	مدرسة أبي شيبه	22	18
	المجموع	100	80

أداة الدراسة: إن أهم أهداف هذه الدراسة التعرف علي واقع طرق وأساليب التدريس في مرحلة التعليم الأساسي ومدى اهتمام معلمي المرحلة بتطوير أدائهم الأكاديمي. وقد تم بناء استبيان يحتوي علي مجموعة من الأسئلة حول أساليب وطرائق التدريس، حيث عرف التدريس " بأنه كافة الظروف والإمكانيات التي يوفرها المعلم في موقف تدريسي معين، وكافة الإجراءات التي يتخذها في سبيل

مساعدة المتعلمين علي تحقيق الأهداف المحددة لذلك الموقف⁽²²⁾. حيث احتوت الأداة علي (13)فقرة.

المعالجة الإحصائية:

تم معالجة البيانات بعد جمعها باستخدام التكرارات والنسب المئوية، لمعرفة أفضل الطرق و الأساليب المتبعة في التدريس لمعلمي مرحلة التعليم الأساسي.

عرض ومناقشة النتائج:

للإجابة عن التساؤل العام للدراسة تم حساب النسب المئوية لعينة الدراسة، وفيما يلي عرض ومناقشة النتائج.

1- إجابة التساؤل العام: ما واقع طرق وأساليب التدريس من وجهة نظر معلمي مرحلة التعليم الأساسي؟

جدول(2)

يبين التكرارات والنسب المئوية لواقع طرق وأساليب التدريس حسب استجابات عينة الدراسة.

النسب المئوية %			التكرارات			الفقرة
بدرجة ضعيفة	بدرجة متوسطة	بدرجة كبيرة	بدرجة ضعيفة	بدرجة متوسطة	بدرجة كبيرة	
12.5%	12.5%	75%	10	10	60	1 تعتبر الطريقة الإلقائية من الطرق المفضلة لدي بعض المعلمين لأنها لا تحتاج إلي خبرة كافية من قبل المعلم.
12.5%	25%	62.5%	10	20	50	2 يستخدم المعلمين طريقة المناقشة في تدريسهم لتكوين اتجاهات ايجابية نحو التعلم.
18.75%	12.5%	68.75%	15	10	55	3 بعض المعلمين يتبعون الطريقة القياسية في عرض المادة العلمية.

4	يستخدم بعض المعلمين الطرق التقليدية كالطريقة الاستقرائية لعدم معرفتهم بالطرق الحديثة.	40	30	10	50%	37.5%	12.5%
5	عدم مقدرة بعض المعلمين علي صياغة المشكلات وفق للموضوعات و إيجاد حلول ممكنه لها.	36	32	12	45%	40%	15%
6	أغلب المعلمين لا يستخدمون طريقة حل المشكلات لعدم كفايتهم في تدريسها.	38	20	22	47%	25%	27.5%
7	يفضل بعض المعلمين استخدام الطريقة الاستجوابية لتحقيق أهداف تعليمية معينة نظرا لشيوعها.	31	40	9	38.75%	50%	11.25%
8	لا يدرك بعض المعلمين طرق التدريس المعاصرة في تدريس تخصصاتهم.	30	36	14	37.5%	45%	17.5%
9	لا يميز بعض المعلمين بين الطرق التدريسية العامة والخاصة مما يقتصر دورهم علي التلقين	25	35	20	31.25%	43.75%	25%
10	يشجع المتعلمين علي استخدام طريقة التعليم المبرمج لغرض التعلم الذاتي.	30	30	20	37.5%	37.5%	25%
11	تتمشي طريقة حل المشكلات مع طبيعة المتعلمين الذين لديهم أهداف يسعون إلي تحقيقها.	27	30	23	33.75%	37.5%	28.75%
12	تنير الطريقة الاستقرائية دافعية المتعلمين للتعلم.	38	22	20	47.5	27.5%	25%

13	التعلم بطريقة التعليم المبرمج يزيد من كمية المادة المتعلمة.	37	30	13	46.25	37.5%	16.25%
----	---	----	----	----	-------	-------	--------

يتضح من الجدول رقم (2) أن 75% من استجابات أفراد عينة الدراسة كانت (بدرجة كبيرة) تعتبر الطريقة الإلقائية من الطرق المفضلة لدي بعض المعلمين لأنها لا تحتاج إلي خبرة كافية من قبل المعلم. وهذا يدل علي إن أغلب المعلمين يفضلون التدريس بطريقة الإلقاء نظراً لسهولة تنفيذها. بينما جاءت استجابات باقي أفراد العينة (بدرجة متوسطة) 12.5% و (بدرجة ضعيفة) وكانت نسبتها 12.5%، وهذه النسبة تدل علي وجود قلة من معلمي مرحلة التعليم الأساسي تحرص علي عدم اعتبار الطريقة التقليدية من الطرق المفضلة لديهم. كما أوضح 62.5% من أفراد العينة أن المعلمين يستخدموا طريقة المناقشة في تدريسهم لتكوين اتجاهات إيجابية نحو التعلم لدي المتعلمين (بدرجة كبيرة). و هذه النسبة تظهر أهمية طريقة المناقشة ودورها في تكوين اتجاهات إيجابية نحو التعلم. في حين جاءت 25% من استجابات أفراد العينة (بدرجة متوسطة) وهذا يزيد من أهمية طريقة المناقشة في مجال التدريس. بينما 12.5% (بدرجة ضعيفة) وهي نسبة قليلة مقارنة بسابقتها، وهذا يدل علي عدم خبرة بعض المعلمين بالطريقة التي يتم بها تنفيذ طريقة المناقشة.

وفيما يتعلق بإتباع بعض المعلمين الطريقة القياسية في عرض المادة العلمية، كانت استجابات أفراد العينة 68.75% (بدرجة كبيرة). وهذا يدل أن معظم المعلمين يتبعون الطريقة القياسية في التدريس باعتبارها من الطرق الشائعة التي يفضلها المعلمين نظراً لسهولة تطبيقها، إضافة أنها تساعد كثير من المعلمين في حفظ النظام داخل الصف و بحاصة حديثو التخرج. في حين كانت استجابات 12.5% من أفراد العينة (بدرجة متوسطة) وهي نسبة قليلة مقارنة بسابقتها ويرجح الباحث أن قلة من المعلمين لا يفضلون التدريس بهذه الطريقة، ربما لأن هذه الطريقة لا تتيح الفرصة للمتعلم المشاركة الإيجابية في الموقف التعليمي، و أنها تفاجئ المتعلم من البداية بالقواعد والقوانين. أما بقية استجابات أفراد العينة (بدرجة ضعيفة) وكانت نسبتها 18.75% وهي نسبة تظهر عدم معرفة بعض المعلمين بطبيعة هذه الطريقة وأهميتها في التدريس.

كما أن 50% من استجابات أفراد العينة يقومون (بدرجة كبيرة) بالتدريس بالطرق التقليدية كالتريقة الاستقرائية لعدم معرفتهم بالطرق الحديثة. وهذا يؤكد ما جاء في الفقرة الأولى بأن أغلب المعلمين يفضلون الطرق التقليدية في التدريس لعدم خبرتهم بالطرق الحديثة، أو لعدم رغبتهم أحياناً في

التجديد والابتكار. بينما 37.5% من استجابات أفراد العينة جاءت (بدرجة متوسطة) مما يدل أن هناك بعض المعلمين لديهم معرفة ببعض الطرق الحديثة و التي تتناسب مع تخصصاتهم. أما ما نسبته 12.5% كانت (بدرجة ضعيفة). و أوضحت استجابات أفراد العينة بأن 45% من المعلمين لا توجد لديهم القدرة علي صياغة المشكلات وفق الموضوعات وإيجاد حلول ممكنة لها (بدرجة كبيرة). و هذا يظهر مدي قدرة المعلم علي تحديد الأهداف واختيار أنسب الطرق والوسائل لتحقيقها وإيجاد الحلول لتلك المشكلات. بينما كانت استجابات بقية أفراد العينة كانت (بدرجة متوسطة) و نسبتها 40% و (بدرجة ضعيفة) نسبتها 15%. وهذا يبين أن بعض المعلمين لا يحسنون صياغة الأهداف التعليمية بطريقة جيدة مما يجعلهم يتعثرون في صياغتها وإيجاد الحلول الممكنة. ونظراً لأهمية الطرق الحديثة في مجال التدريس كانت استجابات أفراد العينة 47.5% (بدرجة كبيرة) نجد أن أغلب المعلمين لا يستخدمون طريقة حل المشكلات لعم كفايتهم في تدريسها، وهذا يظهر مدي حاجة المعلمين للتأهيل والتدريب من أجل رفع مستواهم المهنية من خلال عقد دورات تدريبية من حين لآخر. بينما كانت استجابات باقي أفراد العينة 25% (بدرجة متوسطة) و (بدرجة ضعيفة) وكانت نسبتها 27.5%. مما يبين أن قلة من المعلمين لديهم القدرة علي التدريس من خلال طريقة حل المشكلات، نظراً للوقت الزمني الذي تحتاجها هذه الطريقة لتنفيذها، إضافة إلي الفجوة التي تحدثها في بناء المادة العلمية لدي المتعلم.

وجاءت استجابات أفراد العينة (بدرجة كبيرة) بأن بعض المعلمين يفضلون استخدام الطريقة الاستجوابية نظراً لشيوعها ونسبتها 38.75% وهي نسبة أقل من المتوسط. بينما 50% من استجابات أفراد العينة يفضلون هذه الطريقة بنسبة 50% وهذا يدل علي أن أغلب المعلمين يحسنون استخدامها لكونها تساعد علي تحسين الأداء الجيد للمعلم. وكذلك تساعد علي خلق جو من التفاعل الإيجابي بين المعلم والمتعلم. في حين كانت باقي استجابات أفراد العينة (بدرجة ضعيفة) وكانت نسبتها 11.25% حيث لا يفضل قلة من المعلمين استخدامها نظراً لاقتصارها علي الأسئلة والأجوبة، مما يظهر تركيز بعض المعلمين علي الطلبة المتميزين وإغفال الباقي وعدم استخدام وسائل أخرى ملائمة في التدريس. وفيما يتعلق بمدي إدراك بعض المعلمين لطرق التدريس المعاصرة في تدريس تخصصاتهم كانت استجابات أفراد العينة (بدرجة كبيرة) ونسبتها 37.5%. وهذا يؤكد ما جاء في الفقرة الرابعة بعدم معرفة بعض المعلمين بالطرق الحديثة، وبخاصة المعلمين غير المؤهلين تربوياً ومن تنقصهم الخبرة في مجال التدريس في جميع المستويات حتى علي مستوى التعليم الجامعي، لذا يري الباحث من إعادة النظر في البرامج التي تعني بتأهيل المعلمين من وقت لآخر لمحاورة حركة التجديد في مجال التربية والتعليم. بينما كانت استجابات أفراد العينة (بدرجة متوسطة) 45% وهذه النسبة تمثل عينة من المعلمين من ذوي

الخبرة الطويلة والتي تم اكتسابها من خلال التدريس. في حين كانت باقي استجابات أفراد العينة (بدرجة متوسطة) ونسبتها 17.5% هي نسبة قليلة مقارنة بسابقتها. كما أن عدم قدرة بعض المعلمين من التمييز بين الطرق العامة والخاصة مما يقتصر دور المعلم علي التلقين كانت (بدرجة كبيرة) بنسبة 31.25% وهذا يدل أن 30% من استجابات أفراد العينة وبخاصة غير المؤهلين تربوياً ليس لديهم المعرفة الكافية بالطرق الخاصة باختلاف تخصصاتهم. في حين أن نسبة 45.75% كانت استجاباتهم (بدرجة متوسطة) مما يظهر قدرة بعض المعلمين الذين أمضوا سنوات طويلة، إضافة إلي المؤهلين تربوياً علي التمييز بين الطرق العامة والخاصة. بينما (بدرجة ضعيفة) كانت استجابات أفراد العينة 25% و هي نسبة قليلة من المعلمين وهم ذوي المؤهلات الجامعية. أما فيما يتعلق بتشجيع المتعلمين علي استخدام طريقة التعليم المبرمج لغرض التعلم الذاتي كانت (بدرجة كبيرة - بدرجة متوسطة) ونسبتها 37.75% وهذا يدل علي رغبة بعض المعلمين في إتباع الطرق الحديثة كالتعليم المبرمج من أجل تشجيع المتعلمين علي التعلم الذاتي، بالرغم من عدم معرفة أغلبهم بطريقة التعليم المبرمج. بينما 25% من استجابات أفراد العينة كانت (بدرجة ضعيفة) وهي نسبة تعكس حقيقة المناهج الحالية لعدم تركيزها علي الطريقة التي يمكن أن يتبعها المعلم في التدريس وبخاصة حديثو التخرج. ووافق 33.75% من أفراد العينة (بدرجة كبيرة) أن طريقة حل المشكلات تتمشي مع طبيعة المتعلمين الذين لديهم أهداف يسعون إلي تحقيقها، ويرى الباحث أن إخفاق بعض المعلمين في تبصير المتعلمين بأهمية تحديد أهداف تعليمية ممكن تحقيقها يعكس علي أداء المتعلمين، مما يحدث فجوة في بناء المادة العلمية لدي المتعلم. وكانت نسبة 37.5% من استجابات أفراد العينة (لدرجة متوسطة) وهذا يدل علي عدم اهتمام بعض المعلمين باستخدام هذه الطريقة. بينما كانت نسبة استجابات أفراد العينة (بدرجة ضعيفة) 25% وهي نسبة ضعيفة من المعلمين الذين يؤيدون هذه الطريقة في بلوغ أهداف المتعلمين.

ووافق 47.5% من أفراد العينة علي أن الطريقة الاستقرائية تثير دافعية المتعلمين للتعلم (بدرجة كبيرة)، وهذا يبين مدى استخدام نسبة كبيرة من المعلمين لهذه الطريقة والتي تعد من الطرق الشائعة التي يستخدمها المعلمين في التدريس باختلاف تخصصاتهم والمراحل الدراسية التي يقومون بتدريسها. بينما 27.5% من استجابات أفراد العينة كانت (بدرجة متوسطة) وهي نسبة مقبولة حيث تظهر قلة من المعلمين ممن لديهم خبرة قصيرة في التدريس. في حين أن 25% من أفراد العينة كانت استجاباتهم (بدرجة ضعيفة) مما يشير إلي بعض المعلمين غير المؤهلين تربوياً نظراً لعدم معرفتهم بطرق التدريس. في حين وافق 46.25% من أفراد العينة أن التعلم بطريقة التعليم المبرمج يزيد من المادة المتعلمة، وهذا يؤكد الحاجة الملحة لاستخدام أحدث التقنيات في مجال التدريس من أجل رفع مستوي المعلم من حيث الأداء، والمتعلمين من حيث تحقق الأهداف. بينما 37.5% من استجابات أفراد العينة كانت (بدرجة

متوسطة) وهي نسبة لا بأس بها من استجابات المعلمين تظهر أهمية التعليم المبرمج باستخدام الحاسب الآلي. أما 16.25% من استجابات أفراد العينة كانت (بدرجة ضعيفة) وهي نسبة قليلة.

النتائج: من أهم النتائج التي توصل إليها الباحث ما يلي:

- 1- يفضل أغلب المعلمين التدريس بالطرق التقليدية نظراً لسهولة تنفيذها.
- 2- يستخدم بعض المعلمين طريقة المناقشة في التدريس لتكوين اتجاهات إيجابية نحو التعلم.
- 3- يستخدم بعض المعلمين الطرق الشائعة كالاستقرائية والقياسية في التدريس.
- 4- عدم معرفة بعض المعلمين بالطرق الحديثة نظراً لعدم تأهيلهم.
- 5- عدم قدرة بعض المعلمين التمييز بين الطرق العامة والخاصة.
- 6- يشجع بعض المعلمين علي استخدام طريقة التعليم المبرمج في مجال التدريس لغرض التعلم الذاتي.

التوصيات: بناءً علي نتائج الدراسة فإن الباحث يوصي بالآتي:-

- 1- إقامة ورش عمل لمعلمي مرحلة التعليم الأساسي حول أهم الطرق الحديثة في مجال التدريس.
- 2- ضرورة إعداد المعلمين إعداداً تربوياً ومهنياً لممارسة مهنة التدريس.
- 3- تدريب وتأهيل المعلمين من وقت لآخر في مجال طرق وأساليب التدريس لمجارات التغييرات التربوية والتكنولوجية.
- 4- إيفاد المعلمون المتميزين بالخارج لرفع مستوي كفاياتهم التدريسية بحسب تخصصاتهم.
- 5- عقد محاضرات مستمرة في المجال التربوي تحت إشراف كليات التربية بالجامعات الليبية.
- 6- إعادة النظر في بعض المقررات الدراسية بكليات التربية لكي تتلاءم في أهدافها وإجراءاتها مع فلسفة التعليم الأساسي، وأسس بنائها وتطويرها.

المراجع:

- 1- جبريل بشارة، تكوين المعلم العربي والثورة العلمية التكنولوجية، المؤسسة الجامعية للدراسات للنشر والتوزيع، بيروت، 1980، ص55.
- 2- محمد زياد حمدان، أدوات ملاحظة التدريس، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، 1984، ص65.
- 3- دليل المعلم لتقنيات التعليم، دولة قطر، وزارة التربية والتعليم، الشؤون الفنية، 1984، ص18.
- 4- أحمد المهدي عبد الحليم، كليات التربية والإبداع التربوي، ورقة عمل مقدمة في مؤتمر نظم إعداد المعلم العربي وتدريبه مع مطلع الألفية الثالثة، كلية التربية، جامعة حلوان، 1999، ص5.

- 5- محسن علي عطية، الاستراتيجيات الحديثة في التدريس الفعال، ط1، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2008، ص28.
- 6- سهيلة محسن كاظم، كفايات التدريس (المفهوم، التدريب، الأداء)، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2003، صص 16-17.
- 7- حسن حسين زيتون، استراتيجيات التدريس، رؤية معاصرة لطرق التعليم والتعلم، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2003، ص6.
- 8- المرجع السابق، ص12.
- 9- نايفه قطامي، مهارات التدريس الفعال، دار الفكر، الأردن، 2004، ص485.
- 10- حلمي المليجي، علم النفس المعاصر، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1972، ص311.
- 11- سهيلة محسن كاظم، مرجع سابق، ص25.
- 12- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثاني، دار لسان العربي، بيروت، ص588.
- 13- أحمد حسن اللقاني، المناهج بين النظرية والتطبيق، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1981، ص189.
- 14- فكري حسن ريان، التدريس، أهدافه، أسسه، أساليبه، تقويم نتائجه وتطبيقاته، عالم الكتب، القاهرة، 1971، ص234.
- 15- محمد رضا البغدادي، دراسة تجريبية لمدي فاعلية التعليم المبرمج في تدريس العلوم للصف الثاني الإعدادي، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أسيوط، 1974، ص33.
- 16- Jones .J. (1987). "Students Ratings of Teacher Personality and Teaching Competence", Higher education , Vol. 18 . Netherlands: Kluwer Academic Publisher. نقلا عن دراسة ابتسام حسين الجفري، المجلة التربوية، العدد64، المجلد السادس عشر، 2002، ص123.
- 17- محمود حسن ، تقويم أداء السنة الرابعة شعبة الرياضيات بكلية التربية أسيوط لبعض مهارات التدريس، مجلة كلية التربية ، المجلد الثامن، العدد الثاني، ص ص 765-797.
- 18- ابتسام حسين الجفري ، آراء طالبات الدراسات العليا في الأداء التدريسي لأعضاء هيئة التدريس بجامعة أم القرى، المجلة التربوية، العدد64، المجلد السادس عشر، 2002، ص109.
- 19- سالم مدلل، المشكلات التي تواجه معلم اللغة الإنجليزية في تدريس المقرر الجديد بالمرحلة الثانوية، بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول تحت شعار طرق تدريس اللغة الإنجليزية في ليبيا في الفترة بين 16-17 مارس 2003، مجلة جامعة ناصر، منشورات جامعة ناصر، العدد الأول، 2006، ص13.
- 20- المهدي علي علوان، عامر محمد جابر، دراسة واقع التدريس والتقنيات التعليمية بكلية إعداد المعلمين جامعة طرابلس، مجلة كلية إعداد المعلمين، جامعة طرابلس، العدد الثاني، 2009، ص8.
- 21- محمد زياد حمدان، البحث العلمي كنظام، دار التربية الحديثة، عمان، الأردن، 1989، ص66.
- 22- محسن علي عطية، مرجع سابق، ص25.

دور الإعلام في نشر مفاهيم الصحة النفسية

وأهمية العلاج النفسي

للباحث: أحمد عبد الحميد محمد نور الدين

أستاذ التربية و علم النفس

كلية التربية / جنزور

جامعة طرابلس - ليبيا

ملخص الدراسة :

تهدف الدراسة إلى الكشف عما إذا كان هناك دور للإعلام في نشر مفاهيم الصحة النفسية ، وهل هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد العينة بحسب الجنس في العلاقة بين الإعلام ودوره في نشر مفاهيم الصحة النفسية ؟ والتعرف على ما إذا كان هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد العينة بحسب التخصص في العلاقة بين الإعلام ودوره في نشر مفاهيم الصحة النفسية .

تشير النتائج التي توصل إليها الباحث : أن قيمة اختبار "ت" لعينة واحدة (11.405**) كانت دالة إحصائياً ، لأن مستوى دلالتها (0.000) اقل من مستوى (0.05) مما يدل على أن الفروق بين المتوسطين كانت دالة، ولصالح متوسط العينة ، مما أمكن الباحث من استنتاج أن أفراد العينة قد أكدوا على أن الإعلام له دور في نشر مفاهيم الصحة النفسية ، بالإضافة إلى أنه لا توجد فروق دالة إحصائية لمتغير الجنس في مدى تأثير دور الإعلام في نشر مفاهيم الصحة النفسية ، وتشير النتيجة إلى أن متغير التخصص لم يكن متغيراً يشير إلى أن الإعلام له دور في نشر مفاهيم الصحة النفسية .

مستخدماً في ذلك المنهج الوصفي التحليلي فهو أكثر ملائمة لموضوع الدراسة.

يتكون مجتمع الدراسة من طلاب وطالبات جامعة طرابلس المتمثلة في عينة عشوائية تتكون من 200 طالب وطالبة ، كان المستهدف (192) والفاقد (8) علماً بان الدراسة في ثلاث محاور، الأول

وتمثل الإطار العام، والثاني يتعلق بأدبيات الدراسة، الثالث ويختص بالمنهجية العلمية والنتائج والتوصيات والمقترحات .

المقدمة : نعيش اليوم كل صغيرة وكبيرة من المعلومات في الألفية الثالثة في عالم شديد التغير بسبب التقدم التقني، في إمبراطورية الإعلام وتكنولوجية الاتصالات . فالإعلام كما هو معروف هو إيصال المعلومة، وعملية التوصيل هذه تتركب من مجموعه من العناصر: عنصر يتعلق بالمعلومة نفسها من حيث صحتها وخطئها، وعنصر يتعلق بالناقل المعلم: خصائصه وصفاته وقدرته على الإيابة، واستشعاره على المسؤولية تجاه ذلك، وعنصر يتعلق بالمتلقي تاريخه، وثقافته وواقعه وعمره الثقافي ومدى ملائمة المعلومة لعمره العقلي إلى جانب السياسة المرسومة وعملية التحكم التي تخضع لها العملية الإعلامية. هذا عصر السماوات المفتوحة، عصر العولمة الذي يساهم بشكل كبير في انتشار ثقافات قد تكون غريبة على المجتمع وما ينتج عن ذلك من تدمير للقيم والمبادئ والمعتقدات وتغير للسلوك المجتمعي، ليصبح في سلوك قوامه إنكار الآخر، واستبعاده من حلبة الصراعات. أو تطويع الإنسان المستهلك بعد تفكيك مقاومته النفسية تحت تأثير جاذبية وإغراء الخطابات والرسائل والدلالات المرسل بل وتمرير كل مايراد تمريره من قيم ومواقف نحو وجدان الإنسان المستهدف دون مجابهة ولا اعتراض عقلي أو ممانعة نفسية. وعليه أصبحت الصحة النفسية والعلاج النفسي من أهم العلوم الحديثة الضرورية للإنسان، لأن هذا الإنسان في أمس الحاجة إلى فهم نفسه وسير أغوارها واكتشاف خباياها. ولا ننكر على الإعلام عامله الإيجابي قد يكون السبب في غرس مفاهيم الصحة النفسية وتقديم العلاجات النفسية التي تقي الإنسان من تأجيج نار الفرقة والحقد والكراهية وتجعل منه مجتمع يسوده الحب والعطف والحنان والمودة والتكيف والسلام. هذا وقد تناولت الدراسة الموضوع في ثلاثة محاور على النحو الآتي:

المحور الأول: الإطار العام للدراسة / المحور الثاني: المتمثل في أدبيات الدراسة / المحور الثالث: الإجراءات العلمية المحور الأول: الإطار العام للدراسة:

المشكلة و أهميتها : قد تكون إشكالية الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي تكمن في دور الإعلام السلبي، لما ينتج عنه عجز وارتباك و تخلف وكراهية وحقد، لأن النفس الإنسانية مولعة بتقليد كل ما هو جديد وبارق ومشغوفة بتجربيه وقد تأتبه، وقد نرى فيه كمال النموذجية المثلى، دون التمييز بين نتائج التثقيف الإعلامي في نشر مفاهيم الصحة النفسية السلبية والإيجابية، فالناظر والسامع في واقع الإعلام في عالمنا يقلقه مايجده من دأب لا يتوقف لهذا الإعلام بشتى وسائله في محاربة القناعة والرضا، وتأجيج

الحرص والطمع والرغبة المفرطة في الاستحواذ والاستهلاك وتكديس الأشياء باستخدام شتى وسائل الإقناع والإغراء لدفع القراء والمستمعين والمشاهدين نحو المزيد من الإفراط في الاستهلاك واستنفاد الاحتياطات بصورة تهدد الأجيال القادمة وتشوه وظيفة ودور الإنسان في الحياة تاركا وراءه دوره في نشر مفاهيم الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي ومن الآثار السلبية للإعلام في بعض المجتمعات نذكر منها على سبيل المثال أحد هذه الدراسات التي تشير إلى أن (46.17% من القيم التي ينشرها التلفزيون المصري سلبية) 1 فالإعلام أحيانا يكرس العنف والقوة كوسيلة لحل الخلافات والصراعات ، ويشيد الإعلام الأجنبي بقيمهم ونمط حياتهم في مقابل احتقاره لقيم وسلوكيات الآخر .

وحذرت دراسة أخرى من أن (62% من ذكور الكويت و 65% من إناثها يعتقدون أن تقاليد الحياة الغربية قد أصبحت سلوكاً شائعاً غير مستهجن اجتماعياً ، و يأتيه الكثير من الشباب وغير الشباب من أفراد المجتمع ولا يشعرون بأنه سلوك خاطئ ، بالرغم من إدراكهم أنه مخالف لعادات وتقاليد مجتمعهم) 2 إن الدفق الإعلامي على امتداد كوكبنا (ما يعرف بسوق الإعلام 80%) 3 تحت السيطرة الأمريكية .

إذا كانت هذه نتائج الدراسات قبل سنة 2000 فكيف الحال الآن ونحن في سنة 2014 وكيف يكون حال صحتنا النفسية ؟ وأين تتجه ؟ وهل تصعد إلى الهاوية ؟ قد يكون من بين الأسباب التثقيف الإعلامي، وقد يعكس الإعلام الواقع النفسي أو العكس الواقع النفسي هو الذي يعكس الإعلام ، وعليه تكمن الأهمية في تحديد هذه الانعكاسات ودورها في غرس مفاهيم الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي لها لأن المجتمع الذي يتمتع بالصحة النفسية والعلاج النفسي هو المجتمع الأكثر أمناً وأكثر سلاماً وأكثر تحضراً وتقدماً وتماسكاً ويسود أفراده المحبة والتعاون والتكيف..ومن الأهمية أيضاً ربما يجد القارئ ضالته التي يبحث عنها في هذه الدراسة ، وقد تكون بداية لدراسة أعمق و أشمل بالإضافة إلى إثراء المكتبة العربية والمراكز الثقافية والإعلامية.

الأهداف: تهدف الدراسة إلى الكشف عما إذا كانت هناك دور للإعلام في نشر مفاهيم الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي والتعرف على ما إذا كان المجتمع يتمتع بالصحة النفسية والعيش في حياة اجتماعية خالية من الصراع والإحباط والاكنتاب وإخفاق حيل الدفاع وتبني واكتساب السلوكيات غير الصحية والتعرف على ما إذا كان هناك فروقات ذات دلالة إحصائية بين أفراد العينة بحسب التخصص في

العلاقة بين الإعلام ودوره في نشر مفاهيم الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي. التساؤلات : يقوم الباحث بالإجابة على التساؤلات الآتية من خلال النتائج التي سوف تصل إليها الدراسة .

التساؤل الأول : هل للإعلام دور في نشر مفاهيم الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي ؟
التساؤل الثاني : هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0.05 بين أفراد العينة بحسب الجنس في دور الإعلام في نشر مفاهيم الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي ؟
التساؤل الثالث : هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0.05 بين أفراد العينة بحسب التخصص في دور الإعلام في نشر مفاهيم الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي ؟
مفاهيم الدراسة : يوضح الباحث أهم المفاهيم ذات العلاقة بموضوع الدراسة اصطلاحاً وهي على النحو الآتي :

مفهوم الإعلام : الإعلام عملية نشر وتقديم معلومات صحيحة وحقائق واضحة وأخبار صادقة و موضوعات دقيقة و وقائع محددة وأفكار منظمة وآراء واضحة للجماهير 4 .

مفهوم الاتصال : مفهوم الاتصال مشتق من الكلمة اللاتينية communicon وتعني مشترك، وفي الأصل الإنجليزي تعني كلمة common أي شائعاً ومألوفاً. 5 فمعنى كلمة اتصال هي نقل وتبادل المعلومات وجعل معانيها معروفة بين الناس لتحقيق غرض ما أو أثر ما. ويُعرف جورج ليندبرج الاتصال بأنه التفاعل بواسطة الرموز والإشارات التي تعمل كمنبه أو مثير يثير سلوكاً معيناً عند المتلقي. 6

بين الاتصال والإعلام : نشير بهذا الصدد إلى ما ذهبت إليه الدكتورة "" علية حسين "" (إذ اعتبرت الاتصال الظاهرة النفسية الاجتماعية العامة و الإعلام أسلوب من أساليب تلك الظاهرة والذي يهتم بالأخبار الموضوعية والصادقة بالحوادث والمعلومات على مستوى الجماهير الغفيرة ولعرض الأخبار أو التثقيف أو التعليم والتنشئة للجماهير العريضة التفاعلية :

يرى Jensen "" أن التفاعلية تقيس مدى قدرة وسائل الاتصال على إتاحة الفرصة للمستخدم لأن يحدث تأثيراً في المضمون، أو هي شكل من أشكال الاتصال الذي يتم عبر وسيط معين، في أربعة أبعاد فرعية وهي النقل transmission، المحادثة conversation، الاستشارة consultation، توثيق التفاعلية registration. 7

الصحة النفسية :عملية تتضمن تعزيز الاتجاهات الانفعالية السليمة ،وعادات التفكير ،ورعاية الأوضاع البيئية التي تساعد الأفراد على مقاومة سوء التوافق الشخصي والمرضي النفسي.8

الرضا النفسي : الرضا النفسي هو حالة نسبية من الهدوء والاسترخاء الذهني والنفسي مصحوبة بشعور سار نتيجة إشباع (أو توقع إشباع) أو تحقيق (أو توقع تحقيق) هدفاً ما تحقيقاً كلياً في موقف تفاعلي. 9

الثقافة : culture قدم علماء الاجتماع والإنترولوجيا ، وعلم الاجتماع والطب النفسي، وغيرهم ، ما يزيد عن 160 تعريفاً للثقافة، في تصنيفات وفقاً لاهتماماتها الرئيسية .

عُرف كروبير وكلاكهون الثقافة بأنها تتألف من أنماط مستترة أو ظاهرة للسلوك المكتسب والمنقول عن طريق الرموز، فضلاً عن الإنجازات المتميزة للجماعات الإنسانية ، ويتضمن ذلك الأشياء المصنوعة، ويتكون جوهر الثقافة من أفكار تقليدية ، وكافة القيم المتصلة بها، أما الأنساق الثقافية فتعتبر نتاج السلوك من ناحية ، وتمثل الشروط الضرورية له من ناحية أخرى10 ويعرف تايلر الثقافة بأنها الكل المركب والمعقد الذي يشمل المعارف البشرية المعنوية منها والمادية11 وذكر وايت أن الثقافة نهر متدفق من الأحداث عبر الزمن تنتقل من جيل لآخر ومن بيئة لأخرى وان السيطرة على الثقافة هي الثقافة نفسها 12 .

العلاج النفسي : (فهو وسيلة من وسائل العلاج النفسي تهدف إلى مساعدة المريض علي التغيير فكريا وشعوريا وسلوكيا وروحيا) ويقول الباحث في العلاج النفسي بأنه وسيلة من الوسائل ذات التأثير النفسي والعقلي التي تستخدم في العلاج والأمراض النفسية والعقلية من خلال اعداد ونشر برامج إعلامية توضح مفاهيم الصحة النفسية .

المحور الثاني: أدبيات الدراسة:

مدخل : إذا نظرنا للفرد منذ ولادته يولد لا حول ولا قوة له ،يبدأ في بناء خبرته السلوكية ومعارفه وإدراكاته ومهارته من الظروف والظواهر التي تحيط به ليصبح عضواً في جماعة وجماعات يحتويها المجتمع الكبير الذي يعيش فيه ،وعليه أن يبذل جهداً كبيراً في سبيل التفاعل السليم مع الآخرين في صحة نفسية اجتماعية متكاملة عن طريق(النبأ) قال الله تعالى في كتابه الكريم ﴿قُلْ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ﴾ آية 15 سورة آل عمران ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ آية 59 سورة المائدة

﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ﴾ آية 53 سورة يونس ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ آية 36 سورة يوسف ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَاهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ آية 88 سورة ص ﴿وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ آية 28 سورة القمر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَيَّ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ آية 6 سورة آية 5 سورة الحجرات ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ﴾ آية 27 سورة المائدة ﴿يُودُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ آية 20 سورة الأحزاب ﴿قُلْ لَا تَعْتَدُوا لَنَا نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأَ اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ آية 94 سورة التوبة ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ آية 67 سورة ص ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ آية 143 سورة الأنعام . ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ بَنِيَّ يَقِينٍ﴾ آية 22 سورة النمل .

في أحد الأيام من شهر مارس 2006 م، بأحد المدارس الابتدائية بمنطقة صياد/جنزور أثناء الإشراف على طلاب التربية العملية كنت جالسا بجوار أحد تلاميذ الصف الثالث الابتدائي، فأخذت أنصفح كراساتهِ وكان من بينها كراسة الرسم فوجدت رسوماً حقاً جميلة مما ينم على أن لديه موهبة الرسم وكان من بين الرسوم (قران دايزر)، فسألته من علمك الرسم؟ أكيد المعلمة أو الأب أو الأم؟ فقال لا لا يا أستاذ، الذي علمني التلفزيون، وعندما سألته لماذا رسمت (القراندايزر) هذا؟ فقال لي هذا بطل يغلبهم كلهم، فقلت له لماذا لا ترسم خالد بن الوليد أو عمر المختار؟ فقال لا أعرفهم، كيف شكلهم يا أستاذ، مثل قران دايزر؟؟ قلت له بل مثلنا، فقال لي (لا لا ما فيش في التلفزيون) * ثم خرج إلى الساحة مسرعاً لأن حصه التربية البدنية (الرياضة) قد بدأت، وتركني جالسا في الكرسي أفكر، إذا كان التلفزيون يعلم السلوك والحاسب التعليمي يجيب على العلوم فماذا بقي للعقول والنفوس؟ أين التربية؟ أين التنشئة الأسرية والاجتماعية؟؟ غابوا أم مغيبون!

الإثارة الإعلامية: على أي حال فالثقافة تراث إنساني ينمو ويتعرع ويتطور عبر الأزمان المختلفة من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل، وتكونت بسبب التفاعل والمحاكاة بين البشر في العالم لتتحول فيما بعد إلى قيم معنوية، فكرية، فنية وخلقية، يواجه بها الإنسان مقتضيات حياته على الصعيدين الفردي والاجتماعي، والتثقيف الإعلامي يعكس ثقافة الأمة التي تتجلى في الآداب والعلوم والأخلاق والشرائع وال عمران والصحة النفسية الاجتماعية والصحة العامة والعادات والتقاليد والنظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإدارية، وكل ما من شأنها يحمل مضامين بمعنى الاستقامة والاستواء والتهديب وبلوغ الغاية والقوة والأمن النفسي والصحة، فلا بد للإنسان أن يكون مثقفاً أيّاً كانت درجة الثقافة ومستواها فتفرض عليه أمور الحياة ألا يكون هامشياً قدر الإمكان حتى يستطيع أن يفهمها ويعيشها ويتكيف معها عبر الوسط الاجتماعي المعاش لأن السلوك الاجتماعي سلوك انفعالي طبيعي في الإنسان، فكل

منا يستجيب بحالة انفعالية مختلفة تبعاً للمثيرات الخارجية والمثيرات الداخلية ، فهناك انفعال الخوف وانفعال الغضب وانفعال الفرح ، وعلى رأس المثيرات الخارجية التثقيف الإعلامي فهو يجعل الإنسان يقوم بهذا العمل ، أو يتعد عنه ، أو يتكيف مع هذه الجماعة البشرية أو يعاديه ، أو يقترب من هذا الشيء ويأخذ به أو يصرف عنه ، بالرغم من وجود مؤثرات كثيرة متداخلة إلا أن الإعلام هو الأكثر فعالية . في الغالب يتم تعلم السلوك عن طريق المثير والاستجابة في عملية ديناميكية مستمرة يتفاعل معها الفرد ليحدث علاقة صحية نفسية اجتماعية متكيفة أكثر توافقاً بينه وبين نفسه من جهة وبينه وبين البيئة من جهة أخرى . * مافيش في اللهجة الليبية تعنى غير موجود

وظائف الإعلام : ومن أهم وظائف الإعلام فهي على النحو الآتي :

- 1 تعريف المتلقي بالمعلومات المتنوعة عن الواقع الذي يحيط به .
- 2 إقناع الناس وإغرائهم.
- 3 التسلية والترفيه.
- 4 الأخبار والأحداث والإعلانات والدعابات.

الدور المؤثر لوسائل الإعلام في نشر مفاهيم الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي :

إن دور الإعلام في نشر مفاهيم الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي من منظور التأثير، من زاويتي التأثير الإيجابي والتأثير السلبي، وكلما كانت المحتويات وثيقة الصلة بالقيم وكانت الوثائق أشد كان التأثير إيجابياً، وكلما كانت المحتويات لا تتقيد بأي قيمة ، أو تتناقض مع القيم كان الابتعاد عن القيمة أكبر ، وكان التأثير سلبياً.

أ / أهم التأثيرات الإيجابية :

- 1- نشر مفاهيم الصحة النفسية بإعطاء ألفة إضافية لمواقف الفرد ذات القيم .
- 2- الصيرورة ويقصد بها التنشئة التي يتم فيها إكساب الفرد مفاهيم الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي من خلال اكتساب قيم المجتمع وثقافته.

- 3- خلق نوع من الانسجام وتعزيز مفاهيم الصحة النفسية بتحقيق وتعزيز الإحساس بالانتماء إلى المجتمع الذي تربطه صفات مشتركة كالقيم والثقافة واللغة والتاريخ و غيرها فيكون دور الوسائل لم يشمل بناء صحة نفسية اجتماعية متكاملة.
- 4- أظهرت نظرية الإشباع والاستخدامات أن العلاقة بين الفرد والوسيلة الإعلامية مسألة إلزامية في المجتمع المعاصر الذي يتمتع بصحة نفسية راقية ، ومن أهم الاحتياجات التي يقدمها الإعلام النفسي الاحتياجات المعرفية والاحتياجات العاطفية، والاحتياجات العلاجية.
- 5- النظر إلى الذات من زاوية خارجية للوقوف على مفاهيم الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي.
- 6- معايشة عوالم متعددة تحمل الإنسان عبء الزمان والمكان للوقوف على مفاهيم الصحة النفسية التي يتمتع بها العوالم الأخرى وأهمية العلاج النفسي.

ب/ التأثير السلبي:

- 1- إن أبعاد دور الإعلام في نشر مفاهيم الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي أدى إلى انتشار العنف والجنس والفرقة واللامبالاة وغيرها كثير.
- 2 - تلعب وسائل الإعلام دوراً سلباً بطريقة غير مقصودة بالتشابه مع المجتمعات التي تتصف بالانعزالية الاجتماعية وقلة الروابط الثقافية.
- 3 - تعمل وسائل الإعلام بطريقة غير مقصودة على إضعاف نسيج الاتصال الاجتماعي بتقليص الزمن ، فقد أوجدت الصحف زمن القراءة ، ثم أتت الإذاعة فأضافت زمن الاستماع ، فقللت بعض الشيء من زمن القراءة ، ثم أتى التلفزيون فأضاف زمن المشاهدة ، فقلل بعض الشيء من الزمن السابقين ، ثم أتى الحاسوب والشبكات المعلوماتية فأضافت زمن التصفح ، وهكذا نكون قد اقتربنا من نهاية المحادثة والاتصال الشخصي المباشر.
- 4- قولبت مفاهيم الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي في شكل بضائع متجانسة قابلة للاستهلاك العام .
- 5- تعلق الفرد بوسائل الإعلام المبالغ فيه قد يدفعه إلى التفريط في معالجة واقعه، فتحول انتباهه إلى قضايا قد تكون ثانوية على حساب ما يجري في محيطه المباشر.

6- إن مستويات الاستفادة الإعلامية المعرفية والمعلوماتية تختلف من شريحة اجتماعية إلى أخرى ، فالأكثر معرفة أكبر استفادة إعلامياً من الأقل معرفة ، حيث يتبين أن وسائل الاتصال قد تزيد في تعميق الهوة بين الأكثر معرفة والأقل معرفة .

بعض من محاذير الشكيف الإعلامي :

1- تحميل وسيط الشكيف الإعلامي مسؤولية نشر مفاهيم الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي بطريقة يقل معها التأويل والتعميم من قبل أفراد المجتمع.

2 - دور الإعلام في نشر مفاهيم الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي للناس في كيفية التعامل مع نشر المفهوم من ناحية الدقة وقراءة التفاصيل .

3 - استشارة أهل الاختصاص حول دور الإعلام في نشر مفاهيم الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي الذي يلفت الانتباه فيفكر الناس في تطبيقه أو تداوله كي يبعث على الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي .

4- عدم التعجل في تبني وتصديق أو تكذيب الإعلانات التي تتعلق بمفاهيم الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي المنشورة أو المذاعة قبل الغوص في حقيقتها .

5- التفتيش عن من يقف ويمول البحث العلمي في ذكر حثيات الخبر الإعلامي الذي ينشر مفاهيم الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي، فبائعي التفاح سيمولون الأبحاث التي تمدح التفاح وتذم البرتقال. الإعلام سمة الصحة النفسية : الإعلام مُدونة الصحة النفسية الاجتماعية الضرورية لتنمية المستحدثات والتي بفضلها يمكن التعاطي مع المتغيرات السريعة التي تحدث في العالم حتى يستطيع الفرد التعايش والتكيف والمواءمة معها في أطر مفاهيم الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي، فالسمة الأساسية للإعلام قوته وقدرته على تجاوز الحدود واختراقها والدخول إلى كل بيت في هذه المعمورة، وإلى كل نفس بشرية، في صور من الانبهار والتعجب والإقناع والاستمالة، بالإضافة إلى أنه معلمة مفاهيم الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي. والسمة المميزة للنفس (استقلاليتها) أي من الصعب جداً وضع رقابة تامة وكاملة عليها ، وإخضاعها إلى قرارات خاصة تُقيد حركتها وتسيطر على دوافعها وشهواتها وغرائزها فهي تتأثر بالمعلّمة وتؤثر فيها ولا ننسى أن وراء كل جهاز مهما كان نفساً بشرية تحركه وتديره .

ومن سمة الإعلام أنه يؤثر في النفس البشرية، قد يدفعها إلى الحب وقد يدفعها إلى الكراهية، وقد يزرع بذور التكيف وقد يزرع بذور الفرقة، وقد يحقق الإثراء النفسي وقد يحقق الاتزان النفسي. تشخيص الصحة النفسية البشرية: تبيان الحالة الصحية التي يكون عليها الفرد داخل الجماعة وهي على النحو الآتي:

الفرد الصحيح نفسياً: هو الكائن الحي الإنساني المتكيف بفاعلية مع الآخرين من بني جنسه مستشعراً السعادة والرضا، ويصبح أسلوبه هذا دربه في المعيشة.

الفرد السليم نفسياً: هو الكائن الحي الإنساني الذي يمتلك القدرة والإرادة لمواجهة مواقف حياته **الفرد الخالي من المرض النفسي:** هو الكائن الحي الإنساني الذي يتخذ المواقف الحيادية في التفاعل النفسي الاجتماعي، ينطبق عليه المثل الشعبي الليبي (يا نحلة عسلك ما نبيه*، يا نحلة لا تقرصيني**) **الفرد المريض نفسياً:** هو الكائن الحي الإنساني الذي ليست له قدرة وإرادة على مواجهة المواقف والتفاعلية النفسية الاجتماعية.

أهم خصائص الصحة النفسية:

1- التكامل بين الوظائف النفسية المختلفة.

2- القدرة على مواجهة الأزمات والمواقف السليمة والمنفردة.

3- التوافق النفسي والاجتماعي مع الآخرين.

4- القدرة على تحقيق الذات وتنمية إمكاناته.

5- الشعور بالسعادة والكفاية الشخصية.

المشقة النفسية الاجتماعية: تعرف المشقة بأنها حالة نفسية ذات علامات وأعراض، تتباين في شدتها بتباين قوة المثبرات الخارجية والداخلية، وعندما تزداد شدة هذه الحالة اضطراباً فإنها تعيق توافق الشخص مع البيئة 13 وتصنف المشقة إلى:

1- المشقة النفسية: مثل فقدان الحب ووجود صراعات لدى الفرد

2- المشقة الاجتماعية: مثل القيود الحضارية والتغير التكنولوجي.

3- المشقة الاقتصادية : مثل الفقر والبطالة .

4- المشقة الفسيولوجية : مثل حدوث تغيرات كيميائية في الجسم .

مربع الصحة النفسية: 15 تبيان الأحوال التي تكون عليها الصحة النفسية في أحوالها الأربعة، فُعرف بمربع الصحة النفسية وهي على النحو الآتي :

1 - حالة الصحة النفسية :

حيث تتميز حالة الصحة النفسية بتوافر كل الأضلع تلاؤم، المربع مكوّن من ضلع التلاؤم، ضلع الرضا رضا فاعلية، ضلع التفاعل و ضلع الفاعلية تفاعل

2- السلامة النفسية :

تتميز السلامة النفسية بإمكانية التوافق والقدرة تلاؤم على التفاعل ولكنها تفتقر إلى المبادأة أو الفاعلية رضا × تفاعل

3- الخلو من المرض النفسي : و يتميز هذا المربع الناقص ضلعين بأنه خالٍ من المرض النفسي بإمكانية التوافق و لكن دون التفاعل والفاعلية

تلاؤم ×



تلاؤم

4_ المرض النفسي :

×

×



يتميز المرض النفسي بالافتقار التام إلى

×

الفاعلية والتفاعل

وعدم القدرة على التلاؤم أحياناً ، أو عدم تحقيق الرضا أحياناً


×

×

رضا



، أو الافتقار إلى هذه الجوانب جميعاً

، مما يفسح المجال × لاتضاح مظاهر الاضطرابات الانفعالية أو العصاب أو المشاكل النفسية الناجمة عن ذلك في أشكال عنف وإرهاب وصراعات، وقد يلعب  ×

×

الإعلام الموجه ، والإثارة الإعلامية والتفاعلية الإعلامية على أضلع هذا المربع.

بعض الحقائق الإحصائية عن الأمراض النفسية :نشير هنا في هذا البحث إلى بعض الحقائق الإعلامية التي نشرتها جريدة الخليج اليومية : تقرير منظمة الصحة العالمية " أن ما بين 7% إلى 10% من سكان العالم يعانون من الاضطرابات العقلية " ، كما أشارت الجريدة إلى دراسة لمنظمة اليونيسيف أن 5 أطفال يصابون بالإيدز كل دقيقة وأنه مع نهاية عام 2000م سيفقد حوالي 13 مليون طفل والديهم بسبب وباء الإيدز ، وأن أكثر من 11 مليون شاب مصابون بالإيدز ، هذا إلى نهاية سنة 2000م فكيف الحال ونحن في سنة 2012 م .

ونشرت جريدة الخليج 15/12/1999م، تحذيراً للبيت الأبيض عن الصحة العقلية ، أن امريكياً من أصل 5 يعاني من اضطرابات عقلية ، وأن ثلثي هذه النسبة ترفض استشارة الإحصائيين، وأن الانتحار يعد السبب الثالث للموت في أوساط الشباب ، وأن 1 من كل 10 أطفال مصاب بأحد الاضطرابات العقلية النفسية وبأن 20% فقط منهم يحصلون على العلاج.

وأشارت جريدة الخليج 13/11/1999 م إلى ما أطلقتها منظمة الصحة العالمية في بكين عن حملة إعلامية، هدفها تحسين العناية بالمصابين بالأمراض العقلية والنفسية الذين يناهز عددهم 400 مليون إنسان في العالم أغلبهم من الدول النامية، وبأن العبء سيصبح أكثر ثقلاً خلال 10 سنوات القادمة ، يحرم ثلث سكان العالم حالياً من العلاج، في حين أن في الدول المتقدمة يتوفر العلاج لحوالي 35% فقط لمرضى الاكتئاب، الذين يخشى أن ينتقل من المرتبة الخامسة إلى المرتبة الثانية، وبذلك يكون في قائمة الأمراض المعيقة في سنة 2020 م، ذكرت جريدة الخليج 16/1/2001 م ما ذكرته مجلة توب ساتتية الفرنسية الطبية "" أن 25% من سكان فرنسا يقعون داخل دائرة الاكتئاب، ومن أهم العلامات التي توضح الاكتئاب الشعور بالإرهاق والنوم المضطرب والتفوق على الذات والحزن الدفين وألام الرأس

والمعدة و الروماتيزمية ونخلص إلى أننا أمام تزايد هذا النوع من الأمراض النفسية في المستقبل وخاصة بعد ظهور مجموعة من الإجراءات والأساليب الجديدة من :-

عدم ثبات الوظائف - الاستغناء عن الكثير من الموظفين- تزايد مسؤوليات العمل
كثرة متطلبات الحياة والتي تعتبر من الأسباب الرئيسية للعجز عن العمل .

إسهامات الإعلام في العلاج النفسي: يسهم الإعلام بتقديمه لبرامج العلاج النفسي إلى مساعدة الإنسان للوصول إلى درجة مناسبة من التوافق الشخصي والاجتماعي والنفسي ، مما يساعده علي أن يحيا حياة مشبعة وفعالة ، وهذا يتطلب عدد من الشروط :

1 - أن يكون تقبل الفرد لذاته، على مستوى معرفي وانفعالي ، فإذا استطاع الإعلام تحقيق ذلك ، استطاع الإنسان أن يعيش حياته بصورة مشبعة وفعالة ، بلا مغالاة في مستويات الطموح والآمال ، وبدون إحساس بعجز أو نقص أو إثم بما يهدد فاعليته ومستوى إنتاجه .

2- إسهامات الإعلام أن يكسب الإنسان أساليب أكثر فاعلية لمواجهة البيئة ومطالبها المتعددة
3- إسهامات الإعلام أن يزيد من قدرات الفرد في حل أنواع الصراع النفسي الداخلي التي يتعرض لها الفرد وان يستطيع مواجهه دوافعه ونزعاته .

4- إسهامات الإعلام أن يزداد شعور الإنسان بالأمن النفسي .

أبعاد العلاج النفسي : إن تقييم العلاج النفسي عملية هامة وضرورية وهي تحتاج إلى تخطيط وإعداد برامج إعلامية خاصة يتحدد فيها هدف عملية العلاج النفسي ومضمونها وطرقها . ويتوقف نجاح العلاج النفسي عن طريق الإعلام على عوامل عديدة . أهمها طريقة العلاج ، ونوع المرض ، وشخصية المعالج وأسلوبه وشخصية المريض ومن الأشكال الذي يواجهه الإعلام في هذه العملية العلاجية هو اعتماد العلاج النفسي على العلاقة القائمة بين المعالج وبين المريض والتي تتطلب المقابلة والوجود الشخصي المباشر في غالب الحالات . فالعلاج النفسي أبعاده عديدة ، وطرق علاجه كثيرة أهمها:

1- العلاج الفردي والعلاج الجماعي . 2 - علاج الأسباب وعلاج الأعراض . 3- العلاج التدعيمي .
4-العلاج السلوكي . 5- العلاج النفسي المباشر والعلاج النفسي غير المباشر .

ومن أهم الاختلافات التي تواجه الإعلام في طرق العلاج النفسي :

1- عدم الإجماع علي مفهوم معياري عام لطبيعة العلاج النفسي متفق عليه من قبل المعالجين النفسيين ،وهذا أحيانا ما يثير النقاشات الإعلامية الدائرة حول طبيعة العلاج النفسي، هل هو علم أم فن ، منهج أم ممارسة .

2- اختلافات ترجع إلى شخصية المعالج وأسلوبه .

3- الفروق في طبيعة المشكلات النفسية .

4- اختلافات تسببها محددات خاصة بالمريض.

الدراسات السابقة: يذكر الباحث سلوك العنف كأمثال للدراسات السابقة للاستشهاد به في دور الإعلام في نشر مفاهيم الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي ، فالخوف يرجع من نشر العنف والجريمة من خلال وسائل الإعلام لان المشاهدين والمستمعين والقراء مقبلون عليها بشكل كبير أكثر من غيرها، زمن الآثار التي تتركها مشاهدة العنف ما يلي :

1- رفع حدة الآثار النفسية والعاطفية .

2- تعزيز السلوك القائم بالفعل داخل الفرد .

3- التعلم والتقليد والمحاكاة من خلال المشاهدة والاستماع والقراءة (وسائل الإعلام) .

الدراسة الأولى : تناولت دراسة درويش (2001 م) أثر العنف المشاهد في وسائل الإعلام على السلوك العدواني لدى المشاهد خاصة للمراهقين الذكور، أشارت الدراسة إلى أن أحد أهم الأسباب وراء العنف لدى الشباب ،هو مشاهدة أنماط العنف في التلفزيون باعتبار أن العنف أحد أهم المشكلات التي تواجه المجتمعات في العصر الحالي.16

الدراسة الثانية : تناولت دراسة هوبف(hopf) (2004) 17 تحليل المشكلات الاجتماعية لدى جماعة الأحداث وآثار متغيرات العدوان في مشاهد عنف وسائل الإعلام ، وطبيعة الموقف الاجتماعي، لدى الطلاب في الصفوف من الخامس إلى العاشر في وسائل الإعلام والموقف الاجتماعي، والشخصية والاستجابات الانفعالية للعنف علي الشاشة ،وفي الواقع .

وأشارت النتائج أن تكرار مشاهدة العنف في وسائل الإعلام وأنماط الاستجابة الانفعالية لمواقف العنف الحقيقية والخيالية تعد عوامل أساسية في تكوين ونشوء العدوان لدى عينة الدراسة، ويمكن تلخيص الآثار التي تحدثها هذه المتغيرات في سبعة عوامل هي :

- 1- تكرار مشاهدة العنف في وسائل الإعلام . 2- سيادة الاستجابات الانفعالية لدى المشاهدين
- 3- المعتقدات المرتبطة بالعنف . 4- البغض، الكره، الغضب، كاستجابة للعنف داخل جماعة الرفاق.
- 5- مشاهدة الأباء لأنماط العنف في التلفزيون.
- 6- الغضب والبغض والكره كاستجابة للعنف الوالدي.
- 7- القيم المادية لدى الأطفال.

المحور الثالث : الإجراءات العلمية للدراسة :

مجتمع الدراسة / طلاب وطالبات جامعة طرابلس .

عينة الدراسة / تتكون من طلاب وطالبات كلية الفنون والإعلام / كلية التربية الأقسام الآتية:

قسم اللغة الإنجليزية / قسم علم الاجتماع / قسم علم النفس والبالغ عددها 200.

منهج الدراسة / استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي باعتباره المنهج الملائم لهذه الدراسة

جدول (1) تكرارات عينة الدراسة بحسب الجنس

الجنس	التكرار %	التخصص			المجموع
		علم الاجتماع	الانكليزي	علم النفس والإعلام	
ذكور	التكرار	0	0	20	20
	%	0	0	10.4	10.4
إناث	التكرار	36	82	44	172
	%	18.8	42.7	22.9	89.6
المجموع	التكرار	36	82	44	192
	%	18.8	42.7	22.9	100.0

شملت عينة الدراسة المختارة اختياريًا عشوائيًا على مائة واثنين وتسعين (192) طالبًا وطالبة كان منهم (20) عشرون طالبًا ومائة واثنان وسبعون (172) طالبة موزعين على أربعة تخصصات هي علم الاجتماع، الانكليزي، علم النفس، والإعلام، جدول (1).

جدول (2) التوصيف الإحصائي لعمر عينة الدراسة

المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	أدنى قيمة	أقصى قيمة
21.29	1.63	18	26

وكان متوسط أعمار أفراد العينة أعمارهم (21.29) سنة، جدول (2).

أداة الدراسة: تضمنت أداة الدراسة على سبعة عشر عبارة ترتبط بمحتوى التساؤل الأول للدراسة كان منها أربعة عبارات سالبة الصياغة بينما بقية العبارات كانت ذات صياغة موجبة وقد توزعت الإجابة على العبارات وفق مقياس ذو خمسة بدائل هي (موافق بشدة، موافق، أحياناً، غير موافق، لا أعرف) توزعت عليها الدرجات وعلى التوالي (1،2،3،4،5) إذا كانت العبارات موجبة والعكس صحيح إن كانت العبارة سالبة الصياغة. ولذلك تكون درجة المتوسط النظري (المتوسط المعياري) للعبارة الواحدة تساوى $\{2 \div (5+1)\} = 3.0$ ودرجة المتوسط النظري للعبارة الواحدة هي الدرجة الوسط على سلم درجات الإجابة بينما درجة المتوسط النظري لمجموع عبارات المقياس تكون مساوية إلى حاصل ضرب قيمة المتوسط النظري للعبارة الواحدة مضروباً بعدد عبارات المقياس حيث تكون قيمة المتوسط النظري للمقياس هي $(51.0 = 17 \times 3.0)$. وعندما تكون قيمة المتوسط الحسابي للعينة تزيد عن قيمة المتوسط النظري وبفروق دالة إحصائية فإن ذلك يدل على إجابات عينة الدراسة تدعم صحة التساؤل والعكس صحيح.

صدق المقياس:

للتحقق من الصدق الظاهري للمقياس قام الباحث بعرضه على مجموعة من أساتذة علم الاجتماع وقد أبدى المحكمون ملاحظاتهم على الصورة المبدئية للمقياس حيث أخذ الباحث بالملاحظات وتم تعديل صياغة وحذف عدد من العبارات من المقياس.

إضافة إلى ذلك تحقق الباحث من صدق الاتساق الداخلي للمقياس حيث اختار عينة من مجتمع الدراسة وبواقع (31) طالبا وطالبة وتم تطبيق المقياس عليهم . ومن خلال برنامج الحقيبة الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS تم إيجاد معاملات الارتباط بين كل عبارة والمجموع الكلي للمقياس وقد امتدت قيم معامل الارتباط ما بين 0.583 - 0.810 . مما يعكس قوة البناء الداخلي للمقياس ومساهمة كل عبارة فيه. **ثبات المقياس:** تم احتساب ثبات المقياس بطريقة ألفا كرونباخ وكانت قيمة معامل ألفا (0.788). وهذه القيمة تعتبر عالية تعكس ثبات المقياس.

عرض ومناقشة النتائج :

جدول (3) المؤشرات الإحصائية للزمن المخصص لمتابعة وسائل الإعلام في اليوم الواحد

المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	أدنى قيمة	أقصى قيمة
3.60	1.81	1	8

شملت أداة الدراسة عدداً من الأسئلة التي تؤثر مدى اهتمام أفراد العينة بالتحقيق الإعلامي، وللتعرف على الزمن الذي يخصصه أفراد العينة يوميا لمتابعة وسائل الإعلام المختلفة يتبين من الجدول (3) أن متوسط الزمن كان (3.6) ساعة وهناك فروق واضحة بين أفراد العينة في الزمن المخصص حيث أن قيمة الانحراف المعياري (1.81) ساعة.

جدول (4) طبيعة الأعلام المفضل من قبل أفراد العينة

طبيعة الإعلام	التكرار	%
المكتوب	9	4.7
السمع بصري	39	20.3
كليهما	144	75.0
المجموع	192	100.0

أما بخصوص نوع الإعلام المفضل فقد أشار ما نسبته (75.0%) من أفراد العينة إلى أنهم يفضلون الإعلام المكتوب والسمعي والبصري، ويلاحظ أن قلة من أفراد العينة يفضلون فقط الأعلام المقروء.

جدول (4) مصدر الإعلام المفضل من قبل أفراد العينة

مصدر الإعلام	التكرار	%
المحلي	69	35.9
الأجنبي	15	7.8
كليهما	108	56.3
المجموع	192	100.0

يتبين من الجدول (4) أن ما نسبته (56.3%) من أفراد العينة يفضلون كلا الأعلام الأجنبي والمحلي بينما يفضل ما نسبته (35.9%) الإعلام المحلي والمتبقي من العينة (7.8%) يفضل الإعلام الأجنبي فقط.

جدول (5) مدى توفر الأعلام والاتصال

مدى توفر الإعلام والاتصال	التكرار	%
كل أسر المجتمع	84	43.8
بعض الأسر	33	17.2
القليل من الأسر	9	4.7
لا أعرف	66	34.4
المجموع	192	100.0

وبخصوص مدى توفر الإعلام والاتصال أشار أفراد العينة إلى أن (43.8%) الإعلام وأدوات الاتصال متوفرة لدى كل الأسر بينما أشار (17.2%) إلى توفره لدى بعض الأسر وهناك (4.7%) قد أشار إلى توفره لدى القليل من الأسر، أما بقية أفراد العينة (34.4%) فقد أشاروا إلى عدم معرفتهم، جدول (5).

عرض نتائج التساؤل الأول: "هل للإعلام دور في نشر مفاهيم الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي؟"

جدول (6) نتائج اختبارات لعينة واحدة بين متوسط عينة الدراسة والمتوسط النظري لعبارات مقياس دور الإعلام في نشر مفاهيم الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي.

ر.م	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط النظري	قيمة اختبارات	مستوى الدلالة
1	ف1	3.78	1.231	3.0	**8.736	.000
2	ف2	4.03	.935	3.0	**15.210	.000
3	ف3	3.85	1.116	3.0	**10.605	.000
4(-)	ف4	2.91	1.089	3.0	-1.193	.234
5(-)	ف5	2.40	1.153	3.0	** -7.261	.000
6	ف6	3.05	1.110	3.0	.650	.516
7	ف7	3.13	.989	3.0	1.750	.082
8	ف8	3.58	1.263	3.0	**6.400	.000
9	ف9	3.39	.943	3.0	**5.742	.000
10	ف10	3.30	1.013	3.0	**4.060	.000

.492	.689	3.0	1.047	3.05	11 ف	11
.014	*-2.487	3.0	1.248	2.78	12 ف	(-)12
.000	**5.190	3.0	1.043	3.39	13 ف	13
.730	.345	3.0	1.046	3.03	14 ف	14
.000	**3.926	3.0	1.011	3.29	15 ف	(-)15
.001	**3.335	3.0	1.125	3.27	16 ف	16
.000	**4.255	3.0	1.323	3.41	20 ف	17
.000	**11.405	51	5.60	55.61	مجموع المقياس	

(-) عبارة سالبة

عرض النتائج التي تم الحصول عليها من خلال المعالجات الإحصائية المختلفة والتي تم استخدامها على أساس محتوى كل تساؤل وطبيعة البيانات المتوفرة وفرت للباحث صورة واضحة عن طبيعة دور الإعلام في نشر مفاهيم الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي وقد كشفت معالجات الإحصاء الاستدلالي التي استخدمت للإجابة على تساؤلات الدراسة عن دور الإعلام في نشر مفاهيم الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي. ويتبين من الجدول (6) أن قيم متوسطات عينة الدراسة تفوق على قيمة المتوسط النظري للعبارة (3.0) وعلى عشر عبارات من مجموع السبعة عشر عبارة التي تضمنها المقياس حيث سجل أفراد العينة متوسطات حسابية ذات قيم عالية وبفروق دالة إحصائية عن قيمة المتوسط النظري (3.0) وذلك ما نستدل به من قيم اختبارات حيث كانت دالة إحصائية لأن مستويات الدلالة المثبتة إزاء كل منها كانت جميعها أقل من مستوى 0.05. بينما لم تكن قيم اختبارات دالة إحصائية على خمسة عبارات لأن مستويات الدلالة المثبتة إزاء كل منها كانت أكبر من مستوى 0.05، مما يعني أن أفراد العينة كانت موافقتهم على هذه العبارات الخمسة تقترب جدا من الإجابة الوسط على سلم المقياس (أحيانا) ودرجتها (3). ويلاحظ أن هناك عبارتين (5-12) كانت قيمة متوسطي العينة أقل من قيمة المتوسط النظري (3.0) مما يعكس ضعف موافقة أفراد العينة على تلك العبارتين وكانت قيمة

اختبارت على تلك العبارتين دالة إحصائية لأن مستويات الدلالة المثبتة إزاء كل منها كانت أقل من مستوى 0.05 اما بخصوص استجابة أفراد العينة على مجمل عبارات المقياس والتي توضحها قيمة المتوسط الحسابي لأفراد العينة (55.61) حيث تزيد هذه القيمة عن قيمة المتوسط النظري (51.0). ويتبين من الجدول (6) أن قيمة اختبارت لعينة واحدة (11.405**) كانت دالة إحصائية لأن مستوى دلالتها (0.000) أقل من مستوى 0.05 مما يدل على أن الفروق بين المتوسطين كانت دالة ولصالح متوسط العينة مما يمكن الباحث من الاستنتاج أن أفراد العينة قد أكدوا على دور الإعلام في نشر مفاهيم الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي وهذا ما يجيب على التساؤل الأول للدراسة عرض نتائج التساؤل الثاني "هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0.05 بين أفراد العينة بحسب الجنس في دور الإعلام في نشر مفاهيم الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي جدول (7) نتائج اختبارت لوسطين حسابيين مستقلين في دور الإعلام في نشر مفاهيم الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي بين أفراد عينة الدراسة بحسب الجنس.

المتغير	الجنس	N	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبارت	مستوى الدلالة
مجموع المقياس	ذكور	20	56.750	4.876	.957	.340
	إناث	172	55.482	5.683		

للإجابة على هذا التساؤل تم استخدام اختبارت لوسطين حسابيين مستقلين بين متوسطي لاختبار الفروق بين أفراد العينة، الذكور والإناث، على مجمل عبارات المقياس المستخدم في الدراسة. ويتبين من الجدول (7) أن متوسطي الذكور والإناث متقاربين جدا ولذلك لم تكن قيمة اختبارت (957) دالة إحصائية لأن مستوى دلالتها (340). أكبر من مستوى 0.05 مما يدل على أن الفروق بين المتوسطين كانت غير دالة إحصائية مما يؤشر أن متغير الجنس لم يكن متغيرا ذو تأثير بين أفراد العينة في مدى دور الإعلام في نشر مفاهيم الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي.

عرض نتائج التساؤل الثالث:

هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0.05 بين أفراد العينة بحسب التخصص في دور الإعلام في نشر مفاهيم الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي؟

جدول (8) نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي ANOVA في دور الإعلام في نشر مفاهيم الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي بين أفراد عينة الدراسة وفق التخصص:

المتغير	التخصص	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار ف	مستوى الدلالة
مجموع المقياس	علم الاجتماع	36	54.944	6.164	.734	.533
	إنكليزي	82	56.292	4.942		
	علم النفس	44	55.045	6.740		
	الإعلام	30	55.400	4.810		

للإجابة على هذا التساؤل الثالث للدراسة تم استخدام اختبار تحليل التباين الأحادي لاختبار الفروق بين متوسطات أفراد العينة بحسب التخصص الدراسي، على مجمل عبارات المقياس المستخدم في الدراسة. ويتبين من الجدول (8) أن متوسطات أفراد العينة متقاربة جدا ولذلك لم تكن قيمة اختبار تحليل التباين الأحادي (.734) دالة إحصائية لأن مستوى دلالتها (.533) أكبر من مستوى 0.05 مما يدل على أن الفروق بين المتوسطات الحسابية كانت غير دالة إحصائية مما يؤشر أن متغير التخصص لم يكن متغيرا ذو تأثير بين أفراد العينة في مدى دور الإعلام في نشر مفاهيم الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي .

أهم النتائج:

التساؤل الأول: هل للإعلام دور في نشر مفاهيم الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي؟
النتيجة: أفراد العينة أكدوا على أن وسائل الإعلام لها دور هام في نشر مفاهيم الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي.

التساؤل الثاني: هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0.05 بين أفراد العينة بحسب الجنس في دور الإعلام في نشر مفاهيم الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي؟

النتيجة: لا توجد فروق دالة إحصائية لمتغير الجنس في مدى تأثير دور الإعلام في نشر مفاهيم الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي.

التساؤل الثالث: هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0.05 بين أفراد العينة بحسب التخصص في دور الإعلام في نشر مفاهيم الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي؟

النتيجة: إن متغير التخصص لم يكن متغيراً يشير إلى أن الإعلام له دور في نشر مفاهيم الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي.

التوصيات:

1/ يوصى الباحث باستحداث مهنة خبير إحصائي إعلامي نفسي في كل محطة إعلامية من كل بلد.

2/ توجيه أفراد المجتمع إلى الإعلام الصحيح ونبذ الإعلام الفاسد.

3/ محاولة السيطرة والتحكم في الإعلام.

4/ أن تكون الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي نابعة ومنبثقة من المنهج الإعلامي الذي ينتمي إليه المجتمع.

5/ أن يكون المنهج الإعلامي تكاملياً مع الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي.

6/ أن يكون المنهج الإعلامي قائماً على مشاركة واعية وأن لا يكون أحادياً تسلطياً.

7/ أن يكون المنهج الإعلامي حاملاً للقيم الروحية والأخلاقية التي تدفع بالإنسان والمجتمع إلى الارتقاء والسمو وهو ما يعكس إيجابية الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي سواء على المستوى المحلي أو العالمي.

المقترحات:

يقترح الباحث القيام بالدراسات والمقارنات والتحليل والوصف لأنها مهمة في تحديد النافع من الإعلام وتبيان الفاسد منه مثل :

1/ الدراسات المعمقة في تأثير الإعلام على كل جوانب الإنسانية.

2/ الإعلام في عيون الشباب العربي.

3/ دراسة مفادها " لماذا يتأثر الشباب العربي بمظاهر وسلوكيات الشباب الأجنبي " وليس العكس؟؟ وهل للعلايم دور في ذلك؟؟

4/ دراسة معمقة توضح دور الإعلام في نشر مفاهيم الصحة النفسية وأهمية العلاج النفسي

الهوامش:

1 ، 2 ، 3- مجلة فضاءات ، العدد 29 / 2007 تصدر من دار الأصاله المعاصرة ص43، 45- .
4- حامد زهران ، علم النفس الاجتماعي ، الطبعة الخامسة ، عالم الكتب القاهرة 1984 ص337
5، 6 - محمد منير حجاب ، الاتصال الفعال للعلاقات العامة ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة 2007 ص20_26-

7- مجلة عالم الفكر، المجلد 37 (1) يوليو / سبتمبر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 2008 ، ص130-

8- نايف القيسي ، المعجم التربوي وعلم النفس، دار أسامة للنشر والتوزيع عمان الأردن 2010 ، ص268-

9- مصطفى خليل الشرقاوى ، علم الصحة النفسية، دار النهضة العربية، بيروت، بدون تاريخ ، ص31-

- 10_ محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1993، ص110-111
- 11_ عزالدين أبو التمن، موسوعة علم القياس والتقويم، الجزء العاشر، منشورات جامعة الفاتح 2010، ليبيا ص150-151
- 12_ نفس المصدر السابق ص156-
- 13، 14- زين العابدين درويش، علم النفس الاجتماعي، دار الفكر العربي، القاهرة 1999، ص234-235
- 15_ الشرقاوى، مصدر سبق ذكره ص31-32-33-
- 16- عبدالحميد حسن دويش (2001)، البحث الجنائي المعاصر: المعطيات والمتطلبات، كلية الملك فهد الأمنية: مجلة البحوث الأمنية، العدد 19
- 17_ HOPF ,W.(2004)Media violence,social context,and personality.fur Medium psy chologies,Vol,16(3):99-115
- المصادر والمراجع :**
- أولاً- القرآن الكريم .
- ثانياً- الكتب:
- 1/ ت.أ، ج سكوبلر / ترجمة عبدالحميد صفوت إبراهيم / علم النفس الاجتماعي التحريبي / مطابع جامعة الملك سعود/الرياض 1993
- 2/ حامد زهران / علم النفس الاجتماعي/الطبعة الخامسة/عالم الكتب/القاهرة/1984
- 3/ زين العابدين درويش/علم النفس الاجتماعي /دار الفكر العربي /القاهرة 1999
- 4/ سعد جلال /علم النفس الاجتماعي / الطبعة الثالثة /منشورات جامعة قاريونس بنغازى 1989
- 5/ عبدالرحمن عزى / دراسات في نظرية الاتصال ، نحو فكر إعلامي متميز /مركز دراسات الوحدة العربية -بيروت 2003

6/ عبدالعزيز شرف / وسائل الإعلام لغة الحضارة/ الطبعة الثانية / مؤسسة مختار للنشر والتوزيع / القاهرة
ب.ت

7/ عزالدين أبو التمن / موسوعة علم القياس والتقويم / منشورات جامعة الفاتح 2010/ طرابلس ليبيا

7/ فؤاد البهي / علم النفس الاجتماعي / دار الفكر العربي / القاهرة / ب.ت

8/ محمد منير حجاب / الاتصال الفعال للعلاقات العامة / دار الفجر للنشر والتوزيع / القاهرة 2007

9/ مصطفى خليل الشراوى / علم الصحة النفسية / دار النهضة العربية/ بيروت ب.ت

10/ مصطفى فهمي / التوافق الشخصي الاجتماعي / مكتبة الخانجي / القاهرة 1979

11/ ملفين . ل . ديفلير ، ساندابول ، روكنش / ترجمة كمال عبدالرؤوف نظريات وسائل الإعلام /
الدار الدولية للنشر والتوزيع / القاهرة ب، ت

ثانياً : القواميس :

1/ قاموس علم الاجتماع / محمد عاطف غيث / دار المعرفة الجامعية 1993 / الإسكندرية مصر

2/ نايف القيس / المعجم التربوي وعلم النفس / دار أسامة للنشر والتوزيع / عمان الأردن 2010

ثالثاً : الدوريات :

1/ مجلة عالم الفكر / المجلد 37 (1) يوليو / سبتمبر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب / الكويت
2008م

2/ مجلة فضاءات / العدد 29/2007 تصدر من دار الأصالة المعاصرة

3/ مجلة الإعلام والعصر

4/ جريدة الخليج اليومية

الصراع العثماني الصفوي وأثره في توقف الفتوحات العثمانية في أوروبا

للباحث : عبد السلام عبد اللطيف مفتاح

جامعة الزاوية - ليبيا

المقدمة :

لقد شاء القدر للدولة العثمانية أن تحمل لواء نشر الإسلام في شرق أوروبا منذ القرن الرابع عشر الميلادي، وما كاد القرن الرابع عشر أن ينتصف حتى دانت كل أمصار جنوب شرق أوروبا للدولة العثمانية، وأصبح عندها البحر المتوسط بحيرة إسلامية، وارتفع المد الإسلامي في ظل هذه الدولة، وقد حقق العثمانيون آمال الفتوحات التي استشهد في سبيل تحقيقها المسلمون الأوائل، فتوقف المد الإسلامي عن أوروبا، ولم يبق من المسلمين إلا بقايا تذكارية لذلك العهد في بلاد البلقان مثل البوسنة والمهرسك وبلغاريا وكوسوفا.

ونحاول هنا في هذا البحث أن نكشف بعض جوانب هذه الفتنة بأبعادها الحقيقية، وتبين لنا كيف كان مشعلوها الفرس يحسنون اختيار الوقت المناسب للإشعال، ولعل ذلك يكون لنا درساً وخبرة نستفيد منها.

ولعل من أهم مراحل التاريخ الإسلامي تأثيراً في الأفكار لدى الأفراد والجماعات تلك المرحلة التي شهدت قيام دولتين إسلاميتين متأخرتين في العالم الإسلامي، هما الدولة العثمانية والدولة الصفوية، وقدر لهما أن يكونا آخر صيغتين للدولة الإسلامية الشاملة.

وقد نشب صراع بين هاتين الدولتين من أجل السيطرة والتوسع على مناطق العالم الإسلامي. وبررت كل منهما في صراعها مع الأخرى بوجهات نظر مختلفة، منها التعبئة الدينية، وفقاً للمذهب الشيعي للصفويين والسني للعثمانيين، الأمر الذي أعطى لصراع الدولتين السياسي والاقتصادي في مناطق العالم الإسلامي صبغة مذهبية مما انعكس على أوضاع المسلمين فزادهم تشتتاً وافتراقاً واضطهاداً، وهذا ما عان منه سنة إيران وشيعة البلقان والمشرق العربي، منذ بداية القرن السادس عشر وهو تاريخ انفجار الصراع بين الدولتين، وقد تزامن ذلك الصراع مع ما سمي بنهضة أوروبا وتوسعها في العالم، وهو ما عرف بتقدم الغرب المسيحي وتأخر الشرق الإسلامي. اعتمدت في هذا البحث على المنهج الوصفي للأحداث التاريخية وتحليل تلك الأحداث كلما أمكن ذلك. وقد قسمت البحث إلى ثلاثة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول:

الفتوحات العثمانية في شرق أوروبا:

يعد عهد السلطان سليمان القانوني 1520 م - 1566 م العصر الذهبي للدولة العثمانية، حيث بلغت الدولة أقصى اتساعها وأوج مجدها، وقد لقب الأتراك السلطان بالقانوني لكثرة القوانين التي صدرت في عهده، فإن الأوروبيين لقبوه بالسلطان المعظم؛ لأنه استطاع بالإضافة إلى علمه وعرفانه وتشجيعه للفنون - استطاع أن يحتفظ بهيئته في عصر كان يعيش فيه المشاهير : مثل شارل الأول وفرنسوا الأول وليون العاشر وكريستوف كولومبوس.(1)

ولن تكون هناك مبالغة إذا ما وصف عصره بعصر الفتوح، فقد بدأت في عهده الوثبة الإسلامية الثالثة، ووصلت الجيوش الإسلامية إلى قلب أوروبا بصورة تعيد للأذهان الفتوح الإسلامية الأولى، مع الجدير ذكره أن الطريق إلى أوروبا كان أكثر صعوبة عما سبق، إذ ظهرت عوامل جديدة زادت من حدة الصراع مع القوى الصليبية وزادت من قوة تحديها للدولة العثمانية وأهم تلك العوامل :

- 1- فتح ميادين جديدة للصراع مع المسلمين بالتحالف البرتغاليين حول الجزيرة العربية.
 - 2- دخول قوى سياسية ساحرة للصراع مثل أسرة الهابسبورج في مجر والنمسا وكانت تحلم بإمبراطورية كبرى في شمال بحر الدانوب وكذلك حكام اسبانيا وهولندا.
 - 3- الصراع بين فرانسوا الأول ملك فرنسا وشارلكان حاكم اسبانيا تركة الإمبراطورية الرومانية في ايطاليا.
- هذه العوامل مجتمعة فرضت على الدولة العثمانية أن تدخل في صراع مع الدول الصليبية في ثلاثة ميادين:

1- الخليج العربي والمحيط الهندي والبحر الأحمر.

2- شرق ووسط أوروبا.

3- البحر المتوسط وجنوب غربي أوروبا.

كانت هذه الميادين تمثل نصف الكرة الأرضية تقريباً من حيث المساحة، وفي نفس الوقت كانت تضم أقوى الدول وأشدها ضراوة، لذا كان من الصعب على السلطان العثماني أن يتغلب على تلك الدول، التي كانت تنازله منفردة حيناً ومجتمعة أحياناً أخرى وأن يواجه الصعوبات الداخلية التي قوبل بها عشية توليه السلطنة، ومن أهمها الحركات الانفصالية التي قادها أحمد باشا في مصر وجان بردي الغزالي في الشام.

ومع كل الصعوبات التي واجهته إلا أن السلطان سليمان القانوني استطاع أن يواصل سيرة الفتح في أوروبا وكانت أولى خطواته وأهمها:

1- فتح بلغراد (1521 م):

تعد هذه المدينة الحصينة بمثابة درع يحمي وراءه المجرىون كلما حاولوا معاداة العثمانيين ومن ثم فإن القيام بفتحها يعني حرمان المجر من هذا الدرع، كما أن موقعها المتوسط للقارة الأوروبية جعلها قاعدة صالحة لأنطلاقات عثمانية أخرى إلى قلب أوروبا وقد استغرق حصارها شهراً كاملاً وكان أهم ما يميزه انضمام طلبة المعاهد الدينية الموجودة في البلقان إلى صفوف المقاتلين (2) طلباً للجهاد مما يدل على أن الدولة العثمانية بدأت تجني ثمرة جهودها في سبيل نشر الإسلام في أوروبا.

2- فتح جزيرة رودس:

كانت هذه الجزيرة قد اتخذها جماعة من الفرسان عرفوا باسم فرسان القديس يوحنا، قاعدة لأعمال القرصنة البحرية وكانوا شوكة في جنب الدولة العثمانية مما جعل فتح هذه الجزيرة أمراً حيوياً للدولة من ناحية ولنشاط التجارة الإسلامية من ناحية أخرى، وبالرغم من شجاعة وصمود الفرسان في الدفاع عن الجزيرة وقوة تحصينها فقد استطاع العثمانيون فتحها وإجلاء الفرسان عنها في عام 1523م.

3- اجتياح وحصار فيينا:

تعد المجر عدواً تقليدياً للعثمانيين منذ أن وطئت أقدامهم شبه جزيرة البلقان فهي إما خصم مباشر أو حليفة لخصم، وما أن تم فتح بلغراد اهتزت أرجاء المجر ورأى ملكها أنه هالك، فعقد تحالفاً صليبياً ضم كل جيوش أوروبا وبادر العثمانيون بلقائه في موقعة موهاج 1526م واستطاع الجيش العثماني بفضل إيمان أفرادها وحنكة قادته أن يحرز نصراً ساحقاً على هذا التحالف الذي ضم أكثر الدول الأوروبية قوة حينذاك، وزحف إلى عاصمة المجر بودا فاستولى عليها في 1526/9/11م (3)، وحوّل أكبر كنائسها مساجد وأصبح من حق العثمانيين تولية حاكم المجر غير أن الدخول إلى المجر أدى إلى الاحتكاك المباشر مع النمسا، وكان ملكها فرديناند من آل هابسبورج ومن أبناء عمومة ملك المجر الذي قتل في المعركة لذا كان يرى أنه أحق بعرش المجر من أي حاكم آخر يوليه العثمانيون فانتهاز فرصة عودة السلطان العثماني إلى استانبول وهاجم عاصمة المجر وطرده الحامية العثمانية منها، مما جعل السلطان سليمان القانوني يكرّ راجعاً في عام 1529م، ويسترد ما أخذه فرديناند الذي فرّ هارباً إلى النمسا فتعقبه وحاصر عاصمته وأحكم الحصار وظل يقصف أسوارها طيلة ستة شهور وأصبح قاب قوسين أو أدنى من فتحها وبذلك يكون قد قضى على القوة المناوئة الوحيدة في وسط أوروبا، ولكن تناهت إليه أخبار من الشرق جعلته يرجع إلى استانبول، كانت تلك الأخبار نذر بالخطر الصفوي بشقيه : أ- فتن الباطنية والعلوية. ب- الحروب طويلة الأمد.

ظهور فتن الباطنية والشيعة في الأناضول:-

أطلقت فتن الباطنية برأسها في الأناضول، والجيوش العثمانية لازالت في خنادقها في بوادي موهاج بالبحر، وبالتحديد في شهر ذي القعدة عام 1527 في مكان يسمى بوزوف من أعمال أدنه وقد بدأت بواقعة من الوقائع التي يمكن أن تحدث كل يوم، إذ تقدم شخصان إلى قاضي السنجق من كاتب تحرير الأراضي فلم يحسن القاضي استقبالهما بل أساء إلى أحدهما وكان من الممكن أن يرفع المظلوم شكواه إلى الولاية ويقف الأمر عند هذا الحد، لكن في تلك الأثناء خرج رجل شيعي يعرف بذوي النون، فرفع يده وإذا بحشود ضخمة تلتف حوله، ولم يمضي وقت طويل حتى خرجت جماعات العلويين من كل مكان لتعلن تمرداً على الوالي ويبدو أن هذه العناصر كانت لديها النية المسبقة على إثارة الفتنة للأسباب التالية.

1- أن الشاكين كانوا كما يبدو من اسميهما شيعة، فأحدهما يدعى خوجة بابا والآخر شاه ولي.
2- تزامن هذه الفتنة مع فتن أخرى في أماكن متفرقة شملت مروحة غطت جنوب شرق الأناضول تقريباً، مثل فتنة ولي خليفة ورموز اوغلان في أدنه وكلاهما من زعماء الشيعة وتمرد ينيجه بك في طرسوس. وقد تمكنت القوات الحكومية من إخماد هذه الفتن ببذلها جهداً كبيراً بسبب تميزها بالقوة والقدرة على مواجهة قوات الحكومة.

أما أشد الفتن خطراً وتهديداً لأمن الدولة فقد كانت تلك التي أشعلها الشيخ البكتاشي العلوي اسكندر قلندر جلبي، والتف حوله ما يزيد على ثلاثين ألف علوي قاموا بأعمال السلب والنهب في أرجاء الأناضول ورغم كثرة الحملات التي أرسلها الولاة إليه لم تستطع أن تخمد ثورته فطلب الولاة المساعدة من العاصمة، فخرج الصدر الأعظم على رأس حملة كبيرة ولم يستطع الانتصار على قوات قلندر جلبي إلا بالحيلة وتم إخماد فتنته في 1528م ومع ذلك فإن حبل الفتن لم ينقطع فقط قام شيعي آخر في أدنه عام 1530م منتهزاً فرصة ضعف الأمن في الولاية نتيجة لمرض الوالي وارتدى قلنسوة الشيعة فالتف حوله الألاف وزحفوا إلى مبنى الولاية وقتلوا الوالي. (4)

ولا شك أن هذه الفتن مثل غيرها كانت لها أسباب داخلية ساعدت على إذكاء نارها:

- 1- انشغال الدولة بالحروب وتهيئة كل قوتها لها.
- 2- سوء تصرف بعض موظفي الدولة.
- 3- مصادرة إقطاعيات الفرسان لسبب أو لأخر فأصبح الفرسان الساخطون _ القوة الرئيسية في صفوف المتمردين.

يبدو أن التوقيت واتفاق كل هذه الزعامات العلوية في وقت واحد يلقي بظلال صفوية على هذه الأحداث، لا سيما أن الحرب قامت بين الدولتين في أعقاب هذه الفتن.

المبحث الثاني :

الحرب العثمانية الصفوية الثانية:

من العادات السائدة لدى الحكام المسلمين أن يهنئ بعضهم بعضاً عند تولي الحكم، لكن الشاه إسماعيل الصفوي لم يهنئ السلطان سليمان بتوليته الحكم وكان ذلك إعلاناً من الشاه عن عدم الصفاء والمودة بين الدولتين، وما لبث أن تطور هذا الشعور إلى توتر بينهما بعد إرسال الشاه لوفد يتكون خمسمائة شخص للتهنئة بفتح رودس 1523م ولم يسمح السلطان إلا بدخول عشرين منهم إلى العاصمة واحتجز الباقون خارجها.

تولى الشاه طهماسب الحكم بعد وفاة أبيه إسماعيل عام 1524م ولم يغير من سياسته تجاه الدولة العثمانية ومن ثم لم تتحسن العلاقات بينهما بل زادت سوءاً بلجوء علامة خان أحد أمراء إيران إلى الدولة العثمانية ولجوء شرف خان الوالي العثماني على تبليس بعد هروب واليها العثماني. ولقد ظلت قصة الهروب من طرف واللجوء إلى الطرف الآخر من الأسباب التقليدية لتردي الأوضاع بين البلدين طوال تاريخ الصراع بينهما.

كان استيلاء الصفويين على بغداد واستفاقة حاكمها بالسلطان سليمان سبباً مباشراً لزحف الجيش العثماني قاصداً إيران، خاصة وأن السلطان سليمان القانوني كان يسعى وراء هدفين أساسيين:-

1- تأمين ظهر الدولة العثمانية أثناء حرومها في أوروبا بعد الاتفاق الصفوي البرتغالي ونفوذ الأسطول البرتغالي في الخليج العربي وتهديده للأماكن المقدسة في الحجاز.

2- إعادة صناعة الحرير إلى سابق مجدها بعد أن أصابها البوار نتيجة الحصار الذي فرضه سلفه عليها. وكما هي العادة تبودلت الرسائل بين الطرفين مهددة ومتوعدة واستفتى السلطان سليمان في قتال طهماسب باعتباره مرتداً⁽⁵⁾، وسار الجيش العثماني بقيادة الصدر الأعظم قاصداً تبريز ولم يلتق بالشاه ولا بجيشه فتوجه إلى بغداد حيث دعا السلطان سليمان لدخولها ولضمان تحقيق الهدف الاقتصادي من الحملة توجه سليمان مرة أخرى إلى تبريز، ومثل أمامه مظفر خان محتكر إنتاج الحرير في منطقة جيلان طالباً حماية العثمانيين لتجارة الحرير، إن هذا الطلب ولا شك كان يدل على عدم قدرة الجانب الإيراني على حماية هذه التجارة.⁽⁶⁾

اضطر السلطان للعودة إلى استانبول لأنباء مفادها أن فرديناند ملك النمسا يستعد للهجوم على العثمانيين من جديد فانتهاز طهماسب هذه الفرصة وظهر بجيشه فاستعاد تبريز ومدينة فان مما أدى إلى عودة الجيش العثماني مرة أخرى واستمرت الحرب على هذا المنوال طيلة واحد وعشرين عاماً أي من 1534م _ 1555م، التزم خلالها الجانب الإيراني بأسلوب الكرّ والفرّ، فكان يستعيد بعض ما يحتله

العثمانيون إلا أن العثمانيين رموا بكل ثقلهم في العراق العربي ولذلك استقرّ الأمر لهم هناك وكان ذلك مغنماً استراتيجياً كبيراً لهم ولطمة كبرى وقاسية للعدوين المتفاهمين الصفويين والبرتغاليين.

1- أصبح للعثمانيين قاعدة بحرية متقدمة في البصرة مكنتهم من توجيه ضربات موجعة للأسطول البرتغالي بحيث قاوموا نفوذه في منطقة الخليج طيلة خمسين عاماً، وبفضل هذه القاعدة جاء الأسطول العثماني بعد تطهير سواحل اليمن من الوجود البرتغالي إلى بغداد في 1538م واستطاع بيير رئيس أن يصل بأسطوله إلى سواحل الهند في 1552م ولم ينفك اسطول رئيس عن قطع المسافة بين البصرة والسويس جيئةً وذهاباً حتى تتلاشى نفوذ الأساطيل الأجنبية في المياه الإسلامية، كل ذلك كان له أثره في تشجيع إمارات الخليج على الوقوف أمام النفوذ الأجنبي. (7)

2- تواجد العثمانيين في الخليج العربي قد أضرّ بمصالح الصفويين، فقد فوّت عليهم الفرصة للتحالف مع القوى الأجنبية هناك رغم سعيهم باستمرار لهذا التحالف.

3- أصيبت آمال الصفويين في الزعامة الإسلامية في مقتل باستيلاء العثمانيين على العراق حيث توحد مقدساتهم.

بدأت بوادر الصلح بين الطرفين بعد قيام الجيش العثماني في بثلاث حملات متوالية على إيران ويتضح من خلال الرسائل المتبادلة بين الجانبين في هذه الفترة، أن الجانب الصفوي كان يطمح في الحصول على المراكز الإستراتيجية في شرق الأناضول مثل قارص وديار بكر وأرضروم ولكن الجانب العثماني كان على دراية بنواياه، ومن ثم لم يدع له فرصة لتحقيق مآربه (8) وندرك أيضاً من هذه الرسائل كم كان يهم الجانب العثماني ألا يسب الخلفاء الراشدون الثلاثة في إيران وأن مديح الإمام علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - لا يعني ذم الآخرين.

أولى المعاهدات العثمانية الصفوية:

كان لكل من الطرفين دوافعه لإتمام الصلح فالسلطان سليمان القانوني قد حقق أهدافه كما رأينا ويريد حسم الموقف على هذه الجبهة ولتيفرغ- كما جاء في رسالته - لتحقيق رخاء المسلمين وحماية أوقاف الحرمين الشريفين وحفظ أمانتهما (10).

أما الشاه طهماسب فقد بات لزاماً عليه أن يتفرغ لمشكلات بلاده الداخلية ويؤمن سلامة أراضيه من الأوزبك (11).

وهكذا تم توقيع أولى المعاهدات بين الجانبين في بلدة آماسيا في 12 يناير 1555م.

ونصت هذه المعاهدة على ما يلي:-

- استقر الأمر للعثمانيين في أذربيجان وعاصمتها تبريز وفي شرق الأناضول ومراكزه الحصينة وفي العراق وتعهد العثمانيون لتحقيق أمن وسلامة الحجاج الإيرانيين أثناء أدائهم فريضة الحج في الحجاز، وأثناء زيارتهم لما يسمى عندهم بالعبات المقدسة (12).

- ساد الهدوء على الجبهة الإيرانية العثمانية طيلة خمسة وعشرين عاماً وقع خلالها بعض الأحداث التي كادت أن تعصف بهذا السلام ومنها هرب الأمير بايزيد بن سليمان القانوني إلى إيران وإكرام وفادته في البلاط الصفوي طمعاً في مساومة أبيه ويمكن أن نستشف من ردود السلطان سليمان علي شاه طهماسب، أن الأخير كانت له بعض المطالب بشأن العبات المقدسة وتسهيل وصول النذور والصدقات إليها، وكذا إلى المدينة المنورة (13).

في الواقع إن السلام كان هشاً وقابل للتخلي عنه في أي لحظة، خاصة أن مواطن النزاع كانت كثيرة بحيث يمكن لأي من الطرفين أن يتذرع بها وكان أهمها:-

1- النزاع بين عشائر الحدود وأمرائها وخاصة في منطقة كردستان التي كانت تحكمها العشائر المحلية وتتمتع بشبه استقلال عن الدولة، وكثيراً ما تنازع أمراء هذه العشائر ولجأوا إلى الجانب الإيراني كذلك قبائل البدو حول البصرة (14).

2- هجوم عشائر البدو على القوافل سواء التجارية أو قوافل الحج وكان الهجوم على إحدى القوافل العثمانية المحملة بالحرير من جيلان هي الشرارة التي أشعلت نيران الحرب الثالثة بين الدولتين عام 1577م (15).

3- هجرة القبائل المتمردة ففي إحدى الرسائل المتبادلة بين سليمان القانوني وطهماسب يعد السلطان سليمان بالنظر في أمر القافلة التي هوجمت في طريقها إلى العراق وأمر بعودة القبيلة المهاجرة من بلدة طوسج (16).

وهكذا بدلاً من أن يضع الصفويون يدهم في يد العثمانيين ويقفوا صفاً واحداً لحماية الحرمين الشريفين من الغزو البرتغالي ولتطهير البحار الإسلامية منهم، وضعوا أنفسهم في خدمة الأسطول البرتغالي، لطعن الدولة العثمانية من الخلف ورغم انتصار العثمانيين عليهم فإن الحروب معهم كانت استنزافاً لجهود العثمانيين على الساحة الأوروبية وعرقلة الفتوح الإسلامية. وعلى الرغم من كل المعوقات التي افتعلها كل الصفويون فإن الدولة العثمانية تغلبت عليها في عهد السلطان سليمان القانوني فطهروا البحار من أعداء الإسلام وتعقبوهم حتى سواحل إسبانيا وتمكن القادة الأتراك مثل درغوت باشا وخير الدين بربا روس من ترويع البحر المتوسط، وطرردوا فرسان مالطا من طرابلس الغرب، واتسعت بلاد العثمانيين حتى شملت كل الأراضي الواقعة من بودابست على نهر الدانوب إلى أسوان على النيل ومن الفرات إلى قرب مضيق جبل طارق.

المبحث الثالث :

حرب الأربع والستين عاماً:

على الرغم من بوادر الضعف التي بدت على الدولة العثمانية في أواخر القرن السادس عشر لم تتخل هذه الدولة عن مسؤوليتها الإسلامية، وواصلت فتوحاتها في أوروبا ولو بشكل محدود، إذ استطاع السلطان سليم الثاني (1566م - 1574م) أن يفتح جزيرة قبرص عام 1570م، وأن يلقي بالبنادقة في البحر، بدافع ((تطهير طريق الحج كما ورد في رسالته إلى ساعي الأندلس وقد بعثوا يستنجدون به، وتشير نفس الرسالة إلى الحرب الضروس التي كان العثمانيون يخوضونها ضد الصليبيين في البلقان فإن المسيحيين في بلاد البلقان ما فتئوا يتحصنون في حصونهم وينقضون على المسلمين من حين إلى آخر)) (17).

بيد أن البنادقة وقد أرادوا الانتقام، لذلك عقدوا تحالفاً قوياً مع الأسبان والبابا والنمسا وأنزلوا بالأسطول العثماني هزيمة قاسية في موقعة إيته بجتي (لبانتي عام 1571م)، ورغم هذه الهزيمة استطاع العثمانيون تحقيق انتصارات على الجبهة النمساوية، وتمكنوا من فرض السيادة على إقليم بولونيا متعهدين بحمايتها من الروس عام 1577م، واستطاع محمد الثالث (1594م - 1603م) فتح قلعة أورولو الغربية من بلغراد وكانت قد امتنعت على جده سليمان القانوني وفتحت جزيرة كرين عام 1645م في عهد السلطان إبراهيم الأول (1639م - 1648م) كذلك قلعة نوهزل المطلة على مدينة فيينا عام 1663م.

استطاع العثمانيون تحقيق هذه الانجازات من جانب وأن يصمدوا أمام الهجمات الصليبية على جبهات طويلة وفي مناطق مختلفة من جانب آخر. لكن هنا نتساءل لماذا تحولت الدولة العثمانية من موقف القوة إلى الضعف؟ لا شك أن هناك عدة عوامل طالما أشار إليها المؤرخون نشير هنا إلى أهم تلك العوامل:-

- 1- عوامل داخلية: منها النظم الإدارية وأسلوب الحكم في الولايات التابعة لها وعدم قابلية عناصر الجيش لتطوير رسائلها الحربية وماشابه ذلك.
- 2- عوامل خارجية: دخول الروس حلبة الصراع الدولي وتحالفهم مع النمسا وخروج الدول الاستعمارية لتبحث عن صيد في المياه الإسلامية.
- 3- ولعل أهم تلك العوامل هو الحروب العثمانية الصفوية، إذ كانت هذه الحروب من الشدة وطول الأمد ما يكفي لإثناك الدولة العثمانية وضعفها ومن ثم عدم قدرتها على الصمود في الجبهة الأوروبية مما يعني توقف المد الإسلامي عن أوروبا.

لقد بدأ تراجع المسلمين عن البلقان حيث اضطرت الدولة العثمانية إلى توقيع معاهدة قارلوفجة 1698م، إذ بمقتضاها خرجت دولة المجر من قبضتها ثم توالى الهزائم وتوالى التنازلات، فإذا تابعنا الحروب العثمانية الإيرانية قبل هذا التوقيع لأدركنا تزامن هذه الحروب مع محاولات الدولة العثمانية الوقوف على قدميها أمام الصليبيين من ناحية، وطول أمد هذه الحروب من ناحية أخرى فقد امتدت إحداها لتصل إلى أربعة وستين عاماً ما يمكن اعتبارها متصلة رغم ما تخللها من فترات هدوء هي عبارة عن هدنات قصيرة الأمد ويمكن تقسيم هذه الحروب إلى الجولات التالية:-

الجولة الأولى 1577م - 1589م:

اهتز عرش الصفويين عقب وفاة طهماسب بسبب النزاع بين أفراد الأسرة الحاكمة على العرش، وانقسمت هذه الأسرة على نفسها بين سنة وشيعة واستطاع الجناح السني بزعامة بريهان ابنة الشاه طهماسب بالاستعانة بالعشائر الإفشارية تولية إسماعيل الثاني الذي كان سجيناً في قلعة ألموت، بيد أن جناح محمد خدابنده تغلب في النهاية ليستقر له حكم إيران 1577م - 1587م وكان يكن شعوراً عداً ضد العثمانيين ظناً منه أنهم وراء ما حدث من صراع على الحكم، فضلاً عن سعيه إلى تحقيق تماسك في الجبهة الداخلية بتكتلها لحرب خارجية، بذلك نكون قد أدركنا أن الجانب الصفوي كان متحفظاً لحرب جديدة مع العثمانيين.

وكان المستفيدون من الحرب في الجانب العثماني ليس بالعدد القليل، فقد كان والي أرضروم ووال فان يتطلعان إلى قيادة الحملة، وكان السلطان العثماني يتوقع حرباً سهلة لعلها ترفع من الروح المعنوية لجنوده العائدين من إحدى الهزائم الأوروبية ولذا لم تنجح المساعي التي بذلها الصدر الأعظم محمد صوقللي باشا لمنع الحرب (18).

موقعة المشاعل:

كان هجوم الإيرانيين على إحدى قوافل الحرير العثمانية أثناء خروجها من جيلان سبباً كافياً لاندلاع الحرب. واتجه الجيش العثماني شرقاً فاستولى على تفليس، حيث انضم إليه جيش عادل كراي حاكم القرم، والتحم الجيشان وهزم جيش القرم، مما أدى إلى جرأة الجيش الإيراني فلم يفر من ميدان القتال وحمل وطيس القتال بين الطرفين حتى غشيتهما الليل فلم يأبها به وواصل القتال على ضوء المشاعل ولذا أطلق على هذه المعركة ((معركة المشاعل))، وبلغت خسائر الإيرانيين في هذه الموقعة سبعة آلاف قتيل (19).

لم تحسم نتيجة الحرب لأي من الطرفين واستمرت المفاوضات إلى أن تولى الشاه عباس الأول 1577م - 1627م الحكم بعد تنازل أبيه، وقد أثر الشاه عباس الصلح لأسباب عدة منها:-

- قويت شوكة قبائل الأوزبك فأراد أن يتفرغ للقضاء عليها.
- كسب المزيد من الوقت لبناء جيش قوي.
- لذلك لم يعترض الشاه عباس على شروط العثمانيين للصلح على أساس بنود معاهدة آماسيا 1555م بحيث يحتفظ العثمانيون بما في حوزتهم من مدن بتوابعها(20)، وجاءت أهم بنود معاهدة استانبول الأولى كالآتي:-
- احتفاظ العثمانيين بمدن وأقاليم: تبريز وأذربيجان وقره باغ وكنجه وقارص وتفليس وشهرزور ومهاوند ولورستان.
- توقف الخطباء ودعاة الشيعة عن سب الخلفاء الراشدين والسيدة عائشة (رضي الله عنهم) واحتفظ الجانب العثماني بالأمير الإيراني حمزة ميرز كرهينة خوفاً من إخلال الجانب الإيراني بالاتفاق(21).

التحالف الصفوي الإيراني الأوروبي:

- ظل الجانب الإيراني ملتزماً بالاتفاق مع العثمانيين وإنه لن يفكر في تعكير الصفاء بين الدولتين، فقد تخلى الشاه عباس عن علويته المتطرفة في رسائل بعث بها للعثمانيين حيث بدأ يستهلها بالسلام على الخلفاء الراشدين الأربعة(22).
- في الأثناء تمكن الشاه عباس التخلص من مناوئيه الأوزبك وبدأ يبني جيشه مستعيناً بضابط بريطاني انطوان شيرلي(23) من ناحية، وبدأ اتصالاته مع الجبهة الصليبية لعله يجد حليفاً له ضد الدولة العثمانية من ناحية أخرى، فقدّم عروضاً للأسبان لكي يتقاسم أراضي الدولة العثمانية، فتحصل الأولى على الجزء الأوروبي وتستاثر الثانية بالآسيوي ولم يكن هذا العرض سوى واحد من عدة عروض حملها سفراء إيرانيون إلى دول أوروبية، منها وفد برئاسة السيرانطوان شيرلي إلى كل من البابا وملكة إنجلترا وملوك كل من فرنسا وبولونيا كان ذلك عام 1600م في الوقت الذي كانت الحرب بين الدولة العثمانية والنمسا مشتعلة الأوار(24).

ولم تكن هذه الاتصالات بخافية على السلطان العثماني الذي كتب إلى الشاه قائلاً:

- ((علمنا بتصرفات لا تصدر عن عاقل قط، فلم يعد خافياً علينا أمر سفاراتك إلى الكفرة، ونحن نعرف أيضاً أن الهدف من هذه السفارات هو إرضاء هوى في نفسك وإشباع نزعة توسعية تتغلب عليك، وهي تتفق وأهداف الكفرة الأعداء، إنك مع الكفرة على اتفاق، ومع المسلمين الموحددين في نفاق، توهمت أنك تستطيع أن تغافل سلطان العالم وخادم الحرمين المحترمين، هيهات)) (25).

الجملة الثانية 1603م - 1612م:

- لم ينتظر الشاه عباس نتائج اتصالاته مع القوى الأوروبية حيث سنحت له الفرصة حين شغل الجيش العثماني بأمرين عظيمين:

أولهما خارجي وهي الحرب مع النمسا التي قسمته على أربع جبهات تشمل معظم قارة أوروبا. والثاني داخلي وهو ثورات الجلاليين (26) في الأناضول ثم وفاة السلطان محمد وتولي أحمد الأول 1603م - 1617م الذي لم يكن قد تجاوز الرابعة عشر من عمره.

بعد تبادل الرسائل والتناوب بالألقاب كالعادة (27) باغت الشاه عباس الحامية العثمانية في تبريز واستولى على المدينة، ورغم قيام الجيش بحملتين متواليتين على إيران لم يخفف أي انتصار بسبب ما كان يقع من خلافات بين القادة العثمانيين من ناحية، وتوالي قلاقل الجلاليين من ناحية أخرى، وأخيراً بدأت الحملة العثمانية تحقق بعض النجاح على الجبهة الإيرانية بقيادة قيوجي مراد باشا عام 1610م عندئذ أرسل الشاه يطلب الصلح وفرض شروطه على العثمانيين هذه المرة، فحصل من العثمانيين على تبريز وشيروان وروان مقابل أن يدفع مائتي حمل حريز سنوياً، وكانت تلك أهم البنود التي شملتها معاهدة استانبول الثانية 1612م فضلاً عن البنود التقليدية مثل عدم الاعتداء على القوافل والكف عن سب الخلفاء الراشدين (28).

الجولة الثالثة 1615م - 1619م:

لم يطل التزام الشاه عباس بما قطعته على نفسه في معاهدة استانبول ورفض إرسال الحريز المتفق عليه قائلاً: ((لن أدفع جزية للعثمانيين)) واحتجز نائب الصدر الأعظم الذي كان سفيراً بين الجانبين (29) مما يعني الإعلان عن حرب جديدة وقد حفره لذلك عاملان:

- 1- إخفاقه مع إمبراطور ألمانيا.
- 2- تفاقم الاضطرابات وحركات التمرد بين جنود الانكشارية في الجيش العثماني، تلك الاضطرابات التي بلغت حد عزل السلطان مصطفى الأول.

بدأ الشاه عباس بالمناوشة، وطلب الصلح ثم أعرض، فدخل الجيش العثماني في مدينة تبريز وانسحب فيها عباس إلى أربيل واستولى عليها ثم عاود طلب الصلح بشرط تخفيض كمية الحريز المفروضة على إيران إلى مائة حمل فقط وكانت مطالب العثمانيين كالآتي:

قبول الحدود التي تحدت في عهد السلطان سليمان القانوني دون أي تغيير ومن ثم انسحاب الإيرانيين من حول بغداد وشهرزور إلى سناجق همين ودرنة ودرتنك وتظل هذه السناجق وتوابعها في حوزة الإيرانيين في مقابل أن تظل آخسقه وتوابعها وقلعة قارص وتوابعها في حوزة العثمانيين، وعلى أن يتعهد الجانب الإيراني بعدم الاعتداء عليهما.

شكلت هذه المطالب بنود الاتفاق الذي تم توقيعه بين الشاه عباس والسلطان عثمان

الثاني (1618-1622) عام 1619 (30).

الجولة الرابعة 1624 – 1639م:-

رأى الشاه عباس أن الوقت مناسباً للقيام بعمل عدائي ضد الدولة العثمانية التي كانت تعيش ظروف داخلية صعبة وهو ما عرف في التاريخ العثماني باسم ((هائلة عثمانية)) أي النكبة العثمانية إذ أدى تمدد قوات الانكشارية إلى عزل السلطان عثمان الثاني ثم قتل، تزامن هذا الحدث مع تمرد قائد الحملة العثمانية في بغداد ورفع عصا الطاعة على الوالي العثماني يوسف باشا ثم قام بقتل الوالي وتولية نفسه عليها، ثم لجأ إلى الشاه عباس عندما علم بقدوم الحملة التأديبية، فأنتهز الشاه هذه الفرصة وسارع بالاستيلاء على بغداد وولى صوباشي بكر عليها عام 1624م وأعقبها بالاستيلاء على كركوك والموصل ثم ولاية آخسفة في أقصى الشمال.

حيث تهيأ السلطان مراد الرابع (1623 م – 1639 م) للتصدي لهذا الهجوم كان عليه أن يواجه في الداخل: فتنة الأباضية في شرقي الأناضول والدروز في الشام والانكشارية في استانبول. أما في الخارج: بولونيا وخانات القرم والنمسا. وعلى الرغم من كل ذلك توجه الجيش العثماني نحو بغداد لحصارها ولم يستطع فتحها بل هزم الجيش الإيراني وعاد الصدر الأعظم عام 1627م إلى العاصمة دون أن يحقق شيئاً فعزل من منصبه، ووجهت حملة إلى آخسفة لتحريرها لكن حظها لم يكن أوفر من حملة بغداد، بل تعرضت لهجوم الأباظيين أثناء الانسحاب مما حملها خسائر فادحة.

تولى الصدارة خسرو باشا وكان يدرك أن الجيش العثماني لن يحقق أي انتصار خارج البلاد ما لم يقضي على جميع الفتن الداخلية، لذلك اتبع سياسة القضاء على الأباظيين بعد لجوئه إلى الحيلة، ثم سار بخطى حثيثة إلى مدينة الموصل ليحاصرها لمدة اثنتان وأربعين يوماً وفتحها بعد أن هزم الصفويين في موقعة مهربان عام 1628م ولم يتحرك إلى بغداد إلا بعد أن تم بناء قلعة (كل عنبر) لم يستطيع دخولها بسبب تدمير الجنود وفصل الشتاء البارد فرفع الحصار وعاد إلى الموصل، ولحسم أمر هذه الحرب توجب على السلطان مراد الخروج بنفسه على رأس جيش كبير وقام بتطهير جيوب الفتن في الأناضول ثم سار إلى روان فاستولى عليها عام 1635م، واتبعها بقارص ثم عاد في طريقه إلى استانبول. وفي عام 1637م توجه السلطان على رأس الجيش إلى مدينة قونية للتمويه، منها إلى حلب فالموصل وعسكر بالأعظمية عندها أرسل الإيرانيون طلب الصلح، وأجريت المفاوضات بين الطرفين والتي استمرت قرابة عام انتهت بتوقيع معاهدة قصر شيرين يوليو 1639م وبمقتضاها وضعت حدود تركيا – إيران الحالية وأهم بنودها:

1- عودة العراق إلى العثمانية على أن تكون الحدود من ناحية بغداد على النحو التالي:

أ- يؤول للعثمانيين خانقين ومندي ودرنة والصحارى الواقعة بين درتنك وسرميل ومضارب عشيرة الجات والقرى الواقعة غرب قلعة زنجير وقلعة ظالم وما حولها هذا عدا بغداد وشهرزور والبصرة.

ب- تؤول اريفان إلى الإيرانيين.

2- في الشمال تؤول الأراضي التالية للعثمانيين: قارص آخسقه وفان بلوا حقها ما عدا ذلك يعود للإيرانيين.

3- هدم القلاع المتاخمة للحدود العثمانية وهي قلاع:

زنجير وقو طور وكل القلاع المطلة على قارص.

4- الكف عن سب الخلفاء الراشدين والسيدة عائشة والصحابة أجمعين (31).

هكذا استنفدت هذه الحرب أربعة وستين عاماً من عمر الدولتين كانت الدولة العثمانية تحاول خلالها التصدي لاتفاقات التحدي الصليبية، وكان عهد السلطان مراد الرابع يبشر بالخير، حتى رأى فيه المؤرخون فاتحاً من الفاتحين الأوائل، لكن اختارته المنية في عام انتهاء الحرب العثمانية الإيرانية.

الخاتمة

في ختام هذا البحث الذي ألقى الضوء على جانب من فترة الصراع بين الصوفيين والعثمانيين، وبالتحديد الفترة الممتدة مع بداية القرن السادس عشر وحتى منتصف العقد الخامس من ذات القرن، وما وافق تلك الفترة من أحداث ووقائع، وما ترتب عنها من نتائج، لاسيما ما يخص جنوب شرق أوروبا.

لقد أثر القتال الذي دار بين الدولة العثمانية والصوفيين تأثيراً مباشراً على الدولة العثمانية سواء في المجال العسكري وتقدمها في الفتوحات في أرض أوروبا الصليبية أو في اقتصاد الدولة.

فقد أثر القتال على إيرادات الدولة العثمانية من الجمارك التي كانت تحصلها من العراق القديمة في الأناضول، إذ أقفلت معظم الطرق التجارية القديمة التي سادها الحظر، وصار التبادل التجاري بين الأقاليم الإيرانية والعثمانية محدوداً؛ إذا تخفض إيراد الدولة العثمانية من الحرير الفارسي في حين تحولت سيطرة البرتغال على البحار الشرقية إلى حصار عام لكل الطرق القديمة بين الشرق والغرب عبر الشرق الأوسط التي كانت حينئذ تحت سيطرة الدولة العثمانية.

ولقد استفادت أوروبا اقتصادياً استفادة كبيرة، حيث كان الاقتصاد الأوروبي متأثراً كثيراً بسبب الحصار العثماني لقوافله ومناطق النفوذ التجاري فكسدت التجارة الأوروبية في البر وهذا مما شجع الأوروبيين على القيام بحركة الكشوف الجغرافية لاكتشاف طرق بحرية توصل أوروبا بالشرق.

حتى البحر كان الأوروبيون يجدون في سلوكه مشقة وكانت تجارتهم فيه تتعرض للحصار، وكان العثمانيون قد استطاعوا قطع طريق التجارة القديم الذي يربط أوروبا بالشرق ولم يعد الأوروبيون قادرين على حمل بضاعتهم إلى الموانئ الشرقية للبحر المتوسط وكسد حال تجارة أوروبا الذين كانوا يتاجرون إلى آسيا.

وقد تسببت الكثير من الحروب في أن يرجع القادة العثمانيون من فتوحاتهم في أوروبا ليوقفوا الزحف الصفوي على الأراضي السنية، كما حدث مع السلطان سليم العثماني حينما عاد من فتوحاته في أوروبا ليواجه إسماعيل الصفوي، وكما حدث مع السلطان القانوني حينما حاصر النمسا وكان يدك أسوارها لمدة ستة أشهر وكاد يفتحها، ولكن طارت إليه أخبار من المشرق جعلته يكر راجعاً إلى استانبول، لقد كانت نذر الحظر الصفوي.

الهوامش

- 1- أحمد السعيد سليمان، تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، ج2، القاهرة، 1972، ص 444.
- 2- محمد عبد اللطيف هريدي، الحروب الفارسية العثمانية وأثرها في انحسار المد الإسلامي عن أوروبا، دار الصحوة للنشر، القاهرة، 1487هـ، ص ص59-60
- 3- عبد العزيز نوار، الشعوب الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، 1991، ص ص 146 - 147.
- 4- محمد هريدي، مرجع سابق، ص ص 61 - 62.
- 5- فريدون، منشآت سلاطين، د.م، د.ت، ج1، ص ص 529 - 530.
- 6- المرجع نفسه، ص 532.
- 7- نوال حمزة الصيرفي، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي، الرياض، 1403، ص 145
- 8- فريدون، مرجع سابق، ص 512.
- 9- المرجع نفسه، ص ص 510 - 512.
- 10- المرجع نفسه، ص ص 506 - 507.
- 11- عبد العزيز نوار، مرجع سابق، ص ص 238 - 239 - 241.
- 12- محمد عبد اللطيف، مرجع سابق، ص 65.
- 13- فريدون، مرجع سابق، ص ص 516 - 521.
- 14- أحمد جودت، تاريخ جودت، ترتيب جديد، استانبول، 1302، ج1، ص 28.
- 15- المرجع نفسه، ص 17.
- 16- فريدون، مرجع سابق، ص ص 521 - 523.
- 17- المرجع نفسه، ص 459.
- 18- محمد فريد، الدولة العلية العثمانية، دار الجيل، بيروت، 1977، ص ص 111 - 114.
- 19- رزق الله الصيرفي، تاريخ دول الإسلام، الدار العالمية، ج3، القاهرة، 1908، ص ص 185 - 186.
- 20- فريدون، مرجع سابق، ج2، ص 160.
- 21- علي سلطان، تاريخ الدولة العثمانية، مكتبة طرابلس العلمية، طرابلس، د.ت، ص ص 205 - 206.
- 22- فريدون، مرجع سابق، ص 161.

- 23- كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ت. نبيه فارس ومنير بعلبكي، دار العلم للملايين ، بيروت 1968، ص 503.
- 24- عباس إقبال، تاريخ إيران بعد الإسلام، ت. محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 1990، ص 671 – 673.
- 25- فريدون، مرجع سابق، ص 190.
- 26- محمد عبد اللطيف، مرجع سابق، ص 73.
- 27- فريدون، مرجع سابق، ج2، ص 174.
- 28- محمد عبد اللطيف، مرجع سابق، ص 73.
- 29- المرجع نفسه، ص 73.
- 30- فريدون، مرجع سابق، ج2، ص 172 – 173.
- 31- عبد العزيز نوار، العلاقات الإيرانية العراقية، دار الفكر العربي، د.م، 1974، ص 85 – 86.

الآثار الناتجة عن العولمة في بعدها الاجتماعي على المنطقة العربية

للباحث : الطاهر الواعر علي

كلية الآداب

جامعة الزاوية - ليبيا

المقدمة :

منذ وجود الإنسان على الأرض وهو يسعى لتنظيم حياته في تنظيمات اجتماعية مستقرة ، حيث ظهرت المجتمعات وتكونت العلاقات الاجتماعية ، وبتطور ورقي نمط التفكير ظهرت العلوم المختلفة ومنها علم الاجتماع الذي يدرس التأثيرات والعلاقات الإنسانية المتبادلة والناتجة عن كون الإنسان كائن اجتماعي يعيش في جماعة ولا يستطيع أن ينزل عنها أو يعيش منفردا ، فهو يقضي معظم أوقاته مرتبطا بهم وعلى علاقة معهم .

كما أن علم الاجتماع يدرس " أوجه النشاط التي يحافظ بها الناس على وجودهم خلال صراعهم من اجل البقاء من تعاون وتنافس وصراع وكذا عناصر التراث الاجتماعي والتنظيمات والقواعد التي تحدد علاقات الناس بعضهم ببعض من معرفة وعقيدة وفن و أخلاق وتقاليد وعادات وعرف وقيم ، وهذا يعني دراسة الظواهر التي تنشأ عن وجود الإنسان في المجتمع (1) وتلك الظواهر الاجتماعية تحتاج إلى ما يضبطها وينظمها ، وهذا ما يعرف بالضبط الاجتماعي ، بمعنى أن الضبط الاجتماعي ضروري لتنظيم معاملات وعلاقات الأفراد فهو الوسيلة التي تدعم النظام وتقضي على الجنوح والفوضى في الجماعة ، ويساهم في أداء العناصر الفردية على وظيفتها في المجتمع ويعمل على تحقيق التضامن والتماسك الاجتماعي فيه .

لقد أخذت المجتمعات تتطور بشكل كبير وخاصة في زمن العولمة ، ونتيجة للتقدم العلمي والتقنية الهائلة في مجالات الاتصال أضحت المجتمعات تُصنع وفقا لمواصفات معينة للوصول إلى أهداف محدودة

، كما أن تفرد الولايات المتحدة الأمريكية بالسيادة على العالم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ساعدها على اخذ دور الريادة في هذا المجال ، وقد استطاع الغرب والولايات المتحدة الأمريكية عن طريق استخدام جميع وسائل الاتصال والمعلوماتية أن يقوم بعمليات التهميش وتحييد الأفكار والأنظمة الأخرى ، ونشر القيم والمفاهيم والنظم والأفكار والتقاليد الغربية والأمريكية على شعوب العالم بغية تنميته وفق القالب الغربي الأمريكي ، وطرح بديلا عن ذلك أفكاره وأنظمتها لكن تحت شعارات براءة خداعة مثل العولمة الثقافية والإعلامية واحترام حقوق الإنسان والحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية .

تحديد موضوع الدراسة :

تتناول هذه الدراسة الآثار الناتجة عن العولمة في بعدها الاجتماعي على المنطقة العربية .

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية الدراسة في أنها محاولة للتصدي لآثار العولمة الاجتماعية عن منطقتنا العربية التي تهدف للقضاء على القيم والعادات والتقاليد المعبرة عن واقع المجتمعات خاصة العربية منها وتغريبها والسيطرة عليها بمختلف وسائل الإعلام والثقافة وغرس قيم وأفكار لا تمت للواقع العربي والإسلامي بصلة .

- عدم الاستكانة والتسليم بالأمر الواقع وتحمل المسؤولية تجاه عاداتنا وتقاليدنا وقيمنا العربية والإسلامية الأصيلة ودرء الأخطار التي تهددها .
- تكمن مبررات هذه الدراسة في أنها محاولة لسد النقص الواضح في الدراسة الخاصة بهذا الموضوع .

أهداف الدراسة :

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن الآثار الاجتماعية للعولمة على منطقتنا العربية المستندة إلى وسائل الإعلام الحديثة ، ووسائل الاتصال وشبكة المعلومات التي يستغلها الغرب في تضليل الرأي العام العالمي وتزييف الحقائق وفرض النموذج الغربي الأمريكي كنموذج مثالي للعالم في محاولة للقضاء على الشخصية العربية .

- تنفيذ المقترحات والتوصيات التي نرى بأنها جديرة لمواجهة الآثار الناجمة عن هذه الظاهرة .

وعلى ذلك فان هذه الدراسة ستتعرف إلى :

- 1- البعد الاجتماعي للعولمة .
- 2- آثار العولمة الاجتماعية على المنطقة العربية
- 3- المقترحات والتوصيات

أولاً : البعد الاجتماعي للعولمة :

ويتمثل البعد الاجتماعي في التقارب والالتقاء بين المجتمعات وزيادة الترابط والتفاعل بين الدول والمجتمعات و تحول القوى الاجتماعية من تجمعات أسرية وقبلية وإقليمية إلى مجتمعات دولية " القرية الكونية "، ويعتقد أنصار العولمة والمستفيدين منها في أنها ستساهم في تقدم ورقي البلدان الأقل نمواً من خلال التكنولوجيا والتدفق المعلوماتي والمعرفي الهائل ، كما أنها ستساهم في نشر احترام حقوق الإنسان والحرية والمساواة وحل النزاعات بالطرق السلمية عن طريق المفاوضات وإيجاد دور جديد للأمم المتحدة كما يريد الغرب والولايات المتحدة الأمريكية ، إلا أن ذلك لن يتم بسهولة حيث أن العولمة ليست لصالح الدول الفقيرة والنامية ، فهي لا تعني بالضرورة شيوع الازدهار والرخاء لدى جميع شعوب العالم بفئاتها المختلفة وبشكل تلقائي وحتمي ، لان مقتضيات العولمة هو وقوع تحول اقتصادي لصالح اقتصاد ونظام السوق ، والذي سيتزايد مع نفاذ سياسات التكيف الهيكلي والإصلاح الاقتصادي المصحوب بتقليص الإنفاق العام في المجالات الحيوية الأساسية ، وذلك تبعاً للشروط التي تفرضها مؤسسات الإقراض الدولية ، "السوق والبنك الدوليين" بصفة خاصة ، حيث أن ذلك سيؤدي عملياً إلى استبعاد فئات مهمة من القوى الاجتماعية من هيكل الإنتاج وتراجع حصيلة مكتسباتها الاجتماعية .

وقد ورد على سبيل المثال في تقرير المدير العام لمكتب العمل العربي بأنه من المتوقع أن تنطوي المراحل الأولى للعولمة على ارتفاع معدلات الفقر وكثرة عدد المعوزين وتزايد معاناة الفئات الوسطى من عناصر المجتمع ، بمعنى أن عولمة المبادلات التجارية وانتشار تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وغيرها ، يمكن أن تحمل في طياتها وعوداً بالرخاء والرفاهية ولكن من المرجح أن تشكل مصدر عدم استقرار وتزعزع الأمن في حالة جمود المجتمع من التفاعل معها .. فالتحول إلى العولمة سيزيد من فرص النمو الاقتصادي ولكن هذه العولمة أيضاً مخاطرها وتكاليفها ولاسيما في بعدها الاجتماعي والإنساني (2) .

ومهما يكن الأمر فإن العولمة في بعدها الاجتماعي قد أفرزت العديد من المشكلات نتيجة اتساع الفجوة بين دول الشمال والجنوب من ناحية، والتقدم التكنولوجي الهائل من ناحية أخرى، والتي أضحت مشاكل عالمية أو كما يطلق عليها مشكلات عابرة للحدود القومية، أو بمعنى آخر انتقال هذه المشكلات من المستوى المحلي إلى المجال العالمي، والتي يتطلب علاجها في إطار التنسيق والتعاون بين جميع دول العالم، ومن هذه المشكلات: التلوث، والإشعاع، والإرهاب، المخدرات، الأمراض كالإيدز، الجفاف، الهجرة الجماعية غير الشرعية، التطرف، البطالة... الخ، كما أن هذه المشكلات ليست مقصورة عن الدول التي تتعرض لها بشكل مباشر وإنما تستهدف بل وتصل إلى الدول الغنية المتقدمة أيضا، على سبيل المثال: "إن فرص العمل المتاحة في أمريكا كانت تتناسب طرديا مع مستوى التعليم، وإن احتمالات البطالة كانت من نصيب من لم يكملوا تعليمهم، وحدث من جراء هذا شرح اجتماعي خطير، لأن غالبية الذين فقدوا أعمالهم كانوا من السود أو الأقليات، وادي هذا إلى شعور بالتفرقة داخل المجتمع، وصاحب هذا الشرح الاجتماعي شرح آخر فقد زادت الهوة بين الأغنياء والفقراء واتضح أن خمس المجتمع الأمريكي الأكثر غنى قد زاد غنى 9% بينما زاد خمس المجتمع الأكثر فقرا 5% وازداد بذلك تآكل الطبقة (3) في المقابل، وفي هذه الظروف تنمو شرائح معينة داخل المجتمع، تنتهز الفرصة لتحقيق تراكما ضخما من الدخول والثروات التي لا تأتي من عمليات إنتاجية في الغالب، بل من خلال عمليات المضاربة، وأعمال الوساطة والسمسرة والصفقات المالية، وعمليات الاستيراد والتصدير والتوكيلات الأجنبية، واقتصاد السوق السوداء، وتهريب الأموال إلى الخارج. الخ (4).

هذا بالإضافة إلى ذلك نجد الشركات المتعددة الجنسية تنتهز الفرصة هي الأخرى بإقامة استثمارات في البلدان النامية، بحجة تحسين الظروف المعيشية وتحقيق الرخاء والأمن، ولكن الواقع يبين أن الشركات تستغل تلك الظروف لخدمة أهدافها في الحصول على المزيد من الربح والتي لا شك في أنها لها انعكاساتها الكبيرة على الأوضاع الاجتماعية وهي بمثابة مؤشرات للتنبؤ بالآثار الناتجة عن العولمة في بعدها الاجتماعي والتي منها "تقليص الخدمات الاجتماعية باضمحلال دور الدولة، وبالتالي زيادة اتساع الهوة بين الأغنياء والفقراء، مجتمعات، جماعات وأفراد، مما يقود إلى اتساع نطاق حركات الاحتجاج والاضطرابات، واستفحال ظواهر الجريمة والمشكلات الاجتماعية، إن ما تمت عولمته بالفعل هو بالتأكيد الفقر والظلم الاجتماعي والرشوة والاستلاب الثقافي، وكذلك التضيق على الحريات

والحقوق المدنية " (5) في ظل العولمة تستخدم وسائل الإعلام المختلفة للترويج بقيم العيب والمتعة الفردية المطلقة ، وضرب روح التكافل الاجتماعي والمخدرات وإضعاف القيم العائلية السليمة وغيرها من الأساليب لنشر قيم الانحلال الخلقي التي توجد في الغرب والولايات المتحدة الأمريكية من اجل إضعاف مقاومة الشعوب لهيمنتها " فالولايات المتحدة الأمريكية تستخدم المؤتمرات الدولية لفرض قيمها من اجل الهيمنة على المجتمع الدولي ، فقد أرادت في مؤتمر قمة المرأة الذي عقد في الصين عام 1995 م ، فرض قيم غربية على المجتمعات الدولية في الشرق والغرب ومنها حق الإجهاض وحرية المرأة في التعامل الجنسي قبل الزواج والسماح للشواذ جنسيا بالممارسة اللااخلاقية بشكل علني ومسموح به ، حاولت الولايات المتحدة الأمريكية ترويج كل ذلك باسم العولمة من اجل تفكيك الأسرة وإملاء القيم الأمريكية الهابطة على العالم (6) .

لا شك أن العولمة ليست لصالح الدول الفقيرة والنامية ، وذلك لما ستجره عليها من الويلات والمشاكل خاصة على الصعيد الاقتصادي ، إذ يوضح كتاب "فخ العولمة" .. الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية " : " أن مع النمو العولمة يزداد تركيز الثروة وتتسع الفروق بين البشر والدول اتساعا لا مثيل له : إذ أن 358 ملياردير في العالم يمتلكون ثروة تضاهي 2.5 مليار نسمة من سكان المعمورة أي ما يزيد قليلا عن نصف سكان العالم ، وان خمس قوة العمل سيكفي لإنتاج جميع السلع ، ولسد حاجة الخدمات الرفيعة القيمة التي يحتاج إليها المجتمع العالمي ، إن هذه ال 20% هي التي ستعمل وتكسب المال وتستهلك ، أما ال 80% من الطبقة السفلى فستواجه بالتأكيد شيئا آخر ، فالمسألة ستكون في المستقبل إما أن تأكل أو تؤكل !! (7) .

وحسب الإحصائيات التي أجريت في ألمانيا أدت العولمة إلى ارتفاع نسبة البطالة بحيث وصلت عام 1997 م إلى 8% أي ضعف ما كانت عليه عام 1994 م (8) .

إن ما تمت عولته بالفعل هو بالتأكيد الفقر والظلم الاجتماعي والرشوة والاستلاب الثقافي وكذلك التضيق على الحريات والحقوق المدنية إن القاعدة الاقتصادية التي تحكم اقتصاد السوق هي إنتاج أكبر قدر من السلع بأقل قدر من العمال ، فما ينتج عنه تسريح العمال والموظفين وتفشي البطالة ، حيث يؤكد عاطف السيد أنه " في السنوات الأخيرة عملت 500 شركة من كبرى الشركات العالمية على

تسريح (400.000) أربعمائة ألف عامل في المتوسط كل سنة ، على الرغم من أرباحها الطائلة كما أن بعض القطاعات الأكثر رواجاً في مجالات الالكترونيات والإعلام لا تحتاج إلا إلى عدد قليل من العمال ... إن التقدم التكنولوجي يؤدي في إطار العولمة إلى ارتفاع معدل البطالة (9) العولمة تلغى الدولة ، وتعادي الديمقراطية ، وتسلب رجال السياسة وظيفتهم وتسلم أمر القيادة إلى أصحاب رؤوس الأموال وجماعات المصالح ، وتفسح المجال رجباً أمام انتعاش الأموال والمخدرات والأسلحة وتحويل سكان العالم إلى مجتمع عالمي للاستهلاك بهدف الريح فقط وزيادة الأثرياء ثراءً ، ولا يهم بعد ذلك أن يموت الملايين من البشر فقراً أو مرضاً أو جوعاً ، وكان طبيعياً أن ترتفع الأصوات ضد العولمة في سياتل وجنوة وجنيف ، وبراغ وتأسست تحالفات ، ونشطت منظمات ترفض تسليع القيم والثقافة وتدعو إلى أنسنة العولمة ، وتطرح أفكاراً لعولمة من نوع جديد يكون فيه مخدمواً لا خادماً.

ثانياً : آثار العولمة الاجتماعية على المنطقة العربية :

العولمة ظاهرة موضوعية صنعتها أوروبا وعمقتها الولايات المتحدة الأمريكية ، وهي نتاج النظام الرأسمالي وأبرزت تجلياتها الثورة العلمية والتكنولوجية .

وبالرغم من بعض مزايا العولمة الاجتماعية حيث تسعى إلى إقامة نظام أكثر يسراً وإشباعاً للحاجات وأفضل من حيث ظروف المعيشة ، وتغير نظرة المجتمعات والأفراد لقيمة الوقت والزمن ، فقد أثارت بعض المخاوف ومنها أنها أحد تخفيض العمالة وتقليل برامج الرعاية الاجتماعية ، كما أن من مظاهرها تعميق التفاوت بين الدول وبين طبقات المجتمع وبين الأفراد ، كما تعمل على سحق الهوية الوطنية وإعادة تشكيلها في هوية عالمية يفقد فيها الفرد ولائه وانتمائه .

في ظل سيطرة الشركات المتعددة الجنسية أدت العولمة إلى تحقيق اندماج بين الاقتصاديات والمجتمعات العالمية ، فإنها في الوقت نفسه قد أثرت بشكل متباين على مستويات معيشة الناس في كل أرجاء العالم ، بالإضافة إلى تفتيت العديد من المجتمعات والثقافات ، الأمر الذي أدى إلى سياسات منددة ومناهضة للعولمة نفسها مع أننا " نعيش عالم واحد " عالم تقلصت فيه المسافات والحدود ، وتقابلت فيه المجتمعات وارتفعت قضاياها ومشكلاتها من المحلية إلى العالمية ، إلا أن هذا العالم هو في الواقع قائم على التعدد والتنوع ، وهناك بلا شك نظريات وأفكار وثقافات وديانات محلية وعلمية مختلفة

، وكلها تشكل طرق ورؤى مختلفة للعيش في هذا العالم ، الذي سيظل قائما على التنوع والتعدد مهما بلغت درجة التوحد الاقتصادي أو تكشفته في العلاقات الاجتماعية أو تقلصت فيه المسافات.(10)

إن العولمة ستؤدي حتما إلى زيادة الطلب على الأيدي العاملة المهرة مما سيؤدي إلى مزيد من البطالة عند غير المهرة ، كما أنها ستؤدي إلى تغيير أنماط الاستهلاك بحيث تصبح السيارة والإذاعة المرئية والهاتف الجوال مثلا شيئا أساسيا في حياة الفرد ، وهذا بالتأكيد سيساهم في ارتفاع أسعار السلع لهذه المنتجات ، وكل ذلك سيؤثر بالطبع على الطبقات الفقيرة ، وتزداد أحوالها بؤسا وشقاء " وفي هذه البلدان النامية عامة والعربية خاصة ، فان الجهل والفقر يزيدان متغيرات أخرى لمتغيرات التكنولوجيا الحديثة مما يجعله أكثر خطورة على حياة المجتمع ، لعل أهم هذه المنتجات يتمثل في الانبهار بكل ما هو غربي ، والتقاليد والمحاكاة ، وعدم إمكانية التعامل بشكل صحيح مع وسائل التكنولوجيا المتطورة . ذلك وغيره أدى إلى انسياق تلك المجتمعات مع ذلك التيار الجارف دون معرفة أين ومتى وكيف يتم الوصول إلى المحطة القادمة (11) .

العولمة تؤثر في العمالة من خلال أثارها المحتملة على الاستثمار وطلب العمل ، كما أن امتداد حماية المخترعات قد يزيد من الاحتكار ويرفع تكلفة السلع الأساسية مثل الغذاء والدواء التي سوف تلحق الضرر بسكان الدول العربية وخاصة ذوي الدخل المحدود والفقراء حيث أن معظم براءات الاختراع موجودة في الدول المتقدمة .

هذا وتجدر الإشارة إلى أن النظام الليبرالي الجديد في الوقت الذي يبشر فيه بحرية السوق والتجارة ورفع أو وضع القيود الجمركية وكل ما من شأنه فتح الأسواق أمام منتجات الدول الغربية، فانه يضع القيود أمام المحجرة لغرض العمل، وخاصة أمام المهاجرين من الأقطار العربية، فهو يسمح بفتح الحدود أمام انسياب السلع والبضائع وقلها أمام الراغبين في العمل مما يؤكد ممارسة الاضطهاد والعنصرية الغربية.

إن الغرب يستفيد من وسائل الاتصال والتقنية العالية ، ولاسيما تلك المتصلة بالقنوات التلفزيونية والمحطات الفضائية ، فضلا عن انتشار وسائل الاتصال الحديثة من الشبكة العالمية " الانترنت " إلى القنوات الفضائية حيث تلعب وسائل الإعلام دوراً فعالاً في الحياة الاجتماعية ، وتؤثر على الأفكار

والاتجاهات والسلوك ، كما إنها تجعل الأفراد يتعرفون وفق الأسلوب الذي تريده ، ويرى البعض أنها ليست إلا أداة قد تستغل في تحقيق الأهداف الشريرة ، وتأخذ وقت الناس في أمور تافهة غير مهمة من خلال الإشارات والدعاية ولا علاقة لها بالتنمية والتغيير الاجتماعي إلا في حالات ضيقة ، ولذلك حذروا من تأثيراتها السلبية ، نتيجة لما تبته هذه المحطات من المسلسلات والأفلام المليئة بصور التحلل الأخلاقي والصراعات وأعمال العنف بهدف التأثير في قيم الشباب العربي والإسلامي حيث لم يعد هناك من سبيل لحماية شبابنا من أثارها السلبية ونتائجها المدمرة على عقولهم وأفكارهم ومعتقداتهم ، وتحطيم الروح المعنوية والتأثير فيهم مما يؤثر سلبا في المجتمعات العربية والإسلامية في تماسكها وتقاليدها وعاداتها وقيمها الإنسانية الأصيلة . هذا وتجدر الإشارة إلى انه قد بدأنا نلمس آثارها السلبية على حياتنا الثقافية والاجتماعية نذكر منها على سبيل المثال : القضاء على الكثير من العادات والتقاليد والقيم والأخلاق العربية الأصيلة ، وحل محلها العادات والتقاليد الغربية في المناسبات الدينية والقومية والاجتماعية ، والخطر الأهم هو أننا فقدنا الإدراك بامتلاكنا لموروث ثقافي واجتماعي كأمة عربية وإسلامية لها حضارة عظيمة .

نتائج الدراسة :

من خلال ما تقدم في هذه الدراسة يمكننا استخلاص النتائج التالية :

- من آثار العولمة الاجتماعية تحقيق الهيمنة والتبعية والتنكر لمفاهيم المساواة والعدالة الاجتماعية التي يروج لها منظرو العولمة .
- الزيادة المستمرة في عدد الفقراء نتيجة للسياسة الاقتصادية للعولمة في خفض الدخل والارتفاع المستمر في عدد البطالة وتقليل برامج الرعاية الاجتماعية في اغلب البلدان العربية .
- ارتفاع نسبة الأمية وتدني مستوى الرعاية الصحية بسبب خفض الإنفاق على التعليم والصحة .
- من أثارها الاجتماعية القضاء على القيم الأخلاقية الإنسانية العربية الأصيلة ، وانتشار بعض أنماط السلوك الاجتماعي الغربي ، والأفكار والقيم المشوهة التي لا تتماشى مع القيم العربية والإسلامية وقد أسهمت ثورة الاتصالات والمعلومات والتقدم المتزايد في مجال الإعلام إلى نشر هذه الأنماط السلوكية بغض النظر عن مدى القبول أو الرفض لها .

ثالثا : التوصيات والمقترحات

من خلال ما تقدم دراسته لمسنا آثار العولمة وانعكاساتها على المجتمعات العربية ولمزيد من العمل والجهد في هذا السياق ، نشير إلى بعض المقترحات التي تساهم في مواجهة الآثار الاجتماعية التي تفرضها ظاهرة العولمة وهي على النحو التالي :

- 1- العمل على الاهتمام بكافة مجالات التنمية البشرية ، لرفع مهارة الأيدي العاملة ، واعتماد البرامج العلمية ، والاستفادة من المعلومات والتكنولوجيا المتطورة مواكبة حركة التقدم العلمي في كافة المجالات .
- 2- العمل على إعادة النظر في النظام التربوي القائم والارتقاء بالتعليم في البلاد العربية ، بهدف تغيير الفرد الإنساني وتربيته لتغيير الواقع والبنى والهياكل القائمة .
- 3- العمل على توعية المواطن العربي ، وتنمية روح الانتماء والولاء والعطاء للأمة العربية ، وترسيخ القيم والمثل الدينية والخلقية والوطنية والقومية ، والوقوف ضد كل ما يهدف إلى تهميش وعي المجتمع العربي ، ونبذ إتباع نهج التقليد الأعمى وإبعاده عن قضايا الأمة العربية وما يحاك ضدها من مخططات يسعى إليها الغرب والولايات المتحدة الأمريكية عبر وسائل العولمة المختلفة التكنولوجية والاقتصادية المختلفة .
- 4- يتطلب من كل الدول العربية بذل الجهود من اجل محاربة التطرف وتجديد الخطاب الديني، وتحديث وتطوير الجهاز الإعلامي وتقويته والاستفادة من التكنولوجيا الحديثة وثورة الاتصالات والمعلوماتية في الدعوة للإسلام والتوعية به ، وإيجاد موقع إسلامي متميز وموثوق به عند المسلمين وغيرهم قادر على أن ينافس الآخرين ويتفوق عليهم ، إضافة لذلك تنمية روح التحاور والتواصل مع الديانات والثقافات الأخرى .

الهوامش والمراجع

- (1) ميلاد الهادي ابوراس ، الفضاء الإفريقي والعولمة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، أكاديمية الدراسات العليا ، طرابلس ، 2009م ، ص 49 . نقلا عنه .
- (2) تقرير المدير العام لمكتب العمل العربي ، العولمة وآثارها الاجتماعية ، مؤتمر العمل العربي ، الدورة الخامسة والعشرين ، الأقصر ، 1998م ، ص 11
- (3) حسين كامل هياء الدين ، الوطنية في عالم بلا هوية ، تحديات العولمة ، دار المعارف ، القاهرة ، 2000 م ، ص 77 .
- (4) عبد الرشيد عبد الحافظ ، الآثار السلبية على الوطن العربي ، مكتبة المدبولي ، القاهرة ، 2005م ، ص 61 .
- (5) رجب ابو دبوس ، مواقف 8 ، دار النشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ، 1998 م ، ص 87
- (6) ليث عبد الحسن جواد ، المضامين الاجتماعية للعولمة ، مجلة دراسات ، العدد الرابع ، مركز الدراسات ، طرابلس ، 1999 م ، ص 48 ،
- (7) محمد عمر الحاجي ، العولمة ام عملية الشريعة الإسلامية ، دار المكتبي الجامعية ، دمشق ، 2002م ، ص 28 .
- (8) المرجع السابق ، ص 28
- (9) عاطف السيد ، العولمة في ميزان الفكر ، فلمنج للطباعة ، القاهرة ، 2002 ، ص 79 .
- (10) ميلاد الهادي أبوراس ، المرجع السابق ، ص 52 ، نقلا عنه .
- (11) مولود الطيب ، العولمة والتماسك المجتمعي في الوطن العربي ، مركز الدراسات ، طرابلس ، 2005 م ، ص 280 .

تحليل عناصر المناخ ودورها في تحديد مناطق الراحة والاستجمام

السياحي في ليبيا

د. عبدالفتاح المبروك محمد كريدغ

جامعة الزاوية - ليبيا

المقدمة :

يتناول البحث تحديد جهود الإنسان في معرفة تأثير المناخ بعناصره المختلفة ومدى ارتباطها بظروف حياته المباشرة، حيث تركزت محاولاته سابقاً في إيجاد تفسيراً لهذا التأثير، لكنها ظلت محدودة النتائج لقلّة البيانات والمعلومات اللازمة عن المناخ بعناصره المختلفة، فمن خلال تجاربه استطاع التعرف على بعض جوانب هذا التأثير، وحماية نفسه من سلبياتها، ما دفع به إلى اللجوء للاحتماء بالكهوف من حر الشمس صيفاً أو البرد القارص شتاءً، وجعله اليوم يضاعف هذه الجهود بشكل أكبر لتفسير الظواهر المناخية تفسيراً أكثر دقة، باستخدام ما استطاع عقله البشري ابتكاره من وسائل وأدوات بعضها ميكانيكي يتمثل في توفير الآلات والمعدات المحسوسة⁽¹⁾، وبعضها الأخر تجريبي رياضي يتمثل في استخدام البرامج الإحصائية والمعادلات الرياضية بغية التعرف عن التأثيرات الإيجابية والاستفادة منها في خدمة مصالحه ومجالاتها المتنوعة، وتجنباً للتأثيرات السلبية المعيقة للنشاطات البشرية، دفعت بدول العالم النامية والمتقدمة إلى تحميل وتنمية مناطقها السياحية، لاستثمارها في الجذب السياحي وإعادة التوازن البيئي بها، حتى تحضى بإعجاب الزوار والسياح الراغبين في زيارتها لاعتدال مناخها وغناها بالنباتات الطبيعية، والحيوانات البرية والطيور المهاجرة، وروعة المظاهر الجيومرفولوجية، من جبال وهضاب ومنخفضات وأودية وأحاديث وكهوف ومخروطات بركانية وتلال صخرية وكثبان رملية، وما تزخر به من مواقع لحضارات تاريخية متعاقبة، وقد تكون هذه المناطق مساحات من الأرض أو منابع من المياه أو أراض من الجزر البحرية، التي غالباً ما تعيش فيها كائنات حية نباتية أو حيوانية برية أم بحرية، إضافة إلى بعض الظواهر الطبيعية، ذات قيمة ثقافية وجمالية تتطلب المحافظة على مورثها الثقافي ونظامها البيئي⁽²⁾.

تمتلك البلاد خصائص مناخية معتدلة تتمثل في صفاء الجو ودفء الشواطئ وسطوع الشمس ومما عكس التنوع في البيئات الجغرافية المنتشرة فيها، من بيئة بحرية، تمتد على طول الرصيف القاري، تشتهر بكائناتها الحية النباتية والحيوانية ذات الأنواع المختلفة، وبيئة ساحلية ممتدة بمحاذاة الساحل، وافرة

بغطائها النباتي، وبيئة جبلية تمتد على أطرافها وبوسطها، وأخرى صحراوية تغطي أغلب مساحتها، فهذا التعدد والتنوع لاشك انه ناتج عن تنوع ظروف المناخ⁽³⁾.

إن مفهوم السياحة مرتبط بمفهوم الراحة فكلاهما مرتبط ارتباطاً وثيقاً بمفهوم الترفيه والاستحمام، الذي يعنى كل منهما إعادة البناء والتجديد للإنسان وقدراته، حتى يؤتى الراحة النفسية والعقلية والجسدية المطلوبة للعمل، فهو يحتاج إلى الراحة والترفيه بعد قضاؤه فترة من العمل المضني الشاق، وفي بيئته المحلية فهو محتاج بعد العناء والتعب إلى الراحة والتغيير في نمط حياته داخل وخارج بلده، فتزداد الراحة مع زيادة التوازن والتجديد في نمط الحياة المعتادة⁽⁴⁾.

وتوجد أنماط من السياحة ذات مجالات ومعايير متنوعة، يتركز موضوعها الأساسي على صناعة السياحة، التي يجب أن تتحقق بتدابير ناجحة واستثمار مدروس ومتقن، وأن تُبنى على مدى تلاؤمها مع ظروف المناخ نتيجة لارتباطها به من خلال أحساس الإنسان بالراحة والمتعة لوضوح الرؤية أو لهبوب رياح متوسطة السرعة أو لبلوغ الرطوبة نسب متوسطة مع تسجيل حرارة معتدلة وما يرافقه من صفاء للجو وحسن جمال المنظر، وسهولة الحركة والتنقل، فالبلاد تمتلك خصائص تطوير هذه الصناعة، ومن ثم تطوير السياحة، واستغلال مواردها بشكل صحيح، حتى يصبح قطاعاً إنتاجياً يضاف إلى بقية القطاعات الاقتصادية الأخرى⁽⁵⁾.

فمساحة البلاد الواسعة، والتعدد في المظاهر الجيومورفولوجية الطبيعية، والموقع الجغرافي المهم قد أسهم في خلق تنوعاً في ظروف المناخ والطقس، ما بين مناخ البحر المتوسط الذي يغطي الشريط الساحلي الشمالي من البلاد، والمناخ الجبلي الذي يسود فوق بعض المرتفعات، والمناخ الانتقالي الشبه الصحراوي الذي يسود خلف تلك المرتفعات، والمناخ الصحراوي الذي يسود أغلب مساحة البلاد، وهو ما يشجع على نجاح السياحة الصحراوية المعول عليها مستقبلاً ما دفع بالباحث إلى تحليل عناصر المناخ في ليبيا وبيان دورها في تحديد مناطق الراحة والاستحمام في ثمانية مواقع شملها الاختيار لتكون مناطق للدراسة، حيث تنوع على معظم مساحة البلاد⁽⁶⁾ وسيتم التركيز في هذا البحث على تحليل العناصر المناخية المتعلقة بالحرارة والرطوبة والرياح، ثم يتم تطبيق المعادلات الرياضية فيما بعد على هذه العناصر.

مشكلة البحث:

تتمحور مشكلة البحث في تحليل عناصر المناخ المتمثلة في درجات الحرارة وسرعات الرياح ومعدلات الرطوبة النسبية باستخدام المعادلات الرياضية التي من شأنها المساعدة في زيادة فهم الظاهرة المدروسة رياضياً وتأكيدها إحصائياً بغية الاستفادة من دراستها وتحليلها بعمق يزيد من إيضاح الأفكار التي يتم التوصل إليها، فتحليل عناصر المناخ من حرارة ورياح ورطوبة جوية لمعرفة تأثيرها على الراحة والاستحمام للإنسان ونشاطه السياحي وتحديد المناطق الصالحة، ومعرفة الأوقات والفصول الأنسب

للقيام به يحتاج إلى استخدام معادلات رياضية عدة، حتى يقضي الزوار والسياح أوقات ممتعة لا تواكبها مشاكل صحية أو بيئية كحصول ضربات الشمس والإرهاق الجسمي والخمول، أو البرودة الشديدة التي تحد من الحركة والتنقل خاصة بالمناطق المرتفعة، وإذا ما أخذت مثل هذه المشاكل بعين الاعتبار من خلال الدراسة والتحليل المفصل وحظيت بالاهتمام الكافي فإنها قد تهدد بفشل الموسم السياحي بكامله، وما يرافقه من عزوف السياح على القدوم إلى مثل هذه المواقع، ما يترتب عنه خسائر مالية كبيرة قد تلحق بالاقتصاد الوطني من جراء ذلك النقص في المعلومات المطلوبة لخدمة النشاط السياحي الإنساني، لذا قام الباحث بتسليط الضوء على تأثير عناصر المناخ في تحديد مناطق الاستجمام والراحة في ليبيا.

أهميته:

تكمن أهمية البحث في تحليل عناصر المناخ، وبيان مؤشرات الراحة والاستجمام، والسياحة البيئية ببعض المناطق الليبية وتحديد مؤشرات وتأثيراتها على الإنسان في ثماني محطات مناخية موزعة على مختلف أرجاء التراب الليبي، ومعرفة دورها في التنمية السياحية والتوازن البيئي، ومعرفة الأوقات الأنسب والمواسم الأصلاح لقيام النشاط السياحي، والتطرق إلى فهم واقع البيئات الجغرافية الملائمة لقيام الأنشطة السياحية، وتحديد الصعوبات المناخية التي تواجه النشاط السياحي وتعيق سبل نجاح مواسمه، وتكمن أهميتها أيضا في تقديم نتائج قد تفيد في عمل دليل سياحي مناخي للبلاد، وكذلك تفهم الواقع الحالي والمستقبلي للسياحة.

أهدافه:

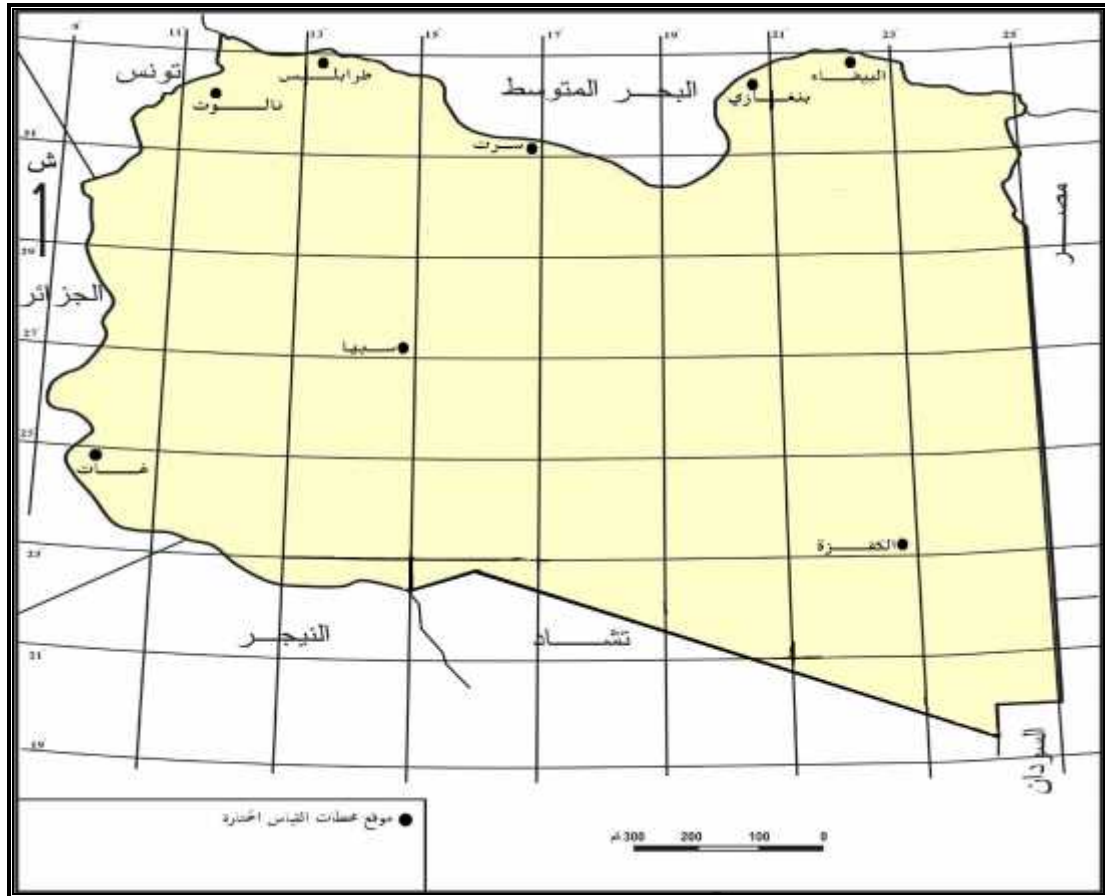
يهدف هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- 1- تحليل بعض العناصر المناخية ومعرفة دورها في النشاط السياحي وبيان دورها في تحديد المناطق الصالحة للنشاط السياحي، والأوقات الأنسب للراحة والاستجمام في البلاد.
- 2- تقدير مؤشرات الراحة والاستجمام، والفترات الأنسب للسياحة في المحطات المختارة للقياس.
- 3- إبراز الفروق الحرارية للمناخ وتحليل أسبابها وتحديد مستوياتها السنوية والفصلية والشهرية بين المحطات المدروسة في المنطقة.
- 4- بحث خصائص الرطوبة النسبية والرياح من حيث توزيعاتها ومعدلاتها السنوية والفصلية والشهرية.
- 5- تحديد الخصائص الفصلية للمناخ السياحي، والتوصل إلى نتائج يمكن أن تساعد في تصميم أطلس مناخي سياحي لعموم أراضي البلاد يستفاد منه في تحديد بداية ونهاية الموسم السياحي السنوي.
- 6- محاولة وضع حلول لتفادي بعض الظروف المناخية غير المناسبة لقيام النشاط السياحي.

الحدود المكانية والزمانية:

تقتصر حدود البحث على الأراضي الليبية الواقعة في الوسط الشمالي للقارة الأفريقية بين خطي طول (9° - 25°) شرقاً وبين دائرتي عرض (45° - 18° : 33°) شمالاً يحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط، وتحدها من الشرق جمهورية مصر ومن الجنوب الشرقي جمهورية السودان ومن الجنوب تشاد والنيجر ومن الغرب تحدها جمهورية الجزائر الشعبية الديمقراطية والجمهورية التونسية⁽⁷⁾، وبذلك تضم مساحة تقدر بنحو مليون وسبعمائة ألف كيلومتر مربعاً، أما الحدود الزمنية لهذا البحث فإنها تسعى إلى تحليل بيانات وإحصائيات الطقس والمناخ من درجات الحرارة ونسبة رطوبة وسرعة الرياح واتجاهاتها بدءاً من عام (1980م) ونهايةً (2010م)، ولمدة (30) سنة، وتحديد بياناتها ومعطياتها المناخية المتمثلة في درجات الحرارة والرطوبة وسرعات الرياح في ثمانية محطات مناخية منها البيضاء بالجبل الأخضر وبنغازي وسرت وطرابلس وموقعها على ساحل البحر المتوسط ثم نالوت الواقعة فوق الجبل الغربي ثم غات وسبها والكفرة في الجنوب والخريطة رقم (1) تبين موقع المحطات المختارة للقياس.

موقع منطقة الدراسة



المصدر: الأطلس الوطني للجمهورية، الخريطة الطبيعية، 1976، ص 56.

الفرضيات:

يتحقق هذا البحث من الفروض التالية:

- 1- للبلاد خصائص مناخية يمكن أن تشجع النشاط السياحي بها وتجعل منه نشاطاً اقتصادياً ناجحاً.
- 2- معظم الفصول المناخية صالحة لقيام النشاط السياحي وبخاصة في المناطق الساحلية.
- 3- يعتبر فصلي الربيع والخريف الأنسب مناخياً لراحة الإنسان في كل محطات القياس المختارة.
- 4- توجد فروق واضحة بين المحطات فيما يتعلق بشعور الناس بالراحة المناخية في كل الفصول.

منهجية البحث:

اعتمد البحث على تقدير مؤشرات الراحة والاستحمام باستخدام ثلاثة عناصر مناخية تتمثل في درجة الحرارة (بالدرجات المئوية) ومعدل الرطوبة الجوية (نسبة مئوية) وسرعة الرياح (أمتار في الثانية)، إضافة إلى استخدام معادلة القارية للعالم (غزرنسكي)، ومعادلة البحرية (لجونسون)⁽⁸⁾. اللتين توضحان مدى تأثير كل من البحر والصحراء على مناخ المنطقة، فهذه العناصر هي التي تجعل الإنسان يشعر بالراحة من عدمها ونظراً لعدم وجود معادلة تجمع هذه العناصر في معادلة واحدة فتم حساب كل عنصر على حده فإن هذه العناصر تم جمعها في معادلتين على النحو التالي:

1- دليل الحرارة والرطوبة⁽⁹⁾ :

TEMPERAT HUMIDITY INDEX {THI}

$$THI - T \ 055 \{1 - RH\} \{T - 14\} \dots\dots\dots(1)$$

حيث أن:

THI - دليل الحرارة و الرطوبة (دليل شعور الإنسان بالراحة).

T - المعدل الشهري لدرجة الحرارة م °.

RH - المعدل الشهري للرطوبة النسبية.

2- دليل تبريد الهواء أو قدرة الرياح على التبريد⁽¹⁰⁾:

WIND CHILL INDEX:

$$K - \{(100 V)\} + \{10.45 - V\} \{33 - TA\} \dots\dots\dots(2)$$

K - قدرة الرياح على التبريد.

V - المعدل الشهري لسرعة الرياح (م/ث).

TA - المعدل الشهري لدرجة الحرارة (م).

3- معادلة القارية للعالم (غزرنسكي)⁽¹¹⁾:

$$K = \frac{R \sin L}{\sin L} \dots (3) \dots (36.3)$$

1.3(R)

Sin L

حيث أن :

K - معامل القارية (لغزرنسكي).

R - المدى الحراري السنوي بالمتوي.

Sin L - جيب دائرة العرض.

4- معادلة البحرية (لجونسون)⁽¹²⁾:

$$M = 100 \frac{(T_{10} - T_4)}{R} \dots (4)$$

حيث أن :-

M - معامل البحرية (لجونسون) .

T₁₀ - معدل درجة حرارة شهر 10 .T₄ - معدل درجة حرارة شهر 4 .

R - المدى السنوي لدرجة حرارة الهواء بالمتوي.

ولتحقيق أهداف البحث والتحقق من فرضياته لا بد أن يتطرق لدراسة المعدلات السنوية والفصلية

والشهرية للعناصر التالية:

* معدلات درجة الحرارة العظمى.

* معدلات درجة الحرارة الصغرى.

* معدلات درجة الحرارة اليومية.

* معدلات الرطوبة النسبية.

* معدلات سرعة الرياح.

فمعظم هذه العناصر مهمة لمعرفة تأثيراتها على راحة الإنسان كما هو وارد بالجدول (1) حيث استخدمت بياناته في المعادلتين (3،4) لاستخراج معاملي القارية (#) والبحرية (##)، فالقارية تُظهر في مؤشرها ارتفاعاً واضحاً من الشمال إلى الجنوب، فيسجل في طرابلس الواقعة على ساحل البحر المتوسط 22 بعكس الكفرة التي يرتفع فيها مؤشر القارية إلى 68، ويرجع سبب ذلك لوقوع طرابلس على شاطئ البحر، وبالتالي التأثير بمؤثراته من اعتدال عناصر المناخ كالحرارة والرطوبة والرياح، حيث يتغلب تأثير البحر على تأثير الصحراء، فيما يرتفع مؤشر القارية في الكفرة نظراً لوقوع الأخيرة في منطقة

صحراوية بعيدة عن أي دور للبحر في مناخها، حيث تغلب مؤثرات الصحراء المتمثلة في انتشار الجفاف وانخفاض الرطوبة وارتفاع الحرارة، على تأثير البحر، وعلى النقيض من ذلك يرتفع مؤشر البحرية في طرابلس الساحلية إلى 26 لتغلب تأثير البحر على تأثير الصحراء وبذلك فهي تتمتع بالمناخ البحري، فيما ينخفض في الكفرة الداخلية إلى 5 لبعدها عن أي تأثير بحري في عناصر المناخ فيها ولسيادة المؤثرات الصحراوية على مناخها.

جدول (1) معدلات العناصر المناخية في المحطات المدروسة.

المحطة	دائرة العرض	الارتفاع عن البحر (م)	البعد عن البحر (كلم)	المعدل السنوي للرطوبة النسبية (%)	المعدل السنوي للحرارة اليومية (م °)	المعدل السنوي للحرارة العظمى (م °)	المعدل السنوي للحرارة الصغرى (م °)	المدى السنوي للحرارة (م)	معدل سرعة الرياح (م/ث)	درجة البحرية ##	درجة القارية #
البيضاء	32 ° 55 °	586	13	79	18.4	21.6	12.8	14.9	7.4	26	22
بنغازي	32 ° 48 °	15	8	75	19.3	23.7	13.6	14.2	6.4	27	23
سرت	30 ° 45 °	5	5	72	22.1	24.1	12.4	16.2	6.2	25	24
طرابلس	32 ° 52 °	9	3	78	18.2	20.3	12.6	13.8	5.2	30	22
نالوت	29 ° 59 °	542	170	64	21.9	21.9	13.5	14.1	7.4	24	26
غات	25 ° 51 °	650	1600	52	23.9	24.8	15.6	16.5	6.8	4	62
سبها	27 ° 41 °	474	800	56	23.2	24.3	16.4	17.1	5.6	6	64
الكفرة	24 ° 54 °	550	1800	48	24.2	25.1	17.3	17.6	6.2	5	68

المصدر: عمل الباحث، اعتماداً على بيانات مصلحة الأرصاد الجوية، للفترة ما بين (1980-2010).

أولاً: المعدلات السنوية:

يمكن تتبع المعدلات السنوية لدرجات الحرارة من تحليل جدول (1) حيث تعكس قيم معدلات الحرارة العظمى التأثير الواضح لمدى توغل المؤثرات البحرية المطلقة للحرارة، إذ يبلغ المعدل السنوي للحرارة في المنطقة المشمولة بالدراسة نحو 22.1م، فيما يتراوح المعدل بين 20.3م في طرابلس الواقعة على ساحل البحر، و25.1م في الكفرة الواقعة في أقصى الجنوب، بفارق حراري قدره 5.2م بين شمال المنطقة وجنوبها، وينخفض كذلك الفارق الحراري لمعدلات درجة الحرارة الصغرى ليبلغ 5.1م بين شمال

المنطقة وجنوبها، إذ تنخفض المعدلات السنوية للحرارة ليلاً بالاتجاه جنوباً (لتأخذ عكس اتجاه معدلات الحرارة نهاراً⁽¹³⁾) تماشياً مع المؤثرات البحرية اللطيفة وضعف توغلها جنوباً، فإن ارتفاع الحرارة الصغرى في المحطات الساحلية يرتبط في جزء منه بالحرارة الكامنة في بخار الماء. هذا وتتمتع المحطات الساحلية بتجانس حراري فيما يتعلق بالمتوسطات اليومية، بينما تتسع الفروق الحرارية فيما بين المحطات مع الاتجاه جنوباً، وفقاً لدرجة استفادتها من المؤثرات البحرية وانعكاساً لطبوغرافيتها، ويبلغ المعدل السنوي للحرارة اليومية 21.3م° ويتراوح ما بين 18.2م° في طرابلس و24.2م° في الكفرة بفارق حراري 6م° وهكذا تنخفض الفروق الحرارية اليومية مقارنة بمثيلاتها للعظمى والصغرى على التوالي. وتتناقص المعدلات السنوية للرطوبة النسبية بالاتجاه جنوباً وبالابتعاد عن المؤثرات البحرية الرطبة، كما تتسع الفروق بين نصيب المحطات منها في ذات الاتجاه وتتناقص أكثر بالاتجاه نحو الجنوب الشرقي بسبب زيادة تأثير المؤثرات القارية واتساع النطاق الصحراوي، كما هو الحال في محطة الكفرة 48% وهذا ويبلغ المعدل السنوي للرطوبة النسبية بالمنطقة 65% ويتراوح بين 79% في البيضاء الساحلية و48% في الكفرة الداخلية. ويمكن تفهم دور الحرارة العظمى والصغرى واليومية تحت تأثير الرطوبة على راحة الإنسان من تطبيق المعادلتين (2،1) ونتائجها جدول (2) التي تتباين بين محطة وأخرى وفصل وأخر.

ثانياً المعدلات الفصلية:

1- المعدلات الشتوية:

تتحرك نطاقات الضغط الجوي جنوباً تبعاً لحركة الشمس الظاهرية وتعامدها على مدار الجدي، ويتبعها وصول الكتل القطبية القارية والقطبية البحرية، فضلاً عن الكتل المدارية القارية التي تسيطر على منطقة اليابس الشمالي من أفريقيا⁽¹⁴⁾ وتقل كميات الإشعاع الشمسي لتصل إلى أدنى مستوياتها خلال فصل الشتاء ليتراوح ما بين 330 : 400 سعر حراري /سم² / يومياً على معظم المحطات، نظراً لانخفاض زاوية ميلان هذا الإشعاع إلى ادني قيم لها، حيث تسجل في طرابلس 32 ° و33 ° وفي الكفرة 93 ° و46 ° بفارق قدره 61 ° و33 °⁽¹⁵⁾ ويتصف البحر المتوسط في هذه الأثناء بكونه موطناً لتجدد المنخفضات الجوية الشتوية التي تنشأ فوق المحيط الأطلسي داخل منطقة الضغط الأيسلندي، التي تتزحزح جنوباً خلال فصل الشتاء ما يساعد على عبور هذه المنخفضات من الغرب إلى الشرق بمعدل يتراوح ما بين خمسة إلى ثمانية منخفضات جوية تمر على المنطقة يصل نصيب بعض المحطات الساحلية منها ما يقارب 45,3% من جملة تكراراتها السنوية، وتساعد الدورة العامة للرياح على سيطرة الرياح القادمة من الاتجاه الغربي التي تبلغ نسبة هبوبها 63% خلال فصل الشتاء الذي تتوغل خلاله هذه المنخفضات حتى دائرة عرض 30 شمالاً والتي تمثل الأطراف الشمالية من منطقة الدراسة⁽¹⁶⁾ ويعكس شكل (1) انخفاض متوسطات الحرارة العظمى شتاءً إلى أدنى مستوياتها، إذ يبلغ معدلها 24م° ويتراوح

ما بين 18م في طرابلس الساحلية إلى 22م في نالوت الجبلية إلى 26م في غات الصحراوية بفارق حراري 8م بين شمال المنطقة وجنوبها، وهكذا يسود الدفء شتاءً خلال ساعات النهار، ولا تختلف في ذلك المحطات الجنوبية عن تلك الشمالية. وتتسع الفروق الحرارية بين المحطات فيما يتعلق بالحرارة الصغرى التي تؤدي بدورها إلى قلة انتظام المنحنى الحراري في اتجاه واضح شكل (2) إذ يبلغ المعدل الشتوي للحرارة الصغرى 10م ممثلاً الحد الأدنى لدرجات الحرارة ليلاً، ويتراوح ما بين 8م في معظم المحطات الداخلية، ويرتفع بالاتجاه شمالاً ليبلغ 14م في طرابلس والبيضاء وسرت نتيجة لتمتعها بالمؤثرات البحرية الدفيئة. وتتدنى المتوسطات اليومية للحرارة إلى أقل مستوياتها الفصلية شتاءً مثلها في ذلك مثل المتوسطات العظمى والصغرى إذ يبلغ معدلها الشتوي 16م شكل (3) مما يدل على إن الفروق الحرارية تكاد تختفي بين المحطات إذ يأخذ المنحنى الحراري لليومية خطأً شبه مستقيماً يشبه مثله بالنسبة لمعدلات الحرارة العظمى.

وترتفع الرطوبة النسبية لتصل ذروتها خلال فصل الشتاء إذ يبلغ معدلها الشتوي 65.2% ويتراوح ما بين 77.6% في البيضاء وبين 74.6% في طرابلس ليتناقص بنسب أكثر ويبلغ 47.3% في غات و42.7% في الكفرة بفارق 35% بين المحطات الساحلية الشمالية والأخرى الداخلية الجنوبية انعكاساً لمدى توغل المؤثرات الرطبة شكل (4) وتتسع أيضاً الاختلافات في مستويات الرطوبة النسبية فيما بين المحطات الداخلية ذاتها كنتيجة لتأثير الموقع الجغرافي وتباين الظهير ما بين زراعي كمحطة سبها 55.3% وأخر صحراوي كمحطة غات 45.8%.

ويمكن بحث فاعلية المعدلات الشتوية لدرجات الحرارة والرطوبة النسبية والرياح في مدى شعور الإنسان بالراحة من خلال تطبيق المعادلتين الواردتين فيما بعد على معدلات الحرارة والرطوبة والرياح والنتائج المسجلة من ذلك الواردة بجدول (2) الذي يظهر منه إن سكان المنطقة يشعرون بالراحة ههناً خلال فصل الشتاء حينما تزيد الحرارة اليومية عن 20م بينما يشعر سكان المنطقة بعدم الراحة عندما تقل الحرارة عن ذلك القدر.

2- المعدلات الربيعية:

تترجح أشعة الشمس شمالاً خلال فصل الربيع ويبدأ الضغط المرتفع الأزوري والمرتفع الآسيوي في الانكماش والاضمحلال تدريجياً، وتستمر المنخفضات الجوية في تحركها شرقاً وإن كانت أقل عدداً وضعف تأثيراً، وتوغلاً، نحو الأطراف الجنوبية لمنطقة الدراسة، وتجذب بعض هذه المنخفضات الجوية الهواء الساخن من الجنوب فيما يعرف بالقبلي الذي يهب من الجهات الصحراوية الجنوبية ويتحرك بعضها على طول الجزء الشمالي من الصحراء الليبية تصاحبه رياح ترتبط شدتها طردياً مع عمق المنخفض، ويتبع رياح القبلي ارتفاع مفاجئ في درجات الحرارة ما بين 15-25م خلال بضع

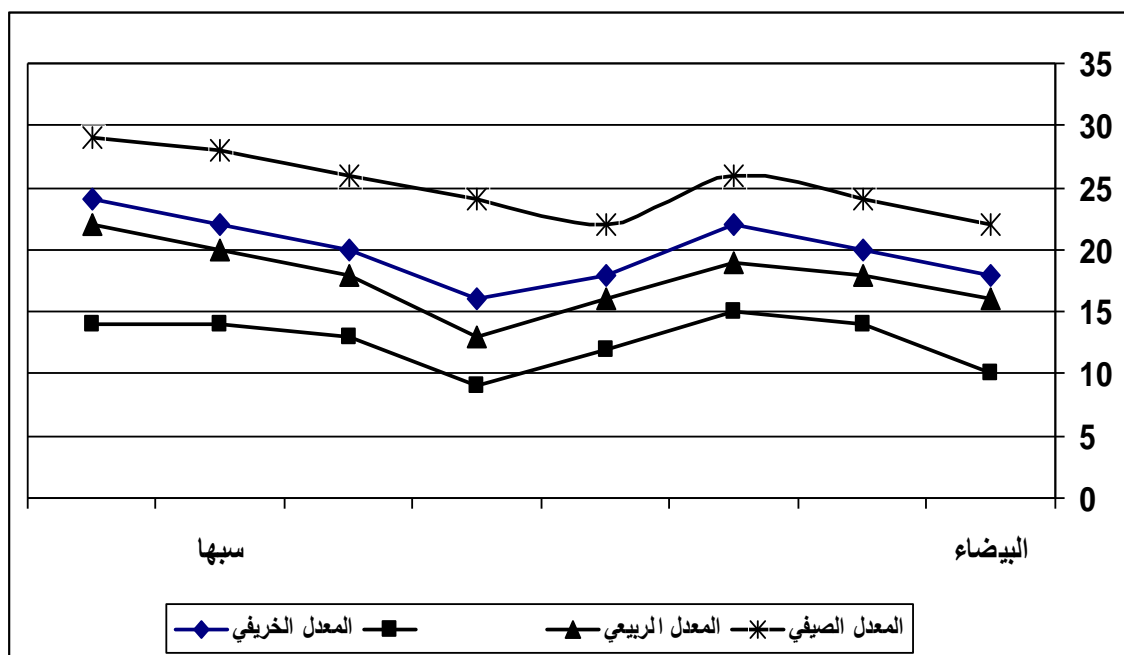
ساعات⁽¹⁷⁾، ويتميز فصل الربيع عن باقي فصول السنة بزيادة عدد المنخفضات الخماسينية، وتبلغ النسبة المئوية لتكرارها خلال فصل الربيع 55.7% من جملة تكراراتها السنوية على النطاق الواقع للشمال من دائرة عرض 25° شمالاً، وتسود الرياح الشمالية الشرقية باتجاهها ليبلغ تكرارها 66.3%، 64.7%، 58%، 47.6%، لمحطات البيضاء وبنغازي وسرت ونالوت على التوالي وتكاد تختفي الرياح الجنوبية الغربية لتحل محلها الرياح الجنوبية الشرقية والرياح الجنوبية بنسب تكرار تبلغ 19.8%، 15.3%، 8.4%، في محطات غات وسبها والكفرة هذا وترتفع سرعة الرياح خلال فصل الربيع كما هو الحال خلال فصل الشتاء⁽¹⁸⁾.

ويرتفع المعدل الربيعي للحرارة العظمى ليلبغ 27م° ويتراوح ما بين 23م° كحد أدنى في محطات البيضاء وبنغازي وسرت وطرابلس الساحلية وبين 29م° كحد أقصى في محطات غات وسبها والكفرة الداخلية ويزيد عن مثيله الشتوي بفارق حراري 6م° ولذا يتعد المنحنى الربيعي عن مثيله الشتوي بالاتجاه جنوباً نتيجة لاتساع الفروق الحرارية فيما بينها خاصة في المحطات الجنوبية حيث تكاد تختفي المؤثرات البحرية، ويشند نفوذ المنخفضات الجوية الحرارية وما يصاحبها من ارتفاع في المعدل الربيعي للحرارة، خاصة أثناء النهار شكل (1) أما بالنسبة للحرارة الصغرى فيتضح من شكل (2) إن المنحنى الحراري ربيعياً يقترب من مثيله الشتوي بالمحطات الساحلية، مما يشير إلى التجانس الحراري فيما بينهما بسبب المؤثرات البحرية الدفيئة شتاءً والمعتدلة ربيعاً، بينما تتسع الفروق بينهما في المحطات الداخلية جنوباً لضعف توغل هذه المؤثرات البحرية نسبياً، إذ يبلغ المعدل الربيعي لمتوسطات الحرارة الصغرى 15م° ويتراوح المعدل الربيعي ما بين 13م° في معظم المحطات الساحلية و18م° في معظم المحطات الداخلية بفارق 5م° كما هو بالنسبة للمعدل الشتوي، مما يعكس تجانس درجات الحرارة ليلاً فيما بين محطات القياس خلال فصلي الشتاء والربيع، ويتباعد المنحنى الحراري لدرجات الحرارة اليومية عن مثيله الشتوي بفارق حراري يزداد جنوباً متماشياً مع اتجاه ارتفاع الحرارة، لضعف توغل المؤثرات البحرية المعتدلة من جهة، وشدة تأثير المنخفضات الصحراوية من جهة أخرى، ويسود التجانس الحراري ربيعاً إذ يتراوح المعدل الربيعي في المنطقة ما بين 20م° : 24م° شكل (2) وإذ يبلغ المعدل الربيعي لمتوسطات الحرارة اليومية 22م° فانه يرتفع 8م° عن مثيله للحرارة الصغرى، بينما ينخفض 10م° عن مثيله للعظمى.

تطراً على الرطوبة النسبية ربيعاً تغيرات مفاجئة بسبب حالات عدم الاستقرار الجوي التي تنخفض إلى حدودها الدنيا في أثناء مرور المنخفضات الصحراوية، بينما ترتفع إلى أكثر من 90% في أثناء مرور المنخفضات البحرية العابرة لحوض البحر المتوسط المصحوبة برياح الشمال الشرقي الرطبة⁽¹⁹⁾ وينخفض المعدل الربيعي للرطوبة النسبية ليمثل الحد الأدنى للمعدلات الفصلية إذ يبلغ 62% ويتراوح ما بين 38.3% وبين 78.4% بفارق 40.1% بين المحطات الساحلية الشمالية والمحطات الداخلية الجنوبية،

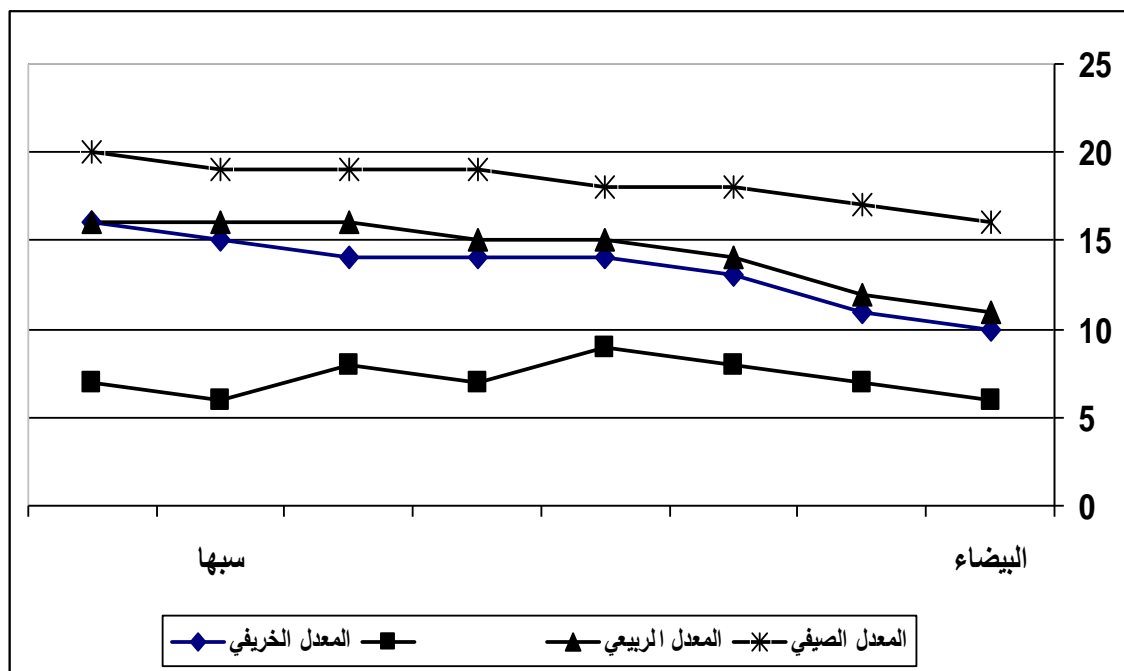
ويأخذ المنحنى الربيعي اتجاهها هابطاً في مجمله من الشمال إلى الجنوب مع المرور ببعض الانحناءات الصاعدة في المحطات ذات الظهير الزراعي الواسع الذي يوفر مصدراً للرطوبة النسبية شكل (4). ويعكس جدول (3) الأبعاد والتأثيرات المرتبطة بالحرارة والرطوبة النسبية ربيعاً من خلال تطبيق المعادلتين (1:2) اللتين يتضح من نتائجهما أن سكان المنطقة يشعرون بعدم الراحة تهاً، وتزايد نسبتهم بالاتجاه جنوباً بعيداً عن المؤثرات البحرية المعتدلة إذ تعمل المؤثرات الصحراوية على التأثير بشكل فعلي على حياة الناس في المنطقة الجنوبية.

شكل (1) المعدلات الفصلية لمتوسطات درجة الحرارة العظمى



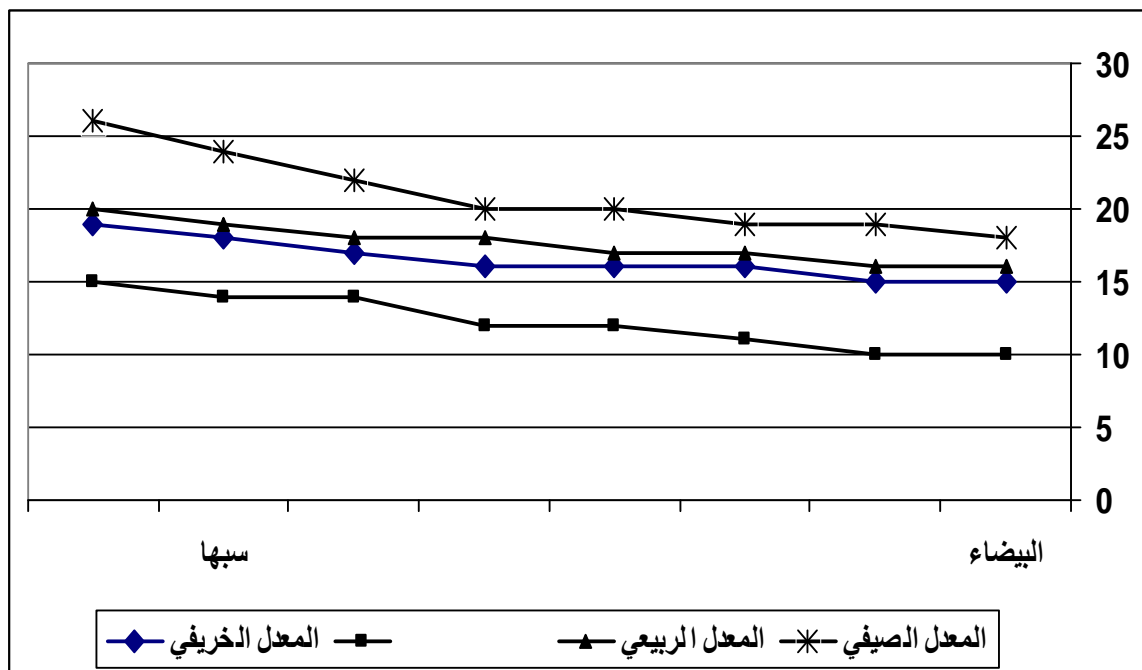
المصدر: عمل الباحث، اعتماداً على بيانات مصلحة الأرصاد الجوية، للفترة ما بين (1980-2010).

شكل (2) المعدلات الفصلية لمتوسطات الحرارة الصغرى



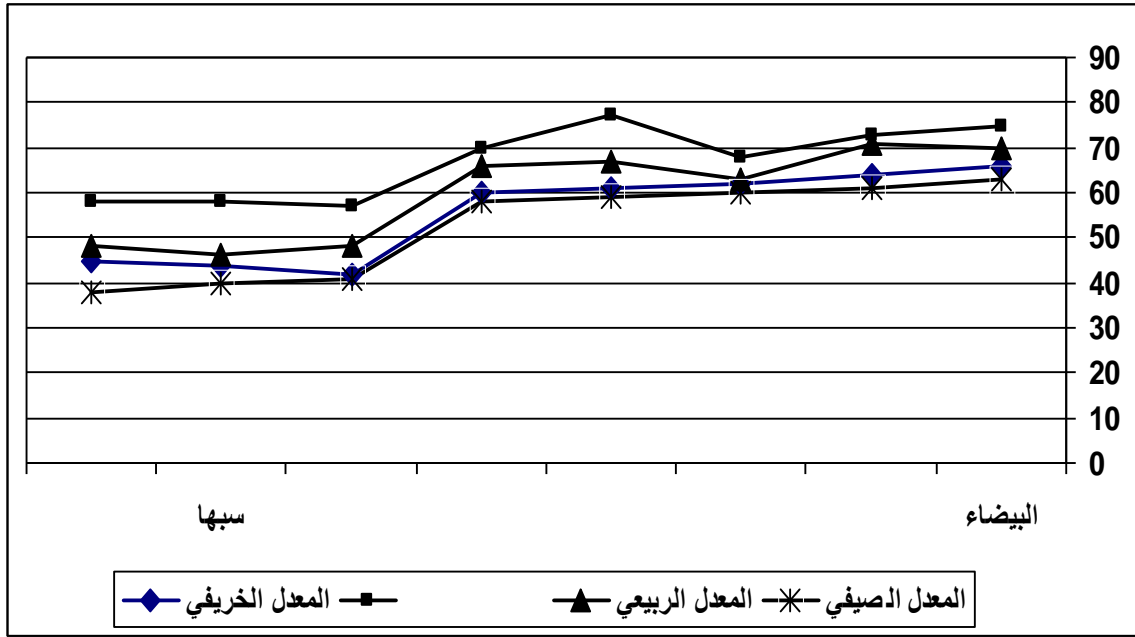
المصدر: عمل الباحث، اعتماداً على بيانات مصلحة الأرصاد الجوية، للفترة ما بين (1980-2010).

شكل (3) المعدلات الفصلية لمتوسطات درجة الحرارة اليومية



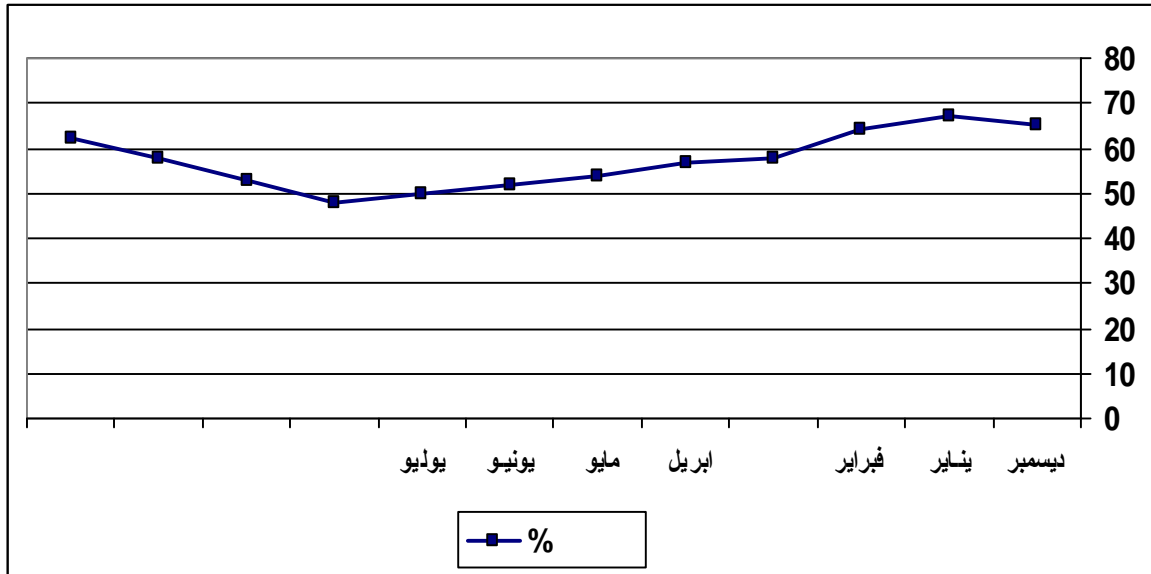
المصدر: عمل الباحث، اعتماداً على بيانات مصلحة الأرصاد الجوية، للفترة ما بين (1980-2010).

شكل (4) المعدلات الفصلية للرطوبة النسبية في محطات القياس المختارة



المصدر: عمل الباحث، اعتماداً على بيانات مصلحة الأرصاد الجوية، للفترة ما بين (1980-2010).

شكل (5) المعدلات الشهرية للرطوبة النسبية في المحطات المختارة للقياس.



المصدر: عمل الباحث، اعتماداً على بيانات مصلحة الأرصاد الجوية، للفترة ما بين (1980-2010).

3- المعدلات الصيفية:

يأخذ الضغط الجوي شكلاً ثابتاً مستقراً طوال فصل الصيف، إذ ينعدم تقريباً مرور المنخفضات الجوية على البحر المتوسط عدا المنخفضات الصحراوية القادمة من على الصحراء الجزائرية، والمتجهة شرقاً عبر اليبس الليبي على عكس الحال الذي عليه خط سيرها خلال فصلي الشتاء والربيع، حيث تتأثر ليبيا بالكتل القارية شديدة الحرارة TCh التي تقع جنوب الجبهة دون المدارية S.T.F وكذلك

الكتل القارية المدارية TC إلى شمال تلك الجبهة مما يسهم في ارتفاع الحرارة صيفاً ويغطي الضغط المنخفض معظم سطح اليابس الليبي الساخن فيما يقع البحر المتوسط تحت سيطرة الضغط المرتفع النسبي، ما يجعل السواحل الليبية تتبادل المؤثرات بين نظامي الضغط الجوي بشكل مباشر. ويصل إلى ليبيا أيضاً بعض المؤثرات القادمة من مركز الضغط المرتفع الأزوري فوق المحيط الأطلسي مما يسهم في تعديل درجة الحرارة خاصة في المحطات الساحلية ويحول الاستقرار الشامل على كل الساحل الليبي كجزء من الصحراء الكبرى دون تكرار المنخفضات الصحراوية⁽²⁰⁾.

وتبلغ النسبة المئوية لتكرار تلك المنخفضات صيفاً 8.6% من جملة تكراراتها على النطاق المحصور بين دائرتي عرض 28-34 شمالاً⁽²¹⁾ حيث يسهم طول النهار وصفاء الجو وتعامد أشعة الشمس على مدار السرطان وبلوغه الحدود القصوى صيفاً لأكثر من 680 سعر حراري/سم²/يومياً في زيادة كفاءة عمليات التسخين لليابس بينما تظل درجة حرارة المياه منخفضة نسبياً، فيساعد ذلك على تلطيف درجة الحرارة في أجواء المحطات الشمالية الساحلية مما يسمح للمؤثرات البحرية إلى اليابس لعدة كيلومترات صيفاً، وتسود الرياح الشمالية الغربية صيفاً بسبب شدة الانحدار البارمترى بين الضغط المرتفع دون المداري على البحر المتوسط وبين مراكز الضغط المنخفض على طول الجبهة دون المدارية بنسب تكرار تبلغ 55.3% و52.3% و51.7% و51.1% في محطات البيضاء وبنغازي وسرت وطرابلس⁽²²⁾ وتهب الرياح الشمالية بنسب تكرار مرتفعة أيضاً لتبلغ 34.5% و32.1% و31.2% و30.8% في نفس المحطات على التوالي ثم تليها الرياح التجارية الشمالية الشرقية الملطفة للحرارة⁽²³⁾. وتظهر الفروق الحرارية بشكل أكبر في المحطات الساحلية الشمالية فيما يتعلق بالحرارة العظمى حيث نفوذ المؤثرات الملطفة لدرجات الحرارة في تلك المحطات، بينما تكاد تختفي هذه الفروق بالاتجاه جنوباً حيثما تضعف المؤثرات البحرية.

ويشير المنحنى الحراري لمتوسطات الحرارة العظمى صيفاً اتجاهها صاعداً من الشمال إلى الجنوب مقارنة بمثيله الشتوي والريعي، شكل (3) ويشير ذلك إلى أن الموقع الجغرافي وطبوغرافية مواقع المحطات ذات تأثير أوضح من الموقع الفلكي في ترسيم الفروق الحرارية فيما بين المحطات صيفاً بينما نفوذ الموقع الفلكي أوضح خلال فصلي الشتاء والربيع، ويبلغ المعدل الصيفي للحرارة العظمى 36م° بارتفاع 8م° عن مثيله الربيعي أيضاً 15م° عن مثيله الشتوي، ويتراوح المعدل ما بين 22م° في البيضاء و32م° في الكفرة بفارق 10م° بين شمال المنطقة وجنوبها. أما معدل الحرارة الصغرى فيتراوح ما بين 14م° كحد أدنى في المحطات الداخلية وبين 21م° في الأخرى الساحلية بفارق حراري 7م° بسبب الخصائص الحرارية للمياه في كونها تبرد ببطء كما تسهم المسطحات المائية في ارتفاع الرطوبة التي تعرقل فاعلية الإشعاع الأرضي في فقدان حرارته المكتسبة من الإشعاع الشمسي إلى إن يصل الهواء لدرجة التشبع وعند نقطة الندى تنطلق

الحرارة الكامنة في بخار الماء ومن ثم ترتفع الحرارة في الهواء ويبلغ المعدل الصيفي لمتوسطات الحرارة الصغرى بالمنطقة 24م وبارتفاع يتراوح بين 8م 14م عن مثليه الربيعي والشتوي على التوالي كما هو عليه الحال بالنسبة للحرارة العظمى والصغرى ولا تختلف هذه الملامح أيضاً فيما يتعلق بالحرارة اليومية، إذ يبلغ المعدل الصيفي 28م وبارتفاع 8م و14م عن مثليه الربيعي والشتوي بالتوالي كما هو الحال بالنسبة للحرارة العظمى والصغرى، ويتراوح المعدل الصيفي ما بين 24م في البيضاء وبين 32م في الكفرة مما يعكس التجانس في متوسطات الحرارة اليومية فيما بين المحطات وانعكس ذلك على شكل المنحنى الذي يكاد يأخذ خطأً مستقيماً شكل (24).

ويساعد ارتفاع الضغط الجوي في طبقات الجو العليا "الضغط المرتفع الأزوري" على الحيلولة دون صعود الهواء المحمل ببخار الماء إلى أعلى فيبقى محصوراً في الطبقة السفلى من الهواء قريباً من سطح الأرض مما يسهم في زيادة نسب الرطوبة في المنطقة صيفاً، فيبلغ معدل الرطوبة الصيفي نحو 65% بالمنطقة الساحلية ونحو 45% بالمنطقة الجنوبية بفارق 20% بين المحطات الشمالية والجنوبية، وينسجم شكل المنحنى الصيفي باتجاهه الهابط من الشمال إلى الجنوب مع المؤثرات الرطبة الشمالية مثله في ذلك مثل المنحنيين الشتوي والربيعي وانعكس ذلك في تقارب المنحنيات الثلاثة في المحطات الشمالية وتباعدها بالاتجاه جنوباً شكل (4) حينما يرتبط مستوى الرطوبة وبمدى توفر مصادر بخار الماء من الأراضي الزراعية ومن ثم تنشيط عملية التبخر تحت تأثير الحرارة المرتفعة صيفاً.

4- المعدلات الخريفية:

تأخذ توزيعات الضغط الجوي في التناقص خريفاً بفعل المنخفضات الجوية شبه الصحراوية التي تتحرك نحو الشرق على طول الساحل الجنوبي للبحر المتوسط والمنطقة جزء منه كما هو الحال ربيعاً ولكنها تكون اضعف وإبطاء حركة. ويساعد تيار الهواء النفاث فوق البحر المتوسط في نشأة هذه المنخفضات وتعميقها على طول الجبهة دون المدارية شبه الساكنة على منطقة شمال أفريقيا⁽²⁵⁾ وتراجع الجبهة دون المدارية جنوباً فتتسع المساحة المغطاة بالهواء المداري فوق شمال القارة. هذا وتنخفض معدلات الإشعاع الشمسي خريفاً عن نظيرتها ربيعاً لتتراوح ما بين 500 - 550 سعر حراري / سم² / يومياً نتيجة لصفاء الجو ربيعاً عقب فصل الشتاء الماطر البارد، بينما يعقب فصل الخريف فصل الصيف بارتفاعه المرتفعة ونشاط التيارات الهوائية الصاعدة المحملة بالأتربة والذرات الغبارية، فضلاً عن ارتفاع محتوى الهواء خريفاً من الجسيمات المائية، فتسهم هذه الظروف في انخفاض معدلات الإشعاع الشمسي خريفاً⁽²⁶⁾ مقارنة بالربيع كنتيجة لانسحاب الفاضل الحراري المكتسب من الصيف إلى بداية الخريف. بينما يستهلك جزء من الإشعاع الشمسي ربيعاً في تعويض الأرض ما فقدته من حرارة خلال الشتاء. وتأخذ الرياح خريفاً ذات الاتجاهات الشمالية كما هو الحال ربيعاً لتشابه توزيعات الضغط الجوي في

كليهما لتبلغ مثلاً 62% في معظم المنطقة الساحلية وتنخفض سرعة الرياح خريفاً إذ يقل معدلها عن 4.5 كم/ ساعة بسبب عدم اكتمال الضغوط الجوية المؤثرة وضعف مراكز الحداراتها. وتزايد سرعة الرياح في أواخر فصل الخريف في أثناء مرور المنخفضات الجوية عبر البحر المتوسط التي يبلغ معدلها 8 منخفضات خلال شهر نوفمبر مقابل 3 فقط خلال شهر سبتمبر⁽²⁷⁾.

وتجسد الخصائص الحرارية خريفاً هذه الظروف المناخية إذ أن المعدل الخريفي للحرارة العظمى يبلغ 30م° فينخفض عن مثيله الربيعي بفارق قدره 2م° ولذا يقترنان بوضوح خاصةً في المحطات الداخلية لضعف توغل المؤثرات البحرية. بينما يرتفع المعدل الخريفي عن مثيله الشتوي 10م° فيعكس اتساع الفروق الحرارية فيما بينها لما اتضح من أسباب على الرغم من كون الخريف يمثل الانتقال إلى الشتاء. وينخفض المعدل الخريفي عن مثيله الصيفي 7م° كنتيجة لانسحاب جزء من حرارة الصيف إلى أوائل الخريف. وتمتد المنطقة بتجانس حراري بين المحطات خريفاً شكل (1) إذ يتراوح المعدل الخريفي ما بين 26م° في سرت وبين 30م° في الكفرة بفارق حراري 4م° بين شمال المنطقة وجنوبها وتكاد تتطابق المعدلات الحرارية الصغرى بين المحطات خريفاً لتصبح أكثر تجانساً من مثيلاتها للحرارة العظمى، حيث يبلغ المعدل الخريفي للحرارة الصغرى 19م°، فينخفض عن مثيله الصيفي بفارق 5م° ويرتفع عن الربيعي 3م° في حين يرتفع كثيراً عن مثيله الشتوي بفارق 14م°. هذا وتتسم الحرارة اليومية مع مثيلاتها العظمى والصغرى إذ يقترب المعدل الخريفي للحرارة من مثيله الربيعي والصيفي خاصةً في المحطات الجنوبية الداخلية البعيدة عن المؤثرات البحرية الملطفة للحرارة كما هو الحال لمتوسطات الحرارة العظمى والصغرى، حيث يبلغ المعدل الخريفي لمتوسطات الحرارة اليومية 26م° وينخفض عن مثيله الصيفي بفارق 6م° ويرتفع عن مثيله الربيعي والشتوي بفارق 5م° و12م° على التوالي.

ثالثاً- المعدلات الشهرية:

تتباين المعدلات الشهرية لدرجات الحرارة والرطوبة وسرعات الرياح بين شهر وأخر ففي أشهر ديسمبر ويناير وفبراير تشهد درجات الحرارة العظمى انخفاضاً حاداً لتبلغ حدودها الدنيا فتتراوح ما بين 16.4م° لشهر يناير و18.2م° لشهر ديسمبر بمدى حراري قليل لا يتجاوز 1.8م°. بينما ترتفع فجائياً المتوسطات خلال شهور الربيع لتتراوح ما بين 22.5م° لشهر مارس وبين 32.5م° لشهر مايو. ويتسع المدى الحراري الفصلي ليبلغ 10م° بين مقدمة فصل الربيع وأواخره، بسبب التغيير في طبيعة وخصائص المنخفضات الجوية العابرة لحوض المتوسط خلال شهور الشتاء إلى منخفضات صحراوية خلال شهور الربيع. وتبلغ متوسطات الحرارة العظمى حدودها القصوى خلال شهور الصيف، وتتفاوت فيما بينها إذ لا يتجاوز المدى الحراري الفصلي 1.2م° بسبب الارتفاع العام للحرارة تارةً. هذا وينسحب جزء كبير من حرارة الصيف إلى مقدمة الخريف إذ تبلغ خلال شهر سبتمبر 32.8م° ثم تنخفض تدريجياً لتبلغ

22.2م خلال شهر نوفمبر. ويرتفع المدى الفصلي ليلغ 10م بين سبتمبر الذي يعد بحق امتداداً لشهور الصيف، وبين شهر نوفمبر الذي يعد المقدمة الفعلية لشهور الشتاء. وتُحدر الإشارة إلى إن ارتفاع الحرارة العظمى لشهر أكتوبر 30.2م عن مثيلتها لشهر أبريل 24.3م بسبب تأثير التسخين خلال شهور الصيف لكل من سطح البحر واليابس وامتدادها إلى أكتوبر، فضلاً عن تأثير المنخفضات الجوية الصحراوية الحارة التي تسهم في ارتفاع الحرارة ههنا خلال شهر أكتوبر مقارنة بمثيله خلال أبريل⁽²⁸⁾. وتنخفض أخطاء الحرارة الصغرى لتبلغ حدودها الدنيا خلال شهور الشتاء، حين تتراوح ما بين 8.6م و12.3م لشهري يناير وديسمبر على التوالي. ويزداد المدى الشتوي ليلغ 2.4م مقارنة بمثيله للعظمى 1.8م فيشير إلى الاتساع النسبي في الفروق الحرارية ليلاً بسبب اختلاف الخصائص بين اليابس والماء ومدى فاعلية الحرارة الكامنة في بخار الماء. وتأخذ الحرارة الصغرى في الارتفاع التدريجي خلال شهور الربيع لتتراوح بين 12.6م : 16.3م، كذلك ينخفض المدى الحراري الربيعي ليلاً إلى 6م عن مثيله ههنا 10م وهو ما يعكس بقاء التغيرات الحرارية ليلاً. وتتصف شهور الصيف بارتفاع عام في الحرارة الصغرى كما هو الحال بالنسبة للعظمى، وقد انعكس ذلك أيضاً على انخفاض المدى الحراري الصيفي للحرارة الصغرى إذ لا يتجاوز 2.4م. ويلاحظ احتفاظ الحرارة الصغرى بارتفاعها أثناء شهر سبتمبر، ثم تنخفض تدريجياً لتصل حدها الأدنى خلال شهر نوفمبر، بمدى حراري حريمي 8.6م حتى يقترب من مثيله للحرارة العظمى 7.6م.

وتتبع الخصائص الشهرية للرطوبة النسبية من شكل (5) إذ يعتبر شهر يناير أكثر شهور السنة برودة هو الأكثر ارتفاعاً في معدلات الرطوبة الشهرية إذ تبلغ 69.4% بينما تبلغ أذناها في شهر مايو 57.2%. هذا وترتفع الرطوبة النسبية خلال شهور الصيف لتقترب من معدلاتها الشتوية إذ تبلغ 68.8% خلال شهر أغسطس بسبب هبوب الرياح الشمالية الرطبة، فضلاً عن شدة نشاط نسيم البحر وتوغله نحو المناطق الداخلية لمسافة تصل لعشرات الكيلومترات بعيداً عن خط الساحل⁽²⁹⁾. وتسهم أيضاً الانقلابات الحرارية من نوع نسيم البحر في انحصار الهواء الرطب البارد نسبياً بالقرب من سطح الأرض فترتفع الرطوبة النسبية في المحطات الساحلية تحديداً. وهذا ولا يمكن إغفال نشاط عمليات التبخر تحت تأثير ارتفاع درجات الحرارة صيفاً في ارتفاع الرطوبة النسبية أيضاً إذ يبلغ المتوسط اليومي لكمية التبخر 6.5 ملليمتر/ يوماً خلال شهر يونيو في محطات البيضاء وسرت وطرابلس⁽³⁰⁾. إضافة إلى ذلك تسهم الأراضي الزراعية المروية في زيادة الرطوبة النسبية عند ذروة ارتفاع الحرارة صيفاً وقد أثبتت الدراسات إن أي مساحة خضراء بمساحة 2400 م² تسهم في زيادة الرطوبة النسبية بمتوسط يتراوح ما بين 5% ههنا و8% ليلاً مقارنة بالمباني السكنية. ويستمر ارتفاع الرطوبة النسبية خلال شهور الخريف لتقترب معدلاتها من مثيلاتها خلال شهور الشتاء إذ تتراوح ما بين 65.8% - 69.3% لشهري

أكتوبر ونوفمبر. وما يسهم في بلوغ هذه النسب من الرطوبة خلال هذا الفصل هو هبوب الرياح الشمالية الرطبة وتأثير بدايات وصول الانخفاضات الجوية الشتوية خاصة خلال شهر نوفمبر⁽³¹⁾.

واستخدمت بيانات درجات الحرارة والرطوبة النسبية وسرعة الرياح لثمانية محطات موزعة على مساحة البلاد للفترة بين (1980-2010) ولفترة ثلاثين عاما لاستخراج مؤشرات الراحة والاستحمام. حيث تم تجميع نتائج المعادلتين السابقتين بجدول رقم (2) الذي يظهر فيه قيم الراحة والاستحمام الشهرية والفصلية، ويمكن تسجيل الملاحظات الآتية:

1- تبين القيم الواردة بان هناك تباينا كبيرا في مؤشرات الراحة بين الأشهر والفصول في جل المحطات، فمدينة البيضاء تمتلك جواً مريحاً للغاية وتنفرد بسيادة موسماً أكثر برودة، نظراً لارتفاعها لنحو 800 متراً وقرها من البحر وتعرضها لهبوب الرياح الممطرة شتاءً والتجارية الملطفة للحرارة صيفاً، حيث سجل مؤشر الحرارة والرطوبة (THI) قيمةً متقاربة في معظم الشهور كان أقلها شهر ديسمبر 10.8 الذي يمثل أفضل الأشهر في الراحة المثالية وأكبرها سجله شهر يوليو نحو 15.4 على الرغم من أن هاتين القيمتين تمثلان أفضل القيم السياحية.

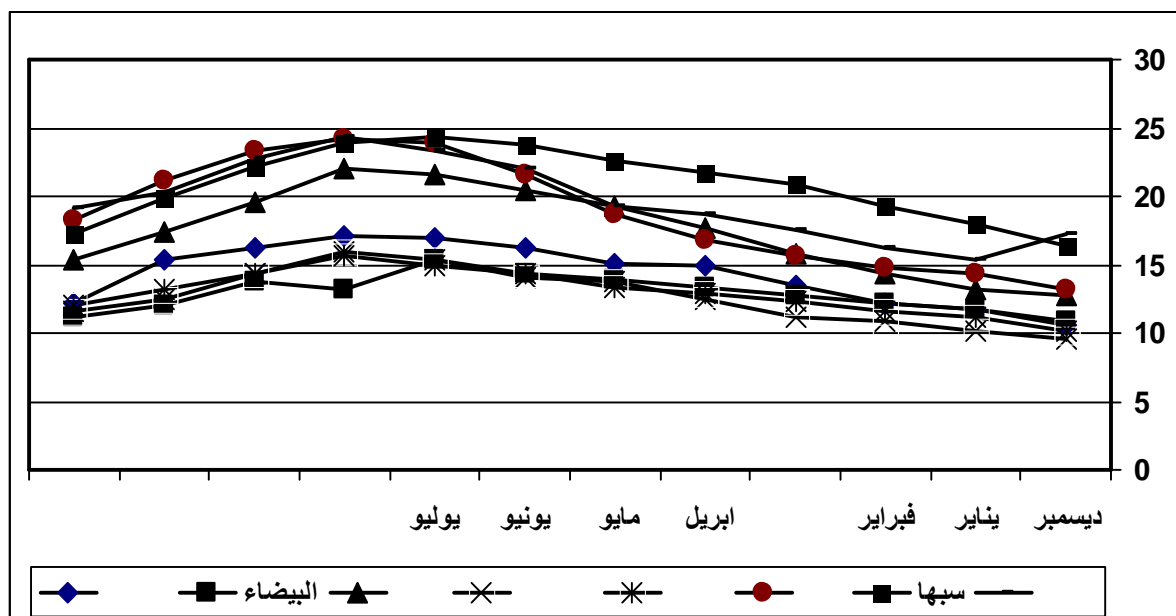
2- وجود تباين آخر في قيم تأثير الرياح (K) أكبرها سجل خلال شهر يناير بنحو 566.4 وأقلها خلال شهر أغسطس نحو 221.4 وبمقارنتها مع بنغازي الواقعة على ارتفاع 5 أمتار، فان هناك تباين أكثر وضوحاً في قيم الحرارة والرطوبة (THI) ما بين شهر ديسمبر 10.6 وشهر أغسطس 17.1 ما يعني أن شهر يناير هو الأفضل من حيث الراحة والاستحمام والذي يمثل بداية فصل الشتاء من حيث اعتدال الحرارة وسقوط الأمطار وانخفاض مقادير الإشعاع الشمسي، في حين يمثل شهر أغسطس آخر شهور فصل الصيف وهي قمة ارتفاع الحرارة وانخفاض سرعة الرياح وسكون الهواء.

3- تظهر سرت تبايناً ما بين شهر أغسطس الذي تبلغ قيم (THI) فيه نحو 22.1 وشهر ديسمبر بنحو 12.8 وهو ما يفسر باعتدال شهر ديسمبر باعتباره شهر مريح بعكس شهر أغسطس الذي يوصف بأنه غير صالح للراحة والاستحمام، يتبعه تباين آخر في قيم (K) فأكبرها يسجل خلال شهر ديسمبر بنحو 530.3 وأصغرهما يسجله شهر يونيو بنحو 213.1 ويعني ذلك اعتدال ظروف الطقس في شهر ديسمبر وتطرفها في شهر يونيو بسبب تركيز كميات الإشعاع الشمسي بزوايا شبه عمودية على المنطقة وهبوب الرياح القادمة من دواخل الصحراء إضافة إلى موقعها الجغرافي والفلكي الذي جعلها منطقة تصارع بين الكتل الهوائية المختلفة الخصائص ما بين البحر والصحراء. 4- تتباين المحطات الواقعة بالمناطق الصحراوية الجنوبية كغات وسبها والكفرة خلال شهور الشتاء فان مؤشرات الراحة والاستحمام بها تتباين ما بين مريحة مائلة للدفء في شهر ديسمبر وقيمتها (THI) نحو 17.3 بالكفرة مقابل قيمة (K) التي بلغت 36.2 في شهر أغسطس ما يعني صعوبة طقس أشهر الصيف لممارسة السياحة بسبب

بعدها عن ساحل البحر ما يجعل الجو غير مريحاً أو مائلاً للحرارة الشديدة في كل من سبها والكفرة بسبب البعد عن البحر وقلة الرطوبة الجوية وسيادة الجفاف الشديد وانتشار الظروف والمؤثرات الصحراوية ووقوع المنطقة داخل أحواض مغلقة تسيطر عليها والظروف المحلية، وأخيراً فإن محطات غات وسبها والكفرة جميعها تقع بعيدة عن البحر في المنطقة الصحراوية أظهرت نتائج مؤشرات الراحة والاستحمام بها أن أشهر الشتاء مريحة للغاية فيما كان فصل الربيع متبائناً بين المائل للدفء والمائل للبرودة فيما كان فصل الخريف مائلاً للدفء بالمحطات الثلاثة، في حين كان الصيف غير صالح للراحة والاستحمام.

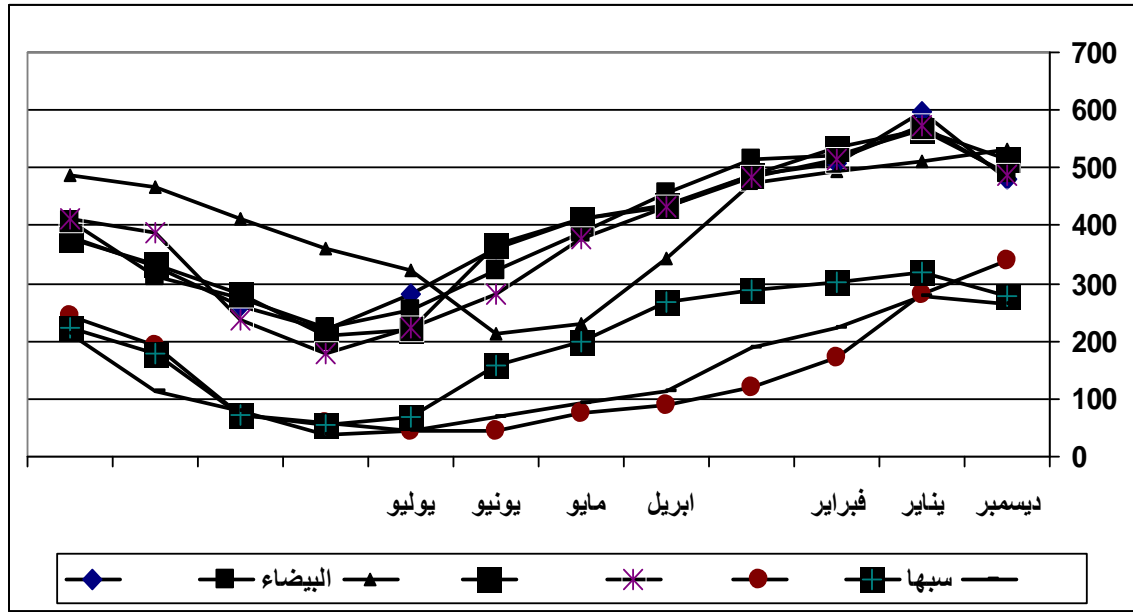
ويظهر من الشكل (6) وجود تباين كبير بين معظم المحطات في قيم دليل الحرارة والرطوبة (THI) خاصةً بين طرابلس وسبها تبعاً لتأثير الموقع الجغرافي وطبوغرافية المنطقة، إضافة لذلك يوجد تباين آخر بين شهور السنة فأكبرها سجلتها أشهر مايو ويونيو ويوليو وأغسطس وسبتمبر على التوالي في معظم المحطات بسبب ارتفاع الحرارة والرطوبة فيها وهدوء الرياح، ويتضح من الشكل (7) تباين في قيم قدرة الرياح على التبريد (K) بين المحطات خاصةً بين طرابلس وغات بسبب الموقع الجغرافي والارتفاع، إضافةً لوجود تباين شهري بين المحطات، حيث سجلت شهور مايو ويونيو ويوليو وأغسطس وسبتمبر أقل القيم (K) بسبب ضعف سرعة الرياح خلال أشهر الصيف والخريف نتيجة لما تشهده من سكون في حركة الهواء وانحصار حركة المنخفضات الجوية.

شكل (6) قيم دليل الحرارة والرطوبة (THI) لمحطات مختارة في ليبيا.



المصدر: عمل الباحث، اعتماداً على بيانات مصلحة الأرصاد الجوية، للفترة ما بين (1980-2010).

شكل (7) قيم قدرة الرياح على التبريد (K) لمحطات مختارة في ليبيا.



المصدر: عمل الباحث، اعتماداً على بيانات مصلحة الأرصاد الجوية، للفترة ما بين (1980-2010).

جدول (2) قيم دليل الحرارة والرطوبة (THI) وقيم قدرة الرياح على التبريد (K) لمحطات مختارة في ليبيا

الرمز	قيم K	الرمز	قيم THI	الأشهر	الفصول	الارتفاع	العرض	الخطية	الرمز	قيم K	الرمز	قيم THI	الأشهر	الفصول	الارتفاع	العرض	الخطية						
C	491.1	C A^	10.8	ديسمبر (12)	الشتاء	586	32 °	55 °	C	480.4	CA ^	10.6	ديسمبر (12)	الشتاء	5	32 °	48 °	بنغازي					
C*	566.4	C A^	11.8	يناير (1)					C*	596.3	CA ^	11.8	يناير (1)										
C*	522.3	C*	12.2	فبراير (2)					C*	506.5	CA ^	12.2	فبراير (2)										
C*	513.4	C*	12.8	مارس (3)	الربيع				C*	486.7	C*	13.5	مارس (3)	الربيع					C	432.9	C	14.9	أبريل (4)
C*	456.7	C*	13.4	أبريل (4)					C	410.7	P	15.1	مايو (5)						PA^	360.1	P*	16.3	يونيو (6)
PA^	387.1	C*	13.9	مايو (5)					C	280.3	P*	16.9	يوليو (7)						P*	220.7	P*	17.1	أغسطس (8)
PA^	322.3	C	14.3	يونيو (6)	الصيف				P*	260.7	P*	16.2	سبتمبر	الصيف					P*	273.4	C*	13.8	سبتمبر
P*	253.8	P	15.4	يوليو (7)																			
P*	221.4	C*	13.2	أغسطس (8)																			

14					44									
طرابلس					سرت									
الخريف	1		(9)	الخريف	1		(9)	الخريف	1		(9)			
PA^	312.7	C A^	12.1	أكتوبر (10)	PA^	330.6	P	15.4	أكتوبر (10)	PA^	380.5	CA ^	12.2	نوفمبر (11)
C	408.6	C A^	11.1	نوفمبر (11)	C*	516.3	C A^	9.6	ديسمبر (12)	C*	530.3	C*	12.8	ديسمبر (12)
C*	566.7	C A^	10.2	يناير (1)	C*	512.2	C A^	10.2	يناير (1)	C	492.7	C	14.3	فبراير (2)
C*	534.4	C A^	10.8	فبراير (2)	C	473.5	C A^	11.1	مارس (3)	PA^	343.6	P*	17.7	أبريل (4)
C	488.7	C A^	12.4	أبريل (4)	C	412.4	C A^	13.8	مايو (5)	P*	228.9	PA ^	19.3	مايو (5)
C	436.6	C A^	12.4	أبريل (4)	PA^	368.7	C	14.1	يونيو (6)	P*	213.1	PA ^	20.4	يونيو (6)
C	412.4	C A^	13.8	مايو (5)	P*	218.1	P	15.3	يوليو (7)	PA^	323.6	H	21.6	يوليو (7)
PA^	368.7	C	14.1	يونيو (6)	P*	210.4	P	15.9	أغسطس (8)	PA^	358.7	H	22.1	أغسطس (8)
P*	218.1	P	15.3	يوليو (7)	P*	282.5	C	14.3	سبتمبر (9)	C	410.3	PA ^	19.5	سبتمبر (9)
P*	210.4	P	15.9	أغسطس (8)	PA^	333.6	C A^	12.4	أكتوبر (10)	C	466.8	P*	17.4	أكتوبر (10)
P*	282.5	C	14.3	سبتمبر (9)	PA^	378.7	C A^	11.6	نوفمبر (11)	C	488.8	P*	15.3	نوفمبر (11)

المصدر: عمل الباحث، اعتماداً على بيانات مصلحة الأرصاد الجوية للفترة ما بين (1980-2010).

يتبع جدول (2) قيم دليل الحرارة والرطوبة (THI) وقيم قدرة الرياح على التبريد (K) لمحطات مختارة في ليبيا

P*	94.3	H	19.3	مايو (5)		P*	198.1	H	22.6	مايو (5)	
P*	67.4	H	22.1	يونيو (6)	الصيف	P	156.3	H*	23.7	يونيو (6)	الصيف
H	43.5	H	23.4	يوليو (7)		P*	68.4	H*	24.4	يوليو (7)	
H	36.2	H	24.3	أغسطس (8)		P*	56.3	H*	23.9	أغسطس (8)	
H	77.7	H	22.8	سبتمبر (9)	الخريف	P*	72.8	H	22.2	سبتمبر (9)	الخريف
P*	111.7	H	20.3	أكتوبر (10)		P	179.1	PA ^	19.8	أكتوبر (10)	
P*	213.4	PA ^	19.2	نوفمبر (11)		P*	222.4	P*	17.3	نوفمبر (11)	

المصدر: عمل الباحث، اعتماداً على بيانات مصلحة الأرصاد الجوية للفترة ما بين (1980-2010).

وقد تم تجميع نتائج المعادلتين السابقتين الفصلية (2:1) بجدول رقم (3) الذي يظهر فيه قيم الراحة والاستحمام الفصلية، التي تشير بوجود تباين في قيم مؤشرات الراحة بين الفصول في جل المحطات فمدينتي البيضاء وبنغازي تمتلكان مع باقي المحطات باستثناء محطة نالوت موسماً شتوياً مريحاً للغاية والتي تنفرد بسيادة موسماً أكثر برودة نظراً لارتفاعها لأكثر من 800 متراً وبعدها عن البحر وتعرضها لهبوب الرياح الجافة، والباردة القادمة من دواخل الصحراء، إضافة لأنها تمثل منطقة تصارع بين الكتل الهوائية المختلفة الخصائص، ما بين البحر والصحراء، أما خلال فصل الربيع فإن مؤشرات الراحة والاستحمام تتباين ما بين مريحة جداً في كل من بنغازي والبيضاء وطرابلس لوقوعها على ساحل البحر، إلى مريحة مائلاً للبرودة في كل من سبها والكفرة، بسبب البعد عن البحر وقلة الرطوبة الجوية، وسيادة الجفاف وانتشار المؤثرات الصحراوية، مع وقوع المنطقة داخل أحواض مستطيلة واسعة تسيطر عليها المؤثرات والظروف المحلية، إضافة إلى ذلك يظهر تباين بين محطة وأخرى ففي محطة البيضاء الواقعة على ارتفاع 586 متراً فوق مستوى سطح البحر، فالسنة السياحية فيها تقسم إلى صنفين: الأول وفيه قيم مؤشرات الراحة والاستحمام مريحة للغاية بفصول الربيع والصيف والخريف على حد سواء، فيما يميل فصل الشتاء فيها إلى المريح المائل إلى البرودة، لقرمها من البحر وارتفاعها فوق مستواه لمئات الأمتار مع زيادة في الرطوبة الجوية وهبوب الرياح الملطفة للحرارة والممطرة في غالب الأحيان، أما محطة بنغازي فقد تراوحت مؤشرات الراحة والاستحمام فيها من مريح للغاية خلال فصلي الشتاء والربيع إلى مريح مائل للدف، خلال فصلي الصيف والخريف، فيما سجلت محطة سرت نوعاً من التباين الذي يتراوح ما بين مريح

ومثالي خلال الشتاء إلى مريح مائل للدف خلال فصلي الربيع والخريف، كما سجل فصل الصيف مؤشرا غير مريح نظرا لارتفاع الحرارة والرطوبة، وانخفاض سرعة الرياح، وسيادة الرياح الجافة القادمة من الصحراء لانعدام وجود الحواجز الجبلية التي يمكن أن تحيط بالمنطقة وتشكل حواجز أمام حركة هذه الرياح، في حين كانت المؤشرات أكثر اعتدالا في طرابلس فقد أظهرت فصول الشتاء والربيع والخريف قيما للراحة المثالية في حين سجل فصل الصيف مؤشرا للراحة المثالية المائل للدفء، أما محطة نالوت الواقعة فوق الجبل الغربي وبارتفاع 800 مترا فكان بها فصل الشتاء باردا نظرا لارتفاعها وتأثرها بمهبوب الرياح القادمة من الصحراء وزيادة سرعتها وموقعها على منحدر جبلي مرتفع تتصارع فوقه التيارات الهوائية المختلفة الخصائص المناخية، أما فصل الربيع الذي سجل مؤشرا مثاليا للراحة بعكس فصلي الخريف والصيف اللذين تباينا في قيم الراحة لكل منهما مابين مائل للبرودة ومائل للحرارة لكل منهما على التوالي، كما سجلت محطات غات وسبها والكفرة وجميعها تقع بعيدة عن البحر في المنطقة الصحراوية حيث أظهرت النتائج لمؤشرات الراحة والاستحمام أن فصل الشتاء مريحا للغاية فيما كان فصل الربيع مثاليا بين المائل للاعتدال والمائل للبرودة فيما كان فصل الخريف مائلا للدفء بالمحطات الثلاثة، فيما كان الصيف غير صالح للراحة والاستحمام.

جدول (3) التصنيف النهائي لأقاليم الراحة حسب فصول السنة

المحطة	الفصل	الشتاء	الربيع	الصيف	الخريف
بنغازي	A	A	A	B	A
البيضاء	A	A	A	B	A
سرت	A	A	B	D	C
طرابلس	A	A	A	B	A
نالوت	A	A	B	B	B
غات	A	A	B	D	B
سبها	A	A	C	D	B
الكفرة	A	A	C	D	B

المصدر: عمل الباحث، اعتماداً على بيانات مصلحة الأرصاد الجوية، للفترة ما بين (1980-2010).

وتصنف نتائج المعادلتين إلى ثلاث مراتب للراحة هي (P) الإقليم المريح وبثلاث درجات و(C) الإقليم غير المريح البارد وبثلاث درجات و(H) الإقليم الحار وبثلاث درجات هو الآخر، وبعد الجمع

بين رموز المعادلتين الأولى والثانية ولجميع شهور السنة تصنف المحطة أو المدينة إلى إحدى التصنيفات الأربع الآتية⁽³²⁾:

- A- الإقليم المثالي للراحة المناخية .
- B - الإقليم المريح الذي يميل إلى الدفء .
- C - الإقليم المريح الذي يميل إلى البرودة.
- D - الإقليم غير المريح أو الطارد.

نتائج البحث وتوصياته:

أولاً: النتائج:

- 1- يؤثر كل من الموقع وطبوغرافية مواقع محطات القياس في أظهار الفروق الحرارية فيما بينها خلال فصل الصيف، فيما يعتبر نفوذ الموقع الفلكي أكثر تأثيراً أثناء باقي فصول السنة الأخرى.
- 2- تتمتع المحطات الساحلية بتجانس حراري متقارب، بينما تتسع الفروق الحرارية فيما بينها مع الاتجاه جنوباً تمشياً مع قدرة المؤثرات البحرية على التوغل نحو الداخل، فضلاً على خصائصها الطبوغرافية. وينعكس تأثير الموقع الجغرافي بوضوح على معدلات الرطوبة النسبية إذ تتناقص بالاتجاه صوب الجنوب والشرق والجنوب الشرقي بسبب ضعف توغل المؤثرات البحرية الرطبة جنوباً، وتوغل بعض المؤثرات القارية شمالاً، هذا ويتصف التوزيع الفصلي للرطوبة بالتجانس العام في المحطات الساحلية على عكس الحال بالنسبة للمحطات الداخلية الصحراوية.
- 3- تتصف ليبيا بظروف مناخية متنوعة يغلب عليها الاعتدال أحياناً، والتطرف أحياناً أخرى مما يكسبها تنوع فصلي للموسم السياحي.
- 2- أشارت نتائج الراحة والاستحمام الفسيولوجية لوجود فصلين مريحين للغاية في قيام النشاط السياحي يتمثلان في الشتاء والربيع بمعظم المحطات، وصعوبة ممارسة السياحة خلالهما في المحطات الواقعة بالقسم الجنوبي من البلاد.
- 3- تتمتع معظم المناطق المختارة للقياس في هذا البحث بخصائص طبيعية، يمكن أن تصبح موارد سياحية من غابات ونباتات ساحلية وأودية وجروف ساحلية وجبال وهضاب ومنخفضات وأحواض صحراوية.
- 4- تتمتع البلاد بإرث حضاري وثقافي تركه الأجداد الأوائل تمثله مدن أثرية متكاملة من حيث التصميم المدنية، والثقافية، والحركة الفكرية، المرتبة بها ومن شأنها أن تدعم النشاط السياحي في هذه المناطق.

5- تتصف المناطق المدروسة بقرها من المنتزهات والمحميات الطبيعية التي منها محمية الكوف القريبة من محطة البيضاء، ومحمية الهيشة القريبة من سرت، وجلها مناطق غنية بالحيوانات البرية، والنباتات الفريدة من نوعها.

ثانياً: التوصيات:

- 1- العمل على تشجيع القطاع السياحي وتطويره وإمداده بالمعلومات اللازمة التي تتعلق بظروف المناخ وأحوال الطقس والأوقات الأنسب لقيامه حتى يحقق الأهداف المرجوة منه.
- 2- الاهتمام والمحافظة على الموارد السياحية الطبيعية والأثرية خدمةً لتطوير القطاع السياحي، وتنميته حاضراً ومستقبلاً.
- 3- العمل على تكثيف الدراسات المناخية التي تخدم تطوير القطاع السياحي وأعداد أطلس أو دليل سياحي تحدد فيه المناطق السياحية والأوقات المناسبة لها.
- 4- التوسع في إنشاء محطات الرصد الجوي الخاصة بقياس عناصر المناخ حتى يساعد في وضع الدراسات والتنبؤات التي تخدم القطاع السياحي.
- 5- التوسع في طباعة النشرات والمخطوطات التوعوية التي تشجع القطاع السياحي والدعاية له في الداخل والخارج وبيان ما تزر به البلاد من موارد طبيعية وأثرية سياحية.

المصادر والمراجع

- 1- محمد خميس الزوكة، صناعة السياحة من المنظور الجغرافي، ط1، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر، 1996م، ص 151 .
- 2- حسن احمد شحاتة، التلوث البيئي وإعاقة السياحة، ط1، الدار العربية للكتاب، مصر، 2006م، ص 142.
- 3- أمانة التخطيط، خطة التحول الاقتصادي والاجتماعي (2002 - 2007)، طرابلس، ص 20،
- 4- سعد القزبري، تنمية السياحة وتخطيطها في ليبيا، بحث مقدم في ندوة السياحة في ليبيا الإمكانات والمقومات، (15-16/ 1997) بنغازي ليبيا، ص 20.
- 5- المبروك المهدي، جغرافية ليبيا البشرية، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا، 1990، ص 46.
- 6- عبد السلام الوحيشي: التصحر في منطقة خليج سرت، بحث تم إلقاؤه في المؤتمر العلمي الأول حول الموارد الطبيعية بمنطقة خليج سرت، 1999م، ص 24.
- 7- عبد العزيز طريح شرف، جغرافيا ليبيا، ط3، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 1996م، ص 96.
- 8- عادل سعيد الراوي، قصبي السامرائي، المناخ التطبيقي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، بغداد، 1990، ص 219.

- 9- عادل سعيد الراوي، قصي السامرائي، المناخ التطبيقي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، بغداد، 1990، ص. 219
- 10- أحمد مقيلي: التغيرات المناخية وآثارها على الإنسان والبيئة، مجلة الجامعي، العدد الأول، 1993م، ص. 102
- 11- فاضل الحسني، مهدي الصحاف، أساسيات ليبيا علم المناخ التطبيقي، ط1، جامعة بغداد، 1990م، ص. 102.
- 12- نفس المرجع السابق، ص. 103.
- 13- بيانات مصلحة الأرصاد الجوية، طرابلس. 2010.
- 14- أحمد مقيلي، مناخ ليبيا، الجماهيرية دراسة في الجغرافيا (تحرير) الهادي مصطفى أبو لقمه، سعد القريري، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع الإعلان، سرت، 1995م، ص. 187-188.
- 15- وداد الأسطى وآخرون: أطلس رياح الساحل الليبي، مجلة الطاقة والحياة (العدد التاسع) مكتب معلومات ودراسات الطاقة الشمسية 1998م، ص. 74.
- 16- عبدالفتاح كريدغ، العواصف الغبارية وآثارها على الإنسان والبيئة في الجزء الشمالي من ليبيا، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة السابع من ابريل 2002م، ص. 75.
- 17- يوسف زكري، الأمطار والتبخر في ليبيا، رسالة ماجستير غير منشورات كلية الآداب، جامعة السابع من ابريل، 1998 م، ص. 71.
- 18- بيانات مصلحة الأرصاد الجوية، طرابلس. 2010.
- 19- أحمد مقيلي: اتجاهات الأمطار واحتمالات التصحر في منطقة الجفارة بشمال غرب الجماهيرية الليبية، مجلة الدراسات الصحراوية، العدد الأول، 1991م، ص. 26.
- 20- محمد المبروك المهدي، جغرافيا ليبيا البشرية، مرجع سبق ذكره، ص. 59.
- 21- أحمد مقيلي: تحليل التطرفات المناخية بمحطة أرصاد طرابلس لاستخدامها في التخطيط والإدارة البيئية، مجلة قاريونس العلمية، العدد الأول والثاني السنة السادسة، جامعة قاريونس بنغازي، ص. 8.
- 22- عبدالفتاح كريدغ، العواصف الغبارية وآثارها على الإنسان والبيئة في الجزء الشمالي من ليبيا، مرجع سبق ذكره، ص. 103.
- 23- بيانات مصلحة الأرصاد الجوية، طرابلس. 2010.
- 24- عبد السلام الوحيشي: التصحر في منطقة خليج سرت، مرجع سبق ذكره، ص. 18.
- 25- حسن سيد أبو العينين، أصول الجغرافيا المناخية، جامعة الإسكندرية، الدار الجامعية للنشر والتوزيع والإعلان 1996، ص. 96.
- 26- مجلة الأرصاد الجوية، مصلحة الأرصاد الجوية، العدد الرابع، طرابلس، 1998 م، ص. 19.
- 27- عبدالفتاح كريدغ، العواصف الغبارية وآثارها على الإنسان والبيئة في الجزء الشمالي من ليبيا، مرجع سبق ذكره، ص. 126.
- 28- عبد القادر الحضيبي: زوابع الغبار والرمل في الصحراء الإفريقية وتأثيراتها المحتملة على المناخ والبيئة، مجلة الدراسات الإفريقية، السنة الأولى، العدد الأول، يوليو 1989م، ص. 81-83.

- 29- بيانات مصلحة الأرصاد الجوية، طرابلس 2010.
- 30- منير الصغير: مصادر الرياح والأحزمة الواقية، (الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع مصراتة)، 1986م.
- 31- أحمد خالد، التلوث وتحسين البيئة، ط1، دار النهضة سوريا، 1993م، ص 93 - 94.
- 32- عادل سعيد الراوي، قصي السامرائي، المناخ التطبيقي، مرجع سبق ذكره، 1990، ص 186.

التوزيع الجغرافي للسكان وأثره على النمو الاقتصادي دراسة ميدانية تشمل البلديات من الزاوية حتى العجيلات

أ. إبراهيم اسحيم العكرمي
عضو هيئة التدريس بقسم الجغرافيا
كلية الآداب جامعة الزاوية

مقدمة :

يلاحظ أن هناك تغيرات وتحولات جوهرية يحدثها السكان في بيئتهم تتسم بالسرعة في شتى المجالات، ولعل من أبرز مظاهر هذه المجالات الأثر المباشر وغير المباشر للسكان على إحداث نمو اقتصادي في أماكن استقرارهم تجعلهم يتطلعون إلى اللحاق بركب الدول المتقدمة. ويعد نمط توزيع السكان الجغرافي أكبر الأثر على النمو الاقتصادي من حيث الازدحام، وتوفر فرص العمل، وكثرة الإنتاج الذي يعود بالنفع على منتجيه أو الازدحام دون إنتاج، والاتجاه نحو الاستهلاك؛ فيتراجع النمو الاقتصادي، ويراوح السكان في مستوى واحد من الحياة لفترات زمنية متتابة، وعليه فإن هذا الموضوع يحتاج إلى الكثير من الفحص والدراسة للتعرف على ما إذا كان التوزيع الجغرافي للسكان في منطقة وسط شمال غرب ليبيا يساهم في النمو الاقتصادي أم عكس ذلك، وكان هذا دافعا لكتابة هذا البحث، واستكمالا لدراسة سابقة للباحث حول تغير توزيع السكان في شمال غرب ليبيا، ويتضح ذلك من خلال دور خبراء الاقتصاد بالمنطقة فيما يحدث لهذه الظاهرة، لأنها لا تعد ظاهرة ملموسة باستطاعة الفرد الحكم عليها من ناحية، ولا يستطيع المواطن أن يكون له أثر يذكر دون الجهد المبذول من رجال الاقتصاد، ومن هنا سيتم تسليط الضوء على التوزيع الجغرافي للسكان وأثره على نموهم الاقتصادي في بلديات الزاوية وصرمان وصربراته والعجيلات، باعتبار أن هذه المنطقة تشكل جانبا مهما للتركز السكاني وقريبة من العاصمة الليبية طرابلس، بالإضافة إلى أنها واقعة على امتداد الطريق الساحلي الذي يربط ليبيا ببعض الدول المجاورة.

مشكلة الدراسة :

لوحظ في السنوات الأخيرة زيادة الإقبال على الأعمال التجارية، وتشكل امتداداتها ببلديات شمال غرب ليبيا نمط شبه متصل من بلدية الزاوية شرقا إلى صبربراته والعجيلات غربا، هذا المظهر الاقتصادي

المرتبط بتوزيع السكان في هذه البلديات التي تمثل مراكزها مدن رئيسية؛ هل له دور في النمو الاقتصادي بهذه المنطقة.

أهداف الدراسة :

تكمن أهداف هذه الدراسة فيما يلي:

- 1- محاولة التعرف على التوزيع الجغرافي للسكان باعتبارهم يشكلون الجانب المنتج والمستهلك.
- 2- تسليط الضوء على الفئة المنتجة ودورها في النمو الاقتصادي بالمنطقة.
- 3- تحديد الري الاقتصادي المناسب لإحداث نمو اقتصادي بهذه المنطقة.
- 4- الكشف عن الدوافع المعينة للنمو الاقتصادي والمعيقة له.

الفرضيات :

انطلاقاً من مشكلة الدراسة وأهدافها صيغت الفرضيات التالية:

- للتوزيع الجغرافي للسكان دور مهم في إحداث النمو الاقتصادي.
- النمو السكاني يساهم فعلياً في إحداث نمو اقتصادي بالمنطقة .
- هناك عدة سبل لتطوير المنطقة وجعل سكانها يساهمون في إحداث نمو اقتصادي بها.

أهمية الدراسة :

تتضح أهمية هذه الدراسة من حيوية الموضوع الذي تطرحه والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها، وهي:

- 1- تأتي هذه الدراسة في الوقت الذي تتوجه فيه المطالب الشعبية نحو بناء ليبيا واستثمار إمكاناتها الجغرافية بشكل يساهم في نموها الاقتصادي.
- 2- تعتبر هذه الدراسة إضافة علمية في مجال السكان واقتصاديات المكان لتكون حافزاً لإجراء المزيد من الدراسات حول اقتصاديات السكان المكانية.
- 3- تعد هذه الدراسة من أوائل الدراسات بهذه المنطقة التي تتناول وبشكل علمي دور الخبراء المحليين في النهوض بأماكن إقامتهم والمساهمة في إحداث نمو اقتصادي لكافة أنماط السكان.

مجالات الدراسة :

تختص هذه الدراسة بتحليل البيانات السكانية المتاحة وحسب آخر التعدادات الرسمية، وهي تعداد 2006م، وجزء من آراء السكان وهم خبراء الاقتصاد بشمال ووسط غرب ليبيا، وإظهار دورهم من خلال رصيدهم العلمي للمساهمة في النمو الاقتصادي، وتطلعاته المستقبلية لهذه المنطقة؛ حيث امتد النطاق الزمني لهذه الدراسة طيلة سنة 2012 م حتى الربع الأول من عام 2013م.

مجتمع وعينة الدراسة:

اعتمد لأجل القيام بالدراسة الميدانية على الاختيار المستهدف لمجتمع الدراسة وهم سكان بلديات الزاوية وصرمان وصراته والعجيلات، بينما عينة الدراسة تتمثل في مجموعة من الخبراء الاقتصاديين المشتغلين في كليات الاقتصاد بجامعة الزاوية من تزيد مدة عملهم عن خمس سنوات، والمقيمين في نطاق منطقة الدراسة، والبالغ عددهم 21 فرداً، وزعت عليهم استمارة استبيان، واسترجع منها 15 استبانة، وبعد فحصها خضعت للدراسة 13 استبانة فقط، واستبعد استبيانين لعدم استكمال بياناتها، وبالتالي شكلت أوراق الاستبيان الخاضع للدراسة ما نسبته 61.90% من المجتمع. وهذه تعد نسبة مقبولة علمياً حيث أظهرت خلاصة الخبرات والتجارب أن حجم عينة في حدود 10% إلى 15% من حجم المجتمع تبدو ملائمة في معظم الدراسات والبحوث⁽¹⁾ وفيما يلي تفصيل للإجراءات المتبعة، والأساليب الإحصائية التي اعتمد عليها، وسمات وخصائص أفراد العينة المستجوبين، ثم عرض وتحليل وتفسير النتائج.

الإجراءات المتبع في هذه الدراسة:

1- تقييم درجة مصداقية وثبات المقاييس: - تم صياغة الاستبيان وقدم إلى مجموعة من الأساتذة المتخصصين، وكانت لهم بعض من الآراء والملاحظات حول فقراته، وتم تعديل فقراته على ضوء ذلك، وبعد أن أُعيدت صياغته بما يتفق وتلك الملاحظات التي أبدتها الأساتذة المحكمون تم عرضه مرة أخرى بعد تعديله على بعض المحكمين، وتم إقراره، واعتبر ذلك تحقيقاً لصدق الاستبيان.

وقد روعي في الاستبيان وضوح الفقرات، وسهولة الإجابة عليها، حيث طلب من أفراد العينة وضع علامة () أمام التقدير الذي يراه المستجيب مناسباً، وذلك للاستفادة من مقترحاتهم وخبراتهم وتجاوزهم.

الموقع وأهميته :

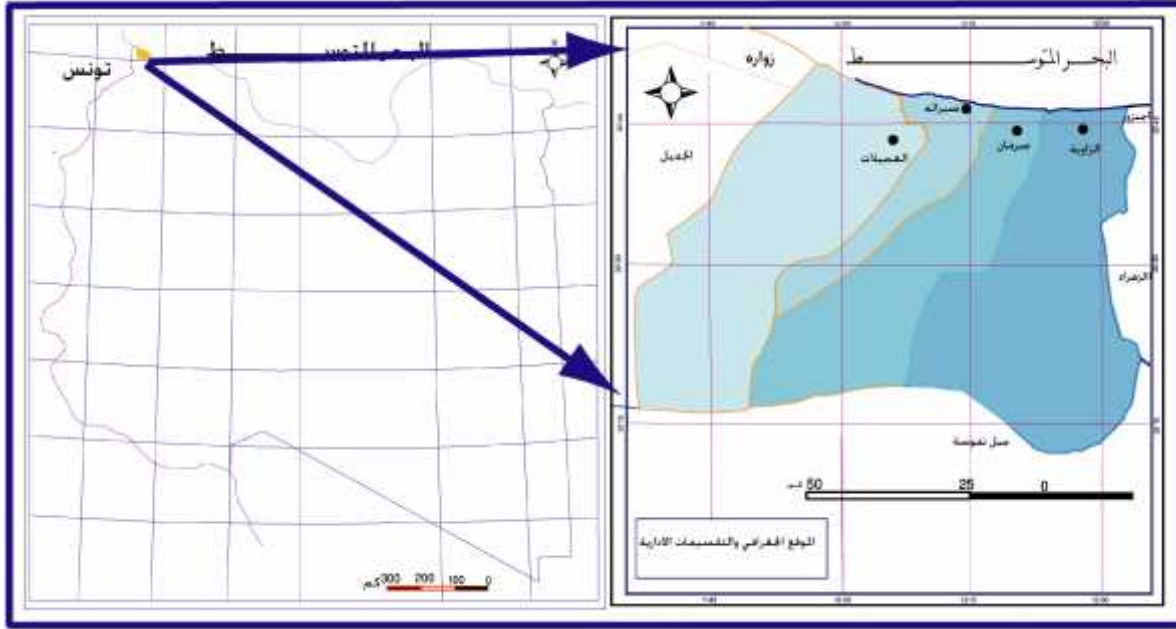
تقع منطقة الدراسة في وسط الشمال الغربي من ليبيا وهي جزء من سهل الحفارة، يحدها من الغرب زواره والجميل، ومن ناحية الشرق جنزور والزهران، بينما تكون بلديات جبل نفوسة حدودها الجنوبية، ويمثل البحر المتوسط حدودها الشمالية، كما بالخريطة(1)، أما فلكياً فتقع بين خطي طول 53° 11'، 12° 05' شرقاً، في حين تنحصر بين دائرتي عرض 17° 32'، 10° 33' شمالاً،

(1) مهدي محمد القصاص، الإحصاء والقياس الاجتماعي 2007، ص 104. على الموقع

www.mahdelkassasname.eg/books/stati.doc

وتبلغ مساحتها 4440 كم²(1). موزعة بين البلديات بتباين مما جعل الكثافة تختلف من بلدية إلى أخرى كما بالجدول (1).

خريطة (1) موقع منطقة الدراسة وحدودها الادارية



المصدر: الجماهيرية الليبية، أمانة التخطيط، مصلحة المساحة، الأطلس الوطني، طرابلس، 1978م، ص34. (بتصرف)
شكل هذا الامتداد اعتدالها المناخي فهي معتدلة الحرارة ولا تزيد في متوسطها العام عن 22.4°م،
لقربها من البحر المتوسط، وان كانت ترتفع قليلا في فصل الصيف حتى تصل إلى 33.4°م بينما في
فصل الشتاء تصل إلى 19.2°م، وتستقبل في أطرافها الشرقية كميات من المطر تزيد عن غيرها بسبب
تعرج الساحل ومواجهته للرياح الغربية العكسية الممطرة شتاء، ويصل المتوسط الشهري لكميات الأمطار
إلى 43 ملم في شهر أكتوبر وتندعم الأمطار في فصل الصيف⁽²⁾

التوزيع السكاني: توضح دراسة توزيع السكان في مكان ما مدى الضغط الذي يمارسه هؤلاء السكان
على الأرض التي يعيشون عليها، ومعرفة تنوع كثافتهم تفيد أصحاب القرار للحد من مشاكل الازدحام
وعدم جودة الخدمات والعمل على ضمان حياة أفضل عن طريق وضع خطط تنموية أساسها التوزيع
السكاني الحالي والمستقبلي.

وعند تحليل الجدول (1) والخريطة (2) يتضح أن التوزيع الكثافي للسكان يتخذ الأنماط التالية:
- نمط كثافي مرتفع: تزيد فيه الكثافة السكانية عن 120 ن / كم²، وهذا يتضح في بلدية الزاوية.

(1) الجماهيرية الليبية، أمانة التخطيط، مصلحة المساحة، الأطلس الوطني، طرابلس، 1978م، ص34.

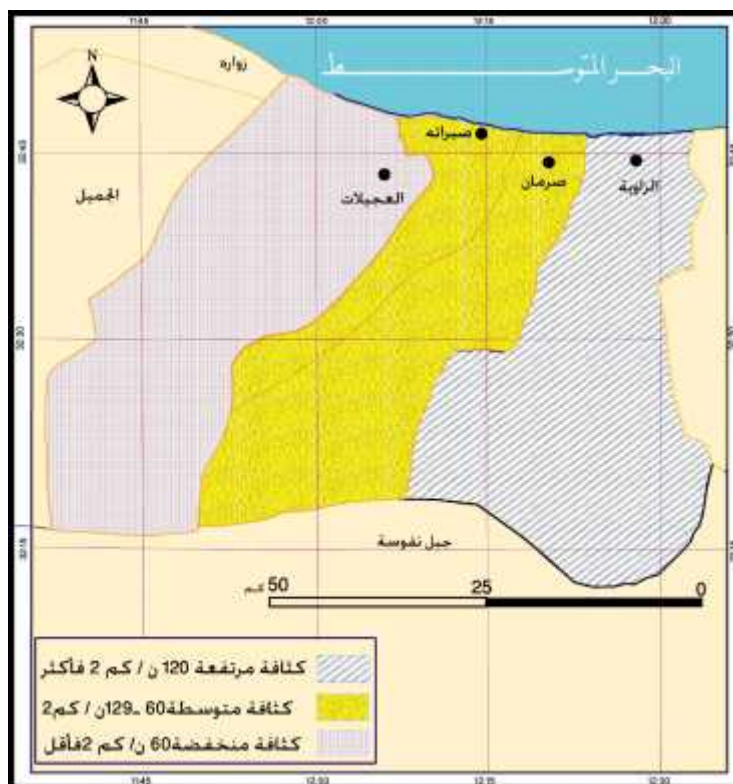
(2) الجماهيرية الليبية، النشرة الإحصائية الخامسة عشر، الكتاب الإحصائي 2009م، الهيئة العامة
للمعلومات، طرابلس، ص 36، 39.

- نمط كثافي متوسط: تتراوح فيه الكثافة السكانية بين 06 - 120 ن / كم² وهو في بلديات صرمان وصبراتة.

- نمط كثافي ضعيف: تتراوح فيه الكثافة السكانية أقل من 60 نسمة في الكيلو متر المربع، كما ببلدية العجيلات.

وتنوع هذا التوزيع ربما يكون نتاج النشاط الاقتصادي الذي أفرزته الظروف الطبيعية للمنطقة، وهذا الافتراض يترتب عليه استمرار الإنتاج، وبالتالي النمو الاقتصادي، أما إذا كان الإنتاج ريعي ومستمر باستمرار هذا المورد فان الأثر الطبيعي لزيادة الإنتاج لازال كامنا يحتاج إلى تخطيط اقتصادي لاستثماره،

خريطة (2) الكثافة السكانية



المصدر: بناء على بيانات الجدول (2).

وخاصة إذا كانت القوى العاملة بالمنطقة لم تستثمر كاملة، أي لازالت معدلات البطالة تصل إلى 22.8% من إجمالي النشيطين اقتصاديا، وهي تختلف أيضا من بلدية إلى أخرى كما بالشكل (1) والملحق (3)، ولتأكيد ذلك وتحقيقا لفرضيات وأهداف البحث سيتم مناقشة آراء خبراء الاقتصاد بالمنطقة.

جدول (1) التباين المكاني للمساحة والكثافة السكانية

البلديات	المساحة كم ²	2006
الزاوية	1520	126.5
صرمان	790	99.2
صدراته	580	96.5
العجيلات	1550	58.7
المجموع	4440	94.1

– الجماهيرية الليبية، أمانة التخطيط، مصلحة المساحة، الأطلس الوطني، طرابلس، 1978م، ص 26.

– الجماهيرية الليبية، الكتاب الإحصائي 2009م، الهيئة العامة للمعلومات، ص 54.

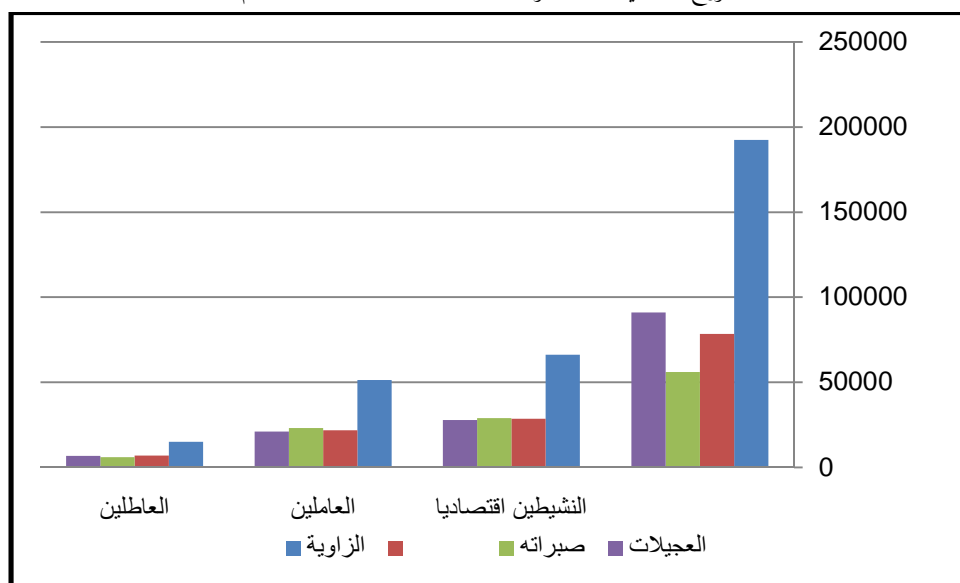
– الاستعانة بمحتويات الموقع: <http://Earth.Google.com> بتاريخ 25/11/2013م.

– الهيئة العامة للمعلومات، النتائج النهائية للتعداد العام للسكان عام 2006م، زواره، ص 1.

– الهيئة العامة للمعلومات، النتائج النهائية للتعداد العام للسكان عام 2006م، الزاوية، ص 106.

شكل (3)

التوزيع العددي للسكان والسكان النشيطين اقتصاديا 2006م



المصدر: استنادا إلى بيانات الملحق (3).

الأساليب الإحصائية المعتمدة في تحليل النتائج:

استخدم المنهج الوصفي لعرض الظاهرة وتسهيل فهمها، بالإضافة إلى المنهج التحليلي الذي اعتمد على استخدام البرنامج الإحصائي (SPSS) للوصول إلى أهداف الدراسة من خلال تطبيق الاختبارات الآتية:

- اختبار ألفا كورنباخ (" Cornbachs Alpha ") : يعتمد اختبار ألفا كورنباخ على قياس مدى الثبات الداخلي لفقرات الاستبيان ودرجة مصداقية فقراته، ومقدرتها على إعطاء نتائج متوافقة لردود المستجيبين تجاه فقراته، وتفسر ألفا بأنها معامل الثبات الداخلي بين الإجابات، لذلك فإن القيمة المقبولة لمعامل ألفا في أغلب الدراسات 60% فأكثر، فقد بلغت نتيجة المصدقية في هذه الدراسة 67.1% وهي درجة عالية وبالتالي اعتمدت استمارة الاستبيان كمصدر أولي لبيانات الدراسة⁽¹⁾.

- الوسط الحسابي (mean): وهو عبارة عن مجموع قيم مفردات العينة مقسومة على عددها، واستخدام لقياس متوسط إجابات المستجيبين على استبيان الدراسة.

- الانحراف المعياري (Standard Deviation)

يعد الانحراف المعياري من أهم مقاييس التشتت المطلق، وهو عبارة عن الجذر التربيعي لمجموع انحرافات القيم عن وسطها الحسابي مقسومة على درجات الحرية، ويستخدم لقياس التفاوت في إجابات المجيبين على استبيان الدراسة⁽²⁾.

- اختبار (ت) T-Test: استخدام اختبار (t) الخاص باختيار متوسط المجموع لمعرفة ما إذا كان (المتغير التابع يقوم بدور مهم في المتغير المستقل) ؛ كذلك هل هناك طريقة يتبعها المتغير أم لا (أي اختبار

(1) وحسب اختبار الفا كورنباخ بالمعادلة الآتية:-

$$r = \frac{n}{n-1} \left(1 - \frac{\sum s^2 f}{s^2 t} \right)$$

حيث إن : n - عدد فقرات الاستقصاء. s^2 - تباين الفقرات. $ft s^2$ - تباين الاختبار موراي، شبيجل، (ترجمة)، شعبان عبد الحميد شعبان، ملخصات شوم نظريات ومساائل في الإحصاء، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، ط7، 2004م، ص303.

(2) وحسب وفق الصيغة التالية: $s = \sqrt{\frac{\sum (Xi - \bar{X})^2}{N-1}}$. حيث S تعني الانحراف المعياري. Xi = القيمة

من المتغير. N = عدد المفردات.

ينظر: المرجع السابق، ص113.

الوظيفة الأولى و الثانية و الثالثة مثلا) عند مستوى دلالة إحصائية ($\alpha = 0.05$) أو عند ثقة $(1-\alpha) \%$ ⁽³⁾.

- مستوى الدلالة : ألفا (α) Significance Level :

وهو أعلى قيمة احتمال لرفض العدم عندما تكون صحيحة وهو الخطأ من النوع الأول، والقاعدة الأساسية المتبعة لاتخاذ القرار هو أن تكون قيمة P-value أكبر من (0.05) تقبل فرضية العدم وهذا يدل على وجود فوارق جوهرية إحصائية، إذا كانت قيمة P-value أصغر من (0.05) نرفض فرضية العدم وهذا يعني وجود فوارق جوهرية ذات دلالة إحصائية بين بيانات المتغيرات.

طريقة تحليل البيانات :

يتكون هذا الجانب من الدراسة من جزأين رئيسيين، يغطي الجزء الأول المتغيرات الشخصية، والجزء الثاني يتكون من استطلاع للآراء تم من خلال مسح ميداني للتعرف على العوامل التي تجعل تباين توزيع الجغرافي للسكان له تأثير على النمو الاقتصادي .

وقد تم تحليل البيانات المجمعة إحصائياً لغرض التعرف على مستوى الموافقة، وعدم الموافقة لأفراد العينة على الأسئلة المطروحة التي يفترض أنها تؤدي إلى النمو الاقتصادي بالمنطقة، كما تم الإيضاح في أهداف الدراسة ومنهجيتها، فقد تم تصنيف المؤثرات إلى متغيرات ديموغرافية، ومتغيرات اقتصادية، مع العلم أن هذه المتغيرات لم تكن مصنفة كما هي في هذا التحليل وإنما وزعت في استمارة الاستبيان بشكل عشوائي على هيئة 72 عبارة، منها 35 فقرة في الجانب الديموغرافي ، 37 فقرة في الجانب الاقتصادي، تم استخدام مقياس ليكرت (Likert) لقياس العلاقة بين تباين توزيع الجغرافي للسكان والنمو الاقتصادي في المنطقة، معتمداً على الإحصاء الوصفي من خلال توظيف المتوسطات الحسابية لعرض البيانات بصورة ذات معنى محدد ونتائج يمكن فهمها وتفسيرها، مع استخدام التكرارات والنسب المئوية والمتوسط الحسابي المرجح لتحليل آراء الخبراء الاقتصاديين حول موضوع البحث وتوضيح الفروق بينها، وأعطيت أوزان لدرجات تأثير العوامل المختلفة تتراوح بين 5 في حدها الأعلى (موافق بشدة) و 1 في حدها الأدنى (غير موافق بشدة)، وحسب المتوسط الحسابي لهذه الأوزان وهو (3) كمتغير لمعرفة الموافقة أو عدم الموافقة (الرفض) على المتغيرات المحددة بالاستبيان، كما الجدول (1) فالآراء التي متوسطها الحسابي المرجح 3 فأكثر تعتبر موافقة في حين اعتبرت الآراء التي تقل عن 3 غير موافقة. باعتبار طول الفترة

$$t = \frac{\bar{X} - M_0}{S/\sqrt{n}} \quad \text{حيث إن: } \bar{X} - \text{متوسط العينة. } M_0 - \text{القيمة من الفرضية. } S/\sqrt{n}$$

⁽³⁾ وحسب بالصيغة الآتية : $t = \frac{\bar{X} - M_0}{S/\sqrt{n}}$ الانحراف المعياري الخاص بالمتوسط الحسابي.

المرجع نفسه ، ص 303 .

المستخدمة هي 4/5 أي حوالي 0.80، على أساس أن الأرقام 5.4.3.2.1 قد حصرت فيما بينها 4 مسافات⁽¹⁾.

جدول(2)

الوزن المعياري لمستويات الموافقة

مستويات الموافقة	غير موافق جدا	غير موافق	غير متأكد	موافق	موافق بشدة
الوزن المعياري	1	2	3	4	5
المتوسط المرجح	1.79-1	-1.80	-2.60	-3.40	5-4.20
		2.59	3.39	4.19	

المصدر: عز عبد الفتاح، مقدمة في الإحصاء الوصفي والاستدلالي باستخدام SPSS ، الجزء الثالث ص541.

عرض وتحليل وتفسير النتائج :

يهدف التعرف على آراء الخبراء الاقتصاديين حول التوزيع الجغرافي للسكان وأثره على النمو الاقتصادي بمنطقة الدراسة تم تصنيف الدراسة إلى جانبين: يغطي الجانب الأول: البيانات الشخصية: تتعلق بالعم، والنوع، والمستوى العلمي، والخبرة العملية، والجانب الثاني تضمن مجموعتين من المتغيرات وهما المتغيرات الديموغرافية، والمتغيرات الاقتصادية، و كل مجموعة تشتمل على عدة متغيرات فرعية؛ يمكن عرضها على النحو التالي:-

الجانب الأول: البيانات الشخصية :

يتضح من بيانات الجدول (3) أن أكثر من 92.4% من حجم أفراد العينة يتراوح أعمارهم بين أربعين سنة إلى أقل من ستين سنة، وفي نفس الوقت لا يوجد في العينة من يقل عمره عن ثلاثين سنة، أما الأفراد الذين يتراوح أعمارهم بين الثلاثين سنة وأقل من أربعين يمثلون 7.7%، وهذا يشير إلى أن أفراد العينة جميعهم عند مستوى المسؤولية، كما أن 7 أفراد من حجم العينة والبالغ عددهم 13 يمثلون فئة ذكورية والتي تزيد عن نصف حجم العينة، أما ما تبقى منها وهو 6 أفراد اناثا، حيث يمثل الإناث نسبة 42.6% مقابل 53.8% ذكورا.

وأن أكثر من ثلثي العينة يشتغلون كأعضاء هيئة تدريس في كليات الاقتصاد بجامعة الزاوية الواقعة في نطاق منطقة الدراسة، ومن بين أفراد عينة الدراسة رؤساء الأقسام العلمية بكليات الاقتصاد والبالغ عددهم ثلاث أقسام، كما شملت العينة واحد من عمداء كليات الاقتصاد بالمنطقة.

⁽¹⁾ عز عبد الفتاح، مقدمة في الإحصاء الوصفي والاستدلالي باستخدام SPSS ، الجزء الثالث ص541.

ويلاحظ أن من لديهم خبرة تتراوح بين 11: 15 سنة في المجال الاقتصادي بمنطقة الدراسة بلغت نسبتهم 53.8%، مقابل من تزيد خبرتهم عن 16 سنة فأكثر يمثلون 23.1%، ومثلهم من تقل نسبتهم عن 10 سنوات وهذا يوضح عن جميع أفراد العينة لهم القدرة على التخطيط الاقتصادي لمنطقة الدراسة.

كما يلاحظ أن بلديات الزاوية، وصرمان، وصراته يشكلون مانسبته 69.3% من إجمالي الخبراء الاقتصاديين الذين شملتهم الدراسة، ونسبة 30.8% مقيمين في بلدية العجيلات.

جدول (3) خصائص أفراد العينة

الخصائص	المتغير	التكرار	%
فئته العمر	من 30 إلى أقل من 40	1	7.7
	من 40 إلى أقل من 50	6	46.2
	من 50 إلى 60	6	46.2
	المجموع	13	100.0
النوع	ذكر	7	53.8
	أنثى	6	46.2
	المجموع	13	100.0
الوظيفة	عضو هيئة تدريس	9	69.2
	رئيس قسم	3	23.1
	عميد كلية	1	7.7
	المجموع	13	100
الخبرة العملية	من 5 إلى 10 سنوات	3	23.1
	من 11 إلى 15 سنة	7	53.8
	16 سنة فأكثر	3	23.1
	المجموع	13	100.0
مكان الإقامة	الزاوية	3	23.1
	صرمان	3	23.1
	صراته	3	23.1
	العجيلات	4	30.8
	المجموع	13	100

المصدر: الدراسة الميدانية

الجانب الثاني: أ- المتغيرات الديموغرافية:

تتضح من خلال نتائج التحليل الإحصائي المدونة بالجدول (4) أن مجموعة المتغيرات الرئيسية الديموغرافية المتعلقة بحجم السكان، وتوزيعهم، والعمالة، تتضمن مجموعة من العوامل الفرعية التي يمكن عرضها على النحو التالي:

- أثر تباين توزيع السكان على النمو الاقتصادي: وتتضمن مجموعة من المتغيرات تتعلق بالسكان سواء في زيادة حجم سكان البلدية أو قلتهم، أو عدم وجود علاقة بين تزايد السكان وتزايد النمو الاقتصادي وكانت الإجابات متنوعة كما يبينها الجدول (4) ومنه يتضح: عندما يقل حجم السكان تبين أن 46.2% من جملة المشاركين في الدراسة أفادوا بأن قلة حجم السكان في البلدية لا يزيد من احتمال نموها الاقتصادي، بينما وافق ما نسبته 38.4%، مقابل 15.4% غير متأكدين من ذلك، وتتوزع هذه النسب على النحو الآتي:

موافق جدا	15.4%
موافق	23.1%
غير متأكد	15.4%
غير موافق	30.8%
غير موافق جدا	15.4%

ويتضح من خلال التحليل الإحصائي للآراء السابقة أن المتوسط الحسابي المرجح لأراء المشاركين في الدراسة يساوي 2.92، بانحراف معياري قدره 1.382 وبناء على المعيار الذي تم اعتماده في هذه الدراسة لتحديد مدى تأثير وهو 3 فإن قلة حجم السكان ليس له تأثير على النمو الاقتصادي. عندما يزيد حجم السكان: يلاحظ أن 38.5% من المشاركين في الدراسة أفادوا بأنهم غير موافقين على أن يكون لذلك أثر على النمو الاقتصادي، بينما وافق على ذلك 53.9%، والنسب الباقية غير متأكدين، ومن خلال التحليل الإحصائي لهذه الآراء اتضح أن المتوسط الحسابي المرجح للأفراد المشاركين في الدراسة يساوي 3.08، بانحراف معياري قدره 1.320، وبناء على المعيار المعتمد في هذه الدراسة لتحديد مدى تأثير زيادة حجم السكان على النمو الاقتصادي، أن زيادة حجم سكان البلدية له تأثير على النمو الاقتصادي.

جدول(4) تأثير متغير الحجم السكاني على النمو الاقتصادي

مستوى الموافقة	المعياري الانحراف	الحسابي الوسط	درجة الموافقة										المتغير	السؤال	
			%	غير موافق جدا	%	غير موافق	%	غير متأكد	%	موافق	%	موافق جدا			
غير موافق	1.382	2.92	15.4	2	30.8	4	15.4	2	23.1	3	15.4	2	كلما قل حجم سكان البلدية يزيد احتمال نموها الاقتصادي.	ما مدى تأثير تباين توزيع السكان على النمو الاقتصادي؟	2
موافق	1.320	3.08	15.4	2	23.1	3	15.4	1	46.2	6	7.7	1	-كلما زاد حجم سكان البلدية يزيد احتمال نموها الاقتصادي.		
غير موافق	.816	2.00	23.1	3	61.5	8	7.7	1	7.7	1	-	-	-زيادة حجم السكان ليس لها علاقة بزيادة النمو الاقتصادي.		

المصدر: نتائج التحليل الإحصائي الملحق (2، و3).

التبعثر السكاني في منطقة الدراسة يساهم في تخفيض معدلات النمو الاقتصادي: تبين البيانات المدونة بالجدول (5) أن 92.3% من آراء خبراء الاقتصاد المقيمين بمنطقة الدراسة غير موافقين على أن التبعثر السكاني يزيد من معدلات النمو الاقتصادي، مقابل 7.7% منهم غير متأكدين من أن للتبعثر السكاني داخل منطقة الدراسة له تأثير على النمو الاقتصادي، وتتنوع هذه النسب على النحو التالي:

7.7% غير متأكد

61.5% غير موافق

30.8% غير موافق جدا

ويوضح التحليل الإحصائي للردود السابقة أن المتوسط الحسابي المرجح لردود المشاركين في الدراسة على

جدول(5) نمط التوزيع السكاني وأثره على النمو الاقتصادي بمنطقة الدراسة

مستوى الموافقة	المعياري الانحراف	الحسابي الوسط	درجة الموافقة										العبارة	السؤال	ر.م
			%	غير موافق جدا	%	غير موافق	%	غير متأكد	%	موافق	%	موافق جدا			
غير موافق	.599	1.77	30.8	4	61.5	8	7.7	1	-	-	-	-	-التوزيع المبعثر للسكان زاد من النمو الاقتصادي بالمنطقة.	هل الانتشار السكاني يساهم في تخفيض معدلات النمو الاقتصادي؟	3
موافق	1.115	3.92	-	-	15.4	2	15.4	2	30.8	4	38.5	5	-التوزيع المتجمع للسكان ساهم في زيادة معدلات النمو الاقتصادي.		
غير موافق	1.109	2.69	-	-	61.5	8	23.1	3	-	-	15.4	2	-التركز السكاني يقلل من فرص زيادة معدلات النمو الاقتصادي.		

المصدر: نتائج التحليل الإحصائي الملحق (2، و3).

دور التوزيع غير المتجانس للسكان وأثره على النمو الاقتصادي يساوي 1.77، بانحراف معياري قدره 0.599، وبناء على المعيار المحدد في هذه الدراسة لتحديد مدى تأثير متغير التبعثر السكاني على النمو الاقتصادي، فإن هذا المتوسط يقع في مدى عدم الموافقة.

بينما التوزيع المتجمع يرى 69.2% من خبراء الاقتصاد المشمولين في الدراسة بالمنطقة أن التوزيع المتجمع للسكان يساهم في زيادة معدلات النمو الاقتصادي، مقابل 15.4% منهم غير موافق على ذلك، ومثلهم غير متأكد، وتوزع هذه النسب على النحو الآتي:

موافق جدا	38.5%
موافق	30.8%
غير متأكد	15.4%
غير موافق	15.4%

ويؤكد التحليل الإحصائي للإجابات السابقة أن المتوسط الحسابي المرجح لإجابات خبراء الاقتصاد بالمنطقة المشمولين بالدراسة يساوي 3.92، بانحراف معياري قدره 1.109، حيث يقع هذا المتوسط في مدى الموافقة.

-الازدحام السكاني وعلاقته بالنمو الاقتصادي:

تشير بيانات الجدول (6) أن 92.3% من جملة المشاركين في الدراسة أفادوا بأن ارتفاع الكثافة السكانية يقلل من معدلات النمو الاقتصادي، وأن 7.7% غير متأكدين من ذلك، ويؤكد ذلك التحليل الإحصائي لردود المستجوبين الاقتصاديين أن المتوسط الحسابي المرجح يساوي 1.92، بانحراف معياري قدره 0.494، وهذا يعني أن المتوسط المرجح يقع في مدى عدم الموافقة، بمعنى أوضح للمتوسط الحسابي أن ارتفاع الكثافة السكانية من شأنها المساهمة في النمو الاقتصادي، وليس قلة الكثافة هي التي تزيد من معدلات النمو الاقتصادي. مقابل ارتفاع نسبة آراء الاقتصاديين المشاركين في الدراسة حول ارتفاع نسب سكان الحضر ومساهمتهم في النمو الاقتصادي إلى 69.3%، بينما غير الموافقين منهم بلغت نسبتهم 15.4%، ومثلهم غير متأكدين.

ويؤكد ذلك آراء الاقتصاديين بان النمو الاقتصادي يزداد عندما تنخفض نسبة سكان الريف، حيث

كانت النسب موزعة على النحو الآتي:-

موافق جدا	38.5%
موافق	15.4%
غير متأكد	30.8%
غير موافق	7.7%

7.7% غير موافق جدا

ويشير التحليل الإحصائي للآراء السابقة أن المتوسط الحسابي المرجح لردود المشاركين من خبراء الاقتصاد بمنطقة الدراسة يساوي 3.83 ، بانحراف معياري قدره 1.267، حيث يقع هذا المتوسط في مدى تأثير الموافقة.

جدول (6) التغير المكاني للسكان وأثره على النمو الاقتصادي

مستوى الموافقة	المعياري الانحراف	الحسابي الوسط	درجة الموافقة										السؤال	ر.م	
			%	غير موافق	خلا	%	غير موافق	%	غير متأكد	%	موافق	%			موافق جدا
غير موافق	.494	1.92	15.4	2	76.9	10	7.7	1	-	-	-	-	ارتفاع الكثافة السكانية تقلل من معدلات النمو الاقتصادي.	هل الكثافة السكانية لها علاقة بالنمو الاقتصادي؟	1
موافق	1.463	3.85	15.4	2	-	-	15.4	2	23.1	3	46.2	6	ارتفاع نسبة الحضر في المنطقة ساهمت في زيادة النمو الاقتصادي بها.		
موافق	1.267	3.83	7.7	1	7.7	1	30.8	4	15.4	2	38.5	5	-انخفاض نسبة سكان الريف يعني ارتفاع معدلات النمو الاقتصادي.		

المصدر: نتائج التحليل الإحصائي الملحق (2، و3).

- دور للبحث العلمي في إحداث نمو اقتصادي بمنطقة الدراسة: تبين معطيات الجدول (7) أن 46.2% من آراء المستجوبين أفادوا بأن هناك متابعة اقتصادية من قبل الاقتصاديين من أجل النمو الاقتصادي، و46.2% منهم غير موافقين، ونسبة 23.1% غير متأكدين، والتحليل الاقتصادي أفاد بأن المتوسط الحسابي المرجح يساوي 2.92، بانحراف معياري قدره 1.038 وهذا المتوسط يقع في مدى عدم الموافقة. كما تبين نفس معطيات الجدول أن الاستفادة من نتائج الأبحاث العلمية الاقتصادية كانت حسب آراء الخبراء الاقتصاديين بالمنطقة على النحو الآتي:

23.1% موافق

15.4% غير متأكد

53.8% غير موافق

7.7% غير موافق جدا

وعليه كانت نتائج التحليل الإحصائي للردود السابقة أن المتوسط الحسابي المرجح يساوي 2.54، بانحراف معياري قدره 0.967، وبالتالي يقع في مدى عدم الموافقة. وحول مساهمة البحث العلمي في النمو الاقتصادي أفادوا 53.9% من جملة المستجوبين بعدم وجود مساهمة، مقابل 23.1% أفادوا بوجود مساهمة للبحث العلمي في النمو الاقتصادي، و15.4% منهم غير متأكدين من ذلك. وتفيد نتائج التحليل الإحصائي لتلك الردود أن المتوسط الحسابي يساوي 2.69؛ بانحراف معياري قدره 1.032، وهذا المتوسط يقع ضمن عدم الموافقة. ويعني ذلك أن المشاركة العلمية في إحداث نمو اقتصادي بالمنطقة محدودة جدا.

جدول (7) دور للبحث العلمي في إحداث نمو اقتصادي بمنطقة الدراسة

ر.م	السؤال	الإجابات	درجة الموافقة									
			موافق جدا	%	L, htr	%	غير متأكد	%	غير موافق	%	غير موافق جدا	%
10	هل هناك دور للبحث العلمي في إحداث نمو اقتصادي بمنطقة الدراسة؟	- هل هناك متابعة اقتصادية من قبل الاقتصاديين من أجل النمو الاقتصادي.	-	-	5	38.5	3	23.1	4	30.8	2	15.4
		- هل تمت الاستفادة من نتائج المؤتمرات العلمية الاقتصادية.	-	-	3	23.1	2	15.4	7	53.8	1	7.7
		- مدى مساهمة البحث العلمي في النمو الاقتصادي بالمنطقة.	-	-	4	30.8	2	15.4	6	46.2	1	7.7

المصدر: نتائج التحليل الإحصائي الملحق (2) و(3).

- المشاركة العلمية في إحداث نمو اقتصادي: تشير بيانات الجدول (8) أن 77% من آراء المستجوبين أفادوا بأن هناك مشاركة من أعضاء هيئة التدريس المتخصصين، وأن 7.7% أفادوا عكس ذلك، ومثلهم غير متأكدين، في حين كانت نتائج التحليل الإحصائي لتلك الآراء تبين أن المتوسط الحسابي المرجح يساوي 3.85؛ بانحراف معياري قدره 1.214، وهو متوسط يؤكد المشاركة ويقع في مدى الموافقة.

ويبين الجدول ذاته أن هناك أيضا مشاركة من الهيئات الاستشارية والمراكز الاقتصادية حيث أفاد 92.3% من جملة المستجوبين بذلك، مقابل 7.7% غير متأكدين، والمتوسط الحسابي لتلك الآراء يساوي 4.23؛ بانحراف معياري قدره 0.599، أي ضمن مدى الموافقة. وشملت الموافقة أيضا مشاركة رجال الأعمال حيث كانت نسبة 84.7% من إجمالي المستجوبين، ونسبة 15.4% غير متأكدين من ذلك. ونتائج التحليل الإحصائي لتلك الآراء بينت أن المتوسط الحسابي المرجح يساوي 4.08؛ بانحراف معياري قدره 1.038، وهو بالتالي يقع في مدى الموافقة.

بينما فعالية السياسة الحكومية كأداة مساهمة في النمو الاقتصادي بالمنطقة كانت في مدى الموافقة حيث بلغت نسبة آراء الخبراء الاقتصاديين بهذا الخصوص 76.9%، وباقي الآراء منهم 15.4% غير متأكد، 7.7% غير موافق على ذلك. والتحليل الإحصائي لتلك الآراء بين أن المتوسط الحسابي المرجح يساوي 4.08؛ بانحراف معياري قدره 1.115، وهذا المتوسط يقع في مدى الموافقة.

جدول (8) المشاركة العلمية في إحداث نمو اقتصادي

رقم	السؤال	العبرة	درجة الموافقة												
			موافق إلى الحد	%	موافق	%	غير متأكد	%	غير موافق	%	موافق	%	موافق	%	
15	ما مدى قدرة المشاركة على المساهمة في النمو الاقتصادي؟	- أعضاء هيئة التدريس المتخصصين.	4	30.8	6	46.2	1	7.7	1	7.7	1	7.7	3.85	1.214	موافق
		- الهيئات الاستشارية والمراكز الاقتصادية.	4	30.8	8	61.5	1	7.7	-	-	-	-	4.23	.599	موافق
		- رجال الأعمال.	5	38.5	6	46.2	2	15.4	-	-	-	-	4.08	1.038	موافق
		السياسات الحكومية.	3	23.1	7	53.8	2	15.4	1	7.7	-	-	4.08	1.115	موافق

المصدر: نتائج التحليل الإحصائي الملحق (2، و3).

- الأثر بين النمو السكاني والنمو الاقتصادي

تشير بيانات الجدول (9) أن نسبة 69.3% من جملة آراء المستجوبين أفادوا بان كلما زاد معدل النمو السكاني زاد معدل النمو الاقتصادي، وتوزعت باقي نسب المستجوبين على النحو التالي:

موافق جدا	30.8 %
موافق	38.5 %
غير متأكد	15.4 %
غير موافق	7.7 %
غير موافق جدا	7.7 %

ونتائج التحليل الإحصائي لتلك الردود بينت أن المتوسط الحسابي المرجح يساوي 3.77 ؛ بانحراف معياري قدره 1.235، وهذا المتوسط يقع مدى الموافقة.

وتشير بيانات الجدول ذاته أن آراء المستجيبين قد انخفضت الى 46.2% في حالة التساؤل حول العلاقة بين زيادة معدل النمو السكاني يقابله انخفاض في معدل النمو الاقتصادي وباقي الآراء كانت موزعة على النحو الآتي:

غير متأكد	15.4 %
غير موافق	38.5 %

وتوضح نتائج التحليل الإحصائي لتلك الإجابات أن المتوسط الحسابي يساوي 3.15 ؛ بانحراف معياري قدره 1.068، وهو بالتالي يقع في مدى الموافقة، وتشير بيانات الجدول السابق (10) ان 61.5% من جملة المستجيبين أفادوا بأنهم غير موفقين على أن انخفاض معدل النمو السكاني يؤدي إلى ارتفاع معدل النمو الاقتصادي ، مقابل الموافقين على ذلك بلغت نسبتهم 30.8% فقط، و7,7% من الآراء أفادت بعدم التأكد من ذلك.

ونتائج التحليل الإحصائي لتلك الآراء توضح أن المتوسط الحسابي المرجح يساوي 2.77 ؛ بانحراف معياري قدره 1.301، ويعني هذا أن المتوسط الحسابي المرجح يقع في مدى الرفض أي عدم الموافقة .

جدول (10) العلاقة بين النمو السكاني والنمو الاقتصادي

مستوى الموافقة	المعياري الإحصائي	الحسابي الوسيط	درجة الموافقة										العبارة	السؤال	ر.م
			%	غير موافق جدا	%	غير موافق	%	غير متأكد	%	موافق	%	موافق جدا			
موافق	1.235	3.77	7.7	1	7.7	1	15.4	2	38.5	5	30.8	4	- كلما زاد معدل النمو السكاني زاد معدل النمو الاقتصادي.	هل النمو السكاني مرتبط بالنمو الاقتصادي؟	7
موافق	1.068	3.15	-	-	38.5	5	15.4	2	38.5	5	7.7	1	- كلما زاد معدل النمو السكاني انخفض معدل النمو الاقتصادي.		
غير موافق	1.301	2.77	7.7	1	53.8	7	7.7	1	15.4	2	15.4	2	- كلما انخفض معدل النمو السكاني ارتفع معدل النمو الاقتصادي.		

المصدر: نتائج التحليل الإحصائي الملحق (2، و3).

المخططون ودورهم في النمو الاقتصادي: حيث تشير بيانات الجدول (11) أن 53.9% من جملة آراء خبراء الاقتصاد بالمنطقة أفادوا بأن الأفضل للقيام بالتخطيط المكاني من أجل النمو الاقتصادي هم الاستثماريون الأجانب، وغير الموافقين كانت نسبتهم 30.8%. وغير المتأكدين بلغت نسبتهم 15.4%.

جدول (11) المخططون ودورهم في النمو الاقتصادي
المصدر: نتائج التحليل الإحصائي الملحق (2، و3).

مستوى الموافقة	الانحراف المعياري	الحسابي الوسط	درجة الموافقة									الإجابات	السؤال	ر.م	
			موافق 100%	موافق 75%	موافق 50%	غير متأكد	غير موافق	غير موافق	غير موافق	غير موافق	غير موافق				
	1.251	3.31	7.7	1	23.1	3	15.4	2	38.5	5	15.4	2	-الاستشاريون الأجانب.	من تفضل أن تقوم بالتخطيط المكاني للنمو الاقتصادي بالمنطقة؟	16
	.760	4.08	-	-	7.7	1	-	-	69.2	9	23.1	3	-الاستشاريون الأجانب ومشاركة المتخصصين المحليين.		
	1.115	4.08	-	-	15.4	2	7.7	1	30.8	4	46.2	6	- المتخصصون من أبناء ليبيا والمنطقة.		
	.947	4.31	-	-	7.7	1	7.7	1	30.8	4	53.8	7	- المتخصصون من أبناء ليبيا.		

ونائج التحليل الإحصائي لتلك الآراء بينت أن المتوسط الحسابي المرجح يساوي 3.31 ؛ بانحراف معياري قدره 1.251، وهو بالتالي يقع في مدى الموافقة.

وحين التساؤل عن مشاركة الاستشاريون الأجانب ومشاركة المتخصصين المحليين باعتبارهم الأفضل للقيام بالتخطيط المكاني أفادوا 92.3% من جملة المستجيبين بالموافقة على ذلك ، وكانت نسبة الذين لم يوافقوا 7.7% فقط، وبالتالي كانت نتائج التحليل الإحصائي لتلك الإفادات تشير من خلال المتوسط الحسابي المرجح انه يساوي 4.08؛ بانحراف معياري قدره 0.760، لذلك فهو في مدى الموافقة. وتبين معطيات الجدول ذاته ان 77% من جملة الآراء أفادت أن المتخصصون من أبناء ليبيا والمنطقة هم الأفضل في التخطيط المكاني للنمو الاقتصادي بالمنطقة، مقابل 15.4% غير موافقين على ذلك، و 7.7% غير متأكدين.

وتشير نتائج التحليل الإحصائي لتلك الآراء أن المتوسط الحسابي المرجح يساوي 4.08، بانحراف معياري قدره 1.115، وهذا المتوسط يقع في مدى الموافقة. وبين نسبة 84.6% من جملة آراء خبراء الاقتصاد المشمولين بالدراسة أن المتخصصون من أبناء ليبيا فقط هم أفضل من يقوم بالتخطيط المكاني للنمو الاقتصادي ، حيث يبين التحليل الإحصائي أن المتوسط الحسابي المرجح يساوي 4.31؛ بانحراف معياري قدره 0.947، وهذا المتوسط يقع في مدى الموافقة.

- التشغيل وأثره على النمو الاقتصادي: تشير بيانات الجدول (12) ان 92.4% من جملة آراء خبراء الاقتصاد أفادوا بان الاستفادة من العمالة المحلية لا يتم إلا بالقضاء على البطالة المقنعة المتمركزة في الأعمال الإدارية، وذلك بالتوجه نحو العمل الفني والتقني واليدوي حيث يرى ذلك ما نسبته 77% من آراء الخبراء المشمولين بالدراسة، وفي الوقت ذاته يساعد هذا التوجه على الاستفادة من الخبرات العلمية والعملية وأكد ذلك ما نسبته 92.3% من جملة المستجيبين. وتبين نتائج التحليل الإحصائي لتلك الردود أن المتوسط الحسابي المرجح يزيد عن 4.08؛ بانحراف معياري قدره 0.954، وهذه المتوسطات تقع في مدى الموافقة. جدول (12) سبل الاستفادة من العمالة

ر.م	السؤال	الإجابات	درجة الموافقة												
			مؤيدين	%	مؤيدين	%	مؤيدين	%	مؤيدين	%	مؤيدين	%	مؤيدين	%	
18	خلال الاستفادة من العمالة في المنطقة التي تم من خلالها:	القضاء على ظاهرة البطالة المقنعة في الأعمال الإدارية.	6	46.2	6	46.2	1	46.2	1	7.7	-	-	4.38	0.650	موافق
			5	38.5	5	38.5	2	38.5	1	15.4	-	-	4.08	0.954	موافق
			7	53.8	5	38.5	1	7.7	-	-	-	-	4.46	0.660	موافق
			7	53.8	5	38.5	1	7.7	-	-	-	-	4.46	0.660	موافق

المصدر: نتائج التحليل الإحصائي الملحق (2، و3).

- تهرب العمالة المحلية من العمل : توضح بيانات الجدول (13) أن آراء المستجيبين حول أسباب نفور العمالة المحلية من الأعمال الفنية والحرفية تكمن في الأسباب التالية مرتبة حسب درجة الموافقة.

- النظرة الاجتماعية المتدنية لهذه الأعمال 76.9%
- توافر الأفضل في غيرها من الأعمال 69.3%
- لقلة حافزها وعائدها المالي 61.5%
- سيطرة العمالة الوافدة على مثل هذه الأعمال. 53.9%

وتشير نتائج التحليل الإحصائي أن المتوسط الحسابي المرجح لتلك الآراء يساوي على الترتيب 4.31، 4.08، 3.85، 3.77، وتقع جميع هذه المتوسطات المرجحة في مدى الموافقة، وهذا يعني توفر هذه الأسباب من شأنها تخفيض معدلات استثمار القوى البشرية؛ مما ينعكس سلباً على النمو الاقتصادي بالمنطقة.

جدول (13) تهرب العمالة المحلية من العمل الفني والحرفي

المصدر: نتائج التحليل الإحصائي الملحق (2، و3).

مستوى الموافقة	الانحراف المعياري	الحسابي الوسط	درجة الموافقة										الإجابات	السؤال	ر.م
			%	غير موافق	%	غير موافق	%	غير متأكد	%	موافق	%	موافق جدا			
موافق	.855	4.31	-	-	-	-	23.1	3	23.1	3	53.8	7	- النظرية الاجتماعية المتدنية لهذه الأعمال.	تفهم العمالة المحلية في المنطقة من الأعمال الفنية والحرفية يعود إلى :	19
موافق	1.166	3.77	-	-	15.4	2	30.8	4	15.4	2	38.5	5	- سيطرة العمالة الوافدة على مثل هذه الأعمال.		
موافق	1.038	4.08	-	-	7.7	1	23.1	3	23.1	3	46.2	6	- توافر الأفضل في غيرها من الأعمال.		
موافق	1.573	3.85	7.7	1	7.7	1	23.1	3	7.7	1	53.8	7	- قلة حافظها وعاندها المالي.		

- دور المرأة في النمو الاقتصادي : تبين معطيات الجدول (14) أن مشاركة المرأة في العمل تؤدي إلى عدة

نتائج مرتبة حسب المتوسط الحسابي المرجح وهي:

جدول (14) دور المرأة في النمو الاقتصادي

مستوى الموافقة	الانحراف المعياري	الحسابي الوسط	درجة الموافقة										الإجابات	السؤال	ر.م
			%	غير موافق جدا	%	غير موافق	%	غير متأكد	%	موافق	%	موافق جدا			
موافق	1.155	4.00	-	-	15.4	2	15.4	2	23.1	3	46.2	6	- التوجه نحو قلة الإنجاب	مشاركة المرأة في العمل يؤدي إلى :	21
موافق	.987	4.15	-	-	7.7	1	15.4	2	30.8	4	46.2	6	- إهمال تربية الأبناء.		
موافق	.954	4.08	-	-	7.7	1	15.4	2	38.5	5	38.5	5	تأخر سن الزواج.		

المصدر: نتائج التحليل الإحصائي الملحق (2، و3).

- صغر حجم الأسرة بالمنطقة كان متوسطها الحسابي المرجح يساوي 4.16 ؛ بانحراف معياري قدره 0.954، بنسبة آراء موفقة بلغت 69.3%، وغير موافقة 15.4%، ومثلها غير متأكد.
- إهمال تربية الأبناء سجلت متوسط حسابي مرجح يساوي 4.15، بانحراف معياري قدره 0.987، بنسبة موافقة قدرها 77%، وغير موافقة 7.7%، وغير متأكد 15.4%.
- تأخر سن الزواج بلغ متوسطها الحسابي المرجح 4.08 ونسبة آراء الموافقة 77% من جملة المستجيبين، مقابل 7.7% غير متأكد، و15.4% غير موافقة
- التوجه نحو قلة الإنجاب، بلغ متوسطها الحسابي المرجح 4.00، بانحراف معياري قدره 1.155، وبنسبة موافقة قدرها 69.3% من إجمالي المستجيبين، مقابل 15.4% غير موافقة، ومثلها غير متأكد.
- وتوضح نتائج التحليل الإحصائي للردود الخاصة بما تؤدي إليه مشاركة المرأة في العمل أن المتوسط المرجح لجميع المتغيرات تقع في مدى الموافقة .

ب- المتغيرات الاقتصادية :

- يتضح من خلال نتائج التحليل الإحصائي المدونة في الجدول (و) أنه تم تحديد مجموعة من المتغيرات الرئيسية المتعلقة بمصادر تمويل النمو الاقتصادي، وعوامل استمراره، وأهميته لسكان المنطقة، وكفاءة الأنشطة الاقتصادية والتخطيط الاقتصادي كخيار استراتيجي، بالإضافة إلى الصعوبات والمشاكل المتعلقة بالقطاعات الإنتاجية أنا تحوي درجات متفاوتة بين الموافقة والرفض، وتتضمن كل منها مجموعة من العوامل الفرعية التي يمكن عرضها على النحو التالي:-
- عوامل استمرار مصادر تمويل النمو الاقتصادي: توضح البيانات الواردة بالجدول (15) أن 92.3% من جملة المشاركين في الدراسة يوافقون على استغلال الفرص التي يتيحها الاقتصاد الدولي، و7.7% غير متأكدين من ذلك.

وتؤكد نتائج التحليلات الإحصائية لهذه الآراء، أن المتوسط الحسابي المرجح بلغ 4.38، بانحراف معياري قدره 0.650، وهذا المتوسط يقع في مدى الموافقة، مما يشير إلى أن استمرار نمو الأقاليم المكانية له علاقة بالاقتصاد الدولي.

- كما تشير بيانات نفس الجدول أن الادخار والاستثمار من المصادر الأساسية لاستمرار النمو الاقتصادي حيث بلغت نسبة الموافقين على ذلك 99% من خبراء الاقتصاد بمنطقة الدراسة، بوسط حسابي مرجح 4.08 ؛ وبانحراف معياري قدره 0.641، وهذا المتوسط يقع في مدى الموافقة على أن المعدلات المرتفعة من الادخار والاستثمار تساهم في استمرار النمو الاقتصادي بمنطقة الدراسة.
- كما تشير النتائج الإحصائية إلى أن تنفيذ آلية السوق للقيام بتخصيص الموارد قد بلغ متوسطها الحسابي المرجح 4.23؛ بنسبة موافقة قدرها 84.6% من جملة الخبراء الاقتصاديين المشاركين في

الدراسة، 15.4% منهم فقط غير متأكد من ذلك، وهذا الأمر يبين أن الانفتاح الاقتصادي من العوامل الأساسية لاستمرار النمو الاقتصادي بمنطقة الدراسة. ويتضح من الجدول السابق أيضا أن 92.3% من إجمالي المستجيبين يوافقون على أن استمرار النمو الاقتصادي بمنطقة الدراسة يتوجب سياسة اقتصادية قابلة للتنفيذ الحكومي، و 7.7% منهم غير متأكدين من ذلك. وتشير المعالجات الإحصائية لتلك الردود إلى أن المتوسط الحسابي المرجح لها يساوي 4.38؛ بانحراف معياري قدره 0.650، وهذا المتوسط يقع في مدى الموافقة، ومنه يتضح أن دراسات الجدوى الاقتصادية من ضرورات السياسة الاقتصادية القابلة للتنفيذ؛ وبدونه تكون سياسة اقتصادية ربما تكون سياسة جيدة ولكن تنفيذها متعثر ومكلف وذا مساهمة محدودة في النمو الاقتصادي.

جدول (15) متطلبات استمرار النمو الاقتصادي بمنطقة الدراسة

ر.م	السؤال	العبارة	درجة الموافقة						المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوى الموافقة
			1	2	3	4	5	6			
5	إحداثك نمو اقتصادي واستمراره يتطلب:	- استغلال الفرص التي يتيحها الاقتصاد الدولي.	6	46.2	6	46.2	1	7.7	4.38	0.650	موافق
		- تحقيق معدلات مرتفعة للادخار والاستثمار	6	46.2	7	53.8	-	-	4.08	0.641	موافق
		- إتاحة أكبر فرص لآلية السوق للقيام بتخصيص الموارد	5	38.5	6	46.2	2	15.4	4.23	0.725	موافق
		- إحداث سياسات اقتصادية تكون الحكومة قادرة على تنفيذها	6	46.2	6	46.2	1	7.7	4.38	0.650	موافق

المصدر: نتائج التحليل الإحصائي الملحق (2، و3).

-الموارد الطبيعية :-

توضح البيانات الواردة بالجدول (16) أن جملة المشاركين في الدراسة يوافقون على أن التوزيع المتعادل للسكان بين البلديات يعد محركاً للنمو الاقتصادي، وتؤكد نتائج التحليلات الإحصائية لهذه الآراء، أن المتوسط الحسابي المرجح بلغ 4.15، بانحراف معياري قدره 0.376، وهذا المتوسط يقع في مدى الموافقة، مما يشير إلى أن التوازن المكاني للسكان عامل طبيعي يدفع السكان نحو النمو الاقتصادي المكاني.

ويدعم هذا العامل الاستثمار الأمثل للعمالة حيث تشير نتائج الاستبيان أن الخبراء الاقتصاديين يوافقون جميعهم على أن الاستثمار الأمثل للعمالة يعد محرك أساسي للنمو الاقتصادي، بمتوسط حسابي مرجح يساوي 4.31؛ بانحراف معياري قدره 0.480، وهذا المتوسط يقع في مدى الموافقة.

وتبين آراء الخبراء الذين شملتهم الدراسة أن الاستثمار الأمثل للعمالة لا يكون إلا بالتوجه نحو التصنيع والأعمال الإنشائية؛ حيث أفاد بذلك 92.3% منهم، مقابل 7.7% غير متأكدين من ذلك. ويشير التحليل الإحصائي لتلك الردود أن المتوسط الحسابي المرجح يساوي 4.31؛ بانحراف معياري قدره 0.630، وهذا المتوسط يقع في مدى الموافقة.

جدول (16) متطلبات استمرار النمو الاقتصادي بمنطقة الدراسة

ر.م	السؤال	العبارة	درجة الموافقة	الحسابي الوسط	المعياري الانحراف	الموافقة مستوى								
			موافق 1-4	%	موافق	%	غير متأكد	%	غير متأكد	%	غير متأكد	%	غير متأكد	%
4	تحت أي من الظروف الطبيعية محركا للنمو الاقتصادي؟	- التوزيع المتعادل للسكان بين بلديات المنطقة.	2	15.4	11	84.6	-	-	-	-	-	-	-	موافق 3.76
		- الاستثمار الأمثل للعمالة.	4	30.8	9	69.2	-	-	-	-	-	-	-	موافق 4.480
		- التوجه نحو التصنيع والأعمال الإنشائية	5	38.5	7	53.8	1	7.7	-	-	-	-	-	موافق 4.630

المصدر: نتائج التحليل الإحصائي الملحق (2، و3).

- متغير السياسة الإدارية (أسباب ثبات النمو الاقتصادي للمنطقة): تبين معطيات الجدول (17) أن 92.3% من آراء المستجوبين أفادوا بأن السكان يعتمدون على المرتبات من خزانة الدولة، وكذلك محدودية مساهمة القطاع الخاص في الناتج المحلي الإجمالي، مقابل 7.7% غير متأكدين من ذلك. ويوضح التحليل الإحصائي لتلك الردود أن المتوسط الحسابي المرجح السكان يعتمدون على المرتبات من الخزانة العامة للدولة يساوي 4.46؛ بانحراف معياري قدره 0.660، وهذا المتوسط يقع في مدة الموافقة، ومحدودية مساهمة القطاع الخاص في الناتج المحلي الإجمالي بلغ المتوسط الحسابي المرجح 4.64؛ بانحراف معياري قدره 0.519، ومنه يتضح أن شرط تنوع مصادر الدخل أمر لا بد منه في أي مكان لإحداث نمو اقتصادي بين سكانه.

جدول (17) أسباب ثبات النمو الاقتصادي للمنطقة

مستوى الموافقة	المعياري الاعتراف	الحسابي الوسط	درجة الموافقة									العبرة	السؤال	ر.م	
			%	غير موافق جدا	%	غير موافق	%	غير متأكد	%	موافق	%				موافق جدا
موافق	.660	4.46	-	-		-	7.7	1	38.5	5	53.8	7	اعتماد السكان على المرتبات من الدولة	ما هي أسباب عدم تغير معدلات النمو الاقتصادي لسكان المنطقة	6
موافق	.519	4.46	-	-		-	7.7	1	38.5	5	53.8	7	محدودية مساهمة القطاع الخاص في الناتج المحلي الإجمالي		
موافق	1.166	3.77	7.7	1	23.1	3	-	-	23.1	3	46.2	6	السياسة الاقتصادية للدولة		

المصدر: نتائج التحليل الإحصائي الملحق (2، و3).

وتبين بيانات الجدول ذاته أن 30.8% من آراء خبراء الاقتصاد بمنطقة الدراسة أفادوا بأن لا يمكن الاعتماد على السياسة الاقتصادية للدولة في توفير المدخرات لتمويل النمو الاقتصادي، مقبل أكثر من ضعف ذلك (69.3%) أفادوا أنه بالإمكان الاعتماد على تلك السياسة الاقتصادية للدولة، وكانت الردود موزعة على النحو التالي:

موافق جدا	46.2%
موافق	23.1%
غير موافق	23.1%
غير موافق جدا	7.7%

ويشير التحليل الإحصائي لتلك الردود أن المتوسط الحسابي المرجح يساوي 3.77؛ بانحراف معياري قدره 1.166، وهذا المتوسط يقع في مدى الموافقة، وهذا يؤكد أن الأفراد عنصر أساسي في المشاركة من أجل النمو الاقتصادي في منطقة الدراسة .

العلاقة بين وفرة الموارد الطبيعية بالمنطقة وبين مستوى الدخل فيها : تفيد بيانات الجدول (18) بأن نسبة 46.2% من المستجوبين أفادوا بعدم وجود تغير في متوسط دخل الفرد، مقابل تنوع نسب الآراء الباقية على النحو الآتي:

موافق جدا	15.4%
-----------	-------

موافق	15.4%
غير متأكد	23.1%
غير موافق	38.5%
غير موافق جدا	7.7%

جدول (18) العلاقة بين وفرة الموارد الطبيعية بالمنطقة وبين مستوى الدخل فيها

مستوى الموافقة	المعياري الانحراف	الحسابي الوسط	درجة الموافقة									الإجابات	السؤال	ر.م	
			موافق جدا	موافق	غير متأكد	غير موافق	غير موافق جدا	موافق	موافق	موافق	موافق				موافق
رفض	1.256	2.92	7.7	1	38.5	5	23.1	3	15.4	2	15.4	2	- هناك تغير نسبي في متوسط دخل الفرد.	هل هناك علاقة بين وفرة الموارد الطبيعية بالمنطقة وبين مستوى الدخل فيها؟	8
موافق	.927	3.23	-	-	30.8	4	15.4	2	53.8	7	-	-	- ليس هناك علاقة بسبب الاعتماد الكلي على عائدات النفط.		
رفض	.954	2.92	-	-	38.5	5	38.5	5	15.4	2	15.4	1	- يوجد تغير كبير في متوسط دخل الفرد لتعدد فرص العمل.		

المصدر: نتائج التحليل الإحصائي الملحق (2، و3).

وبين التحليل الإحصائي لتلك الردود أن المتوسط الحسابي المرجح يساوي 2.92 بانحراف معياري قدره 1.256؛ وهذا المتوسط يقع في مدى عدم الموافقة.

مقابل أن سبب العلاقة يعود إلى الاعتماد على النفط حيث أفاد 53.8% من جملة المستجوبين على ذلك، وغير الموافقين بلغت نسبتهم 30.8%، في حين أن 15.4% غير متأكدين، والتحليل الإحصائي بين أن المتوسط الحسابي 3.23؛ بانحراف معياري قدره 0.926، يقع ضمن مدى الموافقة. وعند ترجيح تغير متوسط دخل الفرد إلى تعدد فرص العمل أفاد ما نسبته 38.5% من خبراء الاقتصاد بالمنطقة بعدم الموافقة على ذلك، مقابل نفس النسبة أشارت بعدم التأكد من ذلك.

وبين التحليل الإحصائي أن المتوسط الحسابي المرجح يساوي 2.92؛ بانحراف معياري قدره 1.256، وهذا المتوسط يقع في مدى عدم الموافقة.

- البنية التحتية اللازمة للنمو الاقتصادي: توضح بيانات الجدول (19) أن نسب آراء الخبراء الاقتصاديين المشمولين بالدراسة كانت على النحو التالي:

موافق جدا	30.8%
موافق	38.5%
غير متأكد	15.4%

15.4 % غير موافق

فيما يتعلق بالجانب الأمني كونه احد مرتكزات النمو الاقتصادي بالمنطقة كانت نسبة آراء الخبراء الاقتصاديين قد بلغت 69.3% منهم وافقوا على ذلك، وكانت نسبة عدم الموافقة وغير المتأكدين 15.4% لكل منهم. ونتائج التحليل الإحصائي أفادت بأن المتوسط الحسابي المرجح لردود المستجيبين حول ذلك يساوي 3.85 ؛ بانحراف معياري قدره 1.068، وهذا المتوسط يقع في مدى الموافقة. وتبين معطيات الجدول ذاته أن 94.6% من جملة المستجوبين أفادوا بأن مقاومة شح المياه ومعالجة الصرف الصحي بالمنطقة من أساسيات النمو الاقتصادي بها، ونتائج التحليل الإحصائي لردود المستجوبين أثبتت أن المتوسط الحسابي المرجح يساوي 4.00؛ بانحراف معياري قدره 1.000، وبالتالي يقع هذا المتوسط في مدى الموافقة. وتنظيم توزيع الإنارة ووفرهما اعتبرت حسب آراء الخبراء الاقتصاديين من ضمن البنية الأساسية اللازمة للنمو الاقتصادي بالمنطقة، مع الطرق وسائل النقل حيث بلغت نسب الموافقة 76.9%، 84.6% على التوالي. وأفادت نتائج التحليل الإحصائي لتلك الردود أن المتوسط الحسابي المرجح يساوي 3.85، 4.00 لكل منهم على الترتيب، بانحراف معياري قدره 0.987، و1.000 على الترتيب، وبالتالي هذين المتوسطين يقعان في مدى الموافقة.

جدول (19) البنية التحتية اللازمة للنمو الاقتصادي

ر.م	السؤال	الإجابات	درجة الموافقة						موافق	موافق جداً	موافق	موافق جداً	
			موافق	موافق	موافق	موافق	موافق	موافق					
9	يتوقف مدى توافق البنية التحتية الضرورية للنمو الاقتصادي على:	-الأمن القومي. -وفرة المياه وكيفية التخلص من عوادمها. -الإنارة وحسن توزيعها . -الطرق ووسائل النقل.	4	30.8	5	38.5	2	15.4	2	15.4	3.85	1.068	موافق
			4	30.8	7	53.8	-	-	2	15.4	4.00	1.000	موافق
			3	23.1	7	53.8	1	7.7	2	15.4	3.85	.987	موافق
			4	30.8	7	53.8	-	-	2	15.4	4.00	1.000	موافق

المصدر: نتائج التحليل الإحصائي الملحق (2) و(3).

- الخيار الاستراتيجي تشير بيانات الجدول (20) ان 77% من جملة المستجيبين أفادوا بان لتنوع مصادر الدخل لابد من توزيع العائدات النفطية على القطاعات الإنتاجية، مقابل نسبة الذين أفادوا بعدم الموافقة على ذلك 23.1% فقط. ونتائج التحليل الإحصائي لتلك الآراء كانت بمتوسط حسابي مرجح 4.15 ؛ بانحراف معياري قدره 1.281، وهذا المتوسط يقع في مدى الموافقة.

وتبين نتائج الجدول ذاته أن 84.6% من جملة الخبراء الاقتصاديين بالمنطقة أفادوا بأن يفضلون استخدام جزء من العائدات النفطية لتنمية القدرات البشرية، مقابل 15.4% من إجمالي المستجيبين غير موافقين على ذلك.

وتشير نتائج التحليل الإحصائي لتلك الردود أن المتوسط الحسابي المرجح يساوي 4.23؛ بانحراف معياري قدره 1.092، وهذا المتوسط يعني الموافقة على تقسيم العائدات النفطية بين القطاعات الإنتاجية وتنمية القدرات البشرية كخيار استراتيجي للنمو الاقتصادي بالمنطقة.

وتؤكد بيانات الجدول المذكور أعلاه أن 84.6% من إجمالي آراء الخبراء الاقتصاديين أفادوا باستخدام العائدات النفطية المتراكمة لتوسيع الاستثمار العام في تجسيد البنية التحتية لتعزيز القطاع غير النفطي، مقابل ما نسبته 15.4% منهم بعدم الموافقة على ذلك، ونتائج التحليل الإحصائي لتلك الآراء تبين أن المتوسط الحسابي المرجح يساوي 4.23؛ بانحراف معياري قدره 1.092، وهذا المتوسط يقع في مدى الموافقة.

ويبين الجدول (21) أن 84.6% من إجمالي آراء الخبراء الاقتصاديين أفادوا بأن زيادة عائدات الأسر بما يسمح بمضاعفة النمو الاقتصادي يعد خيار استراتيجي آخر، مقابل أن 15.4% منهم غير موافقين على ذلك، والتحليل الإحصائي لهذه الآراء يشير إلى أن المتوسط الحسابي المرجح يساوي 4.23؛ بانحراف معياري قدره 1.092، وهذا يعني أن المتوسط يقع في مدى الموافقة.

جدول (21) إستراتيجية استثمار العائدات النفطية

ر.م	السؤال	الإجابات	درجة الموافقة									
			موافق جداً	%	موافق	%	غير متأكد	%	غير موافق	%	غير موافق جداً	%
12	يتطلب الخيار الإستراتيجي لاستخدام الموارد المالية الناتجة عن النفط باعتباره وسيلة لتعزيز النمو غير النفطي :	-توزيع العائدات النفطية على القطاعات الإنتاجية لتنويع مصادر الدخل. -استخدام جزء من العائدات لتحسين رأس المال البشري -استخدام العائدات النفطية المتراكمة لتوسيع الاستثمار العام في تجسيد البنية التحتية لتعزيز القطاع غير النفطي؟	8	61.5	2	15.4	-	-	3	23.1	-	-
		-استخدام العائدات لتحسين رأس المال البشري	7	53.8	4	30.8			2	15.4	-	-
		-استخدام العائدات النفطية المتراكمة لتوسيع الاستثمار العام في تجسيد البنية التحتية لتعزيز القطاع غير النفطي؟	7	53.8	4	30.8			2	15.4	-	-
		-زيادة عائدات الأسر بما يسمح بمضاعفة النمو الاقتصادي	4	30.8	7	53.8			2	15.4	-	-

المصدر: نتائج التحليل الإحصائي الملحق (2) و(3).

-أهمية النمو الاقتصادي للسكان بمنطقة الدراسة :

توضح بيانات الجدول (22) أن 84.6% من جملة المشاركين في الدراسة أفادوا بأنهم موافقون على ملائمة الأنظمة الاقتصادية لإحداث نمو اقتصادي بالمنطقة، مقابل 15.4% منهم غير متأكد، وبالتالي التحليل الإحصائي بين أن المتوسط الحسابي لتلك الإجابات يساوي 4.00؛ بانحراف معياري قدره 0.577، وهذا المتوسط يقع في مدى الموافقة. وعند التساؤل حول كفاءة الإدارة المحلية في التطوير والنمو الاقتصادي، كانت النسبة متباينة بين آراء خبراء الاقتصاد كما يلي:

موافق جدا	38.5%
موافق	46.2%
غير متأكد	23.1%
غير موافق	7.7%
غير موافق جدا	7.7%

ونتائج التحليل الإحصائي لتلك الآراء بينت أن المتوسط الحسابي المرجح يساوي 4.08؛ بانحراف معياري قدره 0.760، وبالتالي يقع هذا المتوسط في مدى الموافقة. وتشير بيانات الجدول ذاته أن 92.3% من جملة الآراء أفادت بكفاية الخطط والقرارات، مقابل 7.7% أفادت عكس ذلك، و7.7% غير متأكدين من كفاءة الخطط والقرارات المركزية. وتوضح النتائج الإحصائية تلك الآراء بان المتوسط الحسابي كان ضمن مدى الموافقة حيث بلغ 4.31؛ بانحراف معياري قدره 0.855، وهذا يعني أن ما يحدث من تراجع في النمو الاقتصادي مرده إلى آلية التنفيذ وليس إلى الخطط والقرارات.

جدول(22) أهمية النمو الاقتصادي للسكان بمنطقة الدراسة

ر.م	السؤال	الإجابات	درجة الموافقة						موافق جدا	موافق	غير موافق	غير موافق جدا	مستوى الموافقة
			موافق جدا	موافق	غير موافق	غير موافق جدا	موافق جدا	موافق					
13	أهمية النمو الاقتصادي للسكان بمنطقة الدراسة تظهر من خلال:	-ملائمة الأنظمة الاقتصادية لإحداث النمو الاقتصادي بالمنطقة.	2	15.4	9	69.2	2	15.4	2	69.2	15.4	موافق	
		-كفاءة الإدارة المحلية في التطوير والنمو الاقتصادي.	5	38.5	6	46.2	1	7.7	1	7.7	7.7	موافق	
		-فعالية الخطط والقرارات	3	23.1	9	69.2	1	7.7	1	7.7	7.7	موافق	

المصدر: نتائج التحليل الإحصائي الملحق (2، و3).

- كفاءة الأنشطة الاقتصادية بالمنطقة: توضح بيانات الجدول (23) آراء خبراء الاقتصاد بمنطقة الدراسة حول مدى كفاءة الأنشطة الاقتصادية بها، فكانت الردود على النحو الآتي:-
- الالتزام بتنفيذ القوانين واللوائح والقرارات المساندة للنمو الاقتصادي سجلت نسبة 100% موافقة جميع المشاركين من خبراء الاقتصاد بالمنطقة.
- مواكبة العمالة والإدارة للتطورات العلمية التقنية الملائمة للنمو الاقتصادي، كانت الآراء الموافقة قد بلغت نسبة 84.6% من جملة المستجيبين، ونسبة 15.4% منهم غير متأكدين.
- ملائمة التخصص مع الوظيفة (الموظف المناسب في المكان المناسب)، أفادوا بالموافق موافقة ما نسبته 84.6% من إجمالي المستجيبين، والنسبة الباقية غير متأكدة من ذلك.
وبينت نتائج التحليل الإحصائي أن المتوسط الحسابي المرجح لتلك الردود جميعها وصلت إلى 4.00 فأكثر؛ بانحراف معياري ما بين 0.480 إلى 0.689، أي كلها في مدى الموافقة.

جدول (23) كفاءة الأنشطة الاقتصادية بالمنطقة

م. ر.	السؤال	الإجابات	درجة الموافقة						مستوى الموافقة	المعياري الانحراف	الحسابي الوسط		
			مؤقتة لا	%	مؤقتة نعم	%	مؤقتة نعم	%					
14	هل الأنشطة الاقتصادية ذات كفاءة ملائمة لإحداث نمو اقتصادي؟	ملائمة التخصص مع الوظيفة (الموظف المناسب في المكان المناسب).	2	15.4	9	69.2	5	38.5	-	-	4.00	577	موافق
		مواكبة العمالة والإدارة للتطورات العلمية التقنية الملائمة للنمو الاقتصادي.	4	30.8	7	53.8	2	15.4	-	-	4.15	689	موافق
		الالتزام بتنفيذ القوانين واللوائح والقرارات المساندة للنمو الاقتصادي.	4	30.8	9	69.2	-	-	-	-	4.31	480	موافق

المصدر: نتائج التحليل الإحصائي الملحق (2، و3).

- التوسع الحضري: تشير معطيات الجدول (24) ترتيب أسباب التوسع الحضري حسب آراء الخبراء الاقتصاديين في منطقة الدراسة، وكانت على النحو التالي:-
ملائمة الطرق لاحتياجات السكان (قلة الطرق المؤدية إليها) (المدخل) والطرق الخارجة منها إلى مجاوراتها) (المخارج)، جاء في الترتيب الأول بنسبة 69.2% من إجمالي المشاركين في الدراسة، مقابل 30.8% غير موافقين.

- تركز أغلب الأنشطة الحكومية فيها (المدن)، الترتيب الثاني بنسبة 69.2% من إجمالي المشاركين في الدراسة، مقابل 23.1% غير موافقين، و7.7% غير متأكدين.

- احتوائها على أغلب الأنشطة التجارية، الترتيب الثالث بنسبة 69.2% من إجمالي المشاركين في الدراسة، مقابل 23.1% غير موافقين، و7.7% غير متأكدين.

وتشير نتائج التحليل الإحصائي لتلك الإجابات أن متوسطها الحسابي المرجح زاد عن 3.00؛ وبانحراف معياري بين 1.166 إلى 1.382، وهذه المتوسطات تقع جميعها في مدى الموافقة.

جدول (24) أسباب تباين أحجام المراكز الحضرية (المدن)

ر.م	السؤال	الإجابات	مدى الموافقة												
			موافق 14	موافق 5	متأكد 1	غير موافق 3	غير موافق جدا	موافق 4	موافق 3	موافق 23.1	موافق 30.8	موافق 7.7			
17	من أسباب الرئيسية لتباين أحجام المراكز الحضرية (المدن)؟	تركز أغلب الأنشطة الحكومية فيها.	4	30.8	5	38.5	1	7.7	3	23.1	-	-	3.92	1.382	موافق
		احتوائها على أغلب الأنشطة التجارية.	4	30.8	5	38.5	1	7.7	3	23.1	-	-	3.77	1.166	موافق
		قلة الطرق المؤدية إليها (المدخل والظرق الخارجة منها إلى مجاوراتها) المخارج	2	15.4	7	53.8	-	-	4	30.8	-	-	4.00	1.225	موافق

المصدر: نتائج التحليل الإحصائي الملحق (2، و3).

- المشاكل التي تعاني منها القطاعات الإنتاجية في منطقة الدراسة تشير معطيات الجدول (25) إلى أن هناك العديد من المشاكل التي تشد النمو الاقتصادي بمنطقة الدراسة وأمكن ترتيبها حسب آراء الخبراء الاقتصاديين بالمنطقة على النحو التالي:-

- انخفاض الدعم الحكومي للقطاعات الإنتاجية، أفادت بالموافقة نسبة 77% من جمل الإجابات، مقابل 15.4% غير متأكدين، ونسبة 7.7% غير موافقين، وبمتوسط حسابي مرجح يساوي 4.15؛ بانحراف معياري قدره 0.987.

- تدني خصوبة التربة وصعوبة التغلب عليه أفادت بالموافقة نسبة 69.2% من جمل المستجوبين، مقابل 32.1% غير متأكدين، ونسبة 7.7% غير موافقين، وبمتوسط حسابي مرجح يساوي 4.15؛ بانحراف معياري قدره 1.068.

- عدم وجود بنية تحتية للأنشطة الإنتاجية، أفادت بالموافقة نسبة 84.7% من جمل المستجوبين، مقابل 7.7% غير متأكدين، ونسبة 7.7% غير موافقين، وبمتوسط حسابي مرجح يساوي 4.08؛ بانحراف معياري قدره 1.115.

- شح المياه وصعوبة الحصول عليها، أفادت بالموافقة نسبة 69.2% من جمل المستجوبين، مقابل 23.1% غير متأكدين، ونسبة 15.4% غير موافقين، وبمتوسط حسابي مرجح يساوي 3.92؛ بانحراف معياري قدره 1.188.

وتبين نتائج التحليل الإحصائي لتلك الإجابات أن متوسطها الحسابي المرجح زاد عن 3.00؛ وبانحراف معياري يتراوح بين 0.987 إلى 1.188، وهذه المتوسطات تقع جميعها في مدى الموافقة.

جدول (25) مشاكل القطاعات الإنتاجية

مستوى الموافقة	المعياري الانحراف	الحسابي الوسط	مدى الموافقة										الإجابات	السؤال	20
			%	غير موافق جدا	%	غير موافق	%	غير متأكد	%	موافق	%	موافق جدا			
موافق	1.115	4.08	7.7	1	-	-	7.7	1	46.2	6	38.5	5	عدم وجود بنية تحتية للأنشطة الإنتاجية.	تعاني القطاعات الإنتاجية من مشاكل عدة : تكمن في:	20
موافق	1.188	3.92	-	-	15.4	2	23.1	3	15.4	2	46.2	6	شح المياه وصعوبة الحصول عليها.		
موافق	1.068	4.15	-	-	7.7	1	23.1	3	15.4	2	53.8	7	تدني خصوبة التربة وصعوبة التغلب عليه		
موافق	.987	4.15	-	-	7.7	1	15.4	2	30.8	4	46.2	6	انخفاض الدعم الحكومي للقطاعات الإنتاجية.		

المصدر: نتائج التحليل الإحصائي الملحق (2، و3).

يستخلص مما تقدم أن النتائج التالية: العبارات الديموغرافية التي نالت موافقة خبراء الاقتصاد بمنطقة الدراسة بلغ ما نسبته 13.9% من إجمالي المتغيرات الواردة في الدراسة، ورفضت 12.5% من إجمالي متغيرات الدراسة. وكانت نسبة الموافقة على المتغيرات الاقتصادية 70.8% من إجمالي المشمولين بالدراسة، ورفضت 2.8%.

وعند تحليلها وربطها بفرضيات الدراسة تبين أن الفرضية الأولى: ومفادها " التوزيع الجغرافي للسكان دور مهم في النمو الاقتصادي" وعند التعبير عن النمو الاقتصادي بمستويات الدخل الفردي، اتضح أن نتائج التحليل الإحصائي تشير إلى أن اختلاف مستويات دخل الفرد لا تتأثر بتباين التوزيع الجغرافي للسكان حيث بلغ المتوسط الحسابي المرجح لردود الخبراء الاقتصاديين بالمنطقة 2.92، بنسبة 46%

من إجمالي المستجوبين غير موافقين على وجود أثر لتباين التوزيع الجغرافي للسكان على اختلاف مستويات الدخل، وهذا ينفي الفرضية السابقة، ويؤكد أن تباين توزيع السكان لا يصاحبه اختلاف في مستويات الدخل، ويرجع ذلك إلى أن معظم دخول الأفراد (محصلة متوسط نصيب الفرد من الدخل القومي) تخضع للخرينة العامة سواء على شكل مرتبات مقابل العمل الذي يقوم به الفرد، أو المعاش الأساسي الذي يتقاضاه الفرد بعد سن 64 سنة أو وقوعه تحت بند الإعاقة .

ونفي اختلاف مستويات الدخل وعلاقته بتباين التوزيع الجغرافي للسكان يشير إلى انخفاض مساهمة القطاع الخاص في انتزاع العمالة من دخول الخزينة العامة (شبه الثابتة عند مقارنتها بدخول القطاع الخاص)، وانخفاض دوره في المساهمة في النمو الاقتصادي بالمنطقة.

الفرضية الثانية: التي مفادها أن النمو السكاني يساهم فعليا في إحداث نمو اقتصادي بالمنطقة، يلاحظ أن تزايد السكان يوفر احتياجات المنطقة من القوى العاملة لان ضمن هذا الحجم هناك الفئة العاملة، وتزايدها يؤدي إلى انخفاض نسب الإعالة؛ وبالتالي يزيد معدل النمو الاقتصادي، حيث بين التحليل الإحصائي أن المتوسط الحسابي المرجح لردود المستجوبين من الخبراء الاقتصاديين بالمنطقة أنه يفوق المتوسط العام بحوالي 0.08، وانحراف معياري قدره 1.32، وهذا ما يؤيد هذه الفرضية.

الفرضية الثالثة : ما هي سبل تطوير المنطقة وجعل سكانها يساهمون في إحداث نمو اقتصادي بها، اتضح أن استمرار الزيادة السكانية يؤدي إلى ضرورة توفر أماكن للإقامة لهذه الأعداد المتزايدة؛ ولكن ليس على حساب انخفاض الإنتاج الذي يعتبر مؤشر للنمو الاقتصادي؛ حيث تبين أن تراجع الإنتاج لا يرجع إلى زيادة الطلب على المساحات للإقامة عليها لان التوسع ليس بالضرورة أن يكون أفقيا، وعليه فان تقلص الإنتاج يعود لأسباب أخرى: كشح المياه، وسوء التخطيط الزراعي والصناعي، وعدم توفر الخدمات المناسبة لكبح التوسع الحضري، وفرض التوسع الريفي الذي مازال محدودا، وانخفاض الدعم الحكومي للقطاعات الإنتاجية، وتدني خصوبة التربة، وعدم توفر بنية تحتية تدعم الأنشطة الإنتاجية.

ويؤكد التحليل الإحصائي لأراء الخبراء الاقتصاديين أن 77% من جملة المستجوبين أفادوا بانخفاض الدعم الحكومي للقطاعات الإنتاجية، و69.2% من إجمالي الخبراء المشاركين في الدراسة أكدوا على تدني خصوبة التربة، ووافق على عدم وجود بنية تحتية تدعم الأنشطة الإنتاجية بمنطقة الدراسة ما نسبته 84.7% من إجمالي المستجوبين، وراء ما نسبته 69.2% أن انخفاض الإنتاج يرجع إلى شح المياه وصعوبة الحصول عليها، لذلك عند العمل على تجنب هذه العوامل سيجعل السكان دور بارزا في إحداث نمو اقتصادي بأماكن إقامتهم.

ثانياً: نتائج الدراسة :

اتضح أيضاً من خلال الدراسة أن حجم السكان المتزايد؛ وان كان ببطء؛ فهو مصدر استثمار ديموغرافي مهما في النمو الاقتصادي، حيث ولد التزايد السكاني في منطقة الدراسة قوة بشرية يتباين توزيعها إلا أنه يعد مؤشراً لعدم استغلال كل المساحات بنمط متقارب، وبالتالي تناقص المساحات القابلة للإنتاج يصاحبه البطء الشديد؛ غير أن نوعية الأنشطة الاقتصادية في مكان ما؛ وبالتحديد في المدن؛ والمحلات المحيطة بها تؤثر تأثيراً ملموساً على توزيع السكان، والتداخل بين الأنشطة يعد عاملاً جذباً للتركز السكاني الكثيف، كما في بلدية الزاوية التي تجمع بين أنشطة الخدمات والتجارة والى حد ما الصناعة.

- كشفت الدراسة عن ضعف إسهام التوزيع السكاني في النمو الاقتصادي والذي يرجع إلى العوامل التالية:-

- تعرض أطراف البلديات في الجهات الجنوبية إلى عدم العناية والإهمال.
- انتشار مساحات واسعة خالية من الاستثمار (الإنتاج) الاقتصادي ضمن البلدية الواحدة.
- وجود خصائص بيئية تقف حائلاً أمام النمو الاقتصادي لها؛ ممثلة في انتشار الكثبان الرملية التي تجعل مقومات النمو والتطور مكلفة جداً؛ في وسط وجنوب بلديات صرمان، العجيلات.
- تركز الخدمات العامة والخاصة في بعض أجزاء المدن الرئيسية، وبالتالي انخفضت مستويات البنية التحتية في الأطراف شبه الحضرية والريفية لكل بلديات منطقة الدراسة، وهذا شجع على انتقال بعض السكان إلى حيث تتوفر الخدمات العامة تاركين ممتلكاتهم (أرضهم) دون استثمار.
- تركيز الاستثمار الاستراتيجي في بلديات معينة نتيجة موقعها مثل صناعة تكرير النفط في الزاوية على البحر المتوسط، وصناعة الغاز الطبيعي في شمال العجيلات.

ثالثاً : التوصيات :

توصلت الدراسة في ضوء الإطار النظري والعملي إلى جملة من النتائج، ولاستكمال تحقيق كامل الأهداف تقدم التوصيات التالية:

- 1- التوجه نحو استثمار خصائص المكان للمساهمة في زيادة الدخل القومي؛ كالتوجه نحو استغلال الشواطئ البحرية المتسعة في مجالات الصيد والصناعة والسياحة والترفيه لدعم مصادر النمو الاقتصادي بمنطقة الدراسة، لأنها ستولد دخل إضافي بتكاليف محدودة جداً مع رواج السوق محلياً وخارجياً لمنتجات مثل هذا المجال.

- 2- عدم إهمال المشروعات التي بدأ في تنفيذها عن طريق استمرار الدراسات لمعالجة الأخطاء؛ والوصول إلى الأهداف بأقل التكاليف كمحاولة للاستفادة من تجارب السنوات السابقة، ودعمًا للنمو الاقتصادي بالمنطقة.
- 3- التوجه نحو مساهمة القطاع الخاص في تمويل النمو الاقتصادي عبر مشاركته في جميع أوجه الاستثمار المحلي، لأنه الأقدر على إطالة حسن الإنتاج واستمراره وبالتالي ضمان عائداته على السكان ككل.
- 4- لنشر دوافع النمو الاقتصادي في منطقة الدراسة يجب العمل على إنشاء مراكز للنمو الريفي لتعمل على تنمية مجموعة من المحلات الواقعة خارج مخططات المدن عن طريق إمدادها بالخدمات اللازمة لعمليات التحديث الريفي، أو ما يعرف بالمجتمع الريفي- الحصري القابل للنمو وهو المكان الجغرافي الذي توجد فيه على الدوام فرص عمل تؤدي إلى وقف حركة أو نزوح العمالة الزراعية الرعوية من ناحية؛ وسكان الريف من ناحية أخرى، وهذا الأمر يحد من تفرغ الريف من سكانه، ويزداد دوره في المساهمة في النمو الاقتصادي.
- 5- العمل على تنويع القاعدة الاقتصادية للمدن وتطويرها عن طريق إنشاء مناطق صناعية، ومناطق خدمية، ومناطق سياحية لكي تتحول مراكز التجمعات السكانية إلى وظائف حضرية لها إنتاجها المتخصص؛ ويكون بؤر لجذب العمالة بأصنافها (الفنية وغير الفنية).
- 6- إحداث منظومات للنقل العام، والعمل على تطويرها باستمرار، وتشجيع السكان على استخدامها عن طريق فرض رسوم على مواقف السيارات الخاصة، وتخصيص معظمها (مواقف السيارات) للنقل العام، وهذا من شأنه الحد من إهدار الأموال، والوقت، لتوجيهها إلى الاستثمار لتساهم في النمو الاقتصادي بالمنطقة.
- 7- تبني سياسة دراسة الجدوى الاقتصادية قبل تنفيذ أي مجال من شأنه المساهمة في زيادة النمو الاقتصادي المكاني.

المراجع والمصادر

أولاً: الكتب

- عبد الفتاح، عز ، مقدمة في الإحصاء الوصفي والاستدلالي باستخدام SPSS ، الجزء الثالث.
- موراي، شبيجل، (ترجمة)، شعبان عبد الحميد شعبان، ملخصات شوم نظريات ومسائل في الإحصاء ، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، ط7، 2004م.
- القصاص، مهدي محمد ، الإحصاء والقياس الاجتماعي 2007.
- على الموقع ثانياً: النشرات والدوريات www.mahdelkassasname.eg/books/stati.doc بتاريخ 2013/11/22م
- الجماهيرية الليبية، أمانة التخطيط، مصلحة المساحة، الأطلس الوطني، طرابلس، 1978م.
- الجماهيرية الليبية، الكتاب الإحصائي 2009م، الهيئة العامة للمعلومات.

- الاستعانة بمحتويات الموقع: [Websiethttp // Earth Google.com](http://Earth.Google.com) بتاريخ 25/11/2013م.
- الهيئة العامة للمعلومات، النتائج النهائية للتعهد العام للسكان عام 2006م، زواره.
- _____، النتائج النهائية للتعهد العام للسكان عام 2006م، الزاوية.
- الجماهيرية الليبية، اللجنة الشعبية العامة، نتائج تعداد العام للسكان 2006م، الهيئة العامة للمعلومات، الزاوية، (طرابلس، 2008م).
- _____، نتائج تعداد العام للسكان 2006م، الهيئة العامة للمعلومات، زواره، (طرابلس، 2008م).

مدى التزام الخبير المالي بالمحاكم الليبية بأخلاقيات مهنة المحاسبة

الدكتور : حامد مولود علي الرك

قسم المحاسبة

كلية الاقتصاد - صرمان

جامعة الزاوية - ليبيا

ملخص البحث :

يهدف البحث إلى تقييم مدى الالتزام الخبراء الماليين بالمحاكم الليبية بأخلاقيات مهنة المحاسبة، ولتحقيق هذا الهدف فقد تم استخدام المنهج التحليلي الاستقرائي وذلك من خلال الرجوع والاطلاع على الكتب والدوريات والمجلات، وعدد من منشورات مجمع المحاسبين القانونيين الأمريكي (AICPA) ومجلس الاتحاد الدولي للمحاسبين، وقوانين الخبرة القضائية، وكما تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي من خلال تصميم استبانة مكونة من جزئين، الجزء الأول بيانات عن عينة البحث والجزء الثاني مكون من (18) فقرة، لتغطية الجوانب المختلفة للبحث، والمتعلقة بأخلاقيات مهنة المحاسبة، حيث تم توزيع (42) استبانة أستلم منها (39) استبانة صالحة لتحليل فقراتها، تم تحليل بياناتها باستخدام الأساليب الإحصائية المناسبة التي أظهرت إن درجة التزام الخبراء الماليين بالمحاكم الليبية بأخلاقيات مهنة المحاسبة بشكل عام جيدة جداً، حيث بلغت نسبة الالتزام (73.8%)، كما أظهرت النتائج إن الخبراء الماليين بالمحاكم الليبية لا يختلفون فيما بينهم من حيث درجة الالتزام بأخلاقيات مهنة المحاسبة، حيث بلغت قيمة $0.05 <$ عند مستوى معنوية (95%) .

The Extent to Which Financial Expert Libyan Courts Ethics Of the Accounting Profession

Abstract:

The Research Aims to Access the Extent Of the Commitment Of the Libyan Financial Experts Courts Ethics Of the Accounting Profession, to Achieve this goal it has been usa of the analytical method and inductive through reference and access to Books and Periodicals and magazines, and A number of publications of the American Academy of certified Public Accountants (AICPA) and the International Federation of Accountants council, and the Judicial Experience Laws, and has also been used descriptive analytical Approach by designing a questionnaire composed of two parties: The first part of the data for the sample research and the second part created (18) paragraph to cover the various aspects of the research, and related to the ethics of the accounting profession, where a questionnaire was distributed (42) of them received (39) valid questionnaire for the analysis of its clauses, Data were analyzed using appropriate statistical methods, which showed that the degree of commitment of Financial experts Libyan courts ethics of the accounting profession in general is very good. Where the percentage of commitment is about (73.8%), as results shower

that financial experts Libyan courts do not differ among themselves in terms of the degree of commitment to the ethics of the accounting profession as the value of 0.05 < when the level of significance (95%).

الكلمات الدالة Key words: معايير أخلاقيات مهنة المحاسبة والمراجعة القانونية، الخبراء الماليين بالمحاكم الليبية (الخبير الحسابي)، آداب وسلوك المهنة، المحاكم الليبية، وزارة العدل، المتطلبات الأساسية لمهنة الخبير المالي .

المقدمة :

إن قيام دعائم الدولة بشكل سليم يساعد في تحقيق العدالة في ما بين أفراد المجتمع والعلاقات والمعاملات فيما بينها، وإن من بين هذه الدعائم الرئيسية تكمن في مكتب جدول الخبرة القضائية، الذي يعتمد عليه بشكل كبير جداً في الفصل في النزاعات والدعاوي القضائية، ولذلك فإن الخبرة المالية تعتبر أحد الروافد والدعائم ذات الطابع المدني والتجاري في دوائر القضاء بشكل عام ودوائر القضاء الإداري بشكل خاص.

ولاشك إن التزام الخبراء الماليين بأخلاقيات مهنة المحاسبة يخدم مهنة المحاسبة بشكل عام من حيث الرفع من مكانة المهنة وأعضائها ووظائفها في نظر الآخرين، كما تكون تقارير ونتائج أعمالها موضع ثقة عالية فضلاً عن إتاحة الفرصة للخبراء الماليين لأداء وظائفهم بكفاءة مرتفعة، ويمكن حصر أهم المبادئ الأخلاقية لمهنة المحاسبة في الأمانة والاستقامة وحفظ الوعد والولاء والإخلاص والعدالة، والاهتمام واحترام الآخرين والالتزام بالمواطنة والقوانين والمثابرة والسعي نحو التفوق والمسئولية، ولاشك أن هناك اختلاف فيما بين الأفراد في امتلاكهم لتلك المبادئ أو القيم الأخلاقية أو درجة الأهمية النسبية لكل بند، حيث تنتج تلك الفروق نتيجة ممارسة الحياة، وعموماً يجب أن يتم تشجيع السلوك الأخلاقي للأفراد في مجال الممارسة أو المهنة أو العمل، كما يجب إن يتم استخدام القيم في القوانين واللوائح التنظيمية وكذلك المواعظ الدينية وأخذ بحديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم " من عمل منكم عملاً فليتقنه " (حديث شريف)⁽¹⁾

مشكلة البحث :

تعد الفلسفة الأخلاقية للفرد واحداً من أهم المتغيرات الشخصية التي لها دور في عملية صنع القرار، وأنه من المستحيل بناء أي نموذج لعملية صنع القرار دون تقييم المعايير الأخلاقية المستمدة من الفلسفة الأخلاقية للفرد، وأن الأفراد العاملين بمنظمات الأعمال يسترشدون بالقواعد والمبادئ المستمدة من فلسفة أخلاقياتهم عندما يتعرضون لأي مشكلة أو تهديد يحمل في طياته مأزقاً أخلاقياً ، Gresham (1985)⁽²⁾.

وتعرف الأخلاقيات (Ethics) بصفة عامة على أنها " مجموعة من القيم أو المبادئ الأخلاقية (Moral Principles) والتي يمتلكها كل فرد والتي تمثل الخصائص التي يتعين أن تتوافر في السلوك الأخلاقي (Ethical Conduct) لهم " وكأمثلة على خصائص تلك المبادئ الأخلاقية منها: الأمانة (Honesty)، الاستقامة (Integrity)، حفظ الوعد (Promise Keeping)، الولاء والإخلاص (Loyalty and Hdelity)، العدالة (Fairness)، الاهتمام واحترام الآخرين (Caring and Respect of Others)، الالتزام بالمواطنة والقوانين (Responsible Citizenship)، المثابرة والسعي نحو التفوق (Pursuit of Excellence)، المسؤولية (Accountability)، ولاشك أن هناك اختلاف فيما بين الأفراد في امتلاكهم لتلك المبادئ أو القيم الأخلاقية أو درجة النسبية لكل مبدأ (أمين، لطفي، 2008، صص 13-15) ⁽³⁾.

إن الخبرة المالية هي مهنة حرة لكن نظراً لأهميتها وشيوعها فإن المشرع نظمها بطريقة تحدد جداول للخبراء المقبولين أمام كل محكمة وشروط القيد بها وكيفية رقابة عمل الخبير ومساءلته تأديبياً (محمد، عمر، 1978، صص 456) ⁽⁴⁾، وإن أعمال الخبرة تتنوع بحسب المسائل العلمية والفنية المتعلقة بالنواحي الطبية أو الهندسية أو المحاسبية أو الميكانيكية أو الكيمائية أو الكهربية أو الخطوط أو التصوير أو بالتزوير أو بالملاحة البحرية أو الجوية أو غيرها وسواء نصت على الأشياء أو على الأشخاص، ونصت المادة الأولى من قانون الخبرة القضائية رقم (1) لسنة 2003م بشأن تنظيم الخبرة القضائية في ليبيا على أن " يقوم بأعمال الخبرة أمام المحاكم الخبراء المتخصصون في المجالات كافة الذين يستعان برأيهم الفني أو العلمي عند الاقتضاء، ويتم قيد هؤلاء الخبراء في الجداول حسب تخصص كل منهم، وفقاً لأحكام هذا القانون"، ووظيفة الخبير في القانون ووظيفة معاونة للقضاء في التعرف على الحقيقة الأمر في مسألة فنية فيتوقف عليها الفصل في الدعوى، فيقول الله عز وجل في كتابة العزيز " وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ" (الاية 14 سورة فاطر)، وقوله تعالى: فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" (الآية 43 سورة النحل)، وفي حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال " المستشار مؤتمن" (حديث شريف)، حيث وصف الإسلام الخبير بأن يكون أهلاً للمعرفة والعدالة والعلم والنزاهة.

ومن ذلك إن الفقه الإسلامي وضع معايير لأخلاقيات مهنة الخبير بشكل عام والخبير المالي بشكل خاص حيث كان يسمى الخبير المالي بالخارص ومن الأمثلة على ذلك كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يبعث عبدالله بن رواحه إلى يهود خيبر فيحرص عليهم الدخول حتى يقدر عليهم الجزية (السيد، محمود، 2007م، صص 12) ⁽⁵⁾، كما اهتمت المنظمات والجمعيات المهنية في العديد من الدول بوضع دليل لسلوك مهنة المحاسبة والمراجعة وقامت بتطويرها مع تطور العمليات المحاسبية والاقتصادية، وإن عدم لإمام والتقييد والعمل بمعايير أخلاقيات مهنة المحاسبة والمراجعة لا يمكن الخبراء

الماليين من القيام بالمهام الموكلة إليهم ويعرض الدعاوى محل الخبرة للانحراف عن العدالة في إصدار الأحكام المتعلقة بتلك الدعاوى، ويمكن تحديد مشكلة البحث من أن (هل يلتزم الخبراء الماليين بالمحاكم الليبية محل البحث بأخلاقيات مهنة المحاسبة؟) .

أهمية البحث :

تتطلب الحكومات ووكالاتها بعملية توزيع الموارد عن طريق نشاطات ومشاريع تتطلب معلومات من أجل تنظيم وتحديد السياسات والإجراءات المحاسبية اللازمة للإتباع في هذه المشاريع أو المؤسسات الحكومية وغيرها من أنشطة الدولة، وبالطبعي تحدث خلافات ونزاعات فيما بين العملاء والشركات والمشاريع أو بين المؤسسات الحكومية وغيرها من النزاعات بشأن تطبيق التعاقدات فيما بينها، أو بين العاملين فيها أو الشركاء أو الورثة في حال التصفية أو التثمين وتسعير المواد أو تحديد تكاليف الجهد وغيرها من الأمور التي تحتاج للعمليات المحاسبية والمالية، وإن تقييم وفض النزاعات يحتاج لرفع الدعاوى القضائية والتي بدورها في حاجة ماسة لمعلومات موثوق بها وملائمة لاتخاذ القرار والحكم في النزاع القائم، وإن استخراج معلومات تتصف بالملائمة والموثوقية وتتميز بالدقة والصدق والأمانة والعدالة يتطلب بيانات ملائمة وموثوق بها تعبر عن الميزانية العمومية وعن الدخل والتدفقات النقدية وقوائم التكاليف التي يتطلبها مبدء الإفصاح، مما يتطلب معه خبراء ماليين على درجة عالية من الكفاءة والفاعلية في استخدام الأدوات والإجراءات اللازمة لمعالجة البيانات وتحويلها إلى معلومات في شكل تقارير مالية تفيد طالبيها، ومن هنا تأتي أهمية البحث من خلال تسليط الضوء على دور الخبراء الماليين بالمحاكم الليبية محل البحث ومدى التزامهم بمعايير أخلاقيات مهنة المحاسبة والمتمثلة في مجموعة من القيم والمبادئ والقواعد الأخلاقية، وتعتبر البحوث والدراسات المرتبطة بأخلاقيات مهنة المحاسبة قليلة، لذا نأمل من خلال نتائج هذا البحث في إثراء المكتبة الليبية بشكل عام والمكتبة المحاسبية بشكل خاص، كما إن هذا البحث من البحوث الأولية التي تناولت الجوانب الأخلاقية والأدبية للخبراء الماليين بالمحاكم الليبية، ومن ثم فإن نتائجه يمكن أن تساهم إيجابياً في دعم المناخ الأخلاقي بمجال مهنة المحاسبة والمراجعة القانونية، ويمكن أن يشجع الباحثون وكل الطوائف المهتمة بمشاكل الفساد الإداري والمالي بالهيئات والمنظمات الليبية لإجراء مزيداً من البحوث والدراسات التي تساعد في الرفع من الالتزام بمعايير أخلاقيات المهنة.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى التعرف على مدى الالتزام الخبراء الماليين بالمحاكم الليبية حول مسؤوليتهم واهتمامهم بأخلاقيات وسلوك مهنة المحاسبة عند أداء المأموريات المكلفين بها، كما يهدف البحث إلى التعرف على واقع الخبرة المالية بالمحاكم الليبية، وتقديم بعض التوصيات التي يرجى أن تساهم في الرفع من أعمال الخبرة القضائية بشكل عام والخبرة المالية بشكل خاص.

فرضية البحث:

يهدف هذه البحث إلى التعرف على مدى الالتزام الخبراء الماليين بالمحاكم الليبية بأخلاقيات مهنة المحاسبة، ومن خلال اختبار الفرضية العدمية التالية (إن الخبراء الماليين بالمحاكم الليبية غير ملتزمين بمبادئ وقواعد أخلاقيات مهنة المحاسبة) .

الدراسات السابقة:

هدفت دراسة (كاظم، 2013م)⁽⁶⁾ إلى تشخيص العوامل المؤثرة على استقلال مراقب الحسابات والتي وصفتها إلى عوامل موضوعية وأخرى شخصية تؤثر بدرجة متفاوتة على استقلاله، واستخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي والذي توصل إلى أن معايير التدقيق والسلوك المهني هي العامل الأكثر تأثيراً باستقلالية مراقب الحسابات، وأن النزاهة والأمانة والصدق من الصفات التي لا بد من توافرها في مراقب الحسابات المستقل.

أما دراسة (Citron، 2003م)⁽⁷⁾ اهتمت الدراسة بوضع إطار مقترح في المملكة المتحدة بخصوص استقلال المراجع والمتاجرة باستخدام الأتعاب لهذه المراجعة، وكيف يجب أن يلتزم المحاسبين القانونيين في المملكة المتحدة بقواعد السلوك المهني، النزاهة والموضوعية والاستقلال، بعد أن وجهت الانتقادات إلى مهنة المراجعة، وكذلك القضايا المرفوعة ض\ مراجعي الحسابات أمام المحاكم، وأن الإطار المقترح يتطلب تغيير المفاهيم المتعلقة بالاستقلالية للمراجع واعتماد طرق أكثر ملاءمة لتقييم كفاية استقلال المراجع بنظام مرّن لتقديم أفضل الخدمات للعملاء، ومن أهم نتائج هذه الدراسة ضرورة بناء نظام للسلوك المهني المتعلق بالاستقلال والحياد للمراجعين .

بحث دراسة (الحميد، 1416هـ)⁽⁸⁾ خصائص جودة المراجعة المالية في المملكة العربية السعودية، وإلى أي مدى تختلف تلك الخصائص من مجموعة لأخرى (مقدمي الخدمة، والمقدمة لهم، والمستفيدين من نتائجها)، قام الباحث من خلال استبيان شمل خمسين خاضعة لفرضية لجودة المراجعة، بجمع آراء من المجموعات الثلاث، وأكدت نتائج الدراسة على أن خاصية "توافر النزاهة والأمانة في شريك المراجعة" هي أكثر العناصر أهمية في جودة المراجعة، وتأتي خاصية "إلمام فريق العمل بمعايير المحاسبة والمراجعة" و"الخبرة السابقة لشريك المراجعة" في المرتبتين الثانية والثالثة على التوالي. أوصى الباحث بضرورة التعجيل في تطبيق قواعد آداب وسلوك المهنة الصادر آنذاك وكذلك ضرورة الإسراع في إعداد معايير المحاسبة المالية وإصدار معايير مراجعة تفصيلية.

بينما هدفت دراسة (Hwang and Staley، 2005م)⁽⁹⁾ مدى تأثير الإخفاق في المحاسبة والمراجعة في الولايات المتحدة الأمريكية مقارنة بالمحاسبة والمراجعة في الصين، و يتكون البحث من أربعة أجزاء، الأول ناقش فيه الباحثون الفضاخ المالية التي تفشت مؤخراً في الولايات المتحدة الأمريكية

والأساليب (scandals) والإجراءات المحاسبية التي استخدمت في تلك الاحتمالات، وأشار الباحثون إلى أن المحاسبة في الولايات المتحدة قد أصبحت غاية في التعقيد لدرجة أن المبادئ المحاسبية فقدت في خضم تفصيلات المعايير المحاسبية الدقيقة، من النتائج الهامة لتلك الفضائح المالية الضغوط المتزايدة على المراجعين والشركات تحت المراجعة للالتزام بالسلوك الأخلاقي وإصدار تقارير مالية عادلة ذات جودة عالية. بالإضافة إلى ذلك أدت تلك الفضائح إلى المطالبة بزيادة جودة عمل المراجعة وفعالية استقلاليتها من خلال وجود معايير عالية صارمة يلزم المراجعين ومكاتب المراجعة الالتزام بها.

أما (Hillary and Lennox، 2005م)⁽¹⁰⁾ فاما باختبار إلى أي مدى تساعد آراء زملاء المهنة (Peer Reviewers) في تقديم معلومات قيمة للعملاء عن جودة مكتب المراجعة، وجد الباحثان أن مكاتب المحاسبة تكسب عملاء بعد حصولها على آراء نظيفة (Clean Opinions) في حين تحسر عملاء إذا كانت آراء الفاحصين من المهنيين تُقدم معلومات قيمة حول فروق الجودة بين مكاتب المراجعة.

(Pedro .et al، 2005م)⁽¹¹⁾ ركزوا دراستهم حول دور إدارة الشركات (Corporate Governance) في أسبانيا على المراجعة الخارجية، ووجدوا أن لنوعية أعضاء مجلس إدارة الشركة تأثير على جودة القوائم المالية، ومن ثم انخفاض احتمالية أن يكون تقرير المراجع متحفظاً. بحثوا (Jaffar.et al، 2005)⁽¹²⁾ عن العوامل محتملة التأثير على جودة المراجعة من وجهة نظر ثلاثة مجموعات (الشركاء في مكاتب المراجعة، لجان المراجعة، مستخدمي القوائم المالية) عاملة في ماليزيا، وأكدت نتائج الدراسة على أن العوامل الأربعة الأكثر تأثيراً على جودة المراجعة تتمثل في: المعرفة التي يملكها المراجع عن معايير المحاسبة والمراجعة، استطاعة المراجع إبلاغ العميل عن أي تطوير في المحاسبة والتقارير المالية، التزام المراجع بمعايير السلوك، معرفة المراجع في النشاط.

أما دراسة (أرديني، 2007م)⁽¹³⁾ هدفت إلى التعرف على التحديات التي تواجه تطبيق أخلاقيات مهنة المحاسبة في العراق، من خلال دراسة لآراء مجموعة من المحاسبين في مدينة الموصل لمعرفة ما إذا كان هناك قواعد السلوك المهني التي تنظم مهنة المحاسب في العراق والانسجام مع البيئة التي يعمل بها المحاسب ومع التأهيل العلمي والعملي له، وهل هناك منظمات مهنية في العراق تشرف على تنظيم مهنة المحاسبة وتعد معايير تحدد السلوك المهني لمهنة المحاسبة، وهل هناك مستويات للأداء المهني متعارف عليها عند المحاسبين تكون مرشداً عند مزاوله مهنة المحاسبة، وقد خلصت الدراسة إلى عدد من الاستنتاجات أهمها هو على الرغم من أن هناك منظمات مهنية في العراق تشرف وتنظم مهنة المحاسبة وتضع وتقرر معايير تحدد فيها قواعد السلوك المهني إلا أن هذه القواعد لا تواكب التطورات العلمية الحديثة، وأن هناك غموضاً أو عدم وضوح في هذه القواعد ومن ثم يصعب تطبيقها من قبل المحاسب، كما أن هناك

ضعفًا في التأهيل النظري والعلمي للمحاسب وعدم توافر فرصة لمواكبة مستجدات المهنة من خلال الاشتراك بالدورات التدريبية.

وهدف دراسة (قايد، 1429هـ)⁽¹⁴⁾ للتعرف على العوامل المؤثرة على استقلالية مراجع الحسابات الخارجي في بيئة ممارسة مهنة المراجعة في المملكة العربية السعودية، وذلك من خلال عدد من العوامل المؤثرة على استقلال المراجع الخارجي ومدى الإلمام المراجع الخارجي بمعايير الخاصة باستقلاليته ووعيه للعلاقة الوثيقة بين استقلاليته وبين جودة عملية المراجعة، واستخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي والذي توصلت من خلاله إلى أن هناك توافق كبير بين أفراد عينة البحث حول العوامل المؤثرة على استقلالية مراجع الحسابات في المملكة العربية السعودية وارتباطها بجودة عملية المراجعة، كما أن هناك إجماع على أن المعايير المهنية وقواعد سلوك وآداب المهنة المتعلقة باستقلال أعطت المراجع المقومات الذاتية حتى يتمكن من المحافظة على استقلاله .

دراسة (جربوع، 2004م)⁽¹⁵⁾ تهدف إلى دراسة وتقييم العوامل المؤثرة على استقلالية وحياد المراجع الخارجي من الناحية الفكرية والممارسة العملية، وواجبات ومسؤوليات المنظمات المهنية لحماية استقلال المراجع وتحديد الدور الذي يلعبه في خدمة المجتمع والمحافظة على حقوقه، واستخدم المنهج الوصفي التحليلي، والذي توصل إلى أن تقديم الخدمات الأخرى لعمل المراجعة، واعتماد المراجع الخارجي على عميل واحد ولاسيما في المكاتب الصغيرة يهدد استقلاله وحياده، كما أن تخفيض أتعاب المراجعة إلى النصف من قبل بعض المراجعين لاجتذاب العملاء يعد مخالفة لقواعد السلوك المهني.

دراسة (الأخضر، 2009م)⁽¹⁶⁾ سعت الدراسة إلى التعرف على واقع الممارسة المهنية في الجزائر من خلال قياس مدى تقييد مراجعي الحسابات بقواعد السلوك المهني وبمعرفة أسباب عدم الرضا عن مهنة المراجعة في الجزائر، ومعرفة مصاعب مهنة المراجعة، واستخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، وتوصلت الدراسة إلى أهم نتائج التي أظهرت أن مراجعي الحسابات الخارجيين يتقيدون وبشكل عام بقواعد السلوك المهني، إلا أن هناك مصاعب متعددة تواجه مراجعي الحسابات أهمها النقص في التدريب المهني الكافي وعدم وجود معاهد تدريب متخصصة بتنظيم ندوات وتدريب للرفع من كفاءة المراجعين، وعدم ملاءمة أتعاب المراجعة مع حجم العمل والمسؤولية، التنافس غير الشريف بين المراجعين وضعف دور نقابات المهنية في تطوير مستوى الكفاءة وعدم وجود معايير محلية للمحاسبة والمراجعة، ومن ذلك أوصت الباحثة بعدد من التوصيات أهمها ضرورة توعية المراجعين بقواعد السلوك المهني وحثهم المستمر على مراعاتها والتمسك بها، وذلك من خلال عقد الدورات والندوات وورش العمل، وتبني معايير المحاسبة والمراجعة الدولية ريثما يتم وضع معايير تلاءم الواقع الجزائري، ودعم المنظمات المهنية الخاصة بمراجعة الحسابات وتطويرها.

أما دراسة (العبيدي، 2013م)⁽¹⁷⁾ هدفت إلى تحديد دور بعض المتغيرات في عملية صنع القرار الأخلاقي لدى طلبة المحاسبة بالسنوات المتقدمة بالجامعات الليبية، والتي تمثلت في المتغيرات الشخصية وأبعاد شدة الموقف الأخلاقي المتمثل في (حجم النتائج، الإجماع الاجتماعي، احتمالية التأثير، فورية تأثير القرار، القرابة، تركيز الأثر)، واستخدم المنهج الاستقرائي النظري والمنهج الوصفي التحليلي من خلال طرح عدد من الحالات العملية التي تتضمن في طياتها مآزق أخلاقي قد يصادف أي محاسب عند أدائه لعمله بمنظمات الأعمال ومعرفة وجهة نظر عينة البحث المتضمنة طلبة السنة الرابعة بقسم المحاسبة جامعة عمر المختار والبالغ عددهم (295 طالب وطالبة)، وتوصل إلى عدد من النتائج أهمها إن طلبة المحاسبة على إدراك بالقضايا غير الأخلاقية وتقييمها على أنها غير أخلاقية ويجب رفضها، كما أشارت النتائج إلى وجود فرق بين الذكور والإناث فيما يتعلق بعملية صنع القرار الأخلاقي، وأوصى الباحث بضرورة تضمين بعض المحاور الدراسية المرتبطة بالجوانب الأخلاقية بيئة المال والأعمال بالمقررات الدراسية بأقسام المحاسبة في الجامعات الليبية، ضرورة دراسة تأثير المعتقدات الدينية والخبرة العملية والمستوى التعليمي والجنسية ومكان الإقامة على عملية صنع القرار الأخلاقي للمحاسب الليبي، وكذلك دراسة مرحلة السلوك الأخلاقي والتي تعتبر المرحلة الأخيرة في عملية صنع القرار الأخلاقي في البيئة الليبية، وضرورة إجراء الدراسات المتعلقة بالسلوك الأخلاقي للمحاسبين العاملين بالشركات والمنظمات الحكومية ومكاتب المراجعة في ليبيا وذلك للحد من الممارسات والفضائح الأخلاقية المرتبطة بالجوانب المحاسبية التي قد تظهر بالبيئة الليبية .

ويتميز البحث عن البحوث والدراسات السابقة في أنه يهتم بمدى الالتزام الخبراء الماليين بالمحاكم الليبية حول مسؤوليتهم واهتمامهم بأخلاقيات وسلوك مهنة المحاسبة عند أداء المأموريات المكلفين بها، وهو بحث لواقع الخبرة المالية بالبيئة الليبية، كما جاء في توصيات بحث العبيدي 2013م، وكذلك تم الاهتمام بالعوامل الشخصية وأثر مجموعة من المبادئ والقيم الأخلاقية على السلوك الأخلاقي للخبير .

منهجية البحث:

تحقيقاً لأهداف البحث أستخدم الباحث المنهج التحليلي الاستقرائي وذلك من خلال الرجوع والاطلاع على الكتب والدوريات والمجلات، وعدد من منشورات مجمع المحاسبين القانونيين الأمريكي (AICPA) ومجلس الاتحاد الدولي للمحاسبين، وقوانين الخبرة القضائية، وكما تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي من خلال تصميم استبانته مكونة من جزئين، الجزء الأول بيانات عن عينة البحث والجزء الثاني مكون من (18) فقرة، لتغطية الجوانب المختلفة للبحث، والمتعلقة بأخلاقيات مهنة المحاسبة، حيث تم توزيع (42) استبانته أستلم منها (39) استبانته صالحة لتحليل فقراتها .

وقد تم استخدام مقياس ليكرت الخماسي (Likert scale) في الإجابة على استبانة البحث المتعلقة بالمتغيرات المستقلة للبحث، وقد أعطيت الإجابات الدرجات التالية : موافق بشدة : 5 درجات، موافق : 4 درجات ، محايد : 3 درجات ، غير موافق : 2 درجتان ، غير موافق بشدة : 1 درجة .

هذا وقد تم تحديد درجة القوة والضعف في التزام الخبراء الماليين بأخلاقيات مهنة المحاسبة من خلال متوسط إجابات الفقرات ونسبة الالتزام وهي من 1 إلى أقل من 1.80 درجة وما نسبته 20%-36% تعتبر ضعيفة، ومن 1.80 إلى أقل من 2.60 درجة وما نسبته 36%-52% تعتبر متوسطة، ومن 2.60 إلى أقل من 3.40 درجة وما نسبته 52%-68% تعتبر جيدة، ومن 3.40 إلى أقل من 4.20 وما نسبته 68% - 84% تعتبر جيدة جداً، ومن 4.20 إلى 5 و ما نسبته 84%-100% تعتبر ممتازة، هذا واعتمد الباحث على وسط حسابي فرضي مقداره (68%) والذي يمثل الحد الأدنى من نسبة الالتزام الجيدة جداً (68%-84%) واعتبر الوسط الحسابي (3.5) هو آخر عدد كسري يقترب من الدرجة الجيدة (4) وبالتالي هو الأدنى للدرجة الجيدة جداً التي يمكن أن يقبل بها الباحث لقياس درجة التزام الخبراء الماليين بأخلاقيات مهنة المحاسبة . وتم توزيع لاستبانة على عينه البحث، المكونة من الخبراء الماليين (خبير حسابي) بمحكمة استئناف الزاوية، وكل من محكمة الزاوية الابتدائية ومحكمة العجيات الابتدائية، تم تحليل بياناتها باستخدام البرنامج الإحصائي (S.P.S.S, MINITAB)، والذين من خلالهما تم تطبيق الاختبارات الإحصائية (الوسط الحسابي، ونسبته، والانحراف المعياري، ومعامل الاختلاف، واختبار (T-test) المزدوج، كما تم استخدام القاعدة الأساسية المتبعة لاتخاذ القرار هو أن تكون قيمة p-value أكبر من (0.05) نقبل فرضية العدم أي وجود استقلالية وعدم وجود فروقات ذات دلالة إحصائية وإذا كانت قيمة p-value أصغر من (0.05) نرفض فرضية العدم هذا يعني عدم وجود استقلالية ووجود فروقات ذات دلالة إحصائية بين بيانات استبانة البحث . وتحقق الباحث من الصدق المنطقي لاستبانة بعد أن تم عرضها على مجموعة من أساتذة المحاسبة المتخصصين في كليات الاقتصاد جامعة الزاوية وجامعة طرابلس وأكاديمية الدراسات العليا، وأيضاً على مجموعة من المستشارين والقضاة والمحامين بالمحاكم الليبية، بالإضافة إلى مختصين بالقضاء الإداري، وقد تم إدخال بعض التعديلات على بنود الاستبانة على ضوء ملاحظاتهم واقتراحاتهم .

واستخدم الباحث معادلة كورنباخ ألفا (Cronbach's Alpha) للتحقق من ثبات الاستبانة لكل جزء من أجزائها وكانت معاملات الثبات تتمتع بدلالات ثبات واتساق مقبولة لغايات البحث العلمي ويُعد اختبار المصدقية ألفا ضعيفاً إذا كان أقل من (60%) ومقبولاً إذا كان (60%-70%) وجيداً إذا كان أكبر من (70%-80%)، وما زاد على (80%) يعتبر ممتاز وكلما اقترب المقياس من الواحد الصحيح تعتبر النتائج الخاصة بالاختبار جيدة (Sekaran, 1992, pp76-77) (18)،

ويتضح أن قيمة ألفا لفقرات الاستبانة مجتمعه بلغت (0.82) وهذه النسبة ممتازة وهذا يعني توفر درجة عالية جداً من المصادقية في إجابات الفقرات.

تحليل البيانات واختبار الفرضيات

1- تحليل بيانات مجتمع وعينة البحث:

يتكون مجتمع البحث من المحاكم التابعة لفرع وزارة العدل الزاوية والبالغ عددها ثلاث محاكم ومنها محكمة استئناف الزاوية، ومحكمة الزاوية الابتدائية، ومحكمة العجيلات الابتدائية .

1. المؤهل العلمي للمشاركين:

يبين الجدول رقم (1) توزيع أفراد عينة البحث طبقاً للمؤهلات العلمية التي حصلوا عليها.

جدول رقم (1)

توزيع أفراد عينة البحث وفقاً للمؤهل العلمي

ر.م	المؤهل العلمي	العدد	النسبة المئوية %
1.	دبلوم عالي	1	2.6
2.	بكالوريوس	35	89.7
3.	ماجستير	2	5.1
4.	دكتوراه	1	2.6
	المجموع	39	100

ويتضح من الجدول (1) إن أغلب أفراد عينة البحث يحملون درجة بكالوريوس شكلت نسبتهم 89.7%، وهذا يدل على مستوى التأهيل العلمي المناسب ومن ثم حملة الماجستير وبنسبة قليلة بلغت (5.1%) في حين نلاحظ إن حملة شهادة الدكتوراه والدبلوم العالي كانت نفس النسبة وهي (2.6%).

2. التخصص العلمي للمشاركين في الدراسة:

جدول رقم (2) توزيع أفراد عينة البحث حسب التخصص العلمي

ر.م	التخصص العلمي	العدد	النسبة المئوية %
1.	قانون	0	0
2.	اقتصاد	2	5.1
3.	إدارة أعمال	3	7.7
4.	محاسبة	34	78.2
5.	تخصصات أخرى	0	0
	المجموع	39	100

يتضح من الجدول (2) إن معظم أفراد عينة البحث متخصصين في المحاسبة وشكلت نسبتهم (78.2%) وهذا يدل على توافق وانسجام المستجيبين وتوفر الخلفية العلمية للخبراء الماليين للقيام بالأعمال الموكلة إليهم بدرجة مناسبة من الملائمة، كما أن أعمال الخبرة المحاسبية تعتمد بشكل رئيسي على العلوم المحاسبية، ونتيجة لعدم وضع معايير محددة في التخصصات الدقيقة للخبراء بالمحاكم الليبية يتم في بعض الأحيان قبول خبراء ماليين ويسمى خبير حسابي داخل المحاكم من تخصصات قريبة من المحاسبة مثل الإدارة الاقتصادية وشكلت نسبتهم على التوالي (7.7%، 5.1%) من عينة البحث .

3. سنوات الخبرة في المحاكم الليبية:

يبين الجدول رقم (3) توزيع أفراد عينة البحث حسب سنوات الخبرة في المحاكم الليبية.

جدول رقم (3)

توزيع أفراد عينة البحث حسب سنوات الخبرة في المحاكم الليبية

النسبة المئوية %	العدد	عدد سنوات الخبرة العملية	ر.م
5.1	2	أقل من سنتين	1.
7.7	3	من 2 إلى أقل من 5 سنوات	2.
56.4	22	من 5 سنوات إلى أقل من 10 سنوات	3.
30.8	12	من 10 سنوات إلى أقل من 15 سنة	4.
0	0	من 15 سنة فأكثر	5.
100	39	المجموع	

ويتضح من الجدول (3) إن أكثر من نصف أفراد عينة البحث لديهم خبرة ما بين 5 سنوات إلى أقل من 10 سنوات داخل المحاكم الليبية حيث بلغت نسبتهم (56.4%) من عينة البحث، فيما كانت نسبة الذين لديهم خبرة ما بين 10 سنوات إلى أقل من 15 سنة كانت نسبتهم (30.8%) من عينة البحث، فيما بلغت نسبة الذين لديهم خبرة أقل من سنتين ومن سنتين إلى أقل من خمسة على التوالي (5.1%، 7.7%)، ولم تحظى فئة الذين لديهم خبرة داخل المحاكم أكثر من 15 سنة بأي نسبة في عينة البحث، وهذا يدل أن سنوات الخبرة تأتي مناسبة لطبيعة المهام والأعمال الموكلة إليهم.

4. العمر:

يبين الجدول رقم (4) توزيع أفراد عينة البحث حسب العمر.

جدول رقم (4)

توزيع أفراد عينة البحث حسب العمر

ر.م	المستوى الوظيفي	العدد	النسبة المئوية %
1.	أقل من 35 سنة	4	10.3
2.	من 35 سنة إلى أقل من 40 سنة	6	15.4
3.	من 40 سنة إلى أقل من 45 سنة	12	30.7
4.	من 45 سنة إلى أقل من 50 سنة	13	33.3
5.	من 50 سنة فأكثر	4	10.3
	المجموع	39	100

ويتضح ومن الجدول (4) إن نسبة (33.3%) من عينة البحث هي من الفئة العمرية من 45 سنة إلى أقل من 50 سنة، وإن (30.7%) من الفئة العمرية من 40 سنة إلى أقل من 45 سنة، وهذا يدل على تناسب أعمال الخبرة والمهام المكلفين بها وبلوغ عمر الإدراك والمسئولية للفرد، فيما كانت نسبة الذين أعمارهم تزيد عن 50 سنة (10.3%) من عينة البحث، أما الذين أعمارهم أقل من 35 سنة والفئة العمرية التي تقع أعمارهم ما بين 35 سنة وأقل من 40 سنة على التوالي بلغت نسبتهم (10.3%، 15.4%).

2. اختبار الفرضية

يهدف الإحصاء الوصفي إلى تقديم مقاييس تلخيصية للبيانات المتوفرة عن عناصر العينة حيث استخدمت مقاييس النزعة المركزية ومقاييس التشتت ومقاييس تجمع بين مقاييس النزعة المركزية ومعايير التشتت، واختبار (t-test).

فرضية البحث:

يهدف هذه البحث إلى التعرف على مدى الالتزام الخبراء الماليين بالحاكم الليبية بأخلاقيات مهنة المحاسبة، ومن خلال اختبار الفرضية العدمية التالية (إن الخبراء الماليين بالحاكم الليبية غير ملتزمين بمبادئ وقواعد أخلاقيات مهنة المحاسبة)، تم اختبار هذه الفرضية من خلال الفقرات (1-18) من الاستبانة، كما في الجدول رقم (5).

جدول رقم (5)

نتائج التحليل المتعلقة بمدى التزام الخبراء الماليين بالحاكم الليبية بأخلاقيات مهنة المحاسبة

الفقرة	المجموعات	الوسط الحسابي	النسبة %	الانحراف المعياري	معامل الاختلاف %
1.	يتميز الخبير المالي بالصرامة والوضوح.	3.79	75.8	0.863	22.77

17.05	0.747	87.6	4.38	2. يباشر الخبير المالي في أعمال الخبرة فور تكليفه بها .
26.61	1.03	77.4	3.87	3. يتصف الخبير المالي بالأمانة في كافة العلاقات المهنية وعلاقات العمل.
13.49	0.598	88.6	4.43	4. ينسحب الخبير المالي من تأدية الأمور في حالة وجود مصالح أو تأثيرات من أحد أطراف الخصوم أو القرابة من الدرجة الثالثة.
16.51	0.753	91.2	4.56	5. أن الخبير المالي على إطلاع مستمر بكافة القوانين والتشريعات المالية بالدولة اللببية.
22.80	0.789	69.2	3.46	6. أن الخبير المالي على إطلاع مستمر بكافة القوانين والتشريعات ذات العلاقة بمهنة المحاسبة والمراجعة القانونية والخبرة القضائية
33.28	0.932	56	2.8	7. يقوم الخبير المالي بحضور ورش العمل والمؤتمرات العلمية المختصة بالمهنة .
19.34	0.621	64.2	3.21	8. أن الخبير المالي على معرفة كافية بمعايير المحاسبة الدولية.
22.69	0.683	60.2	3.01	9. أن الخبير المالي على معرفة كافية بمعايير المراجعة الدولية.
22.66	0.807	71.2	3.56	10. أن الخبير المالي على معرفة كافية بآداب وسلوك المهنة.
29.52	1.066	72.2	3.61	11. أن الخبير المالي يحترم سرية المعلومات التي حصل عليها.
25.761	1.01	78.4	3.92	12. لا يتم الإفصاح عن المعلومات إلى الأطراف الأخرى وبدون وجود سلطة قانونية ملائمة أو واجب قانوني أو مهني للإفصاح.
25.47	0.958	75.2	3.76	13. لا يتم استخدام المعلومات التي تم الحصول عليها في مقابل ميزة شخصية للخبير أو لظرف ثالث.
24.65	0.959	77.8	3.89	14. يلتزم الخبير المالي بالقوانين واللوائح المعمول بها.
31.67	1.096	69.2	3.46	15. يضع الخبير المالي الوعاء الزمني لتأدية

				المأمورية في حسابه ويتقيد بالمواعيد التي في الحكم التمهيدي.	
23.95	0.944	78.8	3.94	يتم استخدام مناهج علمية مناسبة للوصول للمعلومات المراد الوصول إليها.	16.
19	0.76	80	4.00	يلتزم الخبير المالي بما هو وارد في الحكم التمهيدي من طلبات.	17.
30.93	0.823	53.2	2.66	يقوم الخبير المالي بتوضيح المعلومات الإضافية للحكم التمهيدي ومدى فائدتها في سير الدعوى من الجوانب الفنية.	18.
13.57	0.501	73.8	3.69	متوسط الفرضية	
اختبار T-test المزدوج					
		6.973	قيمة (t)		
		38	درجة الحرية		
		0.000	مستوى المعنوية (t)		
		%95	مستوى الثقة		

ويوضح الجدول رقم (5) نتائج اختبار الفرضية والذي جاء في ثمانية عشر فقرة حيث جاء المتوسط الحسابي لمجموع فقرات الفرضية المتعلقة بمدى التزام الخبراء الماليين بالمحاكم الليبية بأخلاقيات مهنة المحاسبة (3.69) وما نسبته (73.8%) وهي نسبة تقع في درجة التقييم الجيدة جداً والتي متوسطها الحسابي ما بين (3.60 إلى أقل من 4.20) وما نسبته (68% إلى أقل من 84%) ومعامل الاختلاف (13.57%) الذي يشير إلى إن تشتت واختلاف الإجابات بين أفراد عينة البحث جيد ويدل على تجانس وتوافق في الإجابات، فيما بلغ الانحراف المعياري للفرضية ما نسبته (0.501) وهذا يدل على تمحور إجابات عينة البحث حول الوسط الحسابي العام للفقرات محل الاختبار.

إن الفقرات رقم (2، 4، 5) والمتعلقة بمباشرة الخبير المالي في أعمال الخبرة فور تكليفه بها، والانسحاب منها في حال وجود تهديدات أو مصالح أو صلة القرابة من الدرجة الثالثة فما دون، وكذلك إطلاع الخبير المالي المستمر على كافة القوانين والتشريعات المالية بالدولة الليبية، جاءت ضمن فترة درجة الالتزام الممتازة حيث كان المتوسط الحسابي (4.20 إلى 5) وما نسبته (84% - 100%)، فيما جاءت الفقرات رقم (1، 3، 6، 10، 11، 12، 13، 14، 15، 16، 17) ضمن فترة الالتزام الجيدة جداً، وبوسط حسابي ما بين (3.40 إلى أقل من 4.20) وما نسبته (68% إلى أقل من

84%)، وهذا يدل على التزام الجيد جداً للخبراء الماليين بالصرحة والوضوح والأمانة والاطلاع المستمر على القوانين والتشريعات المنظمة لمهنة المحاسبة وأن الخبير المالي على معرفة كافية بأداب وسلوك المهنة وأنه يحترم سرية المعلومات وعدم الإفصاح عنها إلا بموجب سلطة قانونية أو إدارية ملائمة وأن هذه المعلومات لا تستخدم في سبيل الحصول على ميزة شخصية أو منفعة ذاتية، وأن الخبير المالي ملتزم بالقوانين واللوائح المعمول بها، وينظم جدول زمني لتأدية الأمور المكلف بها ويستخدم المناهج العلمية للوصول للمعلومات المطلوب الحصول عليها حسب ما هو وارد في الحكم التمهيدي، كما جاءت الفقرات رقم (7، 8، 9) ضمن فترة الالتزام الجيدة حيث جاء الوسط الحسابي لهذه الفقرات ما بين (2.60 إلى أقل من 3.40) وبما نسبته (52% إلى أقل من 68%)، وهذا يشير على الالتزام الجيد للخبراء الماليين بحضور الورش والمؤتمرات العلمية المتعلقة بالمهنة وإن الخبير المالي على درجة جيدة في معرفته بمعايير المحاسبة والمراجعة الدولية، فيما كانت نسبة الفقرة رقم (18) والتي جاءت ضمن فترة الالتزام الجيدة ونسبته (53.2%) تبين بأن التزام بتقديم معلومات إضافية للحكم التمهيدي والمأمورية في الدرجة الدنية للالتزام الجيد أي أنها تقترب من درجة المتوسط حسب القياس المعتمد بالبحث، كما إن البيانات المتوفرة عن هذه الفقرات مجتمعة تتمركز حول المتوسط الحسابي ولا تتمتع بتشتيت عالٍ وذلك من خلال قيمة الانحراف المعياري ومعامل الاختلاف مما يدل على تجانس جيد في الإجابات.

عند إجراء اختبار T-test المزدوج لقياس الدلالة الإحصائية بين كل من الوسط الحسابي للالتزام الخبراء الماليين بالمحاكم الليبية بأخلاقيات مهنة المحاسبة وبين الوسط الحسابي (3.5) الذي يمثل الحد الأدنى للدرجة الجيدة جداً، يتبين أنه دال إحصائياً حيث كانت قيمة $t = 6.973$ وكانت معنوية t تساوي (0.000) وهذا المستوى ذا دلالة إحصائية قوية، يدل على أن درجة الالتزام ملائمة وجيدة جداً في الالتزام الخبراء الماليين بالمحاكم الليبية بأخلاقيات مهنة المحاسبة.

وبناء على ما تقدم فإنه نرفض الفرضية التي تنص على (إن الخبراء الماليين بالمحاكم الليبية غير

ملتزمين بمبادئ وقواعد أخلاقيات مهنة المحاسبة).

الاستنتاجات و التوصيات

في ضوء نتائج البحث فيما يتعلق بمدى التزام الخبراء الماليين بالمحاكم الليبية بأخلاقيات مهنة المحاسبة، يورد الباحث أهم الاستنتاجات والتوصيات ذات العلاقة .

الاستنتاجات :

انطلاقاً من أهمية الالتزام بأخلاقيات مهنة المحاسبة في تحقيق الأهداف المحاسبية واتخاذ القرار الأخلاقي، ولما تمثله أخلاقيات المهنة من دور هام وأساسي في حماية المهنة أولاً والأعمال والنشاطات الاقتصادية ثانياً، توصل الباحث إلى الاستنتاجات التالية:-

1. يتضح من خلال نتائج تحليل فقرات الاستبانة بأن الخبير المالي يباشر في أعمال الخبرة فور تكليفه بها ويضع لها برنامج زمني محدد .
2. الصراحة والوضوح والأمانة والالتزام بأداب وسلوك المهنة من أولويات الخبير حيث كانت درجة التزامه بها مرتفعة.
3. يتبين بأن الخبير المالي بالمحاكم الليبية محل البحث يقوم بحضور جيد للورش والمؤتمرات العلمية المتعلقة بمهنة المحاسبة، وعلى معرفة جيدة كذلك بمعايير المحاسبة والمراجعة الدولية.
4. أن الخبير المالي بالمحاكم الليبية محل البحث على إطلاع والالتزام بالقوانين والتشريعات واللوائح ذات العلاقة بمهنة المحاسبة والمراجعة القانونية والخبرة القضائية .
5. يحترم الخبراء الماليين بالمحاكم الليبية محل البحث سرية البيانات والمعلومات وعدم الإفصاح عنها إلا بموجب سلطة قانونية أو إدارية ملائمة.

التوصيات :

بعد عرض النتائج والاستنتاجات، يوصي الباحث بما يلي:-

1. وضع معايير أخلاقية تنسجم وتتناغم مع الشريعة الإسلامية من نقابة المحاسبين والمراجعين القانونيين الليبيين أو من سوق الأوراق المالية أو ديوان المحاسبة أو أي جهة تهتم بتنظيم عمل مهنة المحاسبة والمراجعة .
2. على الجهات التعليمية بالتعاون مع المؤسسات الاقتصادية بتنظيم ورش عمل ومؤتمرات تهتم بالجوانب الأخلاقية للمهنة وتأثيراتها على مهنة المحاسبة والمراجعة وعلى استمرارية العمل بهذه المؤسسات الاقتصادية .

3. على الخبراء الماليين بالمحاكم الليبية زيادة الاطلاع والمعرفة الجيدة بمعايير المحاسبة والمراجعة الدولية، وبآخر المستجدات فيها، وبالأخص معايير أخلاقيات مهنة المحاسبة والمراجعة .
4. على الخبراء الماليين بالمحاكم الليبية تقديم اقتراحاتهم وتوصياتهم فيما يتعلق بتطوير المهنة من خلال نقابة المحاسبين والمراجعين القانونيين الليبيين أو من خلال المحاكم المتعاونين معها لاستصدار القوانين وتعديل القوانين القائمة بما يخدم تطوير مهنة المحاسبة والمراجعة القانونية، ويضع الخبراء الماليين بعيداً عن التهديدات والضغوطات الناتجة عن أداء الأعمال المكلفين بها.

المراجع :

- 1 - عن السيدة عائشة رضي الله عنها عن سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم..
- 2- Ferrell, O. C. & Gresham, L. G 1985. A contingency framework for understanding ethical decision making in marketing. Journal of marketing 49-3.
- 3 - أمين السيد لطفي، معايير أخلاقيات المحاسبين المهنيين، (الإسكندرية - مصر، الدار الجامعية)، 2008م.
- 4 - محمد عبدالحالقي عمر، قانون المرافعات، الجزء الأول، التنظيم القضائي، (بيروت - لبنان، دار النهضة العربية)، 1978م
- 5 - سيد أحمد محمود، النظام الإجرائي للخبرة القضائية، (المحلة الكبرى - مصر، دار شتات للنشر والبرمجيات)، 2007م.
- 6 - هيفاء مالك كاظم، 2013م، تحليل العوامل المؤثرة في استقلال مراجع الحسابات، مجلة الفري للعلوم الاقتصادية والإدارية، المعهد التقني، السنة التاسعة، العدد 29، 2013م، الديوانية- العراق .
- 7 - GAO, Publica Accounting Firms, Required Study on the Potential Effects of Mandatory Audit Firm Rotation", 2003, Op. Cit, P. 84.
- 8 - عبدالرحمن إبراهيم الحميد، 1416هـ، خصائص جودة المراجعة المالية: دراسة ميدانية للمحيط المهني في المملكة العربية السعودية، مجلة الإدارة العامة، الرياض-السعودية، 35-3، ص ص 405-451.
- 9 -Hwang, D. and A. Staley (2005) "An analysis of recent accounting and auditing failures in the United States on US accounting and auditing in China", Managerial Auditing Journal, 20(3): 227-234.
- 10 -Hillary, G. and C. Lennox (2005) "The credibility of self-regulation: Evidence from the accounting profession's peer review program", Journal of Accounting & Economics, 40(1-3): 211.

- 11- Pedro, J., S. Ballesta, and E. Garcia-Meca (2005) "Audit qualifications and corporate governance in Spanish listed firms", *Managerial Auditing Journal*, 20(7): 725-738.
- 12 - Jaffar, N., S. Ali, Z. Selamat and N. Alias (2005) "The Perception of the Audit Partners, Audit Committee and Investment Analyst on the Audit Quality Attributes in Malaysian", *Finance India*, 19(2): 535-545.
- 13 - طه احمد حسين، أرديني 2007 م، التحديات التي تواجه تطبيق أخلاقيات مهنة المحاسبة في العراق- دراسة لأراء مجموعة من المحاسبين في مدينة الموصل، مجلة تنمية الرافدين، كلية الإدارة والاقتصاد- جامعة الموصل، 85-29، ص ص 151-179، الموصل- العراق.
- 14 - وئام عبده قايد، العوامل المؤثرة على استقلال المراجع الخارجي في بيئة ممارسة المهنة في المملكة العربية السعودية- دراسة ميدانية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك عبدالعزيز، كلية الاقتصاد والإدارة قسم المحاسبة شطر الطالبات، العام الجامعي 1428هـ-1429 هـ .
- 15 - يوسف محمد جربوع، (2004م)، العوامل المؤثرة على استقلال المراجعين الخارجيين وحيادهم في قطاع غزة من دولة فلسطين، مجلة تنمية الرافدين، كلية الإدارة والاقتصاد- جامعة الموصل، 76-26، ص ص 1-60، الموصل- العراق.
- 16 - لقلطي الأخضر، (مراجعة الحسابات وواقع الممارسة المهنية في الجزائر دراسة حالة من خلال الاستبيان، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر "باتنة"، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير، باتنة - الجزائر، 2009م.
- 17 - أحمد يوسف، العبيدي، دور بعض المتغيرات الشخصية وأبعاد شدة الموقف الأخلاقي في عملية صنع القرار الأخلاقي لطلبة المحاسبة في ليبيا، بحوث مؤتمر واقع مهنة المحاسبة في ليبيا، الأكاديمية الليبية- طرابلس، 27-2013/02/28م، ص ص 81-163، طرابلس- ليبيا.
- 18- Sekaran Uma , 2 Ed, JOHN Wily Inc., New York, 1992, pp. 76-77 .

التعليم الإلكتروني : المفهوم والأهمية

الأستاذ: عبدالله عبدالسلام محمد عيسي

بكلية التربية العجيات

جامعة الزاوية - ليبيا

مقدمة :

ترتكز عملية التعليم على العديد من العناصر ، أهمها المعلم فهو العنصر الأساس في نجاحها ، وأيا كانت العناصر والمقومات الأخرى ، يبقى المعلم بما يمثله من فكر وقدرات هو قائد هذه العناصر والفاعل المؤثر الأهداف التعليمية ، وهذه المكانة العالية للمعلم كانت وستظل في مختلف أنظمة ومؤسسات التعليم .

وفي عصر تتضاعف فيه المعرفة بسرعة غير معهودة ، بالتوازي مع تطورات تكنولوجية هائلة طالت كل مجالات الحياة ومنها التعليم ، الذي يسعى إلى الاستفادة من مختلف الصور التكنولوجية التي قدمت مزايا متعددة ذات مردود غير مسبوق في كل الأعمال المدرسية ، فإن المعلم الكفاء الذي يتطور وينمو مواكباً لهذه التطورات والمستجدات أصبح هدف القائمين على التعليم .

ولعل التعليم الإلكتروني الذي أصبح واقعاً ملموساً في كثير من الأنظمة التعليمية يشكل التحول الأبرز ، إذ ذكر سعادة والسرطاوي (2003م: 139) أن مع انتشار استخدام الحاسب بشكل واسع والاستفادة من خدمات الانترنت الكثيرة فرضت على المعلم أدوار جديدة تتماشى مع التقدم العلمي والتكنولوجي الهائل ، ومع مطالب الثورة المعلوماتية والاتصالات من جهة أخرى ، حيث تحول المعلم إلى القيام بمهام وأدوار ذات نمط إشرافي واستشاري وتعاوني فهو المخطط للمواقف التعليمية والمصمم للدروس التي ستقدم بوساطة أدوات مختلفة للتعليم الإلكتروني .

وهذه الأهمية المتزايدة لدور المعلم تحتم على مؤسسات إعداد وتدريب المعلم ، مواجهة الصعوبات التي تنتظره ، إذ يؤكد العطروري (2001م: 8) وجوب الاهتمام بالمعلم ليس فقط من الناحية العلمية في مجال تخصصه وأسلوب التدريس وطريقة إعداده للمادة العلمية ، بل لا بد من استطاعته التعامل مع

متطلبات العصر ، مما يجعل من الأهمية بمكان توافر عدد كاف من المؤهلين القادرين على متابعة عمل النظام الإلكتروني الشامل ، وهذا تأكيد على أهمية المعلم في التعليم الإلكتروني وما يجب أن يكون عليه من كفايات للتعامل مع أدواته وتطبيقاته .

ومع هذه الوظائف الجديدة للمعلم والتحول من تمركز التعليم عليه إلى التركيز على المتعلم فإن المعلم أيضا يجب أن يتوافق مع ذلك ، فيتعدى مرحلة حشو ذهن الطالب بالمعلومات وشرحها بالطرق التقليدية إلى متابعة تعلم طلابه وإثرائهم من خلال التعليم الإلكتروني الشبكي بنوعيه التزامني واللاتزامني ، وحتى يقوم المعلم بهذه الأدوار الجديدة فمن الواجب أن تتوفر له العديد من الكفايات تشمل كفايات التدريس التخطيطية والتنفيذية والتقييمية ، بالإضافة إلى كفايات توظيف التكنولوجيا في التعليم ، والتواصل عبر التعليم الإلكتروني بما يتضمن من حوار ونقاش ومتابعة أعمال الطلاب ، والإعمال المساندة .

إن حتمية الاستعداد لدخول عالم التعليم الإلكتروني الذي لم يعد ترفاً وقيمة مضافة لمنظومة التعليم بقدر ما أصبح واقعاً تمارس وظائفه العديد من أنظمة التعليم حول العالم ، من خلال مدارس عديدة أهلية وحكومية وتبني السياسة التعليمية العليا له ، هذه الحتمية قادت إلى وجوب امتلاك المعلم لمعارف ومهارات أساسية تؤهله لقيادة هذا النوع من التعليم ، ثم إنه من المفترض معرفة القدر الذي تتوفر به هذه الكفايات ليتسنى التأكد من موقف المعلم من خلال ثقافته وقدراته في مجال التعليم الإلكتروني .

مشكلة البحث :

التعليم الإلكتروني هو شكل من أشكال التعليم عن بعد، وثم أن هناك خطوات تطويرية يشرف عليها ويقوم بها من قبل جهات الاختصاص العليا التي تهدف للاستفادة من معطيات العصر والاستفادة من تجارب الآخرين ، ومنها إدخال تجربة التعليم الإلكتروني بمستوياته وصوره المختلفة ، ونظراً لأن طريقة استخدام آليات الاتصال الحديثة والتي تعتبر أقرب لمحاولات إدخال نظام التعليم الإلكتروني لها ، من خلال عدة أنماط كمراكز مصادر التعلم ومعامل الحاسب الآلي ودعمها بأمناء وفنيين ، وقد لوحظ أن هناك مشكلة تتمحور حول مدى تمكن المعلمين من مهارات التعامل مع أدوات التعليم الإلكتروني من أجهزة وبرامج ، ولذا كان لابد من مواصفات أساسية ومحددة ينبغي أن يمتلكها المعلم وتتوافر له ليحيد في مهنته ويعمل بكفاءة عالية متوافقة مع مشاريع وأنماط التعليم الإلكتروني الذي بدل الكثير في واجبات المعلم ومهامه ، فلم تعد مهامه تلك المهام التقليدية التي ورثها عن ما قبله من المعلمين ، فهو الآن القائد

المخطط المنظم والمسير ، وحتى يضطلع بهذه الأدوار والمسؤوليات ، وجب أن يكون على قدر من التأهيل ليستطيع القيام بأدواره المتعددة نحو مهنته . عليه يمكن صياغة مشكلة البحث في التساؤل التالي:

-مفهوم التعلم الإلكتروني وخصائصه ؟ وما الحاجة الي تطبيقه ؟

أهداف البحث :

هدفت هذه الدراسة إلى :

1- التعرف على أهمية واستخدام التعليم الإلكتروني وهو اتجاه حديث تسعى المؤسسات التعليمية الي إدخاله في برامجها.

2- التعرف على فوائد التعليم الإلكتروني وكذلك معوقاته .

أهمية البحث :

تكمن أهمية الدراسة الحالية في أنها تتناول موضوعا ذا أهمية في تطوير العملية التعليمية الا وهو ، التعلم الإلكتروني ، ذلك النظام الذي تحاول معظم الدول تطبيقه في مدارسها ، لتوفير الاتصال الدائم بين عناصر العملية التعليمية ، وتدريب التلاميذ علي مهارات التعلم الذاتي .

منهج البحث :

انتهج البحث المنهج الوصفي التحليلي ، لوصف ماهو قائم من معطيات وتحليل الكفايات ، من خلال توضيح مدي التوافق بين مخرجات التعليم الإلكتروني ومتطلباته .

محددات البحث :

يقتصر البحث الحالي في تحليل ملائمة التعليم الإلكتروني لإحتياجات سوق العمل في مؤسسات التعليم ، ومدى تلبية برامج هذا النوع من التعليم لحاجات هذا القطاع من القوى العاملة المؤهلة .

مصطلحات البحث :

التعليم الإلكتروني :

يعرف سالم التعليم الإلكتروني بأنه " منظومة تعليمية لتقديم البرامج التعليمية او التدريبية للمتعلمين أو المتدربين في أي وقت وفي أي مكان باستخدام تقنيات المعلومات والاتصالات التفاعلية لتوفير بيئة تعليمية تعليمية متعددة المصادر متزامنة أو غير متزامنة بالاعتماد على التعلم الذاتي والتفاعلي" ص 289 ويرفه هاشم بأنه مجموعة العمليات المرتبطة بنقل وتوصيل مختلف أنواع المعرفة والعلوم والدارسين في مختلف أنواع العالم باستخدامتقنية المعلومات وهو تطبيق فعلي للتعليم عن بعد .

ويعرف الباحث التعليم الإلكتروني إجرائياً بأنه :

" نظام تعليمي قائم على المستحدثات التقنية (حاسبات - اتصالات - شبكات - برامج ووسائط متعددة) بهدف إثراء الموقف التدريسي ، وتحفيز المتعلم لزيادة معارفه وخبرته في المدرسة وخارجها .

الإطار النظري

يتناول هذا الفصل توضيح أوجه العلاقة بين الأسس النظرية للتعليم الإلكتروني ، وأدواته ، وتطبيقاته ، من خلال المبحثين الآتيين :

-المبحث الأول : الأسس النظرية للتعليم الإلكتروني .

-المبحث الثاني : أدوات وتطبيقات التعليم الإلكتروني .

الأسس النظرية للتعليم الإلكتروني :

التغيرات والتطورات المتلاحقة التي يشهدها عالم اليوم جعلته يعيش صراع التكيف مع هذه المستجدات والمستحدثات والتي يقودها تطور معرفي في شتى حقوق المعرفة حيث تأتي هذه المعارف في صيغ متعددة أبرزها الصيغة الإلكترونية .

والتعليم بمختلف صوره ومؤسساته وبما له من خاصية التأثير المتبادل مع المجتمع غداً مجالاً رحباً للاستفادة من معطيات البشرية في عالم اليوم . وبدأ في إدخال العديد من صور التكنولوجيا إما بصفة تجاري سرعة هذه التطورات التكنولوجية ، أو بحسب قدرة هذه المؤسسات التعليمية والجهات التي تتبعها ، واليوم فإن الحديث الأبرز هو عن التعليم الإلكتروني ، فهو لم يعد فكرة أو خياراً بقدر ما أصبح واقعاً معاشاً بكل أنماطه في العديد من أنظمة التعليم ، ولعل هذا المبحث يوضح الكثير عن ماهية التعليم الإلكتروني وأبعاده وطبيعته ومستوياته وتأثيره في أركان المنظومة التعليمية .

لمحة تاريخية موجزة عن التعليم الإلكتروني :

تشارك أدبيات تكنولوجيا التعليم والتعليم الإلكتروني في الاتفاق على حداثة هذا النوع من التعليم وأنه خلال الخمسين سنة الماضية بدأت معالم التعليم الإلكتروني في الظهور، لكنها تختلف في تحديد التاريخ الأول لظهوره، فمنهم من يرى أنها في الستينات الميلادية(الفار 2003 م :15) من خلال أبحاث وجهود الجامعات الأمريكية والمؤسسات العسكرية وعلماء الطب، ويرجعها البعض الآخر إلى ذات العقد السابق ولكن جذور نظرية العالم سكينر Skinner من خلال كتابه التعليم المبرمج.

وأياً كانت الجذور ، فإن عوامل التأثير الرئيسة في الأرشفة التاريخية للتعليم الإلكتروني كانت عندما بدأت الحاسبات الآلية في دخول المؤسسات التعليمية وأعقبها ثورة الاتصالات التي أفزت الانترنت وما نتج عنها من برامج وتطبيقات . ويلخص سالم (2004 م: 291) الوقفات التاريخية للتعليم الإلكتروني منذ عام 1984م وما بعده والتي قسمها لثلاث فترات زمنية جاءت كالتالي :

1984 – 1993 م :

وهي فترة ظهور نظام تشغيل الوندوز والماكنتوش وبداية استخدام الأقراص المغنطة كأدوات رئيسة في تطور التعليم .

1993-2000م :

منذ البدء في استخدام الشبكة الدولية للمعلومات "الانترنت" من خلال المحركات البحثية والوصل للمواقع ، وكذلك ظهور عملية التواصل الإلكتروني والتي قدمت خدمات متقدمة كالبريد الإلكتروني E-mail وظهر العديد من البرامج الإلكترونية ، وعروض متطورة لأفلام الفيديو حيث بدأت الأرض الخصبة للوسائط المتعددة .

2001 إلى الوقت الحاضر :

خدمات شبكة الانترنت بدأت تأخذ أشكالاً جديدة من حيث تصميم المواقع والسلاسة والسرعة في نقل الملفات بشتى أنواعها النصية ، المرئية ، والمسموعة ، أو بهم جميعاً وظهور الكتاب في الصيغة الإلكترونية وسهولة التواصل والحوار من خلال برامج المحادثة مما يعني أن أطراف عملية التعلم سيحظون بهذه الخدمات ويجعل من عمليتي التعليم والتعلم ذات آفاق واسعة وجديدة.

مما سبق نستطيع استنتاج المنطقية في تتابع ظهور مكونات التعليم الإلكتروني من خلال مفرزات الحاسب والانترنت حتى وصلنا اليوم لتكامل وربط بينهما جعلت من إتاحة التعليم عبرها أكثر انسيابية وسرعة ، بل ونموذجاً في القيام بمهام وأدوار جديدة للمعلم والمتعلم .

مفهوم التعليم الإلكتروني :

بالرجوع إلى مصادر متعددة تناولت مفهوم التعليم الإلكتروني يجد الباحث تنوع في عناصر هذا المفهوم ، ولعل الاهتمام والتخصص وكذلك الطبيعة والمستوي للتعليم الإلكتروني المطبق ، لها الأثر في شمولية أو تخصيص مفهوم التعليم الإلكتروني.

فيعرفه المحيسن (2002) على أنه "ذلك النوع من التعليم الذي يعتمد على استخدام الوسائط الإلكترونية في الاتصال بين المعلمين والمتعلمين والمؤسسات التعليمية".

كما يعرفه الموسى (2002) بأنه "طريقة للتعليم باستخدام آليات الاتصال الحديثة من حاسب وشبكات ووسائطه المتعددة من صوت وصورة ورسومات، وآليات بحث، ومكتبات الكترونية وكذلك بوابات الإنترنت سواء من بعد أو في الصف الدراسي .

وعرف الخان (2005) التعليم الإلكتروني بأنه "طريقة متمركزة حول المتعلمين في بيئة تفاعلية إبداعية، مصممة مسبقاً بشكل جيد، وميسرة لأي فرد بأي مكان وأي وقت باستعمال خصائص ومصادر الإنترنت والتقنيات الرقمية المطابقة لمبادئ التصميم التعليمي المناسب لبيئة التعلم المفتوحة والمرنة والموزعة .

وباستعراض التعريفات السابقة نجد أنها تباينت في الشمول أو الاقتصار على الآتي :

- اللاقيد على المعلمين والمتعلمين في الاستفادة من المعلومات والمعارف التي يتيحها التعليم الإلكتروني من وقت أو مكان .

- البيئة المتنوعة للمصادر التي يتيحها التعليم الإلكتروني .

- إلغاء نمطية التعليم التقليدي شكلاً ومضموناً.

- التعليم الإلكتروني يأتي في هيئة نظام قائم بذاته أو كطريقة تدريس مساندة للطرق التقليدية الأخرى .

ويرغم إتباع الباحث لإيراد التعريفات حسب ظهورها الزمني الحديث ، واقتضاه على المتخصصين في تكنولوجيا التعليم ، أملاً في الخروج بتصور مشترك لمفهوم التعليم الإلكتروني ، إلا أن ذلك لم يتحقق ، ولعل حداثة المفهوم ومستوى إدخال التعليم الإلكتروني في المؤسسات التعليمية هي ما يعزي عليه هذا الاختلاف .

ولكل ما سبق فإن الباحث يعرف التعليم الإلكتروني بأنه " نظام تعليمي قائم على التقنية الإلكترونية الحديثة (حاسبات - اتصالات - شبكات - برامج ووسائط متعددة) بهدف إثراء الموقف التدريسي ، وتحفيز المتعلم لزيادة معارفه وخبراه في المدرسة وخارجها".

فلسفة التعليم الإلكتروني :

يعتمد التعليم الإلكتروني على فلسفة المدرسة السلوكية والتي تدعو إلى تحويل المادة المعرفية إلى مقاطع وأجزاء ومن خلال أهداف والسعي لجعلها قابلة للقياس. الموسى والمبارك 2005م: 29. وتشاركهما الرأي فودة(2003) والتي جعلت من المدرسة السلوكية الركيزة الأولى لبرامج التعليم الإلكتروني بالإضافة للنظرية البنائية التي تقوم على أهمية أفكار المتعلمين في بناء الخبرة، وذكر سالم(2004) بأن التعليم الإلكتروني يحقق مبادئ التعلم الذاتي. والتي تقوم على ذات النظريات السابقة .

كما ذكر المحيسن(2005م:143) أن التعليم المبرمج سهامت سكرن كانت البداية الواضحة لنتائج التعليم الاشتراطي الذي يعد أسلوباً تعليمياً يكافئ بالتعزيز .

من العرض السابق نجد أن التعليم الإلكتروني يقوم على نظريات نعلم نهدف إلى تحقيق إيجابية المتعلم، فمن حقه تطوير قدراته والحصول على أكبر قدر يتاح له من التعليم وأن يبني معارفه وخبراته وفق ميوله، كما يجب مساعدته بتقديم ما يلزم من تنظيم ودعم لبيئة التعلم ليكون المتعلم مقبلاً على تعلمه بذاته وفق مبادئ تفريد التعليم ومراعاة التمايز بين الأقران .

خصائص التعليم الإلكتروني :

للتعليم الإلكتروني خصائص عديدة يمكن استقراءها من التعريفات السابقة والتي تشمل طبيعة التعليم الإلكتروني ونظامه، والمعلم والمتعلم والبيئة التعليمية وغيرها، كما بين كل من (سالم، 2004 292) العديد من الخصائص منها :

1. البيئة التفاعلية التي يوفرها التعليم الإلكتروني بين المعلم والمتعلم وزملائه وتنوع المثيرات .
2. المرونة في المكان والزمان .
3. دعم التعلم الذاتي التعاوني .
4. إمكانية قياس المخرجات كما في التعليم التقليدي .
5. أيّاً كان عمر المتعلم فهو يستطيع إثراء تعلمه باستمرار .
6. الحاجة لإدارة إلكترونية تتولى مهام التخطيط والمتابعة والتنسيق وغيرها .
7. الحاجة لتوفر تقنيات معينة كالحاسوب وملحقاته والإنترنت .

8. قلة التكاليف مقارنة بالتعليم التقليدي .

وبالتالي نجد أن خصائص التعليم الإلكتروني تشمل كل عناصره ومكوناته وتتركز بالدرجة الأولى على المتعلم ليكون متصفاً بالمبادرة والتفاعلية .

أنماط التعليم الإلكتروني :

حصرت العديد من أبحاث التعليم الإلكتروني أنماطه في نوعين هما: (الموسى 2007 : 7 – الحلفاوي 2006 م : 64- سالم 2003 م : 291 – الجرف 2004م:6)

التعليم الإلكتروني المعتمد على الشبكات وهو نوعان :

-متزامن: الالتقاء على الخط في ذات الوقت .

- غير متزامن: الدخول الانفرادي في الوقت المناسب لكل فرد.

-التعليم الإلكتروني غير المعتمد على الشبكات الذي يشمل البرمجيات والوسائط المعتمدة ا المستخدمة في التعليم عن طريق الحاسب .

أهداف التعليم الإلكتروني :

هناك أهداف كثيرة ومتنوعة يؤمل تحقيقها من خلال التعليم الإلكتروني ، ولعل أبرز هذه الأهداف هي الانتقال بالمتعلم إلى بيئة تعليمية تعلمية تثري مداركه وتعزز تقدمه العلمي ، فقد أشار كل من لال والجندي، 2005 (388) إلى أهم هذه الأهداف:

- 1- تقديم بيئة غنية بالمصادر تثري محاور العملية التعليمية.
 - 2- إيجاد قنوات اتصال توفر الخبرات المطلوبة دون الارتباط بمكان محدد .
 - 3- المساعدة على تثقيف المجتمع إلكترونياً ومسايرة المستجدات العالمية .
- ويضيف الحيلة (2004م:419) (مجموعة أخرى من أهداف التعليم الإلكتروني :
- 1- تقديم حقائب الكترونية للمعلم وكذلك للطلاب، مع تحديثها بسهولة .
 - 2- التغلب على نقص الكادر التدريسي من خلال الفصول التدريسية الافتراضية .
 - 3- تعويض نقص خبرة بعض المعلمين من خلال مساعدتهم في إعداد المواد التعليمية للطلاب .

وهذه الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها التعليم الإلكتروني تساهم في حل العديد من المعضلات التي تواجه عناصر العملية التعليمية ، ويرى الباحث أنه من خلالها نستطيع أن نصل إلى بيئة تعليمية تعلمية تحقق الأهداف العامة للمجتمع من خلال بناء جيل مدرك وفعال .

فوائد التعليم الإلكتروني :

إن الفوائد والمزايا التي يقدمها التعليم الإلكتروني كانت الشفيع والداعم الأول للمطالبة بتفعلية واستخدامه ، وقد اجمع كل من التودري (2004م:85) والرشاد (1424هـ :11) والنملة (2003م:3) كما شاركهم الرأي العويد والحامد (2003م:7) بأن من الفوائد البارزة للتعليم الإلكتروني مايلي :

1- لا حدود لوقت التعلم :

حيث يستفيد الطالب من هذه الميزة في اختيار الوقت المناسب للوصول للمعلومة دون التقيد بزمن محدد

2- خيارات متعددة لطرق التدريس

فما على الطالب سوى اختيار الطريقة الأنسب التي يستجيب لها ويتفاعل معها للحصول على المعلومة ، كما أن المعلم يجد أمامه طرقا متعددة بثري بها الطلاب باختلاف قدراتهم .

3- تنمية الخبرات

الكم الهائل من المعلومات والمعارف المتاحة التي يجدها الطالب ، تساعده على رفع كفاءته ومقدرته وتسهم في تطوير آرائه ومقترحاته من خلال النقاش في غرف الحوار وغيرها .

4- تنظيم أعمال المعلم المختلفة

هناك أعمال يقوم ها المعلم غير التدريس ، كمتابعة الواجبات ، وبعض الأعمال الإدارية الأخرى ، وسيجد من التعليم الإلكتروني الحل المناسب لهذه الأعباء كإمكانية الإرسال والاستقبال ، وحفظ المستندات وتنظيم أعمال الامتحانات ، ومتابعة الجديد في مجاله .

5- الإحساس بالمساواة

حيث أثبتت الدراسات (التودري 2004 م) أن النقاش على الخط Chatting online يساعد ويحث لطلاب على المواجهة بشكل أكبر، فلا يشعر الطالب بالخوف والقلق من التعبير عن رأيه وذلك بسبب ضعف الصوت أو الخجل .

6- طرق متعددة للتواصل

كالحلقات الحوارية Conference والبريد الإلكتروني E-mail وغرف الحوار Chatting Rooms مما تسهم في تحفيز الطلاب على التفاعل مع المعلم وزملائه

7- تنظيم أعمال المدرسة

من خلال التواصل الإداري مع الجهات المركزية ومع الهيئة الإشرافية ، والملفات والسجلات والإحصاءات التي ستسهم في بناء قواعد بيانات لفئات المجتمع المدرسي

8- خصوصية المتعلمين

كما هو حال المرأة المسلمة في مجتمعنا والتي ستتمكن من إكمال مسيرتها التعليمية دون تأثير على تربية الأبناء ، كما أن بعض الطلاب ممن يتعلمون وفق طريقة التجربة بالمحاولة والخطأ سيحدثون في التعليم الإلكتروني الملاذ المناسب .

9- التغذية الراجعة المستمرة وتعدد أنواع التقويم لمراحل تقدم الطالب .

باستعراض أهم فوائد التعليم الإلكتروني ، نخلص إلى أن الفوائد تمتد لتشمل الطالب والمعلم ، والإدارة ، والمشرفين وحتى المجتمع بحيث تتم مراعاة ثقافته وخصوصيته ، مما يخلق آثاراً إيجابية لجميع الفئات السابقة ويجعلها مفضلة لهذا النوع من التعليم .

أوجه القصور في التعليم الإلكتروني :

حتى لا يكون الاندفاع نحو تبني التعليم الإلكتروني يتسم بالإفراط والجموح والطغيان فغنه ومن تجارب الآخرين ومن الدراسات التي تناولت التعليم الإلكتروني ، وجهود بعض المنظرين في المجال ، وبالرغم من الفوائد الكبرى التي يحققها التعليم الإلكتروني فإنه يظل قاصراً عن تحقيق بعض الأهداف التعليمية كما جاء عند سالم (2003:م298) وعفيفي (2005:م7)

1- غياب الجانب الإنساني في العملية التعليمية ، لاعتمادها على الآلة .

2- إضعاف العلاقات الاجتماعية لدى المتعلم .

3- ارتفاع تكلفة هذا النوع من التعليم خاصة في بداية التأسيس .

4- الحاجة لكثير من الوقت في الإعداد والتوصيف للمحتوى .

5- الحاجة إلى نوعية معينة من المعلمين مؤهلة للتعامل وفق أنماط التعليم الإلكتروني

6- التركيز فقط على الجانب المعرفي أكثر من الاهتمام بالجانب المهاري والوجداني .

7- صعوبة تطبيق أساليب التقويم

8- الحاجة إلى إعادة تأهيل الشبكات والأجهزة لتتوافق مع التطورات في هذا المجال .

9- التأثير على حاسة الإبصار ، والإرهاق والملل من اعتياد الجلوس أمام الشاشة .

إن هذه السلبيات تجعل من الأهمية بمكان التنبيه لها والتحوط لمسبباتها ، دون أن تغفل الفوائد التي تُجنى من التعليم الإلكتروني والتي تجعل منه الخيار الأنسب والنظام الأفضل ، ويجب إلا تكون هذه السلبيات وأوجه القصور حائلاً وعذراً دون الاستفادة من التعليم الإلكتروني ، والباحث يري أهمية الاستفادة من معطياته وأدواته ويشارك أصحاب وجهات النظر الداعية إلى تحقيقه والاستفادة من (لال2002م:18 – الشهران 2001م:192- آل مزهر 1426هـ :119) حيث تتوافر له أدوات جعلت من التعليم عملية منظمة ومتاحة ، كما أنها تثيري مختلف جوانب منظومة التعليم بالعديد من المميزات التي لا يوفرها غير أدوات التعليم الإلكتروني .

التعليم الإلكتروني والتعليم التقليدي :

تركز المقارنات التي تتبعها الباحث في المصادر المختلفة التي تناولت عقد المقارنات بين التعليمين : الإلكتروني والتقليدي على إظهار محاسن ومزايا التعليم الإلكتروني فقط كمقارنات العريفي (1424) والراشد (1424هـ) وسالم (2004م) والغراب(2003م) والحقيقة أن ما ذهبوا إليه صحيحاً ، ومع ذلك فالتعليم التقليدي قد يتحقق من خلاله ما لا يتحقق في التعليم الإلكتروني الآن ، وخاصة ما يتعلق بتحقيق بعض الجوانب المهارية للطالب ، كمزاولة الأنشطة الاجتماعية والرياضية والعلمية ، والتدريب على إجراء تجارب مخبرية .

ويلخص السعيد (2003م:11) أبرز الفروقات بين التعليم التقليدي والتعليم الإلكتروني يوضحها الجدول

التعليم الإلكتروني	التعليم التقليدي
1- أي وقت يصلح للدرس	1- زمن الدرس محدد
2- مكان الدرس في المدرسة وفي المنزل	2- الصف التعليمي مكان محدد
الاعتماد على كتب ووسائط الكترونية متقدمة	الاعتماد على كتب مطبوعة
خصوصية الطالب متوفرة	خصوصية الطالب غير متوفرة
الأسئلة غير محدودة للمعلم	الاتصال بالزملاء والمعلم أثناء الدرس وجهها لوجه

التحول إلى التعليم الإلكتروني :

ويقصد الباحث بعملية التحول هنا أي ازدياد الاهتمام وتكريس الجهود نحو الاستفادة من نظام التعليم الإلكتروني ، وليس التحول الكلي لهذا النوع من التعليم خاصة في مراحل التعليم العام ، والحقيقة أنه لا يغني البتة عن نظام التعليم القائم ، وإن كان يتيح مزايا لا حصر لها ، ويورد خميس (2003م:204) بعض المتطلبات التي يؤدي إلى إدخال التعليم الإلكتروني وفق مستويات عملية تدريجية :

- 1- تحول فلسفة التربية من التعليم المتمركز حول المعلم إلى التعلم المتمركز حول المتعلم .
- 2- تحول نواتج التعلم من التذكر الأصم إلى الفهم والإبداع وحل المشكلات .
- 3- التحول التدريجي وليس السريع لأن المعلمين والمتعلمين وحتى المسؤولين يحتاجون لوقت لكي تتغير مفاهيمهم وإتجاهاتهم ، ولكي يتمكنوا من المهارات والأنشطة الجديدة .
- 4- توفير المتطلبات المادية والبشرية اللازمة لتأسيس البنية التحتية والتجهيزات الأخرى .
- 5- التخطيط الدقيق لمراحل التنفيذ والتوسع والتعديل .
- 6- التقييم الشامل والتحسين المستمر لما تم القيام به .

ويتفق الباحث مع منطقية إدخال تقنية التعليم الإلكتروني في مراحل متدرجة حتى لا يكون هناك نقص وضعف استعداد في صفوف المعلمين بالذات ، وحاجتهم إلى بناء وتكوين وتطوير مهاراتهم للتعامل مع التعليم الإلكتروني بأدواته وتطبيقاته المتعددة .

التعليم الإلكتروني والتعليم من بعد :

يستلزم هذا العنوان أن نطرح السؤال على التعليم الإلكتروني (E-learning) هو تعليم من بعد (Distance Education) ؟ ويجب على هذا السؤال م روسنبرغ M.Rosenderg " موضعاً أن التعليم الإلكتروني يعتبر نوعاً من التعليم من بعد ولكن ليس قطعاً أن يكون التعليم عن بعد تعليماً إلكترونياً (الحلفاوي 2006م:102) وهذه الجملة وإن كانت صحيحة لكنها ليست على الإطلاق حيث أن التعليم الإلكتروني يستخدم في المدارس باستخدام وسائط إلكترونية حديثة وبوجود المعلم والمتعلم في مكان واحد كما في مراكز مصادر التعلم ومعامل الحاسب الآلي ولتوضيح أكثر بين ماهية التعليم الإلكتروني والتعليم من بعد فإن نقطة الاتفاق والاختلاف في ذات الوقت هي نوعية الوسائط المستخدمة ، وهو ما تؤكد في تعريف الجمعية الأمريكية للتعليم عن بعد (العلي 2005م) حيث عرفت التعليم عن بعد بأنه " تقدم التعليم أو التدريب من خلال الوسائط التعليمية الإلكترونية ويشمل ذلك الأقمار الصناعية ، والفيديو ، والشرطة الصوتية المسجلة ، وبرامج الحاسبات الآلية والنظم والوسائط التكنولوجية التعليمية المتعددة ، بالإضافة إلى الوسائل الأخرى للتعليم عن بعد .

كما يؤكد ذلك سالم (2004م:394) حيث كانت الوسائل المستخدمة في التعليم بعد مختلفة ومتعددة بدأت بالمراسلة ثم بالأشرطة السمعية ثم من خلال القنوات التلفزيونية ووصلات الميكرويف .

إلا أن دخول التقنية في التعليم من بعد جعل منه ذو معنى أوسع من التعليم بالمراسلة (الشهران 2001م:188) وبالتالي فإن الباحث لم يعد يري أن هناك فرقاً واسعاً بين التعليم الإلكتروني والتعليم من بعد حيث يتشارك المبادئ والوسائط والأهداف .

البيئة التعليمية في التعليم الإلكتروني :

تشمل البيئة التعليمية العناصر البشرية والمكونات والتجهيزات المادية اللازمة لقيام وتحقيق أنشطة التعليم والتعلم الإلكتروني حيث يعرفها سلامة وصالح (2005م) بأنها جملة من الظروف المادية والتدريسية " ويقصد بالتسييرية المعايير والأنظمة ويحدد زيتون (2005م:143) نوعان من البيئات في التعليم الإلكتروني :

1- البيئات الواقعية : إي متوفرة وحقيقية ، وتشمل الفصل الدراسي ، معمل الحاسوب والفصول الذكية المدارة إلكترونياً .

2- البيئات الافتراضية : وهي التي تحاكي بيئة التعليم العادية من حيث المكونات والوظائف لكنها غير حقيقية الأحداث virtual Reality

وبناءً على ما سبق فإن المعلم والمتعلم يجب أن يتوافر لهما الخصائص المناسبة لهذه الأنواع من البيئات حيث " يحتاج المعلم إلى القدرة على استخدام تقنيات التعليم الإلكتروني ويتطلب للمتعلم مهارات في التعليم الذاتي Self directed learning Skills

وكذا في الحاسب والانترنت " سالم (2004م ، 301) كما أنه من العناصر الأساسية للبيئة التعليمية الإلكترونية أجهزة الخادم ومحطات العمل والانترنت والتي يجب أني قوم عليها طاقم فني مؤهل .

العوائق والصعوبات التي تواجه تطبيق واستخدام التعليم الإلكتروني :

تواجه التعليم الإلكتروني عقبات مختلفة متعلقة بتطبيقه وتشمل التأسيس والميزانية والدعم ومشاكل الاتصال وكفاءة الأجهزة والبرمجيات .

كما أن هناك صعوبات تحول دون استخدام تقنيات التعليم الإلكتروني بعد أن يتم توافرها وتتمثل بالمعلم والطالب " المتعلم " فقد لا يجيد المعلم التعامل مع هذه الأدوات ولم يجد التدريب الكافي المؤهل لهذا النوع من التعليم أو أن قدرة المتعلم ومهاراته ضعيفة ولا يستطيع استخدام هذه الأدوات . ويشير التودري (2004م:115) إلى نوعين من العوائق التي تواجه التعليم الإلكتروني :

1- مادية : متمثلة في الأجهزة والتغطية الشبكية وارتفاع التكاليف .

2- بشرية : وتتمثل في قلة المعلمين الذين يجيدون فن التعليم الإلكتروني :

ويمكن إضافة العديد من المعوقات التي تواجه التعليم الإلكتروني كتخوف الآباء من الآثار السيئة للتعامل مع الانترنت ، وعدم توافر أجهزة حاسوب خاصة لكل طالب ، والمشاكل القانونية كحقوق النشر ، واختراق المواقع التعليمية بالسطو على المعلومات وتعطيل المواقع وهي ما يعرف بالمهكرز ، كما يري الباحث أهمية عدم إغفال الصعوبات التي تشكلها تقديم الخدمة من المزودين كالانقطاعات المفاجئة ، والصيانة غير المنتظمة ، والبطء في عملية الاتصال فهي مؤثرة في عملية التواصل بشقيها التزامني واللاتزامني ، وقد تفشل نجاح التعليم عبر الأدوات الإلكترونية ، مما ينعكس إيجاباً على موقف المتشائمين من إدخال التعليم الإلكتروني للمدارس والفصول الدراسية .

المبحث الثاني : أدوات وتطبيقات التعليم الإلكتروني

سنتناول في هذا المبحث العمودان الرئيسان للتعليم الإلكتروني وما ينضوي تحتها الإلكتروني ومن خلالها حدثت التغييرات في مجال التعليم بظهور أساليب وأنماط جديدة في الحصول على المعلومة ومزاولة الأعمال المتنوعة في التعليم وأهمها التفاعل بين المتعلم وما يتاح له من مشروعات تعلم .

الحاسب :

شكلت مكونات الحاسب وملحقاته جذور التعليم الإلكتروني حيث بدأ استخدامه للتعليم من مادة تعليمية مبرمجة على أقراص (قنديل ، 1999،258) والحاسب كما ذكر الموسى (2005) عبارة عن " آلة الكترونية يمكن برمجتها لكي تقوم بمعالجة البيانات وتخزينها واسترجاعها وإجراء العمليات الحسابية والمنطقية عليها " ص 16.

ويتألف الحاسب من مكونين أساسيين هما :

1- الأجهزة (Hard ware) : فهي كل الأجهزة الصلبة التي إما أن تكون داخلية أو ملحقة به ، مثل لوحة المفاتيح Keyboard والفارة Mouse والقلم الضوئي Light pen والماسح الضوئي Scanner وجميع ما سبق من وحدات الإدخال المتعارف عليها ، أما وحدة المعالجة المركزية CPU

والتي يمكن اعتبارها عقل الحاسوب فلها ثلاثة أجزاء تخص بعمليات الحساب والمنطق ، وعمليات التحكم ، وكذلك بعمليات التخزين . أما وحدات الإخراج فهي التي تنقل للمستخدم أو المستخدمين نتائج الإدخال والمعالجة ولها وسائل متعددة أشهرها .

أ- شاشة العرض Monitor Display

ب- الطابعة Printer

إن جميع هذه المكونات المادية ترتبط بوحدة المعالجة المركزية من خلال كروت مخصصة للصوت والصورة بكل أنواعها ، بالإضافة إلى وحدات تخزين خاصة أو فرعية أشهرها الآن القرص الضوئي CD Rom و Flash Memory .

2- البرامج (Software) : وهي التي تحمل التعليمات التي تسمح بتشغيل الأجهزة وتشمل :

- برامج تشغيل نظم (Operating Systems)

- لغات برمجة (Interpreters Compilers)

- البرمجيات التطبيقية (Application Software) وأهم هذه البرمجيات :

▪ برنامج معالجة الكلمات (Word Processing)

▪ برنامج الجداول الحسابية (Spread Sheet)

▪ برنامج قواعد البيانات (Data Base Software)

▪ برنامج العروض التقديمية (Software Presentation)

▪ برنامج الرسم بالحاسب (Graphics Software)

▪ برامج الاتصالات (Communication Software)

▪ برامج الألعاب والتسلية (Games Software)

▪ البرامج التعليمية (Educational Software)

الحاسب والتعليم :

إن الإمكانيات التي استطاع الحاسوب تقديمها في مختلف الأعمال ، جعلت منه الاختراع الأهم للحياة في هذا العصر ، كما أدت قوته في الأداء وازديادها المستمر وكذلك تقليص حجمه وانخفاض سعره والسهولة في استخدامه إلى انتشاره في مختلف الأوساط ، ومنها الوسط التعليمي حيث تم استخدامه في عدة مجالات تعليمية كما أشار دسوقي وآخرون (2006م 404) كالعامل والتنظيم الإداري وأعمال المعلمين وفي استخدامه كوسيلة تعليمية ثم أصبح نشاطاً ومادة مستقلة .

لكن البداية الحقيقية في الاستفادة من الحاسوب في التعليم كانت تركز على ما يعرف بالتعليم المبرمج والتي يتم تجزئة المعلومة المراد إيصالها للمتعلم إلى أجزاء من خلال أطر يتم التعامل معها تدريجياً لتصل للمتعلم إلى الهدف والتي جعلت من السهل التعامل مع هذا النوع التعليم بشكل منفرد مع التعزيز الفوري من خلال إجابات للأسئلة التي يتم عرضها على المتعلم .

ومن ثم أصبح يستخدم كوسيلة تعليمية في الدروس التقليدية والتي مهدت الطريق إلى الانتقال من التعليم في عصر المعلومات من خلال استخدام الحاسب الآلي في مراكز مصادر التعلم .

وعليه فإن فوائد استخدام الحاسوب في التعليم لا تنحصر على الطالب وحده ، ولكن المعلم أيضاً يجني ثمار هذا التقدم ، أصبح لديه الوقت لاستثمار فوائد الحاسوب في مجال بعض المواد التي كانت صعبة في الماضي أو مملة مثل الرياضيات (عرمان ، 2007م : 322) بل أدى إلى متابعة الطلاب بطريقة جيدة وتقييمهم وتقييم المادة التعليمية كذلك .

ولعل أبرز ما قدمه الحاسوب للتعليم هو إمكانية التفاعل بين المتعلم والمادة المعرفية مما أضفى عنصر الإثارة والترغيب في عملية التعلم .

الشبكات والإنترنت :

تعني الشبكات هنا الأنواع المختلفة من شبكات ربط الحواسيب ببعضها أي كان نطاقها ومنها شبكة الإنترنت ، لكن الباحث يرى أهمية الإنترنت في أن يُفرد لها الجزء الأكبر من المعلومات كونها العنصر الأهم في التعليم الإلكتروني ، مع عدم إغفال الأنماط الأخرى من الشبكات كالشبكة المحلية التي تستخدم على نطاق واسع في المدارس .

أنواع الشبكات :

أ- الشبكة المحلية (Local Area Network-LAN) حيث تتمثل هذه الشبكة في الآتي :

1- مخصصة لمساحة مكانية محدودة .

2- عدد الأجهزة محدودة .

3- تتميز بأنها سريعة في إرسال البيانات لقصر المسافة بين الأجهزة .

وتستخدم على نطاق واسع في المدارس والمؤسسات بهدف تبادل المعلومات بينها والاشتراك في الأجهزة والملحقات (منتدى تعليم المنطقة الشرقية <http://www.edueast.org.sa>) .

4- الشبكات الإقليمية والمناطق الواسعة (WAN- MAN)

حيث تربط مناطق إقليمية ولكنها ما تزال تقع تحت مسمى المحلية كما في ال MAN ، أو أنها تربط دول مع بعضها WAN حيث تمتاز بالنقل الكمي المتميز الذي لا يتوفر في غيرها من الشبكات ، لكنها مكلفة التشغيل والصيانة (الفريق العربي للبرمجة www.arabteam.com) .

ج- الشبكة العنكبوتية العالمية (World Wide Web)

والتي يعبر عنها اختصاراً بـ WWW لكن مصطلح الانترنت غلب على هذه التسمية حتى أن كلمة Inter net هي اختصار للتعبير : Interconnected network أي " الشبكة المرتبطة " (موسوعة ويكيديا Wikipedia)

" والانترنت مجرد ذاته لا يحوي معلومات وإنما وسيلة لنقل المعلومات المخزنة في الملفات أو وثائق في جهاز الحاسب الآلي ، وأهم عنصر هو خلوها من عقدة رئيسية يتوجب على الخطوط المرور به بحيث حلت من المركزية في الجانب التقني لكنها إدارياً مركزية حيث تشرف عليها آيكان International Conference on Advanced – Nanomaterials and Nanotechnology – ICANN والتي تشرف على إصدار العناوين على الانترنت وتتبع بشكل غير مباشر للولايات المتحدة الأمريكية ، حيث تدير العقدة الرئيسة DNS في أكثر الدول (Wikipedia).org

شبكة الانترنت والتعليم :

تقدم شبكة الانترنت العديد من الخدمات التي لا تتوفر بغيرها ، والتي جعلت من التعليم مجالاً حصباً للخيارات المتنوعة التي تتيحها للمتعلم والمعلم وأهم هذه الخدمات :

1- البريد الإلكتروني E-mail:

من خلال إرسال بيانات نصية مرفقة بملفات أخرى بين طرفين أو أكثر بسرعة هائلة وهو أكثر هذه الخدمات انتشاراً لسهولة تعلمه واستخدامه .

2- الدخول من بعد :

وهذه الخدمة أتاحت الولوج لمواقع المعلومات بأي مكان وللاتصال بحواسيب أخرى والتشارك في المعلومات، وهناك عدة طرق وتوجهات حديثة للدخول من بعد ذكر منها لال والجندي (2005م:326) النقل عبر أسلاك الكهرباء ، والانترنت الفضائية ، وهذا مما يشجع التواصل ويدعمه في بعض المناطق التي مالا يتوافر لها بنية أساسية من خلال شركات الاتصال ، كما هو الحال حيث أن التباين الجغرافي والمسافة الشاسعة من المعوقات التي تحتج بها شركات الاتصال المزودة لخدمات الاتصال بالانترنت.

3- الاتصال الصوتي والمرئي : Internet Relay Chat-IRC

حيث أصبح بالإمكان التواصل مع الآخرين بالصوت والصورة مما أتاح مرونة في التواصل ، وجعل بالإمكان في التعليم الحضور عن بعد بحيث تتغلب على عائق التفاعل المباشر المفقود بين المعلم والطلاب (العلي ، 2005م:98) كما هيأت هذه الخدمات التواصل كذلك بين الطلب مع حسن الاستخدام ، فإنها تقدم الإثراء المطلوب للتعلم والتثقيف .

ويمكن تصنيف هذه الخدمات إلى التزامن واللا تزامن في التعليم الإلكتروني ، والذي أجمع على هذا التصنيف كل من زيتون (2005م:126) وسعادة والسرطاوي (2003م:151) ، والحربي (1427هـ:36) وحددت هذه الخدمات كما يلي :

1- الخدمات المتاحة عبر أدوات التعليم الإلكتروني المتزامن :

- **المحادثة Chatting**: صوتاً وصورة وكتابة بين المستخدمين في ذات الوقت
- **المؤتمر الصوتي Audio Conferences** : تقنية تسمح باستخدام الهاتف لتوصيل المتحدث بعدد من المستقبلين في أماكن متباعدة ،
- **اللوحة الأبيض White Board** : ينقل الشروحات والرسومات للآخرين في بالفصول الافتراضية ، وهو يعد من الأدوات الأساسية في هذه الفصول .
- **برامج القمر الصناعي Satellite Programs** : عبارة عن اقتران نظام محوسب بخط مباشر مع شبكة اتصالات ذات ربط فضائي وهي تجعل من عملية التدريس ذات طابع نشط وحيوي في منطقة أو بلد المصدر وتحتاج أطراف التعليم هما إلى أجهزة بت واستقبال متوافقة مع النظام المستخدم .
- **مؤتمرات الفيديو Video Conferences** : من خلال شبكة تلفاز عالية القدرة وتتيح تواصل المحاضر أو المختص مع الطلاب من خلال هياكل طرفية ، وهذه التقنية ذات أثر إيجابي في التعليم عن بعد .

2- الخدمات المتاحة عبر أدوات التعليم الإلكتروني اللا تزامنية :

- حيث لا يتطلب أن يتواجد المستخدمين في وقت واحد على الشبكة ، ومن هذه الخدمات :
- **البريد الإلكتروني E-mail**: لتبادل الرسائل بدون وقت محدد للاستقبال والرد .
- **القوائم البريدية Mailing Lists**: قائمة من العناوين لدى المعلم أو المتعلم أو المدرسة بحيث يتم الإرسال والاستقبال جماعياً بين جميع أفراد القائمة .
- **نقل الملفات File Exchange** : تستطيع نقل الملفات من أي جهاز حاسب يرتبط بجهازك أو من الشبكة العالمية وفق آلية محددة تعتمد على نوع وحجم الملف.
- **الأقراص المدمجة CD** : من خلال تحميل محتواه على أجهزة الطلبة عبر الشبكة.

▪ **مجموعة النقاش Discussion Groups** : حيث يكون التواصل والمشاركة بين أصحاب الاهتمام الواحد أي أنها ذات طابع تخصصي.

▪ **الفيديو التفاعلي Interactive Video** : من خلال اسطوانات فيديو ، تتميز بتفاعل المتعلم مع المادة العلمية وإن كان التفاعل ذو اتجاه واحد حيث تخلو من التغذية الراجعة .

وأغلب هذه الخدمات تتم عن طريق ربط الكيل الخاص بالشبكة مع كرت الشبكة الموجود داخل جهاز الحاسب إن كان الاتصال سلكياً ، وفي حالة اللاسلكي يكون من المتوجب استخدام تقنية البلوتوث Bluetooth وتقنية الجيل الثالث عريض النطاق (الموقع التعليمي للفيزياء www.hazemsakeek.com) أو الانترنت الفضائي عن طريق مزود الخدمة والوكيل .

إن هذه الخدمة التي تتيحها الانترنت في العمليات التعليمية غيرت من مفاهيم المعلمين والمتعلمين نحوها ، بل أجمعوا على أنها أداة فاعلة في التحفيز للتعلم (Richard ، 1996) وهذا التعدد والتنوع الذي أتاحتها الانترنت ساهم في إحداث النجاح في التدريس والبحوث .

المكتبة الإلكترونية Electronic Library :

لم يعد الاعتماد على المصادر التقليدية (الورقية) كافياً للتعليم والتعلم فظهور أشكال متعددة من المصادر وخاصة الأقراص الضوئية وإمكانية تناقلها عبر الشبكة وتحديد مواقع خاصة لذلك ، جعل من اليسير الاستفادة من هذه المواقع ، مما دعا الكثير من دور النشر والمكتبات الورقية تسعى لتحويل إنتاجها إلى الصبغة الإلكترونية .

ويمكن تعريف المكتبة الإلكترونية (الفار ، 2003م) بأنها " المكتبة التي تركز في عملها على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لتحويل بيانات المكتبة المختلفة إلى أسلوب تقني يعتمد على التقنيات الحديثة وفي مقدمتها شبكة الانترنت وخدماتها بغرض تطوير البحث العلمي وتيسير التجول بين المراجع أيضاً كان تواجدها "

كما يطق على المكتبة الإلكترونية عدة مسميات كالمكتبة الافتراضية والمكتبة الذكية والمكتبة الرقمية والتسمية الأخير بالإضافة آلة المكتبة الإلكترونية هما الأكثر شيوعاً وتداولاً .

ويرى الباحث أن المكتبة الإلكترونية تعد من أهم الإسهامات في عمليتي التعليم والتعلم ومن المرتكزات التي تقود عليها التعليم الإلكتروني في ظل توافر قواعد ومكانز للمعلومات DATA BASE تشرف عليها جهات ومؤسسات تمتلك القدرة على جعلها مصدر ثقة ، مع إضافة أي جديد أو تحديث للمعلومات المتوفرة بحيث تسعى الجهات التعليمية إلى الاشتراك برسوم معقولة للاستفادة من هذه الخدمات التي أحدثت نقلة في دعم التعليم الإلكتروني .

الكتاب الإلكتروني Electronic Book :

وهو مصطلح نابع من مكون المكتبة ذات سمة الكترونية ، حيث أنه عبارة عن نصوص رقمية مشاهمة للكتاب التقليدي يعرض شاشة الحاسب من خلال أقراص ضوئية أو موقع على الشبكة ، ويمتاز الكتاب بتقديمه الكثير من الفوائد والتي من أهمها (مصطفى ، 2004م : 299) الحصول على مكتبة ضخمة في حيز صغير الفوري للكتب، سهولة التنقل بين محتويات الكتاب حداثة معلومات الكتاب ، بالإضافة إلى الكثير من الشروحات والصور واللقطات وغيرها .

ولكل المزايا السابقة فإن الباحث يشارك وجهات النظر (الحلفاوي ، 2006م : 152) التي ترى أنه لا يجب أن يحل الكتاب الإلكتروني بالكامل مكان الكتاب الورقي ، الذي سيظل له رونقه الخاص وملازماً للأجيال القادمة .

الوسائط المتعددة Multimedia :

لقد أضافت تقنية الوسائط المتعددة بعداً جديداً لتوظيف إمكانات الحاسوب بشكل نسقي متكامل حيث أتاحت استخدام المؤثرات المتنوعة في قالب واحد من خلال برامج إعداد النص وبرامج إعداد الصوت وبرامج الصور وبرامج إعداد اللقطات حيث تجمع في تناغم لعمل واحد يتسم بالتفاعلية والتكامل .

ويعرف الدسوقي وآخرون (2006م) الوسائط المتعددة بأنها " الجمع بين النص التحرير والصوت والرسوم الثابتة والمتحركة ولقطات الفيديو وعرضها بشكل متكامل وتخزينها بشكل تفاعلي باستخدام الحاسب ووفقاً لمستوى وقدرات واحتياجات المستخدم " .

ويؤكد الحلفاوي (2006م) هذا التعريف فالوسائط المتعددة هي " استخدام الكمبيوتر في مزج وتقديم النصوص المكتوبة والرسومات الخطية والصور الثابتة والمتحركة والصوت في نظام متكامل وربط هذه الوسائط ببعضها بحيث يمكن للمتعلم أن ينتقل ويتحرك ويبحر ويتفاعل بنفسه مما يجعل العملية أكثر إثارة وفعالية " .

من التعريفين السابقين نجد أن عناصر الوسائط المتعددة تتمثل في :

- 1- النص المكتوب Text .
- 2- الصوت Sound .
- 3- الرسومات المتحركة Animations .
- 4- الصور الثابتة Still Pictures .
- 5- الرسومات الخطية Graphics .
- 6- الصور المتحركة PicturesMotion .

7- الواقع الافتراضي Virtual Reality .

ويتطلب برنامج الوسائط المتعددة توفر عدد من هذه العناصر بحيث لا يقل عن ثلاثة عناصر (الدسوقي وآخرون، 2006م:520) حتى تتوفر شروط تعددية الوسائط في البرنامج . إن تقنية الوسائط المتعددة آخذة في التطور السريع ولعل الوسائط الفائقة Hypermedia هي الأحداث والتي تقدم بيئة غنية بالمعلومات وبأشكالها المختلفة من خلال وصلات وروابط لموضوعات مرتبطة .

لقد قدمت تقنية الوسائط المتعددة نقلة جديدة للتعليم الإلكتروني حيث أضافت امتيازات من التشويق والإثارة والإغناء للمتعلم ، لكن الباحث يرى أنها أضافت للمعلم عبء آخر يتمثل في جعله مطلباً بالولوج لهذه التقنية ليكون قادراً على تصميم محتوى تعليمي متقدم أو بصورة أقل أن يكون قادراً على اختيار وتقييم برمجيات الوسائط المتعدد ، ويستطيع المشاركة في إعدادها وفق فريق عمل خاص بذلك .

الخاتمة و التوصيات:

خلال العقد الماضي كان هناك ثورة ضخمة في تطبيقات الحاسوب التعليمي ولايزال استخدام الحاسب في مجال التربية والتعليم في بداياته التي تزداد يوماً بعد يوم ، بل يأخذ أشكالاً عدة فمن الحاسب في التعليم إلى استخدام الإنترنت في التعليم وأخيراً ظهر مفهوم التعليم الإلكتروني الذي يعتمد علي التقنية لتقديم محتوى للمتعلم بطريقة جيدة وفعالة . كما ان هناك خصائص ومزايا لهذا النوع من التعليم وأهم المزايا والفوائد في اختصار الوقت والجهد إضافة الي امكانية الحاسب في تحسين المستوى العام للتحصيل الدراسي ، ومساعدة المعلم والطالب في توفير بيئة تعليمية جذابة . ورغم تلك الأهمية لهذا النوع من التعليم والنتائج الأولية التي أثبتت نجاح ذلك إلا إن الاستخدام لازال في بداياته في الدول العربية حيث يواجه هذا التعليم بعض العقبات والتحديات سواء أكانت تقنية تتمثل بعدم اعتماد معيار موحد لصياغة المحتوى أم فنية وتتمثل في الخصوصية والقدرة علي الاختراق او تروية وتتمثل في عدم مشاركة التربويين في صناعة هذا النوع من التعليم ، أخيراً يمكن القول بأنه لضمان نجاح صناعة التعليم الإلكتروني في الوطن العربي يجب عمل مايلي :

التعبئة الاجتماعية لدي أفراد المجتمع للتفاعل مع هذا النوع من التعليم ، ضرورة مساهمة التربويين في صناعة هذا التعليم ، ضرورة توفير البنية التحتية لهذا النوع من التعليم والتي تتمثل في إعداد الكوادر البشرية المدربة وكذلك توفير خطوط الاتصالات المطلوبة التي تساعد علي نقل هذا التعليم من مكان

لأخر— وضع برامج لتدريب الطلاب والمعلمين والإداريين للاستفادة القصوى من التقنية — البحث في الصعوبات التي تواجهها الأم العاملة عند التحاقها بالتعليم الإلكتروني ومحالة حلها ، تثقيف المجتمع بالتعليم الإلكتروني وشرحه لهم بشكل أكبر — معاملة الطلاب عن طريق المراسلة مثل الطلاب التقليديين لا كمستهلكين أو زبائن — علي الدول العربية إن تحدد رؤيتها المستقبلية بخصوص العملية التعليمية وان يكون التعليم الإلكتروني أحد عناصر هذه الرؤية .

ويجب أيضاً على الدول العربية أن تدرس تجارب الدول النامية الأخرى المشابهة لنفس ظروفها والاستعانة منها .

المصادر والمراجع

الكتب العربية:-

- إبراهيم ، مجدي عزيز (2004): موسوعة التدريس ، ط1 ، عمان: دار المسيرة .
- التودري ، عوض (2004) : المدرسة الإلكترونية وأدوار حديثة للمعلم الرياض : مكتبة الرشد .
- الحلفاوي ، وليد (2006) : مستحدثات تكنولوجيا التعلم في عصر المعلومات ، ط1 ، عمان : دار الفكر.
- الحيلة ، محمد محمود (2000) : طرائق التدريس وأستراتيجياته ، العين ، دار الكتاب الجامعي .
- الخان ، بدر (2005) : إستراتيجيات التعلم الإلكتروني ، ترجمة علي الموسوي وآخرون سوريا : دار شعاع .
- خميس ، محمد عطية (2003) : عمليات تكنولوجيا التعليم ، القاهرة : دار الكلمة .
- دسوقي ، أحمد والريعي ، محمود ، وسالم أحمد ، وزغلول ، خالد (2006) : أساسيات الحاسب الألي وتطبيقاته في التعليم ، ط1 ، الرياض : مكتبة الرشد.
- سالم أحمد (2004) : تكنولوجيا التعليم والتعليم الإلكتروني ، الرياض : مكتبة الرشد .
- سعادة ، جودت ، والسرطاوي ، فايز (2003) : أستخدام الحاسوب والانترنت في ميادين التربية والتعليم ، عمان : دار الشروق .
- سلامة ، عبدالحافظ ، وصالح ، حسين (2004) : مدرسة المستقبل ، الرياض : دار الخريجي .
- الشهران ، جمال (2001) : الوسائل التعليمية ومستحدثات تكنولوجيا التعليم ، ط2، الرياض .

- __ طعيمة ، رشدي (2006) : المعلم كفاياته إعداده وتدريبه ، ط2 ، القاهرة : دار عالم الكتب .
- __ عبدالسميع ، مصطفى وحواله ، سهير(2005) : إعداد المعلم تنميته وتدريبه ط1 ، عمان : دار الفكر.
- __ عبيدات ، ذوقان وآخرون (2003) : البحث العلمي (مفهومه ، أدواته ، أساليبه) ط3، الرياض : دار أسامة .
- __ العساف ، صالح احمد(2003) : المدخل الي البحث في العلوم السلوكية ، الرياض : مكتبة البيكان .
- __ العلي ، احمد(2005) : التعليم عن بعد ، القاهرة : دار الكتاب الحديث .
- __ الغراب ، إيمان محمد(2003) : التعليم الإلكتروني مدخل الي التدريب غير التقليدي ، جامعة الدول العربية : المنظمة العربية للتنمية الادارية .
- __ الغزو، إيمان (2004) : دمج التقنيات في التعليم ، إعداد المعلم تقنياً للألفية الثالثة دبي : إدارة القلم.
- __ الفار ، إبراهيم (2003) : استخدام الحاسوب في التعليم ، عمان : دار الفكر .
- __ فودة ، الفت محمد (2003) : الحاسب الألي وأستخداماته في التعليم ، ط2 ، الرياض : مطابع هلا .
- __ قنديل ، يس (2002) : التدريس وإعداد المعلم ، ط2 ، الرياض : دار النشر الدولي .
- __ مذكور ، علي أحمد (2005) : معلم المستقبل نحو أداء أفضل ، ط1 ، القاهرة : دار الفكر العربي .

رسائل الماجستير والدكتوراه :-

- __ العربي ، محمد (2005) : مطالب أستخدام التعليم الإلكتروني لتدريس الرياضيات بالمرحلة الثانوية من وجهة نظر الممارسين والمختصين ، رسالة دكتوراه (غ . م) كلية التربية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة .
- __ العبيد ، إبراهيم عبدالله (2002) : مدي إستفادة معلمي المرحلة الثانوية بمدينة الرياض من الشبكة العالمية . الأنترنز ، رسالة ماجستير (غ . م) ، كلية التربية ، جامعة الملك سعود ، الرياض .

الدوريات :-

- __ الأخت ، عبدالرحمن ، والهديب ، غسان (2006) : معوقات أستخدام تقنيات التعليم والوسائل التعليمية في المرحلة الثانوية بمحافظة الطائف ، مجلة كليات المعلمين مج (6) (2ع) سبتمبر .
- __ العمري ، أكرم ، والعمري محمد (2006) : توجهات معلمي المدارس الأساسية في مديرية تربية إربد الأولى نحو تنمية الموارد البشرية لإحتياجات التعليم الإلكتروني ، مجلة العلوم التربوية والنفسية (مج2) ، (2ع) .

مصادر الأنترنت :-

- _بلقربي ، سهام (2007) : التعليم الإلكتروني رؤية مستقبلية جديدة : الجزائر نموذجاً ، مجلة علوم إنسانية (ع32ك2) ، يناير (http://www . ulum . nl/c.htm17)
- _المحيسن ، إبراهيم (2002): التعليم الإلكتروني ، ترف أم ضرورة ، ورقة عمل مقدمة لندوة مدرسة المستقبل (22-2002/10/23) كلية التربية جامعة الملك سعود .
- _الموسي ، عبدالله (2002) : التعليم الإلكتروني - مفهومه - خصائصه - فوائده - عوائقه ، ورقة عمل مقدمة لندوة مدرسة المستقبل (12-2004/11/13-12) ، كلية التربية ، جامعة الملك سعود الرياض .

المؤتمرات والندوات (أوراق العمل والبحوث)

- _عفيفي ، محمد (2005) : التعليم عن بعد : الحاجة إليه وآلية تطبيقه ، ورقة عمل مقدمة للملتقى الثاني للجمعية السعودية للإدارة (10-1425/1/17-10).
- _العطروزي ، محمد نبيل (2001) : إعداد المعلم وتدريبه في ضوء الثورة المعرفية والتكنولوجية المعاصرة ، المؤتمر العلمي الثالث عشر . مناهج التعليم والثورة المعرفية والتكنولوجية المعاصرة ، جامعة عين شمس ، القاهرة . ص 5-12 .
- _عمران ، إبراهيم محمد (2007) : مدى أملاك طلبة الدراسات العليا في قسم التربية الخاصة في جامعة القدس لمهارات استخدام الحاسوب ، مجلة اتحاد الجامعات العربية ع 48 ، جمادي 2 .

المراجع الأجنبية:-

- _evans ,ruby(2000) : providing -centved instructional environment .(eric ed462126) .
- _jawarneh ,tariq , alersh (2005) : student -teachers , I c t skills and their , use during place ment related to pro -service . teacher education program at yarmouk university in Jordan journal of education scincesvoi 1 , no 2 , p 167 -177 .

دور بعض أهم المركز الثقافية التي حدثت بعد التواصل بين الشمال

الأفريقي وبين السودان الغربي في الفترة ما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر الميلاديين .

(تنبكت ،جني ،جاو ،أغاديس)

الباحث : محمد الهادي السائح

جامعة الزاوية - ليبيا

قسم التاريخ

المقدمة :

أدى التواصل الحضاري بين الشمال الأفريقي وبين السودان الغربي لاسيما بعد القرن الحادي عشر الميلادي إلى قيام مراكز ثقافية أدت إلى أدوار مهمة فيما وراء الصحراء الكبرى ، وأصبحت منارات علمية زاهرة يؤمها العلماء والطلاب من كل حذب وصوب وقد اشتهرت هذه المراكز خاصة في فترة ما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر الميلاديين، نهضة ثقافية فكرية متأثرة في ذلك بالنهضة الثقافية التي كانت سائدة في مناطق ومدن الشمال الأفريقي ،ورغم أن هذه المراكز قد تأثرت في بادئ الأمر على هيئة مراكز تجارية ،فإنها أدت أدواراً ثقافية وفكرية فيما بعد ،وفي هذه الورقة البحثية سيتم تناول أربع مراكز ثقافية مهمة في السودان الغربي كنموذج لدور تلك المراكز في إثراء الثقافة العربية الإسلامية وتأثيرها على المكون المحلي تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها لا تتناول العلاقات العربية الأفريقية من ناحية تاريخية فقط بل تقوم بتحليل تلك العلاقات وتتناول الثقافة العربية الإسلامية وانعكاساتها على المجتمع الأفريقي وكذلك البعد الثقافي وتأثيراته، ومهدف الدراسة إلى محاولة فهم التأثيرات التي تركتها العلاقات والاتصالات بين العرب والأفارقة مما ترتب عن ذلك من امتزاج الثقافة العربية بالثقافات المتعددة للشعوب الأفريقية وأن الإشكالية التي تحاول هذه الدراسة إيجاد منظور يفسر أبعادها ويسعى لحلها وتوجد العديد

من الدراسات السابقة التي تناولت أثر الثقافة العربية الإسلامية في السودان الغربي أهما: الدراسة التي تناولها الباحث مطير سعد غيث .

أولاً/تمبكت :أنظر الخارطة رقم(1) :

مدينة تمبكت مدينة عربية إسلامية منذ نشأتها، مؤسسوها هم الطوارق، وبالتحديد قبيلة مقشر أو مغشر أو مكشر التارقية¹، ويرجع تاريخ نشأتها إلى أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، وقد بلغت ذروة ازدهارها في القرن السادس عشر الميلادي والذي عرف بالعصر الذهبي لتلك المدينة²، أما عن سبب تسميتها فيقال إنه كان هناك سيدة من الطوارق أو أمة لهم كانت تعيش في الموقع الحالي لتبكت وكان أسمها (بكت)، وكان من رجال قبيلة مقشرن التارقية ينزلون في ذلك المكان في فصل الصيف على ضفاف نهر النيجر، ويرتحلون في فصل الخريف شمالاً حتى حدود (أروان) وعندها يتركون أمتعتهم فيها لذا سميت المدينة تبكت (أي المكان أو المأوي بكت)، حيث أن لفظ (تن) يعني بلغة الطوارق المكان أو المأوي أو السكن، وبكت أسم المرأة، وهذه الرواية ضعيفة من حيث أنه لا يعقل إقامة امرأة بمفردها، ويمكن القول ربما كانت تعيش في جماعة لكنها هي التي اشتهرت بينهم³، تقع مدينة تمبكت على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى في منطقة نهر النيجر ومرتفعات نفوسة في الشمال إلى الناحية الجنوبية وفي أقصى الحد الجنوبي لطرق القوافل التجارية الصحراوية من الشمال الأفريقي جنوب بلاد السودان، وقد أكسبها هذا الموقع دوراً ثقافياً بارزاً عبر العصور المختلفة. ازدهرت المدينة وأصبحت مركزاً لتجمع القوافل التجارية، وبالتالي تمثل محطة عبور وفيها تلاقت الثقافات وازدهرت بها المراكز الثقافية ومجالس العلم والأدب.

¹ مطير سعد غيث احمد، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، دراسة في التواصل

الحضاري العربي الأفريقي، دار المدار الإسلامي، بيروت ط2005، 158-159.

² مسعود عمر محمد على، تأثير الشمال الأفريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي في القرنين الرابع عشر

والسادس عشر الميلاديين منشورات جمعية الدعوة الإسلامية. طرابلس 2003م ص36.

³ مطير سعيد غيث، مرجع سابق، ص186 وما بعدها.

لقد سيطر طوارق مقشرون على المدينة في نهايات القرن الحادي عشر الميلادي، حتى تمكن السلطان منسي موسى من وضع يده عليها ، وبني بها مقراًً أدارياً للسلطة وظلت تابعة لمالي زهاء مئة عام ثم تمكن الطوارق من إعادتها مرة أخرى، استطاع منسي على من ضمها إلى مملكة سنغاي وتلاه في حكمها أسكيا محمد ، حتى أواخر القرن الثالث عشر الميلادي وفي الواقع فإن الحركة النشطة في مجال التجارة كانت ملازمة للازدهار الثقافي باعثاً له ،فداعت شهرة المدينة لما تتمتع به من ثراء بفضل سوقها وبضاعته المطلوبة، وأصبحت معروفة في أوساط التجار الأوربيين وطبيعي مع الازدهار والإقبال أن يتجه إليها العلماء والفقهاء والعلماء وطلاب العلم القادمين من المراكز الثقافية العربية الإسلامية حتى أن مدارسها بلغت مئة وخمسين مدرسة في نهاية القرن السادس عشر وكانت مساجدها مراكز دينية ساهمت في تعليم الناس أمور دينهم ، وإليها يرجع الفضل في نشر علوم القرآن الكريم والمفاهيم الإسلامية واللغة العربية⁴ .ومن المراكز العلمية بتنبكت جامع سنكري الذي بات جامعة إسلامية راقية* أنظر الأشكال الموجودة في الملاحق شكل رقم (2) (3) (4). وقد استقدم لها منسي موسى العلماء من الخارج واشترى لمكتباتها الكتب والمخطوطات، وأغدق على علمائها وطلابها الأموال ورعاهم فازدهرت العلوم والثقافة فيها وجعلت من تنبكت عاصمة من عواصم العلم والأدب في بلاد السودان الغربي ، وكل ذلك راجع للمؤثرات العربية الإسلامية وفي دعم نفوذ الإسلام ، وأيضاً إلى انتشار الإسلام واللغة العربية في المنطقة

ثانياً/ جني أنظر الخريطة رقم(1):

في هذه المدينة تشكيل إحدى المراكز التجارية والثقافية في السودان الغربي ، وهي ذات موقع يتميز بأهميته كرابط لطرق القوافل الواصلة الى الجنوب الغربي من مدينة تمبكت، ويعتقد أن تأسيسها يعود إلى زمن سابق لدخول الإسلام الذي بلغها في القرن الثاني عشر الميلادي، ويورد السعدي أن التأسيس للمدينة قد كان في القرن الثاني عشر الميلادي⁵ ، ووفق ماورد في مخطوط (نبذة من تاريخ جني)مجهول

⁴ سعاد البشير المبروك، تأثيرات الثقافة العربية الإسلامية على المجتمعات الأفريقية ،رسالة ماجستير غير منشورة ،أكاديمية الدراسات العليا، طرابلس 2010م،ص49-50.

⁵ مسعود عمر محمد، مرجع سابق،ص108 وما بعدها.

المؤلف أن أول حاكم للمدينة كان الملك جنور الذي اشتق اسم المدينة منه، بينما يعتقد أن للفظ (جني) إنما اشتقت من اسم الجنة وهو ما يشير إلى الثراء والخير الكثير الذي كانت تتمتع به.⁶

لقد تمتعت مدينة جني بأتساع أراضيها السكنية والزراعة، واشتهرت بمبانيها وشوارعها المنظمة ومساجدها المقامة أصلاً لتأدية الصلاة، لكنها استخدمت للتعليم. وكان يحيط بها سوراً عظيماً به مداخل، بلغت أحد عشر باباً، على كل منها حراس للضبط والتأمين المدينة واكتسبت جني شهرة تناقلتها القوافل التجارية ووفود الفقهاء والمعلمين فتواصلت صلاحها مع المراكز الثقافية العربية الإسلامية. ولذا أمها طلاب العلم من شتى مناطق السودان الغربي⁷

ثالثاً/ جاو أنظر الخارطة رقم (1) :

تقع مدينة جاو في الجنوب الشرقي من تمبكت، وتبعد عنها حوالي 450 كيلومتراً وقد أنشئت قبلها ورغم أنها قد برزت كمركز حضاري مهم منذ القرن الحادي عشر، غير أن ما يمكن أن يسمى عصرها الذهبي برز مع بدايات القرن السادس عشر الميلادي الذي شهد ازدهار مملكة سنغاي على عهد (الأسكيين) والذين اتخذوا منها عاصمة إدارية وسياسية⁸.

يرجع ازدهار جاو شأن قرينتها من حواضر السودان الغربي وقد جاء نتاج موقعها المتميز، خصوصاً في طريق التجارة الرابطة بلاد السودان الغربي بمنطقة الشمال الأفريقي، فقد شهدت المدينة ازدهاراً إقتصادياً أوائل القرن السادس عشر الميلادي حيث كانت تعج بالتجار الذين كان أغلبهم من الشمال الأفريقي، كانوا يتاجرون في مختلف البضائع وعلى رأسها الأقمشة التي يحظرونها من المغرب وأوربا⁹.

⁶ الهادي المبروك الدالي، التاريخ الحضاري لأفريقيا فيما وراء الصحراء في نهاية القرن الخامس عشر، الشركة العامة للورق والطباعة مطابع الوحدة العربية الزاوية ليبيا، ط2. 2001م وما بعدها.

⁷ مسعود عمر محمد، مرجع سابق، ص113-114 .

⁸ مطير سعيد غيث، مرجع سابق، ص200-20.

⁹ الهادي المبروك الدالي، مرجع سابق، ص107-108

لقد توافد على مدينة جاو المسلمون مبكراً، واستوطنوا فيها ونشرو الثقافة العربية الإسلامية ونتيجة لهذا الدور فقد أسلم على أيديهم ملك سنغاي وذلك حوالي 1009م ولم تقف جهود هؤلاء الفقهاء بعد إسلام الملك الذكور، بل اتخذوا من مساجد جاو التي أنشئت فيها مدارس يحفظون القرآن الكريم، ويفقهونهم في أمور دينهم، وانتقل العديد منهم إلى المدن الأخرى في مملكة سنغاي، وشهدت جاو ازدهاراً منقطع النظير مع فترة ازدهار مملكة سنغاي في فترة حكم ملكها أسكيا محمد¹⁰.

رابعاً/ أغاديس أنظر الخارطة رقم (1) :

تقع مدينة أغاديس في الشمال الشرقي من مدينة نيامي عاصمة جمهورية النيجر، حيث تبعد عنها حوالي ألف كيلومتر، ويعود تأسيسها إلى الحادي عشر الميلادي على أيدي قبائل الغويير القادمة من بلدة أهير، وسرعان ما هاجر إليها عدة القبائل القادمة من الشمال والجنوب من بينها تملك وسندار وأكدالا ومدرايين والازما والزومة وغيرها.¹¹

جاء في وصف الحسن الوزان على أنها كانت صورة بناها الملوك المتأخرين على حدود ليبيا وأن سكانها خليط بين سكان الشمال والجنوب وهي مدينة جميلة، وعاشت فترة الاستقرار السياسي والاقتصادي والثقافي، ولعبت دوراً مهماً في نقل المؤثرات الاجتماعية والثقافية وكانت قبلة التجار العرب والمسلمين ونافذة عظيمة للأقاليم¹²

تعددت المساجد التي لعبت دوراً مزدوجاً لوظيفة العبادة والتربية والتعليم، وكانت عبارة عن جامعات صحراوية تدرس فيها مختلف العلوم الشرعية واللغوية، ونشراً للثقافة العربية الإسلامية، وفي عهد أسكيا الحاج محمد الكبير مر بها عبر رح
بتشييد مسجد المدينة الكبير

¹⁰ مطير سعد غيث، مرجع سابق، 202-203 .

¹¹ الهادي المبروك الدالي، مرجع سابق، ص 107-108

¹² الحسن محمد الوزان، 2 ترجمة محمد حجي، محمد : بيروت 1983 (34)

13 . ه المدن في مجملها

سلامية في السودان الغربي وعملت على
التعليم التي انتشرت حتى خارج المدن.

ه الورقة البحثية أهمية التواصل الحضاري بين الشمال الأفريقي والسودان الغربي

مهمة فيما وراء الصحراء الكبرى

لى قيام مراكز

ة الثقافية التي كانت سائدة في

سلام في

شمال الأفريقي والمشرق العربي.

سلامي إلى الدعاة والتجار والهجرة

الكبر بصفة عامة والسودان الغربي بصفة خاصة ،

سلامية في بحث مفاهيمها في

ددت الأدوات التي

وغيرها م

مق المجتمعات الأفريقية ، ممثلة في

لغربي بصفة خاصة

سلامية في

سلامية التي انتشرت بشكل واسع النطاق في

ن الحرف العربي كان هو الغالب في

منذ أن وطأت أقدامهم القارة الأفريقية على محاولة طمس الهوية للثقافة العربية في

ستخدموا في

لأنهم يعتبرونها أمام التوسع الا

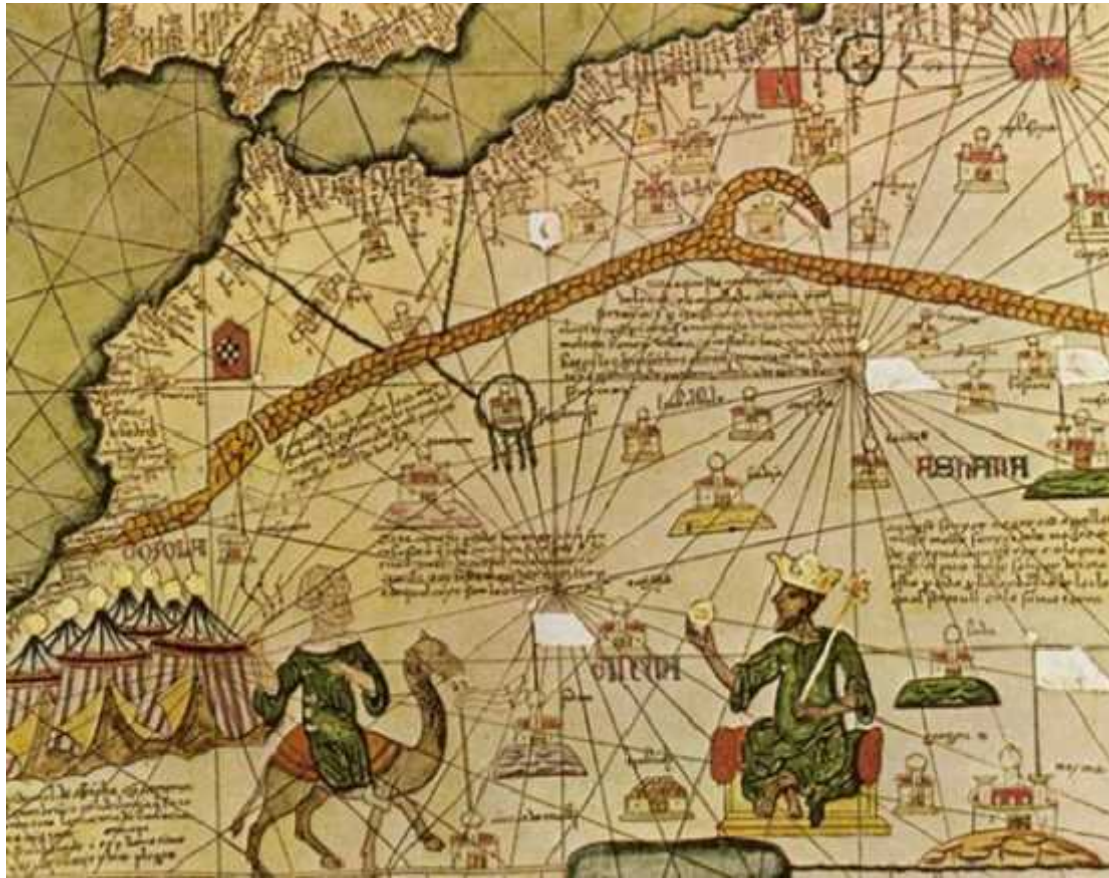
مختلف الأساليب من أبرزها محاربة اللغة العربية واللغات الأفريقية ومحاربة الزو

¹³ صلاح محمد التجاري حمودة، انتشار الإسلام والثقافة العربية في

قائمة الخرائط :



وضح خارطة مالي



صورة توضح عاهل مالي مانسا موسى، تاجة وصولجانة وعرشة



(2)

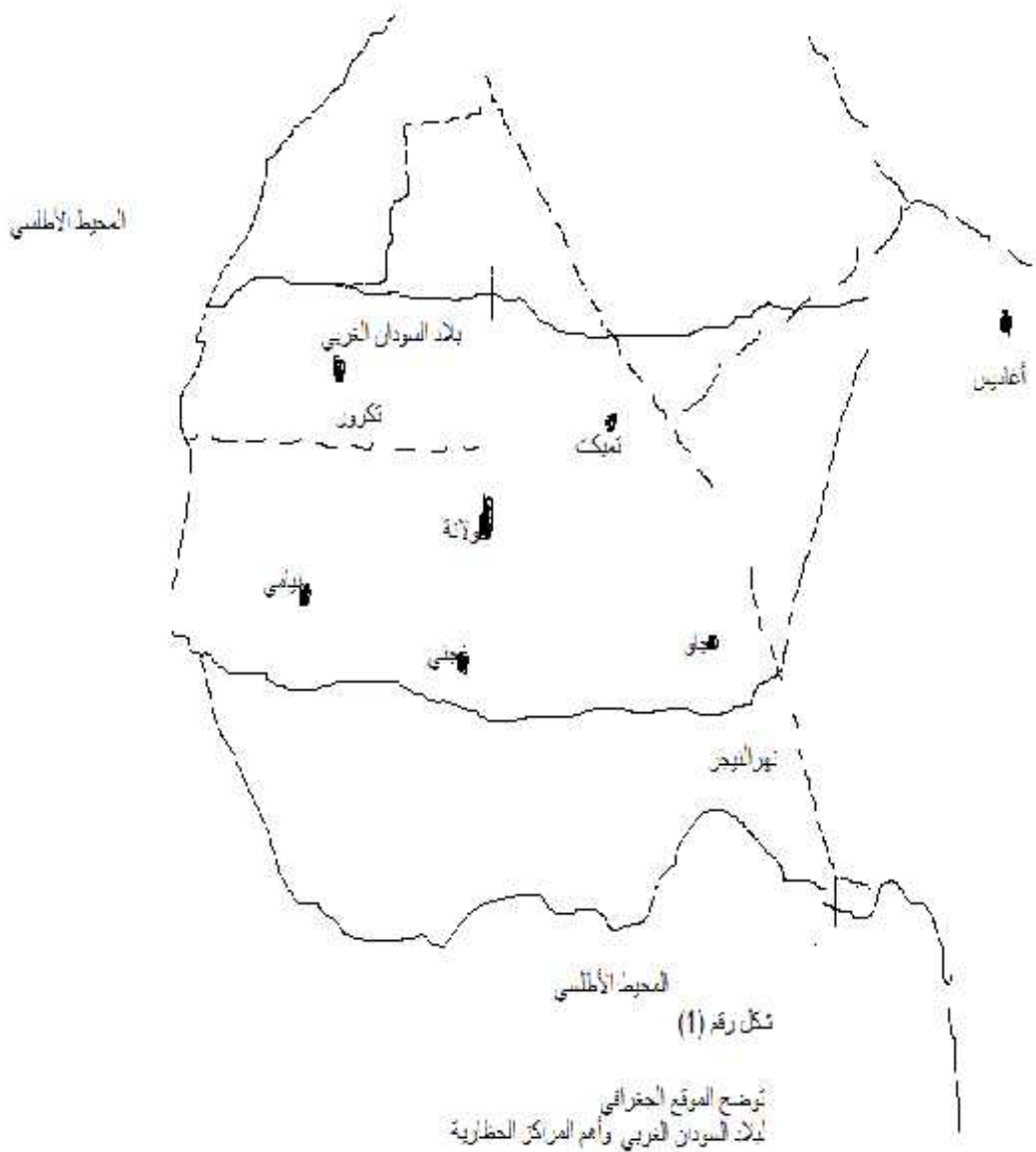


(3) مسجد جينية في مالي .





(4) مساجد تم ترميمها في مالي .



في مالي

قائمة المصادر والمراجع

سلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، دراسة في
بيروت، 2005 .

(1) أمطير سعيد غيث ،
أري العربي الأفريقي،

(2) مسعد عمر محمد، تأثير الشمال الأفريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي فيما بين القرنين
. 2003

في

(3) الهادي المبروك الدالي،
لى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي،
. 2005

(4) الحسن بن محمد الوزان، وصف أفريقيا ج2، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر،
بيروت ط2 1983 .

(5) صلاح محمد البخاري حمودة، سلام والثقافة العربية في
. 2004

(6) سعاد البشير تأثير رسالة ماجستير غير
. 2010

(7) :

www.google.com/?gws-rd=cr'ssei=47rvk=bgm7habao#q

The Fekete-Szegö problem for k -uniformly starlike Functions defined by the Hadamard product

*S. F. Ramadan and ** M. Darus

*Department of Mathematics

Zawia University, Zawia, Libya

** School of Mathematical Sciences

Faculty of Sciences and Technology

University Kebangsaan Malaysia

Abstract. We introduce here a new subclass of analytic functions associated with a differential operator defined by the Hadamard product. The Fekete-Szegö for this class will be obtained.

Keywords: Univalent functions, differential operator, k -uniformly starlike functions, Hadamard product (or convolution)

1. Introduction

Let $H(U)$ denote the set of functions, which are analytic in the open unit disk $U = \{z : |z| < 1\}$ and let A be the class of functions in $H(U)$ given by the normalized power series

$$f(z) = z + \sum_{n=2}^{\infty} a_n z^n, \quad z \in U.$$

(1.1)

Let S denote the class of functions which are univalent in U . If f and g are analytic in U . Then we say that the function f is subordinate to g if there exists a Schwarz function $w(z)$ analytic in U , with $w(0) = 0$ and $|w(z)| < 1, z \in U$, such that $f(z) = g(w(z))$, $z \in U$ we denote this subordination by $f \prec g$ or $f(z) \prec g(z)$, $z \in U$. In particular, if the function $g(z)$ is univalent in U , then we have that: $f(z) \prec g(z)$ ($z \in U$) if and only if $f(0) = g(0)$ and $f(U) \subseteq g(U)$.

(i) A function $f \in A$ is said to be in the class $k - SP (\alpha)$, k -uniformly starlike functions of order α if it satisfies the condition

$$\operatorname{Re} \left\{ \frac{zf'(z)}{f(z)} \right\} > k \left| \frac{zf'(z)}{f(z)} - 1 \right| + \alpha, \quad z \in U, \tag{1.2}$$

$$0 \leq \alpha \leq 1 \quad \text{and} \quad k \geq 0.$$

(ii) A function $f \in A$ is said to be in the class $k - UCV (\alpha)$, k - uniformly convex functions of order α if it satisfies the condition

$$\operatorname{Re} \left\{ 1 + \frac{zf''(z)}{f'(z)} \right\} > k \left\{ \frac{zf''(z)}{f'(z)} \right\} + \alpha, \quad z \in U, \tag{1.3}$$

$$0 \leq \alpha \leq 1 \quad \text{and} \quad k \geq 0.$$

These classes generalize various other classes which are worth mentioning here. The class $k - UCV (0) = k - UCV$ is the class of k -uniformly convex functions [13].

Indeed it follows from (1.2) and (1.3), we have that

$f \in k - UCV (\alpha) \Leftrightarrow zf' \in k - SP (\alpha)$. The classes $1 - UCV (0) = k - UCV$ and $1 - SP (0) = SP$, defined by Goodman [10] and Rønning [23], respectively.

Geometric interpretation: It is known that $f \in k - UCV (\alpha)$ or $f \in k - SP (\alpha)$ if and only if $1 + \frac{zf''(z)}{f'(z)}$ or $\frac{zf'(z)}{f(z)}$, respectively, takes all the values in the conic domain

$R_{k,\alpha}$ which is included in the right half plane given by

$$R_{k,\alpha} := \left\{ w = u + iv \in \mathbb{C} : u > k \sqrt{(u-1)^2 + v^2} + \alpha, k \geq 0 \quad \text{and} \quad 0 \leq \alpha < 1 \right\} \tag{1.4}$$

Denote by $P(P_{k,\alpha})$, $k \geq 0$, $0 \leq \alpha < 1$ the family of functions p such that $p \in P$ where P denotes the well-known class of Caratheodory functions and $p \prec P_{k,\alpha}$ in U . The function $P_{k,\alpha}$ maps the unit disk conformally onto the domain $R_{k,\alpha}$ such that $1 \in R_{k,\alpha}$ and $\partial R_{k,\alpha}$ is a curve defined by the equality

$$\partial R_{k,\alpha} := \left\{ w = u + iv \in \mathbb{C} : u^2 = \left(k \sqrt{(u-1)^2 + v^2} + \alpha \right)^2, k \geq 0, \quad \text{and} \quad 0 \leq \alpha < 1 \right\} \tag{1.5}$$

From elementary computations we see that (1.5) represents conic sections symmetric about the real axis. Thus $R_{k,x}$ is an elliptic domain for $k > 0$ a parabolic domain for $k = 1$ a hyperbolic domain for $0 < k < 1$ and the right half plane $u > x$, for $k = 0$. The functions $P_{k,x}$ which play the role of extremal functions of the class $P(P_{k,x})$, were obtained in [2], and for some unique $t \in (0,1)$, every positive number k can be expressed as:

$$k = \cosh \frac{f |'(t)}{4 | (t)}$$

(1.6)

where $|$ is the Legendre complete elliptic integral of the first kind and $|'$ is complementary integral of $|$ (for details see [2], [19]).

For functions $f, g \in A$, given by $f(z) = z + \sum_{n=2}^{\infty} a_n z^n$ and $g(z) = z + \sum_{n=2}^{\infty} b_n z^n$, we define the Hadamard product (or convolution) of $f(z)$ and $g(z)$ by:

$$(f * g)(z) = z + \sum_{n=2}^{\infty} a_n b_n z^n \quad (z \in U).$$

Let $\{ (a,c;z) = z + \sum_{n=2}^{\infty} \frac{(a)_n}{(b)_n} z^{n+1}, (a \in \mathbf{R}; c \neq 0, -1, -2, \dots; z \in U),$

(1.7)

where $(x)_n := \frac{\Gamma(x+n)}{\Gamma(x)} = \begin{cases} 1 & n = 0, \\ x(x+1)(x+2)\dots(x+n-1) & n \in \mathbf{N} := \{1, 2, 3, \dots\}. \end{cases}$

The Carlson-Shaffer operator [5] $l(a,c)$ is defined in terms of the Hadamard product by:

$l(a,c) = \{ (a,c;z) * f(z), z \in U, f \in A$. We also need the following definitions of fractional derivative.

Definition 1.1 (see[22]) Let the function f be analytic in a simply connected region of the z -plane containing the region. The fractional derivative of f of order r is defined by:

$$D_z^r f(z) := \frac{1}{\Gamma(1-r)} \frac{d}{dz} \int_0^z \frac{f(t)}{(z-t)^{1-r}} dt, \quad (0 \leq r < 1),$$

where the multiplicity of $(z - ')^{-r}$ is removed by requiring $\log(z - ')$ to be real when $z - ' > 0$.

Using $D_z^r f (z)$ Owa and Srivastava [22] introduced the operator $\Omega^r :A \rightarrow A$ which is known as an extension of fractional derivative and fractional integral, as follows:

$$\Omega^r f (z) = \Gamma(2-r) z^r D_z^r f (z) \quad (r \neq 2, 3, \dots; z \in U)$$

$$= z + \sum_{n=2}^{\infty} \frac{\Gamma(n+1)\Gamma(2-r)}{\Gamma(k+1-r)} a_n z^n \tag{1.8}$$

$$= \{ (2, 2-r; z) * f (z) \} \tag{1.9}$$

$$= (I(2, 2-r)f)(z).$$

Note that $\Omega_z^0 f (z) = f (z)$.

For any complex number s , we define the multiplier transformations I_u^s of functions $f \in A$ by :

$$I_u^s f (z) = z + \sum_{n=2}^{\infty} \left(\frac{n+u}{1+u} \right)^s a_n z^n, \quad (u > -1).$$

(1.10)

Now we define the following operator $D_{\gamma, u}^{m, s} f :A \rightarrow A$ by:

$$D^0 f (z) = f (z),$$

$$D_{\gamma, u}^{1, s} f (z) = (1-\gamma) (I_u^s f (z)) + \gamma z (I_u^s f (z))' \tag{1.11}$$

$$D_{\gamma, u}^{m, s} f (z) = D_{\gamma, u}^{1, s} f (z) (D_{\gamma, u}^{m-1, s} f (z)), \quad m \in \mathbb{N}. \tag{1.12}$$

If $f \in A$, then from (1.6) and (1.7) we may easily deduce that

$$D_{\gamma, u}^{m, s} f (z) = z + \sum_{n=2}^{\infty} [1+(n-1)\gamma]^m \left(\frac{n+u}{1+u} \right)^s a_n z^n, \tag{1.13}$$

$s \in \mathbb{C}, \gamma \geq 0, u > -1, m \geq 0, z \in U$. Obviously, we observe that

$$D_{\gamma, u}^{m, s} (D_{\gamma, u}^{m, k} f (z)) = D_{\gamma, u}^{m, s+k} f (z), \quad (s, k \in \mathbb{C}, u > -1, m \geq 0, z \in U).$$

The operator (1.13) has recently been introduced and studied by Ramadan and Darus [24].

By using the Hadamard product we define an operator $D_{\lambda, \mu}^{m, s, \gamma} f(z)$ as follows:

$$D_{\lambda, \mu}^{m, s, \gamma} f(z) = \Omega^{\gamma} f(z) * D_{\lambda, \mu}^{m, s} f(z) \quad (1.14)$$

If f is given by (1.1), then we have

$$D_{\lambda, \mu}^{m, s, \gamma} f(z) = z + \sum_{n=2}^{\infty} \Phi_{n, m, s}(\lambda, \mu, \gamma) a_n z^n \quad (z \in U), \quad (1.15)$$

where

$$\Phi_{n, m, s}(\lambda, \mu, \gamma) = \frac{\Gamma(n+1)\Gamma(2-\gamma)}{\Gamma(n+1-\gamma)} [1+(n-1)\lambda]^m \left(\frac{n+\mu}{1+\mu}\right)^s \quad (1.16)$$

From (1.9) and (1.16), $D_{\lambda, \mu}^{m, s, \gamma} f(z)$ can be written, in terms of convolution as:

$$D_{\lambda, \mu}^{m, s, \gamma} f(z) = \left[\{ (2, 2-\gamma) * h_{\lambda, \mu}^{m, s}(z) \} \right] * f(z)$$

where

$$h_{\lambda, \mu}^{m, s}(z) = z + \sum_{n=2}^{\infty} [1+(n-1)\lambda]^m \left(\frac{n+\mu}{1+\mu}\right)^s z^n. \quad (1.17)$$

Remark 1.2 For $s \in \mathbb{Z}$, $\mu = 1$ and $m = \gamma = 0$ the operators $D_{\lambda, \mu}^{m, s}$ were studied by Uralegaddi and Somanatha [28], and for $s \in \mathbb{Z}$, $m = \gamma = 0$ the operators $D_{\lambda, \mu}^{m, s}$ are closely related to multiplier transformations studied by Flett [9], also, for $s = -1$, $m = \gamma = 0$ the operators $D_{\lambda, \mu}^{m, s}$ is the integral operator studied by Owa and Srivastava [21]. And for any negative real number s and $\mu = 1$, $m = \gamma = 0$ the operators $D_{\lambda, \mu}^{m, s}$ is multiplier transformation studied by Jung et, al. [11], and for any nonnegative integer s and $\mu = m = \gamma = 0$, the operator $D_{\lambda, \mu}^{m, s}$ is the differential operator defined by S 1 gean [27]. For different choices for s, μ, m and $\gamma = 0$ several operators investigated earlier by other authors, see for example Ahuja [3], Cho and Kim [6], and Lin and Owa [15] are obtained. When $\gamma = s = 0$ the operator $D_{\lambda, \mu}^{m, s}$ is the differential operator defined by Al-Oboudi [1]. Finally for $m = s = 0$ the operator $D_{\lambda, \mu}^{m, s}$ is the fractional derivative operator considered by Owa and Srivastava [22].

Definiton 1.3 For $s \in \mathbb{R}$, $\gamma \geq 0$, $u > -1$, $m \geq 0$, $0 \leq r < 1$, $k \geq 0$ and $0 \leq x < 1$, a function $f \in A$ is said to be in the class $k - SP_{\gamma,u}^{m,s,r}(x)$ if it satisfies

$$\Re \left\{ \frac{z \left(D_{\gamma,u}^{m,s,r} f(z) \right)'}{D_{\gamma,u}^{m,s,r} f(z)} \right\} > k \left| \frac{z \left(D_{\gamma,u}^{m,s,r} f(z) \right)'}{D_{\gamma,u}^{m,s,r} f(z)} - 1 \right| + x \quad (z \in U). \quad (1.18)$$

Geometric interpretation: From (1.18) $f \in k - SP_{\gamma,u}^{m,s,r}(x)$ if and only if

$$q(z) = \frac{z \left(D_{\gamma,u}^{m,s,r} f(z) \right)'}{D_{\gamma,u}^{m,s,r} f(z)} \text{ take all the values in the conic domain } R_{k,x} \text{ given in (1.4)}$$

which is included in the right half plane.

We note that the class $k - SP_{\gamma,u}^{m,s,r}(x)$ unifies many classical results studied by various authors for the subclasses of A related to S . In particular

$0 - SP_{1,0}^{0,0,0}(0) = S^*$, see [7], $0 - SP_{1,0}^{1,0,0}(0) = CV$, see [7]

$0 - SP_{1,0}^{0,0,r}(x) = ST_r(x)$, see [26], $0 - SP_{1,0}^{m,0,0}(x) = ST^n(x)$, see [27]

$1 - SP_{1,0}^{0,0,r}(0) = SP_r$, see [25], $1 - SP_{1,0}^{0,0,0}(0) = SP$, see [23]

$1 - SP_{1,0}^{1,0,0}(0) = UCV$, see ([10],[16]), $k - SP_{1,0}^{m,0,0}(0) = k - SP^n$, see [12]

$k - SP_{1,0}^{1,0,0}(0) = k - UCV$, see [13], $k - SP_{1,0}^{1,0,r}(0) = k - SP_r$, see [18]

$k - SP_{1,0}^{1,0,0}(0) = k - SP$, see [14], $k - SP_{0,0}^{1,0,0}(x) = k - SP(x)$, see [4]

$k - SP_{1,0}^{1,0,0}(x) = k - UCV(x)$, see [4].

Fekete and Szeqő [8] obtained sharp upper bound for $|\sim a_2^2 - a_3|$ for $f \in S$ where \sim is real. Thus the determination of sharp upper bounds for nonlinear functional $|\sim a_2^2 - a_3|$ for any compact family F of functions in A is popularly known as the Fekete-Szegő for F . For different subclasses of S , the Fekete-Szegő problem has been investigated by many authors including [[8], [7], [19], [26], [25], etc.]. Also for the class $k - SP_r$, the Fekete-Szegő problem was solved by Mishra and Gochhayat by using a certain fractional calculus operator in [19]. In the present paper, we obtain the Fekete-Szegő inequalities for the class $k - SP_{\gamma,u}^{m,s,r}(x)$ defined by using $D_{\gamma,u}^{m,s,r} f(z)$. The work here reflect results given by H. Orhan et al. [20]. In fact the methods are similar. Furthermore, relevant connection of the results presented here with those obtained in earlier works are pointed out.

Lemma 1.4 (see [2]). Let $0 \leq k < 1$ fixed and $P_{k,x}$ be Riemann map of U onto $R_{k,x}$ satisfying $P_{k,x}(0) = 1$ and $P'_{k,x}(0) > 0$. If

$$P_{k,x}(z) = 1 + P_1 z + P_2 z^2 + \dots \quad (z \in U), \quad (1.19)$$

then

$$P_1 = \begin{cases} \frac{2(1-x)y^2}{1-k^2}; & 0 \leq k < 1, \\ \frac{8(1-x)}{f^2}; & k = 1, \\ \frac{f^2(1-x)}{4(k^2-1)\sqrt{t}(1+t)k^2(t)}; & k > 1, \end{cases}$$

and

$$P_2 = \begin{cases} \frac{(y^2+2)}{3}P_1; & 0 \leq k < 1, \\ \frac{2}{3}P_1; & k = 1, \\ \frac{[4k^2(t)(t^2+6t+1)-f^2]}{24\sqrt{t}(1+t)k^2(t)}P_1; & k > 1, \end{cases}$$

where

$$y = \frac{2}{f} \operatorname{arccos} k, \quad (1.20)$$

and $k(t)$ is the complete elliptic integral of first kind.

Lemma 1.5 (see [19] and [25]) Let $h \in P$ given by

$$h(z) = 1 + c_1 z + c_2 z^2 + \dots \quad (z \in U) \quad (1.21)$$

Then

$$|c_n| \leq 2 \quad (n \in \mathbb{N} := \{1, 2, 3, \dots\}) \quad (1.22)$$

$$|c_2 - c_1^2| \leq 2 \quad \text{and} \quad \left| c_2 - \frac{1}{2}c_1^2 \right| \leq 2 - \frac{1}{2}|c_1|^2 \quad (1.23)$$

2 Main results

In order to prove our main results, we need to introduce the following functions which will be used in the discussion of sharpness for our results.

Corresponding to the function $h_{\lambda,u}^{m,s}(z)$ defined in (1.17), we also consider the function $h_{\lambda,u}^{m,s,t}(z)$ given by

$$h_{\lambda,u}^{m,s}(z) * h_{\lambda,u}^{m,s,t}(z) = \frac{z}{1-z}$$

(2.1)

Define the function $\mathfrak{S}(z)$ in U by

$$\mathfrak{S}(z) = \frac{1}{z} \left[\Psi(2-r, 2) * \left\{ z \exp \left(\int_0^z \frac{P_{k,x}(\zeta) - 1}{\zeta} d\zeta \right) \right\} \right],$$

(2.2)

where

$$\begin{aligned} \Psi(2-r, 2) &= l(2-r, 2) * h_{\lambda,u}^{m,s,t} \\ &= \{ (2-r, 2) * h_{\lambda,u}^{m,s,t} \} \end{aligned}$$

(2.3)

Also we consider the following extremal function

$$K(z, \alpha, \beta) = \Psi(2-r, 2) * z \exp \left(\int_0^z \left[P_{k,x} \left(\frac{e^{i\alpha} \zeta (\zeta + \beta)}{1 + \beta \zeta} \right) - 1 \right] \frac{d\zeta}{\zeta} \right),$$

(2.4)

$$(0 \leq \alpha \leq 2\beta; 0 \leq \beta \leq 1).$$

Theorem 2.1 Let the function f given by (1.1) be in the class

$$k-SP_{\lambda,u}^{m,s,\Gamma}(x),$$

$0 \leq x < 1, 0 \leq k < 1$. Then

$$|a_2 - a_3| \leq$$

$$\begin{cases} \frac{2(1-x)y^2}{(1-k^2)\Phi_{3,m,s}(\lambda, u, r)} \left(\frac{2(1-x)y^2\Phi_{3,m,s}(\lambda, u, r)}{(1-k^2)\Phi_{3,m,s}^2(\lambda, u, r)} - \frac{1}{3} - \frac{(7-6x-k^2)y^2}{6(1-k^2)} \right); & \alpha \geq \alpha_1, \\ \frac{2(1-x)y^2}{(1-k^2)\Phi_{3,m,s}(\lambda, u, r)}; & \alpha_2 \leq \alpha \leq \alpha_1, \\ \frac{2(1-x)y^2}{(1-k^2)\Phi_{3,m,s}(\lambda, u, r)} \left(\frac{(7-6x-k^2)y^2}{6(1-k^2)} + \frac{1}{3} - \frac{2(1-x)y^2\Phi_{3,m,s}(\lambda, u, r)}{(1-k^2)\Phi_{3,m,s}^2(\lambda, u, r)} \right); & \alpha \leq \alpha_2, \end{cases}$$

(2.5)

where $\Phi_{n,m,s}(\lambda, u, r)$ and y are given by (1.16) and (1.20) respectively, and

$$\dagger_1 = \frac{\Phi_{2,m,s}^2(\beta, u, r)}{12(1-x)\Phi_{3,m,s}(\beta, u, r)} \left(\frac{5(1-k^2)}{y^2} + (7-6x-k^2) \right),$$

(2.6)

$$\dagger_2 = \frac{\Phi_{2,m,s}^2(\beta, u, r)}{12(1-x)\Phi_{3,m,s}(\beta, u, r)} \left((7-6x-k^2) - \frac{5(1-k^2)}{y^2} \right).$$

(2.7)

Each of the estimates in (2.5) is sharp for the function $K(z, \beta, \dagger)$ given by (2.4).

Proof : By geometric interpretation there exists a function w satisfying the conditions of the Schwarz lemma such that

$$\frac{z \left(D_{\beta, u}^{m, s, r} f(z) \right)'}{D_{\beta, u}^{m, s, r} f(z)} = P_{k, x}(w(z)), \quad (z \in U)$$

(2.8)

where $P_{k, x}$ is the function defined in Lemma 1.4. Define the function h in P given by

$$h(z) = \frac{1+w(z)}{1-w(z)} = 1 + c_1 z + c_2 z^2 + \dots \quad (z \in U).$$

It follows that

$$w(z) = \frac{c_1}{2} z + \frac{1}{2} \left(c_2 - \frac{c_1^2}{2} \right) z^2 + \dots$$

and

$$\begin{aligned} P_{k, x}(w(z)) &= 1 + P_1 \left\{ \frac{c_1}{2} z + \frac{1}{2} \left(c_2 - \frac{c_1^2}{2} \right) z^2 + \dots \right\} \\ &\quad + P_2 \left\{ \frac{c_1}{2} z + \frac{1}{2} \left(c_2 - \frac{c_1^2}{2} \right) z^2 + \dots \right\} + \dots \\ &= 1 + \frac{P_1 c_1}{2} z + \left\{ \frac{1}{2} \left(c_2 - \frac{c_1^2}{2} \right) P_1 + \frac{1}{4} c_1^2 P_2 \right\} z^2 + \dots \end{aligned}$$

(2.9)

Thus by using (2.8) and (2.9), we have

$$a_2 = \frac{P_1}{2\Phi_{2,m,s}(\beta, u, r)} c_1,$$

(2.10)

and

$$a_3 = \frac{1}{2\Phi_{3,m,s}(\xi, u, r)} \left\{ \frac{P_1}{2} \left(c_2 - \frac{c_1^2}{2} \right) + \frac{P_2 c_1^2}{4} + \frac{P_1^2 c_1^2}{4} \right\},$$

(2.11)

Where $\Phi_{n,m,s}(\xi, u, r)$ is defined by (1.16). Putting the values of P_1 and P_2 for $0 \leq k < 1$ from Lemma 1.4 in (2.10) and (2.11) we get

$$a_2 = \frac{(1-x)y^2}{(1-k^2)\Phi_{2,m,s}(\xi, u, r)} c_1,$$

$$a_3 = \frac{(1-x)y^2}{2(1-k^2)\Phi_{3,m,s}(\xi, u, r)} \left\{ c_2 - \frac{1}{6} \left(1 - \frac{(7-6x-k^2)y^2}{1-k^2} \right) c_1^2 \right\},$$

and

$$\begin{aligned} -a_2^2 - a_3 &= \frac{(1-x)y^2}{4(1-k^2)\Phi_{3,m,s}(\xi, u, r)} \left[\left\{ \frac{4(1-x)y^2\Phi_{3,m,s}(\xi, u, r)}{(1-k^2)\Phi_{2,m,s}^2(\xi, u, r)} \right\} + \right. \\ &\quad \left. + \frac{1}{3} \left(1 - \frac{(7-6x-k^2)y^2}{1-k^2} \right) c_1^2 - 2c_2 \right] \end{aligned}$$

(2.12)

Thus from (2.12) we get

$$\begin{aligned} | -a_2^2 - a_3 | &\leq \frac{(1-x)y^2}{4(1-k^2)\Phi_{3,m,s}(\xi, u, r)} \\ &\times \left[\left| \frac{4(1-x)y^2\Phi_{3,m,s}(\xi, u, r)}{(1-k^2)\Phi_{2,m,s}^2(\xi, u, r)} - \frac{5}{3} - \frac{(7-6x-k^2)y^2}{3(1-k^2)} \right| |c_1^2| + 2|c_1^2 - c_2| \right]. \end{aligned}$$

(2.13)

If $\alpha \geq \alpha_1$ then by applying Lemma 1.5, we get

$$\begin{aligned}
 |a_2^2 - a_3| &\leq \frac{(1-x)y^2}{4(1-k^2)\Phi_{3,m,s}(\zeta, u, r)} \\
 &\times \left\{ \left(\frac{4(1-x)y^2\Phi_{3,m,s}(\zeta, u, r)}{(1-k^2)\Phi_{2,m,s}^2(\zeta, u, r)} - \frac{5}{3} \frac{(7-6x-k^2)y^2}{3(1-k^2)} \right) 4 + 4 \right\} \\
 &= \frac{2(1-x)y^2}{(1-k^2)\Phi_{3,m,s}(\zeta, u, r)} \left\{ \frac{2(1-x)y^2\Phi_{3,m,s}(\zeta, u, r)}{(1-k^2)\Phi_{2,m,s}^2(\zeta, u, r)} - \frac{1}{3} \frac{(7-6x-k^2)y^2}{6(1-k^2)} \right\},
 \end{aligned}
 \tag{2.14}$$

which is the first part of the assertion (2.5). Next, if $\sim \leq \dagger_2$ then we write (2.12) as

$$\begin{aligned}
 |a_2^2 - a_3| &= \frac{(1-x)y^2}{4(1-k^2)\Phi_{3,m,s}(\zeta, u, r)} \\
 &\times \left| \left\{ \left(\frac{(7-6x-k^2)y^2}{3(1-k^2)} - \frac{1}{3} - \frac{4(1-x)y^2\Phi_{3,m,s}(\zeta, u, r)}{(1-k^2)\Phi_{2,m,s}^2(\zeta, u, r)} \right) \sim \right\} c_1^2 + 2c_2 \right|. \\
 &\leq \frac{(1-x)y^2}{4(1-k^2)\Phi_{3,m,s}(\zeta, u, r)} \\
 &\times \left\{ \left(\frac{(7-6x-k^2)y^2}{3(1-k^2)} - \frac{1}{3} - \frac{4(1-x)y^2\Phi_{3,m,s}(\zeta, u, r)}{(1-k^2)\Phi_{2,m,s}^2(\zeta, u, r)} \right) \sim \right\} |c_1^2| + 2|c_2|.
 \end{aligned}$$

Applying Lemma 1.5 we have

$$\begin{aligned}
 |a_2^2 - a_3| &\leq \frac{(1-x)y^2}{4(1-k^2)\Phi_{3,m,s}(\zeta, u, r)} \\
 &\times \left\{ \left(\frac{(7-6x-k^2)y^2}{3(1-k^2)} - \frac{1}{3} - \frac{4(1-x)y^2\Phi_{3,m,s}(\zeta, u, r)}{(1-k^2)\Phi_{2,m,s}^2(\zeta, u, r)} \right) \sim \right\} 4 + 4 \Bigg\}. \\
 &= \frac{2(1-x)y^2}{(1-k^2)\Phi_{3,m,s}(\zeta, u, r)} \left\{ \frac{(7-6x-k^2)y^2}{6(1-k^2)} + \frac{1}{3} - \frac{2(1-x)y^2\Phi_{3,m,s}(\zeta, u, r)}{(1-k^2)\Phi_{2,m,s}^2(\zeta, u, r)} \right\},
 \end{aligned}$$

which is the third part of the assertion (2.5). Finally from (2.12) we have

$$\begin{aligned}
 \left| \sim a_2^2 - a_3 \right| &= \frac{(1-x)y^2}{4(1-k^2)\Phi_{3,m,s}(\zeta, u, r)} \\
 &\times \left\{ \left| \frac{(7-6x-k^2)y^2}{3(1-k^2)} + \frac{2}{3} - \frac{4(1-x)y^2\Phi_{3,m,s}(\zeta, u, r)}{(1-k^2)\Phi_{2,m,s}^2(\zeta, u, r)} \right| \sim \left| c_1^2 + 2 \left(c_2 - \frac{c_1^2}{2} \right) \right| \right\} \\
 &\leq \frac{(1-x)y^2}{4(1-k^2)\Phi_{3,m,s}(\zeta, u, r)} \\
 &\times \left\{ \left| \frac{(7-6x-k^2)y^2}{3(1-k^2)} + \frac{2}{3} - \frac{4(1-x)y^2\Phi_{3,m,s}(\zeta, u, r)}{(1-k^2)\Phi_{2,m,s}^2(\zeta, u, r)} \right| \sim \left| c_1^2 \right| + 2 \left| c_2 - \frac{c_1^2}{2} \right| \right\}.
 \end{aligned}
 \tag{2.15}$$

We observe that $\dagger_2 \leq \sim \leq \dagger_1$ implies

$$\left| \frac{(7-6x-k^2)y^2}{3(1-k^2)} + \frac{2}{3} - \frac{4(1-x)y^2\Phi_{3,m,s}(\zeta, u, r)}{(1-k^2)\Phi_{2,m,s}^2(\zeta, u, r)} \right| \sim \leq 1.$$

Thus applying Lemma 1.5 to (2.15) we get

$$\left| \sim a_2^2 - a_3 \right| \leq \frac{2(1-x)y^2}{(1-k^2)\Phi_{3,m,s}(\zeta, u, r)},
 \tag{2.16}$$

which is the second part of the assertion (2.5). We now obtain sharpness of the estimates in (2.5).

If $\sim > \dagger_1$ equality holds in (2.5) if and only if equality in (2.14). This happens if and only if $|c_1| = 2$ and $|c_1^2 - c_2| = 2$ thus $w(z)$. It follows that the extremal function is of the form $K(z, 0, 1)$ defined by (2.4) or one of its rotations.

If $\sim < \dagger_2$ then equality holds in (2.5) if and only if $|c_1| = 0$ and $|c_2| = 2$ Thus $w(z) = e^{i\alpha} z$ and the extremal function is $K(z, \infty, \dagger)$ or one of its rotations.

If $\sim = \dagger_2$ then equality holds in (2.5) if and only if $|c_2| = 2$ In this case, we have

$$h(z) = \frac{1+\dagger}{2} \left(\frac{1+z}{1-z} \right) - \frac{1-\dagger}{2} \left(\frac{1-z}{1+z} \right) \quad (0 < \dagger < 1; z \in U).$$

Therefore the extremal function f is $K(z, \dagger)$ or one of its rotations.

Similarly, $\sim = \dagger_1$ is equivalent to

$$\frac{4(1-x)y^2\Phi_{3,m,s}(\dagger, u, r)}{(1-k^2)\Phi_{2,m,s}^2(\dagger, u, r)} \sim \frac{5}{3} \frac{(7-6x-k^2)y^2}{3(1-k^2)} = 0.$$

Thus the extremal function f is $K(z, \dagger)$ or one of its rotations.

Finally if $\dagger_2 \leq \sim \leq \dagger_1$ then equality holds if $|c_1|=0$ and $|c_2|=2$.

Equivalently, we have

$$h(z) = \left(\frac{1+\dagger z^2}{1-\dagger z^2} \right) \quad (0 \leq \dagger \leq 1; z \in U).$$

Therefore the extremal function f is $K(z, \dagger)$ or one of its rotations. The proof of Theorem 2.1 is complete.

Theorem 2.2 Let the function f given by (1.1) be in the class $k-SP_{\dagger,u}^{m,s,r}(x)$ ($0 \leq x < 1, k = 1$). Then

$$|-a_2^2 - a_3| \leq \begin{cases} \frac{8(1-x)}{f^2\Phi_{3,m,s}(\dagger, u, r)} \left(\frac{8(1-x)\Phi_{3,m,s}(\dagger, u, r)}{f^2\Phi_{2,m,s}^2(\dagger, u, r)} \sim - \frac{1}{3} \frac{4(1-x)}{f^2} \right); & \sim \geq \dagger_1^*, \\ \frac{4(1-x)}{f^2\Phi_{3,m,s}(\dagger, u, r)}; & \dagger_2^* \leq \sim \leq \dagger_1^*, \\ \frac{8(1-x)}{f^2\Phi_{3,m,s}(\dagger, u, r)} \left(\frac{4(1-x)}{f^2} + \frac{1}{3} - \frac{8(1-x)\Phi_{3,m,s}(\dagger, u, r)}{f^2\Phi_{2,m,s}^2(\dagger, u, r)} \sim \right); & \sim \leq \dagger_2^*, \end{cases} \quad (2.17)$$

where

$$\dagger_1^* = \frac{\Phi_{2,m,s}^2(\dagger, u, r)}{2\Phi_{3,m,s}(\dagger, u, r)} \left(1 + \frac{5f^2}{24(1-x)} \right) \quad (2.18)$$

$$\dagger_2^* = \frac{\Phi_{2,m,s}^2(\zeta, u, r)}{2\Phi_{3,m,s}(\zeta, u, r)} \left(1 - \frac{5f^2}{24(1-x)} \right).$$

(2.19)

Each of the estimates in (2.17) is sharp for the function $K(\zeta, u, r, \dagger)$ given by

(2.4).

Proof: We follow the lines of proof of Theorem 2.1 and give here only those steps which differ. Putting the values of P_1 and P_2 for $k = 1$ from Lemma 1.4 in (2.10) and (2.11) of Theorem 2.1, we have

$$a_2 = \frac{4(1-x)}{f^2 \Phi_{2,m,s}(\zeta, u, r)} c_1,$$

$$a_3 = \frac{2(1-x)}{f^2 \Phi_{3,m,s}(\zeta, u, r)} \left\{ c_2 - \frac{1}{6} \left(1 - \frac{24(1-x)}{f^2} \right) c_1^2 \right\}.$$

And

$$\left| -a_2^2 - a_3 \right| = \frac{(1-x)}{f^2 \Phi_{3,m,s}(\zeta, u, r)} \left| \left(\frac{16(1-x) \Phi_{3,m,s}(\zeta, u, r)}{f^2 \Phi_{2,m,s}^2(\zeta, u, r)} \sim + \frac{1}{3} - \frac{8(1-x)}{f^2} \right) c_1^2 - 2c_2 \right|$$

(2.20)

$$\leq \frac{(1-x)}{f^2 \Phi_{3,m,s}(\zeta, u, r)} \times \left[\left| \frac{16(1-x) \Phi_{3,m,s}(\zeta, u, r)}{f^2 \Phi_{2,m,s}^2(\zeta, u, r)} \sim + \frac{1}{3} - \frac{8(1-x)}{f^2} \right| |c_1^2| + 2|c_1^2 - c_2| \right].$$

(2.21)

If $\sim \geq \dagger_1^*$ then the expression inside the first modulus symbol on the right hand side of inequality (2.21) is nonnegative. Thus, by applying Lemma 1.5, we get

$$\left| -a_2^2 - a_3 \right| \leq \frac{8(1-x)}{f^2 \Phi_{3,m,s}(\zeta, u, r)} \left(\frac{8(1-x) \Phi_{3,m,s}(\zeta, u, r)}{f^2 \Phi_{2,m,s}^2(\zeta, u, r)} \sim - \frac{1}{3} - \frac{4(1-x)}{f^2} \right),$$

(2.22)

which is the first part of the assertion (2.17).

Next, if $\sim \leq \dagger_2^*$ then we write (2.20) as

$$\begin{aligned} |a_2^2 - a_3| &= \frac{(1-x)}{f^2 \Phi_{3,m,s}(\zeta, u, r)} \left| \left(\frac{8(1-x)}{f^2} - \frac{1}{3} - \frac{16(1-x) \Phi_{3,m,s}(\zeta, u, r)}{f^2 \Phi_{2,m,s}^2(\zeta, u, r)} \right) c_1^2 + 2c_2 \right| \\ &\leq \frac{(1-x)}{f^2 \Phi_{3,m,s}(\zeta, u, r)} \times \left[\left| \frac{8(1-x)}{f^2} - \frac{1}{3} - \frac{16(1-x) \Phi_{3,m,s}(\zeta, u, r)}{f^2 \Phi_{2,m,s}^2(\zeta, u, r)} \right| |c_1^2| + 2|c_2| \right]. \end{aligned} \quad (2.23)$$

Applying Lemma 1.5 we have

$$|a_2^2 - a_3| \leq \frac{8(1-x)}{f^2 \Phi_{3,m,s}(\zeta, u, r)} \left(\frac{4(1-x)}{f^2} + \frac{1}{3} - \frac{8(1-x) \Phi_{3,m,s}(\zeta, u, r)}{f^2 \Phi_{2,m,s}^2(\zeta, u, r)} \right),$$

which is the third part of the assertion (2.17).

Finally from (2.20) we have

$$\begin{aligned} |a_2^2 - a_3| &= \frac{(1-x)}{f^2 \Phi_{3,m,s}(\zeta, u, r)} \left| \left(\frac{8(1-x)}{f^2} + \frac{2}{3} - \frac{16(1-x) \Phi_{3,m,s}(\zeta, u, r)}{f^2 \Phi_{2,m,s}^2(\zeta, u, r)} \right) c_1^2 + 2 \left(c_2 - \frac{c_1^2}{2} \right) \right| \\ &\leq \frac{(1-x)}{f^2 \Phi_{3,m,s}(\zeta, u, r)} \times \left[\left| \frac{8(1-x)}{f^2} + \frac{2}{3} - \frac{16(1-x) \Phi_{3,m,s}(\zeta, u, r)}{f^2 \Phi_{2,m,s}^2(\zeta, u, r)} \right| |c_1^2| + 2 \left| c_2 - \frac{c_1^2}{2} \right| \right]. \end{aligned} \quad (2.24)$$

We observe that $\dagger_2^* \leq \sim \leq \dagger_1^*$ implies

$$\left| \frac{8(1-x)}{f^2} + \frac{2}{3} - \frac{16(1-x) \Phi_{3,m,s}(\zeta, u, r)}{f^2 \Phi_{2,m,s}^2(\zeta, u, r)} \right| \leq 1.$$

Thus applying Lemma 1.5 to (2.24) we have

$$|a_2^2 - a_3| \leq \frac{4(1-x)}{f^2 \Phi_{3,m,s}(\zeta, u, r)}, \quad (2.25)$$

which is the second part of the assertion (2.17).

Using the function $K(z, \nu, \dagger)$ defined by (2.4), the sharpness of the estimates in (2.17) can be proved as in Theorem 2.1.

Theorem 2.3 Let the function f given by (1.1) be in the class $k - SP_{\lambda, \mu}^{m, s, r}(\chi)$ ($0 \leq \chi < 1, 1 < k < \infty$). and let t be the unique positive number in the open interval $(0, 1)$ defined by (1.6). Then

$$|a_2^2 - a_3| \leq \left\{ \begin{array}{l} \frac{P_1}{2\Phi_{3, m, s}(\lambda, \mu, r)} \left(\frac{2\Phi_{3, m, s}(\lambda, \mu, r)P_1}{\Phi_{2, m, s}^2(\lambda, \mu, r)} \sim -P_1 - \frac{4|{}^2(t)(t^2 + 6t + 1) - f^2}{24\sqrt{t}(1+t)|{}^2(t)} \right); \quad \sim \geq \dots_1, \\ \frac{P_1}{2\Phi_{3, m, s}(\lambda, \mu, r)}; \quad \dots_2 \leq \sim \leq \dots_1, \\ \frac{P_1}{2\Phi_{3, m, s}(\lambda, \mu, r)} \left(\frac{4|{}^2(t)(t^2 + 6t + 1) - f^2}{24\sqrt{t}(1+t)|{}^2(t)} + P_1 - \frac{2\Phi_{3, m, s}(\lambda, \mu, r)P_1}{\Phi_{2, m, s}^2(\lambda, \mu, r)} \sim \right); \quad \sim \leq \dots_2, \end{array} \right.$$

(2.26)

Where $|{}^2(t)$ is the complete elliptic integral of the first kind, $\Phi_{n, m, s}(\lambda, \mu, r)$ and P_1 are given by (1.16) and (1.19) respectively, and

$$\dots_1 = \frac{\Phi_{2, m, s}^2(\lambda, \mu, r)}{2\Phi_{3, m, s}(\lambda, \mu, r)} \left(1 + P_1 + \frac{4|{}^2(t)(t^2 + 6t + 1) - f^2}{24\sqrt{t}(1+t)|{}^2(t)} \right)$$

(2.27)

$$\dots_2 = \frac{\Phi_{2, m, s}^2(\lambda, \mu, r)}{2\Phi_{3, m, s}(\lambda, \mu, r)} \left(P_1 + \frac{4|{}^2(t)(t^2 + 6t + 1) - f^2}{24\sqrt{t}(1+t)|{}^2(t)} - 1 \right)$$

(2.28)

Each of the estimate in (2.26) is sharp for function $K(z, \mu, \lambda)$ given by (2.4).

Proof: Putting the values of P_1 and P_2 for $1 < k < \infty$ from Lemma 1.4 in (2.10) and (2.11) of Theorem 2.1 we get

$$a_2 = \frac{P_1}{2\Phi_{2, m, s}(\lambda, \mu, r)} c_1,$$

$$a_3 = \frac{P_1}{4\Phi_{3, m, s}(\lambda, \mu, r)} \left\{ c_2 - \frac{1}{2} \left(1 - P_1 - \frac{4|{}^2(t)(t^2 + 6t + 1) - f^2}{24\sqrt{t}(1+t)|{}^2(t)} \right) c_1^2 \right\},$$

and

$$\begin{aligned} \left| -a_2^2 - a_3 \right| &= \frac{P_1}{8\Phi_{3,m,s}(\gamma, u, r)} \\ &\times \left| \left(\frac{2\Phi_{3,m,s}(\gamma, u, r)P_1}{\Phi_2^2(\gamma, u, r)} \sim +1 - P_1 - \frac{4|t|^2(t^2 + 6t + 1) - f^2}{24\sqrt{t}(1+t)|t|^2} \right) c_1^2 - 2c_2 \right| \end{aligned} \quad (2.29)$$

$$\begin{aligned} &\leq \frac{P_1}{8\Phi_{3,m,s}(\gamma, u, r)} \\ &\times \left[\frac{2\Phi_{3,m,s}(\gamma, u, r)P_1}{\Phi_2^2(\gamma, u, r)} \sim +1 - P_1 - \frac{4|t|^2(t^2 + 6t + 1) - f^2}{24\sqrt{t}(1+t)|t|^2} \left| c_1^2 \right| + 2 \left| c_1^2 - c_2 \right| \right] \end{aligned} \quad (2.30)$$

If $\sim \geq \dots_1$ then the expression inside the first modulus symbol on the right hand side of inequality (2.30) is nonnegative. Thus, by applying Lemma 1.5, we have

$$\leq \frac{P_1}{2\Phi_{3,m,s}(\gamma, u, r)} \left(\frac{2\Phi_{3,m,s}(\gamma, u, r)P_1}{\Phi_2^2(\gamma, u, r)} \sim - P_1 - \frac{4|t|^2(t^2 + 6t + 1) - f^2}{24\sqrt{t}(1+t)|t|^2} \right), \quad (2.31)$$

which is the first part of the assertion (2.26).

If $\sim \leq \dots_2$ then

$$\frac{4|t|^2(t^2 + 6t + 1) - f^2}{24\sqrt{t}(1+t)|t|^2} + P_1 - 1 - \frac{2\Phi_{3,m,s}(\gamma, u, r)P_1}{\Phi_2^2(\gamma, u, r)} \sim \geq 0 \quad (2.32)$$

Thus, applying Lemma 1.5 in (2.29) we get

$$\begin{aligned} \left| -a_2^2 - a_3 \right| &\leq \frac{P_1}{8\Phi_{3,m,s}(\gamma, u, r)} \\ &\times \left[\frac{4|t|^2(t^2 + 6t + 1) - f^2}{24\sqrt{t}(1+t)|t|^2} + P_1 - 1 - \frac{2\Phi_{3,m,s}(\gamma, u, r)P_1}{\Phi_2^2(\gamma, u, r)} \sim \left| c_1^2 \right| + 2 \left| c_2 \right| \right] \\ &\leq \frac{P_1}{2\Phi_{3,m,s}(\gamma, u, r)} \left(\frac{4|t|^2(t^2 + 6t + 1) - f^2}{24\sqrt{t}(1+t)|t|^2} + P_1 - \frac{2\Phi_{3,m,s}(\gamma, u, r)P_1}{\Phi_2^2(\gamma, u, r)} \sim \right), \end{aligned}$$

which is the third part of the assertion (2.26).

Finally, if $\dots_2 \leq \sim \leq \dots_1$ then

$$\left| \frac{4|t|^2(t^2+6t+1)-f^2}{24\sqrt{t}(1+t)|t|^2(t)} + P_1 - \frac{2\Phi_{3,m,s}(\gamma, u, r)P_1}{\Phi_2^2(\gamma, u, r)} \sim \right| \leq 1.$$

Using Lemma 1.5 in (2.29) we get

$$\begin{aligned} |a_2^2 - a_3| &\leq \frac{P_1}{8\Phi_{3,m,s}(\gamma, u, r)} \\ &\times \left| \left\{ \frac{4|t|^2(t^2+6t+1)-f^2}{24\sqrt{t}(1+t)|t|^2(t)} + P_1 - \frac{2\Phi_{3,m,s}(\gamma, u, r)P_1}{\Phi_2^2(\gamma, u, r)} \sim \right\} c_1^2 + 2 \left(c_2 - \frac{c_1^2}{2} \right) \right| \\ &\leq \frac{P_1}{8\Phi_{3,m,s}(\gamma, u, r)} \left\{ |c_1^2| + 2 \left| c_2 - \frac{c_1^2}{2} \right| \right\} \\ &\leq \frac{P_1}{2\Phi_{3,m,s}(\gamma, u, r)}. \end{aligned}$$

Remark 2.4 By taking

- (i) $\chi = m = s = 0$ in theorems 2.1, 2.2, 3.3, we obtain the results of Mishra and Gochhayat [19].
- (ii) $\chi = m = s = 0$ in Theorem 2.2 we get the result obtained by Srivastava and Mishra [25].
- (iii) $\chi = r = s = 0, m = \gamma = 1$, we have results due to Ma and Minda [17].
- (iv) $k = 0, \chi = m = s = 0$ In Theorem 2.1 we obtain a result due to Srivastava, Mishra and Das [26].

Acknowledgement: The work is supported by the first author.

References

- [1] F. M. Al-Oboudi, On univalent functions defined by a generalized S 1 gean operator, *Int. J. Math. Math. Sci.*, (25-28) (2004), 1429-1436.
- [2] F. M. Al-Oboudi, K. A. Al-Amoudi, On classes of analytic functions related to conic domains, *J. Math. Anal. Appl.*, 339 (2008), 655-667.
- [3] O. Ahuja, Integral operators of certain univalent functions, *Int. J. Math. Math. Sci.*, 8, (1985), 653-662.
- [4] R. Bharti, R. Parvatham, A. Swaminathan, On subclasses of uniformly convex fuctions and corresponding class of starlike functions, *Tamkang J. Math.*, 28 (1997), 17-32.

- [5] B. C. Carlson, D. B. Shaffer, Starlike and pre-starlike hypergeometric functions, *SIAM J. Math. Anal.*, 15 (1984), 737-745.
- [6] N. E. Cho, and T. H. Kim, Multiplier transformations and strongly close-to-convex functions, *Bull. Korean Math. Soc.*, 40(3) (2003), 399-410.
- [7] P. L. Duren, Univalent functions, *Springer-Verlag, New York*, (1983).
- [8] M. Fekete, G. Szegő. Eine Bemerkung über ungerade schlichte Functionen, *J. London Math. Soc.*, 8 (1933), 85-89.
- [9] T. M. Flett, The dual of an inequality of Hardy and Littlewood and some related inequalities, *J. Math. Anal. Appl.*, 38 (1972), 746-765.
- [10] A. W. Goodman, On uniformly convex functions, *Ann. Polon. Math.*, 56 (1991), 87-92.
- [11] I. B. Jung, Y. C. Kim and H. M. Srivastava, The Hardy space of analytic functions associated with certain one parameter families of integral operators, *J. Math. Anal. Appl.*, 176(1) (1993), 138-147.
- [12] S. Kanas, T. Yaaguchi, Subclasses of k -uniformly convex and starlike functions defined by generalized derivative, *I. Indian J. Pure Appl. Math.*, 32(9) (2001), 1275-1282.
- [13] S. Kanas, A. Wisniowska, Conic regions and k -uniform convexity, *J. Compu. Appl. Math.*, 105 (1999), 327-336.
- [14] S. Kanas, A. Wisniowska, Conic domains and starlike functions, *Rev. Roumaine Math. Pures Appl.*, 45 (2000), 647-657.
- [15] L. J. Lin and S. Owa, Properties of the S 1 gean operator, *Georgian Math. J.*, 5(4) (1998), 361-366.
- [16] W. Ma, D. Minda, Uniformly convex functions, *Ann. Polon. Math.*, 57(2) (1992), 165-175.
- [17] W. Ma, D. Minda, Uniformly convex functions, *II, Ann. Polon. Math.*, 58 (1993), 275-285.
- [18] A. K. Mishra, P. Gohhayat, Applications of the Owa-Srivastava operator to the class of k -uniformly convex functions, *Fract. Calc. Appl. Anal.*, 9(4) (2006).
- [19] A. K. Mishra, P. Gohhayat, The Fekete-Szegő problem for k -uniformly convex functions and for a class defined by Owa-Srivastava operator, *J. Math. Anal. Appl.*, 347 (2008), 563-572.
- [20] H. Orhan, E. Deniz and D. Raducanu, The Fekete-Szegő problem for subclasses of analytic functions defined by a differential operator related to conic domains, *Compu. Mth. Appl.*, 59, (2010), 283-295.
- [21] S. Owa and H. M. Srivastava, Some applications of the generalized Libera integral operator, *Proc. Japan Acad., Ser. A*, 62, (1986), 125-128.
- [22] S. Owa and H. M. Srivastava, Univalent and starlike generalized hypergeometric functions, *Canad. J. Mth.*, 39, (1987), 1057-1077.
- [23] F. R nning, Uniformly convex functions and corresponding class of starlike functions, *Proc. Amer. Math. Soc.*, 118, (1993), 189-196.

-
- [24] S. F. Ramadan, and M. Darus, A multiplier transformation defined by convolution involving a differential operator, *Int. J. Open Problems Complex Anal.*, 2(2), (2010), 2074-2827.
- [25] H. M. Srivastava, A K. Mishra, Applications of fractional calculus to parabolic starlike and uniformly convex functions, *Comp. Math. Appl.*, 39, (2000), 57-69.
- [26] H. M. Srivastava, A K. Mishra, and M. K. Das, A nested class of analytic functions defined by fractional calculus, *Commun. Appl. Anal.*, 2(3), (1998), 321-332.
- [27] G. S. S 1 gean, Subclasses of univalent functions, *Lecture Notes in Math.*, 1013, Springer, Verlag Berlin, (1983), pp: 362-372.
- [28] B. A. Uralegaddi, and C. Somantha, Certain classes of univalent functions, In. H. M. Srivastava, and S. Owa (eds). *Current Topics in Analytic Function Theory* PP, (1992), 371-374. Publishing Campany, Singapore, New Jersey, London and Hong kong.

www.youcan.tn : تصميم الغلاف

. البريد الإلكتروني للمجلة :

<http://www.elbahithmagazine.com>

info@elbahithmagazine.com

Member Of Talal Abu-Ghazaleh Organization

TN/T/2015/00406 www.agip.com

الآراء الواردة في المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها، ولا تعبر عن وجهة نظر هيئة التحرير.
حقوق النشر للمواد المنشورة في مجلة الباحث تتم بشكل خاص بين المجلة والمؤلفين. إن أي استنساخ
للمواد المنشورة في المجلة دون إذن مسبق من المجلة يعد انتهاكاً لقوانين الملكية الفكرية.

رقم الإيداع والترقيم الدولي: ISBN978-9938-12-733-1

الإخراج الفني : عادل



www.elbahithmagazine.com

Trademark

Search for Change

ELBAHITH JOURNAL

Journal researcher

Magazine Aims To Spread Scientific Research Court

Fifth Issue
April 2015

Abu-Ghazaleh Intellectual Property

